

وقف لله تعالى
ولا يجوز بيعه

مَدَارِجُ السَّالِكِينَ
بَيْنَ مَسَارِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُكَ وَإِلَيْكَ نَسْتَعِينُ
المجدد الرابع

حَقْوُونَ الطَّبِيعِ كَفُوفَةً

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

هـ١٤٣٩

رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٤٤٤٠

ISBN: 978-977-430-224-4

القسطاوي

للطباعة والتجليد

٠٢٠١٣١٩٩٥٥٥

وقف الله تعالى
ولا يجوز بيعه

مَدَائِحُ السَّالِكِينَ

بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

(طبعة مُحَفَّظَةٌ تَمَّ فِيهَا اسْتِدْرَاكُ قِرَاءَةِ سَبْعِينَ سَطْرًا مِنْ طَبَعَةِ الْفِقْهِ)

تَأَلَّفَ

شَرِّحَ الدِّينَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ قِيَمٍ الْجُوزِيَّ

تَحْقِيقَ

عَبْدَ الْعِزِّ بْنِ نَاصِحِ الْجَلِيلِيِّ

المجلد الرابع

وقف لله تعالى
ولا يجوز بيعه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فصل ومنها النَّفس

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ النَّفْسِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]».

وجه إشارته بالآية: أن النَّفس يكون بعد مفارقة الحال وانفصاله عن صاحبه، فشبهه الحال بالشَّيء الذي يأخذ صاحبه فيغته ويغطه، حتَّى إذا أقلع عنه تنفَّس نفسًا يستريح به ويستروح.
□ قال: «وَيُسَمَّى النَّفْسُ نَفْسًا لِتَرْوِحَ الْمُنْتَفِسِ بِهِ».

التَّنْفِيس: هو التَّرويح، يقال: نفَّس الله عنك الكرب؛ أي: أراحك منه.
وفي الحديث الصحيح: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وهذه الأحرف الثلاثة -وهي النون والفاء وما يثلاثهما- تدلُّ حيث وُجدت على الخروج والانفصال، فمنه النَّفْل؛ لأنَّه زائدٌ على الأصل خارجٌ عنه، ومنه: النَّفْر، والنَّفْي، والنَّفْس، ونفقت الدَّابَّة، ونُفِست المرأة ونَفِست: إذا حاضت أو ولدت، فالنَّفْس: خروجٌ وانفصالٌ يستريح به المنتفِّس.
□ قال: «وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ، وَهِيَ تُشَابَهُ دَرَجَاتِ الْوَقْتِ».

وجه الشَّبه بينهما: أنَّ الأوقات تعدُّ بالأنفاس كدرجاتها.
وأيضًا: فالوقت كما قال هو: «حِينَ وَجِدَ صَادِقٍ» فقيِّد الحين بالوجد، والوجد بالصدق^(٢)، وقال في هذا الباب: «هُوَ نَفْسٌ فِي حِينٍ اسْتِتَارٍ»، فقيِّد النَّفس بالحين وبالوجد، وقيِّد به الوقت، فهو معتبرٌ بهما.

وأيضًا: فالوقت والنَّفْس لهما أسبابٌ تعرض للقلب بسبب حجبه عن مطلوبه، أو مفارقة حالٍ كان فيها فاستترت عنه، فبينهما تشابهٌ من هذه الوجوه وغيرها.

(١) رواه مسلم في «فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر» (٢٦٩٩)، ورواه أبو داود في الأدب، باب: المعونة للمسلم (٤٩٤٦).

(٢) في «غ» والمنار: (بالحين).

□ قال: «وَالْأَنْفَاسُ ثَلَاثَةٌ: نَفْسٌ فِي حِينِ اسْتِتَارٍ مَمْلُوءٍ مِنَ الْكُظْمِ، مُتَعَلِّقٌ بِالْعِلْمِ، إِنْ تَنَفَّسَ تَنَفَّسَ بِالْأَسْفِ، وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بِالْحُزْنِ، وَعِنْدِي: هُوَ مُتَوَلِّدٌ مِنْ وَحْشَةِ الْإِسْتِتَارِ، وَهِيَ الظُّلْمَةُ الَّتِي قَالُوا: إِنَّهَا مَقَامٌ».

فقوله: «نَفْسٌ فِي حِينِ اسْتِتَارٍ»؛ أي: يكون له حالٌ صادق، وكشفٌ صحيح، فيستر عنه بحكم الطبيعة والبشرية ولا بد، فيضيق بذلك صدره، ويمتلئ كظماً بحجب ما كان فيه واستتاره لأسبابٍ فاعليةٍ وغائيةٍ، سترد عليك إن شاء الله، فإذا تنفَّس في هذه الحال فتنفسه تنفس الحزين المكروب.

قوله: «مَمْلُوءٌ مِنَ الْكُظْمِ».

الكظم: هو الإمساك، ومنه: كظم غيظه، إذا تجرَّعه وحبسه ولم يخرجه.

قوله: «مُتَعَلِّقٌ بِالْعِلْمِ».

يريد: أن ذلك النفس متعلقٌ بأحكام الظاهر لا بأحكام الحال، وذلك هو البلاء الذي تقدَّم ذكر الشيخ له، وهو بلاء العبد بين الاستجابة لداعي العلم وداعي الحال.

وإنما كان ذلك نفسٌ مكظومٌ: لخلوّه في هذه الحال من أحكام المحبة التي تهوّن الشدائد، وتسهّل الصعّب، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق وتعلّقه بالعلم -الذي هو داعي التفرُّق- فإنَّ كرب المحبة ممزوجٌ بالحلاوة، فإذا خلا من أحكامها إلى أحكام العلم فقد تلك الحلاوة، [واشتاق]^(١) إلى ذلك الكرب، كما قيل:

وَيَشْكُو الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَّيَسَّرَ
فَكَانَ لِقَلْبِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلِّهَا
قوله: «إِنْ تَنَفَّسَ تَنَفَّسَ بِالْأَسْفِ».

الأسف: الحزن، كقوله تعالى عن يعقوب: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، والأسف: الغضب، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وهو في هذا الموضع: الحزن على ما توارى عنه من مطلوبه، أو من صدق حاله.

قوله: «وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بِالْحُزْنِ».

يعني: أن هذا المتنفس^(٢) إن نطق بما يدلُّ على الحزن على ما توارى عنه، فمصدر تنفُّسه ونطقه حزنه على ما حجب عنه.

(١) في «غ» والمنار: (واشتاق)، والصواب ما أثبتناه بين المعكوفتين وهو المثبت من نسخة «غ» والمنار.

(٢) في «غ»: (التنفس).

قوله: «وَعِنْدِي: أَنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ وَحْشَةِ الْإِسْتِتَارِ وَالْحَبَابِ».

وكأنَّ الاستتار السَّبب فيتولَّد السَّبب.

يريد: أن هذا الأسف وإن أضيف إلى الاستتار والحجاب، فتولَّده إنَّما هو من الوحشة التي

سببها الاستتار من تلك الوحشة المتولَّدة من الاستتار.

وهذا صحيح؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ مَطْلُوبُهُ مَشَاهِدًا لَهُ، وَحَالُ مَحَبَّتِهِ وَأَحْكَامُهَا قَائِمًا بِهِ، كَانَ نَصِيبُهُ مِنْ

الأنس على قدر ذلك، فَإِنَّهُ لَمَّا تَوَارَى عَنْهُ مَطْلُوبُهُ وَأَحْكَامُ مَحَبَّتِهِ اسْتَوْحَشَ لِذَلِكَ، فَتَوَلَّدَ الْحُزْنَ مِنْ تِلْكَ الْوَحْشَةِ.

* ويعد:

فالحزن يتولَّد من مفارقة المحبوب، ليس له سبب سواه، وإن تولَّد من حصول مكروه، فذلك

المكروه إنَّما كان كذلك لما فات به من المحبوب، فلا حزن إذن ولا هم ولا غم ولا أذى ولا كرب إلَّا

في مفارقة المحبوب؛ ولهذا كان حزن الفقر والمرض والألم والجهل والخمول والضيق وسوء الحال

ونحو ذلك: على فراق المحبوب من المال والوُجْد والعافية، والعلم والسَّعة وحسن الحال؛ ولهذا

جعل الله ﷻ مفارقة المشتبهات من أعظم العقوبات، فقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا كَمَا

فَعَلَّ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ [سبأ: ٥٤]؛ فالفرح والسُّرور بالظفر بالمحبوب، والهمُّ

والغمُّ والحزن والأسف بفوات المحبوب، فأطيب العيش عيش المحبِّ الواصل إلى محبوبه، وأمرُّ

العيش عيش من حيل بينه وبين محبوبه.

والاستتار المذكور لا يكون إلَّا بعد كشف وعيان، والرَّبُّ تعالى يستر عنهم ما يستره رحمةً

بهم، ولطفًا بضعيفهم؛ إذ لو دام له حال الكشف لمحقه، بل من رحمة ربِّه به أن رده إلى أحكام

البشريَّة؛ ومقتضى الطَّبيعة.

- وأيضًا: ليتزايد طلبه، ويقوى شوقه، فَإِنَّهُ لَوْ دَامَتْ لَهُ تِلْكَ الْحَالُ لِأَلْفِهَا وَعَاتَادِهَا، وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ

موقع الماء من ذي الغلَّة الصَّادي^(١)، ولا موقع الأمن من الخائف، ولا موقع الوصال من المهجور،

فالرَّبُّ سبحانه واراها عنه ليكمل فرحه ولذَّته وسروره بها.

- وأيضًا: فليعرِّفه سبحانه قدر نعمته بما أعطاه وخلع عليه، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَاقَ مَرَارَةَ الْفَقْدِ عَرَفَ

حلاوة الوجود، فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ تَتَبَّنُ بِأَضْدَادِهَا.

- وأيضًا: فليعرِّفه فقره وحاجته وضرورته إلى ربِّه، وأنَّه غير مستغنٍ عن فضله وبرِّه طرفة عين،

وأنَّه إن انقطع عنه إمداده فسد بالكلِّيَّة.

(١) الغلَّة الصَّادي: العطشان شديد العطش.

- وأيضًا: فليعرّفه أنّ ذلك الفضل والعطاء ليس لسببٍ من العبد، وأنّه عاجزٌ عن تحصيلها بكسبٍ واختيارٍ، وأنّها مجردٌ موهبةٍ وصدقةٍ تصدّق الله بها عليه لا يبلغها عمله ولا ينالها سعيه.

- وأيضًا: فليعرّفه عزّه في منعه، وبرّه في عطائه، وكرمه وجوده في عوده عليه بما حجب عنه، فينفتح^(١) على قلبه من معرفة الأسماء والصفات بسبب هذا الاستتار والكشف بعده أمورٌ غريبةٌ عجيبةٌ، يعرفها الذائق لها، وينكرها من ليس من أهلها.

- وأيضًا: فإنّ الطبيعة والنفس لم يموتا، ولم^(٢) يعدما بالكلية، ولولا ذلك لما قام سوق الامتحان والتكليف في هذا العالم، بل فُهِرًا بسلطان العلم والمعرفة والإيمان والمحبة، والمقهور المغلوب لا بدّ أن يتحرّك أحيانًا وإن قلّت، ولكن حركة أسيرٍ مقهورٍ بعد أن كانت حركته حركة أميرٍ مسلّطٍ.

فمن تمام إحسان الرّبّ إلى عبده، وتعريفه قدر نعمته أن أراه في الأعيان ما كان حاكمًا عليه قاهرًا له، وقد تقاضى ما كان يتقاضاه منه أوّلاً، فحينئذٍ يستغيث العبد برّبّه ووليّه ومالك أمره كلّ: يا مقلّب القلوب ثبتّ قلبي على دينك، يا مصرّف القلوب صرّف قلبي على طاعتك!

- وأيضًا: فإنّه يزيل من قلبه آفة الركون إلى نفسه، أو عمله أو حاله، كما قيل: إن ركنت إلى العلم أنسيناه، وإن ركنت إلى الحال سلبنك إيّاه، وإن ركنت إلى المعرفة حجبناها عنك، وإن ركنت إلى قلبك أفسدناه عليك، فلا يركن العبد إلى شيءٍ سوى الله ألبتّه، ومتى وجد من قلبه ركونًا إلى غيره فليعلم أنّه قد أحيل على مفلس، بل معدم، وأنّه قد فتح له الباب مكرًا، فليحذر وُلوجه! والله المستعان. قوله: «وَهِيَ الظُّلْمَةُ الَّتِي قَالُوا: إِنَّهَا مَقَامٌ».

يعني: أنّ وحشة الاستتار ظلمةٌ، وقد قال قومٌ: إنّها مقامٌ. ووجهه: أنّ الرّبّ سبحانه يقيم عبده بحكمته فيها، لما ذكرناه من الحكم والفوائد، وغيرها ممّا لم نذكره.

فبهذا الاعتبار تكون^(٣) مقامًا، ولكنّ صاحب هذا المقام أنفاسه أنفاس حزنٍ وأسفٍ، وهلاكٍ وتلفٍ، لما حجب عنه من المقام الذي كان فيه.

والشيخ كأنّه لا يرى ذلك مقامًا، فإنّ المقامات هي منازل في طريق المطلوب، فكلُّ أمرٍ أقيم فيه

(١) في «غ» والمنار: (فيستفتح).

(٢) كلمة (لم): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (يكون).

السَّالِك من حاله الَّذِي يقدِّمه إلى مطلوبه فهو مقامٌ، وأمَّا وحشة الاستتار فهي تأخُّرٌ في الحقيقة لا تقدُّمٌ، فكيف تسمَّى مقامًا؟! بل هي ضدُّ المقام.

وممَّا يدلُّ على أنَّ وحشة الاستتار ليست مقامًا: أنَّ كلَّ مقامٍ فهو تعلُّقٌ بالحقِّ سبحانه على وجه الثُّبوت.

وحقيقته: بأن يكون العبد بالمقيم لا بالمقام.

وأمَّا حال الاستتار: فهو حال انقطاع عن ذلك التعلُّق المذكور.

والتَّحْقِيق في ذلك: أنَّ له وجهين؛ هو من أحدهما ظلمةٌ ووحشةٌ، ومن الثَّانِي مقامٌ، فهو باعتبار الحال وباعتبار نفسه ليس مقامًا، وباعتبار المآل وما يترتَّب عليه وما فيه من تلك الحكم والفوائد المذكورة فهو مقامٌ، وبالله التَّوفِيق.

فصل

□ قال: «وَالنَّفْسُ الثَّانِي: نَفْسٌ فِي حِينِ التَّجَلِّي، وَهُوَ نَفْسٌ شَاخِصٌ عَن مَقَامِ السُّرُورِ إِلَى رَوْحِ الْمُعَايِنَةِ، مَمْلُوءٌ مِنْ نُورِ الوجودِ، شَاخِصٌ إِلَى مُنْقَطَعِ الإِشَارَةِ».

هذا النَّفسُ أعلى من الأوَّل، فإنَّ الأوَّل في حين استتارٍ وظلمةٍ، وهذا نفسٌ في حال تجلٍّ ونورٍ، وحين التَّجَلِّي: هو زمان حصول الكشف.

والتَّجَلِّي: مشتقٌّ من الجلوة، قيل: وحقيقته إشراق نور الحقِّ على قلوب المريرين.

فإن أرادوا إشراق نور الدَّات فغلطُ شنيعٌ منهم.

ولهذا قال: من احترز منهم عن ذلك: «إِشْرَاقُ نُورِ الصِّفَاتِ».

فإن أرادوا أيضًا إشراق نفس الصِّفة فغلطٌ كذلك^(١)، فإنَّ التَّجَلِّي الدَّاتِيَّ والصِّفَاتِيَّ لا يقع في هذا

العالم، ولا تثبت له القوى البشريَّة.

والحقُّ: أنَّه إشراق نور المعرفة والإيمان، واستغراق القلب في شهود الدَّات المقدَّسة وصفاتها

استغراقًا علميًّا، نعم هو أرفع من العلم المجرَّد لأسبابٍ.

- منها: قوَّته؛ فإنَّ المعارف والعلوم تتفاوت.

(١) كلمة (كذلك): غير موجودة في «غ» والمنار.

- ومنها: صفاء المحلّ ونقاؤه من الكدر المانع من ظهور العلم والمعرفة فيه.
- ومنها: التّجرّد عن الموانع والشّواغل.
- ومنها: كمال الالتفات والتّحديق نحو المعروف المشهود.
- ومنها: كمال الأنس به والقرب منه... إلى غير ذلك من الأسباب التي تُوجِب للقلب شهودًا وكشفًا وراء مجرد العلم.
- قوله: «وَهُوَ نَفْسٌ شَاخِصٌ عَنِ مَقَامِ الشُّرُورِ»؛ أي: صادرٌ عن مقام الشُّرُورِ.
- والشُّخوص: الخروج، يقال: شخص فلانٌ إلى بلد كذا؛ إذا خرج إليه.
- والمقصود: أن هذا النَّفس صدر عن سرورٍ وفرحٍ، بخلاف الأوّل؛ فإنّه صدر عن ظلمةٍ ووحشةٍ أثارت حزنًا، فهذا النَّفس صدر عن سماع الإجابة الذي يمحو آثار الوحشة.
- قوله: «إِلَى رَوْحِ الْمُعَايَنَةِ» هو بفتح الرَّاء، وهو النِّعيم والرَّاحة التي تحصل بالمعاينة ضدّ الألم والوحشة الحاصلين في حين الاستتار، فهذا النَّفس مصدره الشُّرُور، ونهايته روح المعاينة صادرًا عن مسرّة، طالبًا المعاينة.
- وأصحّ ما يحمل عليه كلام الشَّيخ وأمثاله من أهل الاستقامة في المعاينة: أنّها تزايد العلم حتّى يصير يقينًا، ولا يصل أحدٌ إلى عين اليقين في هذه الدّار، وإن خالف في ذلك من خالف، فالغلط من لوازم الطَّبيعة، والعلم يميّز بين الغلط والصَّواب.
- وقد أشعر كلام الشَّيخ هاهنا بأنّ التّجلّي دون المعاينة؛ فإنّ التّجلّي قد يكون من وراء ستر رقيقٍ وحاجزٍ لطيفٍ، والكشف والعيان هو الظُّهور من غير ستر، فإذا كان مسرورًا بحال التّجلّي كانت أنفاسه متعلّقة بمقام المعاينة الذي هو فوق مقام التّجلّي، ولهذا جعله شاخصًا إليها.
- قوله: «مَمْلُوءٌ مِنْ نُورِ الْوُجُودِ».
- يريد: أنّ هذا النَّفس مملوءٌ من نور الوجود، والوجود عنده: هو حضرة الجمع، فكأنّه يقول: هذا النَّفس منصبٌ مكتسبٌ بنور الوجود، فإنّ صاحبه لمّا تنفّس به كان في مقام الجمع والوجود.
- قوله: «شَاخِصٌ إِلَى مُنْقَطِعِ الْإِشَارَةِ».
- لمّا كان قلبه مملوءًا من نور الوجود وكان شاخصًا إلى المعاينة مستفرغًا بكلّيّته في طلبها، كان شاخصًا إلى حضرة الجمع، التي هي منقطع الإشارة عندهم، فضلًا عن العبارة، فلا إشارة هناك ولا عبارة ولا رسم، بل تفتى الإشارات وتعجز العبارات، وتضمحلّ الرُّسوم.

فصل

□ قوله: «وَالنَّفْسُ النَّالِثُ: نَفْسٌ مُطَهَّرَةٌ بِمَاءِ الْقُدْسِ، قَائِمٌ بِإِشَارَاتِ الْأَزْلِ، وَهُوَ النَّفْسُ الَّذِي يُسَمَّى بِصِدْقِ النُّورِ».

القدس: الطَّهارة، والتَّقديس: التَّطهير والتَّنزيه، ومراده بالقدس هاهنا: الشُّهود الَّذِي يَفْنَى الحادث الَّذِي لم يكن، ويبقى القديم الَّذِي لم يزل، فكأنَّ صفات الحدوث عندهم ممَّا يتطهَّر منها بالتَّجَلِّي المذكور، فالتَّجَلِّي يطهِّر العبد منها؛ فإنَّه ما دام في الحجاب فهو باقٍ مع إِبْتِئته وصفاته، فإذا أشرق عليه نور التَّجَلِّي طهَّره من صفاته وشهودها وتوسيطها بينه وبين مشهوده الحقِّ.

وحاصل كلامه: أنَّ هذا النَّفْس صادِرٌ عن مشاهدة الأزل الماحي للحوادث المَفْنِي لها، فهذا النَّفْس مطهَّرٌ بالطُّهر المقدَّس عن كلِّ غيبيٍّ (١)، وعن ملاحظة كلِّ مقام، بل هو مستغرِقٌ بنور الحقِّ، وآثار الحقِّ تنطق عليه، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» (٢). وقال ابن مسعودٍ: «مَا كُنَّا بُعْدُ أَنْ السَّكِينَةَ تَنْطِقَ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ» (٣).

وهذا نطقٌ غير النُّطق النَّفْسَانِي الطَّبِيعِي؛ ولهذا سَمِّيَ هذا النَّفْس بصدق النُّور لصدق شدَّة تعلُّقه (٤) بالنُّور، وملازمته له.

قوله: «قَائِمٌ بِإِشَارَاتِ الْأَزْلِ».

أي: هذا النَّفْس منزَّهٌ مطهَّرٌ عن إشارات الحدوث، فقد ترخَّل عنها وفارقها إلى إشارات الأزل. ويعني بإشارات الأزل: أنَّه قد فني في عيانه الَّذِي شخص إليه مَنْ لم يكن، وبقي من لم يزل، فصارت أنفاسه من جملة إشارات الأزل.

ولم يرد الشَّيخ أنَّ أنفاسه تنقلب أزليةً، فمن دون الشَّيخ لا يتوهم هذا، بل أنفاس الخلق متعلِّقةٌ بمن لم يكن، وهذا نفسه متعلِّقٌ بمن لم يزل (٥).

(١) في «غ» والمنار: عين، والغين: الحجاب الرقيق الَّذِي يحجب القلب.

(٢) رواه الترمذي في «المناقب»، باب: في مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال «حسن غريب»، ورواه ابن ماجه في «المقدمة»، باب: فضل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ» (١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٨٨).

(٣) رواه الطبراني عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٨٨٢٧)، قال الهيثمي: «إسناده حسن». «مجمع الزوائد» (٦٧/٩).

(٤) في المنار: (لشدة تعلُّقه) بحذف كلمة (صدق).

(٥) سبحان الله العظيم! كيف عدل القوم عن لغة القرآن الكريم ومصطلحاته الواضحة البينة الميسرة للذكر والتذكر إلى

* وبعد:

- فللملحد هاهنا مجال، لكنّه في الحقيقة وهمٌ باطلٌ وخيالٌ.
- وفي قوله: «يُسَمَّى بِصِدْقِ النُّورِ» لطيفةٌ، وهي أَنَّ السَّالِكَ يُلَوِّحُ له في سلوكه النُّورَ مرارًا، ثُمَّ يَخْتَفِي عنه كالبرق يلمع ثُمَّ يَخْتَفِي، فإذا قَوِيَ ذلك النُّورُ ودام ظهوره، صار نورًا صادقًا.
- قوله: «فَالنَّفْسُ الْأَوَّلُ: لِلْعُيُونِ سِرَاجٌ، وَالثَّانِي: لِلْقَاصِدِ مِعْرَاجٌ، وَالثَّلَاثُ: لِلْمُحَقِّقِ تَاجٌ».
- أي: النَّفْسُ الْأَوَّلُ: سِرَاجٌ فِي ظِلْمَةِ السُّلُوكِ، لِتَعَلُّقِهِ بِالْعِلْمِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْعِلْمُ سِرَاجٌ يَهْتَدِي بِهِ فِي طَرِيقَاتِ الْقَصْدِ، وَيُوضِّحُ مَسَالِكَهَا، وَيَبَيِّنُ مَرَاتِبَهَا، فَهُوَ سِرَاجٌ لِلْعُيُونِ.
- وَالنَّفْسُ الثَّانِي: لِلْقَاصِدِ مِعْرَاجٌ، فَإِنَّهُ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ نُورِ الْمَعْرِفَةِ الرَّافِعَةِ لِلْحِجَابِ.
- وَالنَّفْسُ الثَّلَاثُ: لِلْمُحَقِّقِ تَاجٌ؛ لِأَنَّهُ نَفْسٌ مَطَهَّرَةٌ مِنْ أَدْنَسِ الْأَكْوَانِ، وَمَتَّصِلٌ بِالكَائِنِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمَكُونِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالكَائِنِ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ (١)، فَهَذَا تَاجٌ لِقَلْبِهِ (٢) بِمَنْزِلَةِ التَّاجِ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ.
- وَالنَّفْسُ الْأَوَّلُ: يَوْمُنَ السَّالِكِ مِنْ عَشْرَتِهِ.
- وَالثَّانِي: يُوصلُهُ إِلَى طَلْبَتِهِ.
- وَالثَّلَاثُ: يَدُلُّهُ عَلَى عِلْوِ مَرْتَبَتِهِ، وَاللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ.

فصل

□ قال شيخ الإسلام: «(بَابُ الْغُرْبَةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ (٣) إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].»

اسْتَشْهَادُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي هَذَا الْبَابِ يَدُلُّ عَلَى رُسُوخِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَفَهْمِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ الْغُرْبَاءَ فِي الْعَالَمِ هُمْ أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَسَارَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي

هذه المصطلحات التي تحتل الحق والباطل، وهي أشبه بالپلاسم والألغاز التي يصعب على السامع فهمها وفك رموزها، نسأل الله ﷻ أن يعصمنا بكتابه وسنة رسوله ﷺ من مضلات الفتن.

(١) يشير إلى اسمه سبحانه: الآخر، ومعناه: الآخر فليس بعده شيء.

(٢) كلمة (لقلبه): غير موجودة في «غ».

(٣) في «غ» والمنار: تنتهي الآية إلى قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

قَوْلِهِ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن زهير عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن حنطب، عن المطلب بن حنطب، عن النبي ﷺ قال: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ»^(٢).

فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظًا لم يتقلب على الراوي لفظه، وهو: «الَّذِينَ يَنْقُصُونَ إِذَا زَادَ النَّاسُ» فمعناه: الَّذِينَ يَزِيدُونَ خَيْرًا وَإِيمَانًا وَتَقَى إِذَا نَقَصَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، والله أعلم.

وفي حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «التَّرَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»^(٣).

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»^(٤).

وقال أحمد: حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا محمد بن مسلم، حدثنا عثمان بن عبد الله، عن سليمان بن هرم، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ اللَّهُ الْغُرَبَاءُ»، قيل: ومن الغرباء؟ قال: «الْفَرَارُونَ بِدِينِهِمْ، يَجْتَمِعُونَ إِلَى عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

وفي حديث آخر: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قيل: وَمَنْ

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا... عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» (١٤٥، ١٤٦)، وللحديث ألفاظ كثيرة رواه أهل السنة والمسائيد، ولفظ الحديث الذي في الباب ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٨)، وقال: رواه الطبراني في الثلاثة من حديث سهيل ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أنه قال: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ»، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير بكر ابن سليم الصواف وهو ثقة»، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٣)، وتوسع في تخريجه.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الفتن»، باب: بدأ الإسلام غريبًا (٣٩٨٨)، ورواه أحمد في «المسند» (١/٣٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٢٣).

(٤) رواه أحمد (٢/١٧٧)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في «الأوسط»، وقال: «أَنَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ»، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف. «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٨).

(٥) رواه أحمد في «الزهد» (ص ١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٥)، وفي إسناده سفيان بن وكيع وهو ضعيف. ت: بشير عيون على «مدارج السالكين» (٣/١٥٠).

الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ» (١).

وقال نافعٌ: عن مالكٍ: دخل عمر بن الخطاب المسجد، فوجد معاذ بن جبل جالسًا إلى بيت النَّبِيِّ ﷺ وهو يبكي، فقال له عمر: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ هلك أخوك؟ قال: لا، ولكن حديثًا حدَّثنيه حبيبي ﷺ وأنا في هذا المسجد، فقال: ما هو؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ مُظْلِمَةً» (٢).

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقَّلتهم في النَّاسِ جدًّا سمُّوا غرباء، فإنَّ أكثر النَّاسِ على غير هذه الصِّفات، فأهل الإسلام في النَّاسِ غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنَّة الذين يميِّزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والدَّاعون إليها الصَّابرون على أذى المخالفين هم أشدُّ هؤلاء غربةً، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم، وإنَّما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قيل:

فَلَيْسَ غَرِيبًا مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ
وَلَكِنَّ مَنْ تَنَاءَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ

ولمَّا خرج موسى ﷺ هاربًا من قوم فرعون انتهى إلى مدين على الحال التي ذكر الله، وهو وحيدٌ غريبٌ خائفٌ جائعٌ، فقال: «يَا رَبِّ وَحِيدٌ مَرِيضٌ غَرِيبٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا مُوسَى، الْوَحِيدُ مَنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلِي أَنِيسٌ، وَالْمَرِيضُ مَنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلِي طَيِّبٌ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ».

فالغربة ثلاثة أنواع:

- غربة أهل الله وأهل سنَّة رسوله بين هذا الخلق: وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها، وأخبر عن الدين الذي جاء به: أنه «بدأ غريبًا» وأنه «سيعود غريبًا كما بدأ» (٣)، وأنَّ أهله يصيرون غرباء.

وهذه الغربة قد تكون في مكانٍ دون مكانٍ، ووقتٍ دون وقتٍ، وبين قومٍ دون قومٍ، ولكنَّ أهل

(١) رواه البيهقي في «الزهد» (٢٠٧)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٣) من حديث كثير ابن عبد الله بن عمر المزني عن أبيه عن جده مرفوعًا وكثير بن عبد الله ضعيف. ت: بشير عيون على «مدارج السالكين» (١٥٠/٣).

(٢) رواه ابن ماجه في «الفتن»، باب: من ترجى له السلامة من الفتن (٣٩٨٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٨٦٣).

(٣) جملة (كما بدأ): غير موجودة في «غ» والمنار.

هذه الغربة هم أهل الله حقاً، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم يتسبوا إلى غير رسوله ﷺ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم، فيقال لهم: «أَلَا تَنْطَلِقُونَ حَيْثُ انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَا النَّاسَ وَنَحْنُ أَحْوَجُ إِلَيْهِمْ مِمَّا الْيَوْمَ، وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُهُ» (١).

فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليّه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه.

وفي حديث القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال عن الله تعالى: «إِن أَعْطَى أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمْؤُومٌ خَفِيفُ الْحَاذِذِ وَحَظٌّ مِنْ صَلَاتِهِ، أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كِفَافًا، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ غَامِضًا فِي النَّاسِ، لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ، ثُمَّ حَلَّتْ مَنِيَّتُهُ، وَقَلَّ تَرَاتُّهُ، وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ» (٢).

ومن هؤلاء الغرباء: من ذكرهم أنس في حديثه عن النبي ﷺ: «رُبَّ أَسْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ» (٣).

وفي حديث أبي إدريس الخولاني، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ مُلُوكِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «كُلُّ ضَعِيفٍ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ» (٤).

وقال الحسن: «الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ لَا يَجْزَعُ» (٥) مِنْ ذُلِّهَا، وَلَا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ، النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي تَعَبٍ».

ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي ﷺ: التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ، وَتَرَكَ مَا أَحْدَثُوهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفَ عِنْدَهُمْ، وَتَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَرَ النَّاسِ، وَتَرَكَ الْإِنْتِسَابَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا شَيْخٍ وَلَا طَرِيقَةَ وَلَا مَذْهَبٍ وَلَا طَائِفَةَ، بَلْ هُوَ لَاءُ الْغُرَبَاءِ

(١) رواه مسلم، وهو جزء من حديث طويل في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

(٢) رواه الترمذي في «الزهد»، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، ورواه ابن ماجه في «الزهد»، باب: من لا يؤبه له (٤١١٧)، ورواه أحمد (٥/٥٥٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٨٩٧).

(٣) تقدم تخريجه (٣/٣٨٥).

(٤) رواه ابن ماجه في «الزهد»، باب: من لا يؤبه له (٤١١٥)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٨٩٦).

(٥) في «غ»: (لا يخرج).

منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً، وأكثر الناس بل كلهم لائئ لهم؛ فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة، ومفارقة للسواد الأعظم!

ومعنى قول النبي ﷺ: «هُمُ النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»: أن الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديانٍ مختلفة، فهم بين عبّاد أوثانٍ ونيرانٍ، وعبّاد صورٍ وصلبانٍ، ويهودٍ وصابئةٍ وفلاسفةٍ. وكان الإسلام في أوّل ظهوره غريباً، وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله غريباً في حيّه وقبيلته وأهله وعشيرته، فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعاً من القبائل، بل أحاداً منهم تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم، ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقاً، حتّى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا، فزال تلك الغربة عنهم.

ثم أخذ في الاغتراب والتّرحّل، حتّى عاد غريباً كما بدأ، بل الإسلام الحقّ الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه هو (١) اليوم أشدّ غربةً منه في أوّل ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورةً ومعروفةً، فالإسلام الحقيقي غريبٌ جدّاً، وأهله غرباء أشدّ الغربة بين الناس.

وكيف لا تكون فرقةً واحدةً قليلةً جدّاً غريبةً بين اثنتين وسبعين فرقةً، ذات أتباعٍ وراثياتٍ ومناصبٍ وولاياتٍ، ولا يقوم لها سوقٌ إلّا بمخالفة ما جاء به الرسول؛ فإنّ نفس ما جاء به يضادّ أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات والبدع (٢) التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم، والشّهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم؟!!

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شحهم، وأعجب كلّ منهم برأيه؟! كما قال النبي ﷺ: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدُ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ بِحَاصَةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ، فَإِنَّ وِرَاءَكُمْ أَيَّامًا صَبْرُ الصَّابِرِ فِيهِنَّ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» (٣).

(١) كلمة (هو): ساقطة من «غ».

(٢) كلمة (والبدع): غير موجودة في «غ».

(٣) أخرجه الأجرى في «الغريباء» (ص ٢٥-٢٦) بدون إسناد. عن ت بشير عيون «للمدارج» (٣/ ١٥٤)، وقد روى بعض ألفاظ الحديث أبو داود (٢/ ٤٣٨)، وأحمد (٢/ ٢١٢)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٣٦٧) (٢٠٥).

ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابة. ففي «سنن أبي داود والترمذي» من حديث أبي ثعلبة الخشني قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٣٥] فقال: «بلى أتتروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بحاصة نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر؛ الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم»^(١). وهذا الأجر العظيم إنما هو لغرته بين الناس، والتمسك والتمسك بالسنة بين ظلمات^(٢) أهوائهم وآرائهم.

فإذا أراد المؤمن الذي قدر رزقه الله بصيرة في دينه، وفقها في سنة رسوله، وفهما في كتابه، وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به وتغيير الناس عنه وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ، فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقدح فيما هم عليه؛ فهنالك تقوم قيامتهم ويغنون له الغوائل وينصبون له الحبائل ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله.

فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال^(٣) وفساد طرقهم، غريب في نسبته لمخالفة نسبهم، غريب في معاشرته لهم لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة: فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة^(٤) مساعداً ولا معيناً؛ فهو عالم بين جهال، صاحب سنة بين أهل بدع، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع، أمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر معروف.

(١) أبو داود في «الملاحم»، باب: الأمر والنهي (٤٣٤١)، والترمذي في «تفسير القرآن» سورة المائدة وقال: «حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٩٣٤).

(٢) في «غ»: (ظلم).

(٣) كلمة (الضلال): غير موجودة في «غ».

(٤) جملة (من العامة): ساقطة من «غ» والمنار.

فصل

النوع الثاني من الغربة

غربةٌ مذمومةٌ وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق، فهي غربةٌ بين حزب الله المفلحين^(١)، وإن كثر أهلها فهم غرباء على كثرة أصحابهم وأشياعهم، أهل وحشةٍ على كثرة مؤنسهم، يعرفون في أهل الأرض، ويخفون على أهل السماء.

فصل

النوع الثالث: غربةٌ مشتركةٌ لا تحمد ولا تذمُّ

وهي الغربة عن الوطن؛ فإنَّ النَّاسَ كُلَّهُم في هذه الدَّارِ غرباء، فإنَّها ليست لهم بدار مقام، ولا هي الدَّارُ التي خلقوا لها.

وقد قال النَّبِيُّ ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»^(٢). وهكذا هو في نفس الأمر؛ لأنَّه أمر أن يطالع ذلك بقلبه ويعرفه حقَّ المعرفة.

ولي من أبياتٍ في هذا المعنى:

وَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا	مَنَازِلُكَ الْأُولَىٰ وَفِيهَا الْمُخَمَّيْمُ
وَلَكِنِّي سَابِي الْعُدُوِّ فَهَلْ تَرَىٰ	نَعُودُ إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي	لَهَا أَضْحَتِ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكُّمُ
وَقَدْ رَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَىٰ	وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطَانُهُ لَيْسَ يَنْعَمُ
فَمِنْ أَجْلِ دَا لَا يَنْعَمُ الْعَبْدُ سَاعَةً	مِنَ الْعُمْرِ إِلَّا بَعْدَمَا يَتَأَلَّمُ

(١) كلمة (المفلحين): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) رواه البخاري في «الرفائق»، باب: قول النبي ﷺ «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ...» (٦٤١٦)، والترمذي في «الزهد»، باب: ما جاء في قصر الأمل.

وكيف لا يكون العبد في هذه الدار غريباً، وهو على جناح سفرٍ، لا يحلُّ عن (١) راحلته إلا بين أهل القبور؟! فهو مسافرٌ في صورة قاعدٍ، وقد قيل:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَا حِلُّ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا
يَحْتُّ بِهَا دَاعٍ إِلَى الْمَوْتِ قَاصِدُ
مَنَازِلُ تُطْوَى وَالْمَسَافِرُ قَاعِدُ

فصل

□ قال صاحب المنازل: «الاعتراب: أمرٌ يُشارُ به إلى الانفرادِ عَنِ الْكُفَاءِ».

يريد: أن كلَّ من انفرد بوصفٍ شريفٍ دون أبناء جنسه، فإنه غريبٌ بينهم؛ لعدم مشاركته أو لقلته (٢).

□ قال: «وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْغُرْبَةُ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَهَذَا الْغَرِيبُ مَوْتُهُ شَهَادَةٌ، وَيُقَاسُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنْ مَدْفَنِهِ إِلَى وَطْنِهِ، وَيُجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ».

لَمَّا كَانَتِ الْغُرْبَةُ هِيَ الْانْفِرَادُ، وَالْانْفِرَادُ إِمَّا بِالْجِسْمِ وَإِمَّا بِالْقَصْدِ وَالْحَالِ وَإِمَّا هُمَا؛ كَانَ الْغَرِيبُ غَرِيبَ جِسْمٍ، أَوْ غَرِيبَ قَلْبٍ وَإِرَادَةٍ وَحَالٍ، أَوْ غَرِيبًا بِالْاِعْتِبَارِ.

قوله: «وَهَذَا الْغَرِيبُ مَوْتُهُ شَهَادَةٌ»، يشير به إلى الحديث الذي يروى عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ» (٣)، ولكنَّ هذا الحديث لا يثبت، وقد روي من طرقٍ لا يصحُّ منها شيءٌ، قال الإمام أحمد: «هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ».

وأما قوله: «وَيُقَاسُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنْ مَدْفَنِهِ إِلَى وَطْنِهِ» فيشير به إلى ما رواه عبد الله بن وهبٍ: حَدَّثَنِي حَيْثُ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَجَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: تَوَفَّى رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ مَمَّنْ وَلِدَ بِالْمَدِينَةِ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «لَيْتَهُ مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلِدِهِ» فَقَالَ رَجُلٌ: وَلَمْ

(١) كلمة (عن): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (قلته).

(٣) رواه ابن ماجه في «الجنائز»، باب: ما جاء فيمن مات غريباً (١٦١٣)، وضعفه الألباني (٣٥٤).

يا رسول الله؟ فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ» (١).

رواه ابن لهيعة عن حبيبي هذا الإسناد، وقال: وقف رسول الله ﷺ على قبر رجل بالمدينة، فقال: «يَا لَهُ لَوْ مَاتَ غَرِيبًا»، فقيل: وما للغريب يموت بغير أرضه؟ فقال: «مَا مِنْ غَرِيبٍ يَمُوتُ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، إِلَّا قِيسَ لَهُ مِنْ تُرْبَتِهِ إِلَى مَوْلِدِهِ فِي الْجَنَّةِ» (٢).

قوله: «وَيُجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ»، يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ جَمِيلٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ هَرْمَزٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيَّ اللَّهُ الْغُرَبَاءُ». قيل: وما الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الْفَرَارُونَ بِدِينِهِمْ يَجْتَمِعُونَ إِلَى عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: غُرْبَةُ الْحَالِ، وَهَذَا مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ طُوبَى لَهُمْ، وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ فِي زَمَانٍ فَاسِدٍ بَيْنَ قَوْمٍ فَاسِدِينَ، أَوْ عَالِمٌ بَيْنَ قَوْمٍ جَاهِلِينَ، أَوْ صَدِيقٌ بَيْنَ قَوْمٍ مُنَافِقِينَ».

يريد بالحال هاهنا: الوصف الذي قام به من الدِّين والتمسك بالسُّنَّة، ولا يريد به الحال الاصطلاحي عند القوم، والمراد به: العالم بالحق، العامل به، الداعي إليه.

وجعل الشيخ الغرباء في هذه الدرجة ثلاثة أنواع:

- صاحب صلاحٍ ودينٍ بين قومٍ فاسدين.
- وصاحب علمٍ ومعرفةٍ بين قومٍ جهالٍ.
- وصاحب صدقٍ وإخلاصٍ بين أهل كذبٍ ونفاقٍ.

(١) رواه النسائي في «الجنائز»، باب: الموت بغير مولده، وابن ماجه في «الجنائز»، باب: ما جاء فيمن مات غريباً (١٦١٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٠٩).

(٢) أحمد (١٧٧/٢). وانظر: الحديث السابق.

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٣)

فإن صفات هؤلاء وأحوالهم تنافي صفات من هم بين أظهرهم، فمثل هؤلاء بين أولئك كمثل الطير الغريب بين الطيور، والكلب الغريب بين الكلاب.
والصديق: هو الذي صدق في قوله وفعله، وصدق الحق بقوله وعمله، فقد انجذبت قواه كلها للانقياد لله ولرسوله، عكس المنافق الذي ظاهره خلاف باطنه وقوله خلاف عمله.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: غُرْبَةُ الْهِمَّةِ، وَهِيَ غُرْبَةُ طَلَبِ الْحَقِّ، وَهِيَ غُرْبَةُ الْعَارِفِ؛ لِأَنَّ الْعَارِفَ فِي شَاهِدِهِ غَرِيبٌ، وَمَصْحُوبُهُ فِي شَاهِدِهِ غَرِيبٌ، وَمَوْجُودُهُ لَا يَحْمِلُهُ (١) عِلْمٌ أَوْ يُظْهِرُهُ وَجْدٌ، أَوْ يَقُومُ بِهِ رَسْمٌ، أَوْ تُطَبِّقُهُ إِشَارَةٌ، أَوْ يَشْمَلُهُ اسْمٌ غَرِيبٌ، فَغُرْبَةُ الْعَارِفِ غُرْبَةُ الْغُرْبَةِ؛ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

إنما كانت هذه الدرجة أعلى مما قبلها؛ لأن الغربة الأولى غربة بالأبدان، والثانية غربة بالأفعال والأحوال، وهذه الثالثة غربة بالهمم؛ فإن هممة العارف حائمة حول معروفه، فهو غريب في أبناء الآخرة، فضلاً عن أبناء الدنيا، كما أن طالب الآخرة غريب في أبناء الدنيا.

□ قوله: «لِأَنَّ الْعَارِفَ فِي شَاهِدِهِ غَرِيبٌ» شاهد العارف: هو الذي يشهد عنده وله بصحة ما وجد وأنه كما وجد، وبثبوت ما عرف وأنه كما عرف.

وهذا الشاهد: أمرٌ يجده من قلبه، وهو قربه من الله، وأنسه به، وشدة شوقه إلى لقائه وفرحه به، فهذا شاهده في سره وقلبه.

وله شاهد في حاله وعمله، يصدق هذا الشاهد الذي في قلبه.

وله شاهد في قلوب الصادقين، يصدق هذين الشاهدين، فإن قلوب الصادقين لا تشهد بالزور ألبتة، فإذا خفي عليك شأنك وحالك، فاسأل عنك قلوب الصادقين؛ فإنها تخبرك عن حالك.

قوله: «وَمَصْحُوبُهُ فِي شَاهِدِهِ غَرِيبٌ» مصحوبه في شاهده: هو الذي يصحبه فيه من العلم والعمل والحال، وهو غريب بالنسبة إلى غيره ممن لم يذق طعم هذا الشأن، بل هو في وادٍ وأهله في وادٍ.

(١) في المنار: (فيما يحمله).

وقوله: «وَمَوْجُودُهُ لَا يَحْمِلُهُ»^(١) عِلْمٌ... إلى آخره.

يريد بموجوده: ما يجده في شهوده وجداناً ذاتياً حقيقياً في هذه المراتب المذكورة؛ لأنَّ الشهود يشملها كلها حالة المشاهدة.

فأما ما يحمله العلم: فهو أحكام العلم التي متى انسلخ منها انسلخ من الإيمان. وموجوده في هذه المشاهدة في هذا الحال، هو إصابته وجه الصواب الذي أَرَادَهُ اللهُ ورسوله بشرعه وأمره، وهذه الإصابة غريبةٌ جدًّا عند أهل العلم، بل هي متروكةٌ عند كثيرٍ منهم، فليس الحلال إلا ما أحلَّه من قَلْدُوهُ، والحرام ما حرَّمه، والدِّين ما أفتى به، يقدِّم على النُّصوص، وتُترك له أقوال الرِّسول^(٢) والصَّحابة وسائر أهل العلم. قوله: «أَوْ يُظْهِرُهُ وَجْدٌ».

الوجد: يظهر أمورًا ينكرها من لم يكن له ذلك الوجد، ويعرفها من كان له، وهذا الوجد إن شهد له العلم بالقبول وزكاه، فهو وجدٌ صحيحٌ، وإلا فهو وجدٌ فاسدٌ وفيه انحرافٌ. والمقصود: أنَّ ما يظهره وجد هذا العارف بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه غريبٌ على غيره، بحسب همته ومعرفته وطلبه.

قوله: «أَوْ يَقُومُ بِهِ رَسْمٌ».

الرَّسْم: هو الصُّورة الخلقية وصفاتها وأفعالها عندهم، والذي يقوم به هذا الرَّسْم هو الذي يقيمه من تعلق اسم القيوم به، فإنَّ القيوم هو القائم بنفسه الذي قيام كلِّ شيء به؛ أي: هو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره بدون إقامته له، وقيامه هو بنفسه لا بغيره.

ويحتمل أن يريد به معنى آخر، وهو ما يقوى رسمه على القيام به؛ فإنَّ وراء ذلك ما لا يقوى رسم العبد على إظهاره ولا القيام به، وهذا أظهر المعنيين من كلامه، وسياقه إنَّما يدلُّ عليه، ولهذا قال بعد ذلك: «أَوْ تُطِيقُهُ إِشَارَةٌ»؛ أي: لا^(٣) تقدر على إفهامه وإظهاره إشارةً، فتنهض الإشارة بكشفه. ثم قال: «أَوْ يَشْمَلُهُ رَسْمٌ»، يعني: أو تناله عبارةً.

فذكر الشَّيخ خمس مراتب:

- الأولى: مرتبة حمل العلم له.
- الثانية: مرتبة إظهار الوجد له.
- الثالثة: مرتبة قيام الرَّسْم به.
- الرابعة: مرتبة إطاقه الإشارة له.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) كلمة (الرسول): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) (لا) النافية: غير موجودة في «غ» والمنار.

- الخامسة: مرتبة شمول العبارة له.

ومقصوده: أن موجود العارف أخفى وأدق من موجود غيره، فهو غريبٌ بالنسبة إلى موجودٍ سواه، وأخبر أن موجوده في هذه المراتب غريبٌ، فكيف بموجوده الذي لا يحمله علمٌ، ولا يظهره وجدٌ، ولا يقوم به رسمٌ، ولا تطيقه إشارةٌ، ولا تشمله عبارةٌ؟ فهذا أشدُّ غربةً.

قوله: «فَعُرْبَةُ الْعَارِفِ: عُرْبَةُ الْعُرْبَةِ».

و«الْعُرْبَةُ»: أن يكون الإنسان بين أبناء جنسه غريباً، مع أن له نسباً فيهم.

وأما غربة المعرفة: فلا يبقى معها نسبةٌ بينه وبين أبناء جنسه إلا بوجهٍ بعيدٍ؛ لأنه في شأنِ النَّاسِ

في شأنٍ آخر، فغربته غربة الغربية.

وأيضاً: فالصَّالِحون غرباء في النَّاسِ، والزَّاهدون غرباء في الصَّالِحين، والعارفون غرباء في

الزَّاهدين.

قوله: «لأنَّ غَرِيبُ الدُّنْيَا وَغَرِيبُ الآخِرَةِ».

يعني: أن أبناء الدنيا لا يعرفونه؛ لأنه ليس منهم، وأهل الآخرة العبَّاد الزَّهاد لا يعرفونه؛ لأنَّ

شأنه وراء شأنهم، همَّتْهم متعلِّقةٌ بالعبادة، وهمَّتْه متعلِّقةٌ بالمعبود مع قيامه بالعبادة، فهو يرى النَّاسِ

والنَّاسِ لا يرونه، كما قيل:

تَسْتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسَأَلِ الْأَيَّامَ مَا اسْمِي لَمَا دَرَّتْ وَأَيَّنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

فصل

□ قال شيخ الإسلام (١): «(بَابُ الْغَرَقِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٤)»

[الصفات: ١٠٣] هَذَا اسْمٌ يُشَارُ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى مَنْ تَوَسَّطَ الْمَقَامَ، وَجَاوَزَ حَدَّ

التَّفَرُّقِ».

وجه استدلاله بإشارة الآية: أن إبراهيم عليه السلام لما بلغ ما بلغ هو وولده في المبادرة إلى الامتثال،

والعزم على إيقاع الذبح المأمور به، ألقاه الوالد على جبينه في الحال وأخذ الشفرة وأهوى إلى حلقه،

أعرض في تلك الحال عن نفسه وولده، وفني بأمر الله عنهما، فتوسَّطَ بحر جمع السَّرِّ والقلب والهَمِّ

على الله، وجاوز حدَّ التَّفَرُّقِ المانعة من امتثال هذا الأمر.

(١) جملة (قال شيخ الإسلام): غير موجودة في المنار، وفي «ع»: (قال شيخ الإسلام عليه السلام).

قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾؛ أي: استسلما وانقادا لأمر الله، فلم يبق هناك منازعةً لا من الوالد ولا من الولد، بل استسلامٌ صرفٌ وتسليمٌ محضٌ.

قوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾؛ أي: صرعه على جبينه، وهو جانب الجبهة الذي يلي الأرض عند النوم، وتلك هي هيئة ما يراد ذبحه.

قوله: «تَوَسَّطَ الْمَقَامَ» لا يريد به مقامًا معيَّنًا، ولذلك أهمه ولم يقيده، و«الْمَقَامُ» عندهم: منزلٌ من منازل السالكين، وهو يختلف باختلاف مراتبه، وله بدايةٌ وتوسطٌ ونهايةٌ، ف«الْعُرْقُ الْمُسَارُ إِلَيْهِ»: أَنْ يَصِيرَ فِي وَسْطِ الْمَقَامِ.

فإن قيل: العرقُ أخصُ بنهاية المقام من توسطه؛ لأنه استغرقُ فيه بحيث يستغرقُ قلبه وهمه، فكيف جعله الشيخُ توسطًا فيه؟

قلت: لما كانت همة الطالب في هذه الحال مجموعةً على المقصود، وهو معرض عما سواه، قد فارق مقام التفرقة، وجاوز حدها إلى مقام الجمع، فابتدأ في المقام وأول كلِّ مقامٍ يشبه آخر الذي قبله فلما توسط فيه استغرق قلبه وهمه وإرادته، كما يغرق من توسط اللجة فيها قبل وصوله إلى آخرها.

□ قَوْلُهُ: «وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: اسْتِغْرَاقُ الْعِلْمِ فِي عَيْنِ الْحَالِ، وَهَذَا رَجُلٌ قَدْ ظَفَرَ بِالِاسْتِقَامَةِ، وَتَحَقَّقَ فِي الْإِشَارَةِ، فَاسْتَحَقَّ صِحَّةَ النِّسْبَةِ».

هذه الدرّجة التي بدأ بها هي أوّل درجاته؛ لأنّ الرّجل قد يكون عالمًا بالشيء ولا يكون متّصّفًا بالتخلّق به واستعماله، فالعلم شيءٌ والحال شيءٌ آخرٌ؛ فعلم العشق والصّحّة والشّكر والعافية غير حصولها والاتّصاف بها؛ فإذا غلب عليه حال تلك المعلومات صار علمه بها كالمغفول عنه، وليس بمغفولٍ عنه، بل صار الحكم للحال.

فإنّ العبد يعرف الخوف من حيث العلم، ولكن إذا اتّصف بالخوف وباشر الخوف^(١) قلبه غلب عليه حال الخوف والانتزاع، واستغرق علمه في حاله، فلم يذكر علمه لغلبة حاله عليه.

ومن هذه حاله فقد ظفر بالاستقامة؛ لأنّ العلوم إذا أثمرت الأحوال كانت عنها الاستقامة في الأعمال ووقوعها على وجه الصّواب، وتحقّق^(٢) صاحبها في الإشارة إلى ما وجده من الأحوال، ولم

(١) كلمة (الخوف): غير موجودة في «غ» والمنار، وأثبتناها بني المعكوفتين للمناسبة.

(٢) في «غ»: (ويحقق).

تكن إشارته عن تخمينٍ وظنٍّ وحسبانٍ، واستحقَّ اسم النسبة في صحَّة العبودية إلى الرَّحْمَنِ بِرَبِّكَ؛ لقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] الآيات.

وقوله: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

وقوله: ﴿يَعْبَادِ لَا حَوفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

والمقصود: أن هذا قد انتقل من أحكام العمل [بالعلم]^(١) وحده إلى أحكام العمل بالحال المصاحب للعلم، فهو عاملٌ بالمواسيد الحالية المصحوبة بالعلوم النبوية، فإنَّ انفراد العلم عن الحال تعطيلٌ وبطالةٌ، وانفراد الحال عن العلم كفرٌ وإلحادٌ، والأكمل ألا يغيب عن شهود العلم بالحال، وإن استغرقه الحال عن شهود العلم مع قيامه بأحكامه لم يضره.

قوله: «وَهَذَا رَجُلٌ قَدْ ظَفَرَ بِالِاسْتِقَامَةِ»؛ أي: هو على محجَّة الطريق القاصد إلى الله، الموصل إليه، والظفر: هو حصول الإنسان على مطلوبه.

قوله: «وَتَحَقَّقَ^(٢) فِي الْإِشَارَةِ»؛ أي: إشارته إشارة تحقيق، ليست كإشارة صاحب البرق الذي يلوح ثم يذهب.

قوله: «فَاسْتَحَقَّ صِحَّةَ النَّسَبَةِ» لأنَّه لما استقام، وصحَّ حاله بعمله، وأثمر علمه حاله: صحَّت نسبة العبودية له؛ فإنه لا نسبة بين العبد والرَّبِّ إلا نسبة العبودية.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: اسْتِغْرَاقُ الْإِشَارَةِ فِي الْكَشْفِ، وَهَذَا رَجُلٌ يَنْطِقُ عَنْ

مَوْجُودِهِ، وَيَسِيرُ مَعَ مَشْهُودِهِ، وَلَا يُحَسُّ بِرُعُونَةِ رَسْمِهِ».

إنَّما كانت هذه الدَّرَجَةُ أرفع ممَّا قبلها؛ لأنَّ صاحب الدَّرَجَةِ الأولى غايته أن يشير إلى ما تحقَّقه وإن فارقه، وصاحب هذه الدَّرَجَةِ قد فني عن الإشارة لغلبة توالي نور الكشف عليه، فاستغراق الإشارة في الكشف هو ارتفاع حكمها فيه، فإنَّ الإشارة عندهم نداءٌ على رأس العبد، وبوَّحٌ بمعنى العلة، وقد ارتفعت العلة عن صاحب هذه الدَّرَجَةِ، فاستغرقت إشارته في كشفه، فلم يبق له إشارة في الكشف، وإنَّما ترتفع الإشارة لاستغراق الكشف لها، إلا أنَّ صاحب هذه الدَّرَجَةِ فيه بقيةٌ من رعونة رسمه،

(١) كلمة (بالعلم): ساقطة من ط. الفقي وموجودة في «غ» والمنار.

(٢) في «غ»: (ويحقق).

فلذلك قال: «وَلَا يُحِسُّ بِرُغُونَةِ رَسْمِهِ»، ورغونة الرَّسْمِ: هي التفاته إلى إنيته.
وقوله: «وَهَذَا رَجُلٌ يَنْطِقُ عَنْ مَوْجُودِهِ».

أي: لا يستعير ما يذكره من الذوق والوجد من غيره، ويكون لسانه ناطقًا به على حال غيره
وموجوده، فهو ينطق عن أمر هو متصّف به لا وصاف له.

قوله: «وَيَسِيرُ مَعَ مَشْهُودِهِ» هو بالسّين المهملة؛ أي: يسير إلى الله ﷻ عن شهودٍ وكشفٍ، لا
مع حجابٍ وغفلةٍ، فهو سائرٌ إلى الله بالله مع الله.
قوله: «وَلَا يُحِسُّ بِرُغُونَةِ رَسْمِهِ».

الرّسْمُ عندهم: هو ذات العبد التي تفتى عند الشهود، وليس المراد بفنائها عدمها من الوجود العينيّ،
بل عدمها من الوجود الدّهنيّ العلميّ، هذا مرادهم بقولهم: «فَيَنِي مَنْ لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقِي مَنْ لَمْ يَزَلْ».
وقد يريدون به معنًى آخر، وهو: اضمحلال الوجود المحدث الحاصل بين عديمين، وتلاشيه في
الوجود الذي لم يزل ولا يزال.

وللملحد هاهنا مجالٌ يجول فيه، ويقول: إنّ الوجود المحدث لم تكن له حقيقةٌ، وإنّ الوجود
القديم الدائم وحده هو الثابت لا وجود لغيره، لا في ذهنٍ ولا في خارجٍ، وإنّما هو وجودٌ فائضٌ على
الدوام على ماهياتٍ معدومةٍ، فتكتسي بعين وجوده بحسب استعداداتها، والمقصود شرح كلام الشيخ.
والمراد برغونة الرّسم هاهنا: بقيّةٌ تبقى من صاحب الشهود، لا يدركها لضعفها وقلتها،
واشتغاله بنور الكشف عن ظلمتها، فهو لا يحسُّ بها.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: اسْتِغْرَاقُ الشَّوَاهِدِ فِي الْجَمْعِ، وَهَذَا رَجُلٌ شَمَلَتْهُ أَنْوَارُ
الْأُولِيَّةِ، فَفَتَحَ عَيْنَهُ فِي مُطَالَعَةِ الْأَزَلِيَّةِ، فَتَخَلَّصَ مِنَ الِهْمَمِ الدُّنْيَا».

إنّما كان هذا الاستغراق عنده أكمل ممّا قبله؛ لأنّ الأوّل استغراقٌ كاشفٌ في كشفٍ، وهو
متضمّنٌ لتفرقةٍ، وهذا استغراقٌ عن شهود كشفه في الجمع، فتمكّن هذا في حال جمع همّته مع الحقّ
حتّى غاب عن إدراك شهوده وذكر رسومه؛ لما توالى عليه من الأنوار التي خصّه الحقُّ بها في الأزل،
وهي أنوار كشف اسمه «الأوّل» ففتح عين بصيرته في مطالعة الاختصاصات الأزليّة، فتخلّص بذلك
من الهمم الدنيّة المنقسمة بين تغيير مقسوم، أو تفويت مضمون، أو تعجيل مؤخّر، أو تأخير سابق
ونحو ذلك.

وقد يراد بالهمم الدنيّة: تعلّقها بما سوى الحقّ سبحانه وما كان له، وعلى هذا فاستغراق (١) شواهد في جمع الحكم وشموله.

وقد يراد به معنى آخر، وهو: استغراق شواهد الأسماء والصفات في الذات الجامعة لها، فإنّ الذات جامعة لأسمائها وصفاتها، فإذا استغرق العبد في حضرة الجمع غابت الشواهد في تلك الحضرة. وأكمل من ذلك: أن يشهد كثرة في وحدة، ووحدة في كثرة، بمعنى: أن يشهد كثرة الأسماء والصفات في الذات الواحدة، ووحدة الذات مع كثرة أسمائها وصفاتها.

وقوله: «فَفَتَحَ عَيْنَهُ فِي مُطَالَعَةِ الْأَزَلِيَّةِ» نظر بالله لا بنفسه، واستمدّ من فضله وتوفيقه لا من معرفته وتحقيقه، فشهد سبق الله ﷻ لكلّ شيءٍ وأولّيته قبل كلّ شيءٍ، فتخلّص من همم المخلوقين المتعلقة بالأدنى، وصارت له همّة عالية متعلّقة بربه الأعلى تسرح في رياض الأنس به ومعرفته، ثمّ تأوي إلى مقاماتها تحت عرشه ساجدة له، خاضعة لعظمته، متذلّلة لعزّته، لا تبغي عنه حولاً ولا تروم به بدلاً.

فصل

□ قال صاحب المنازل: «(بَابُ الْغَيْبَةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].»

وجه استدلاله بإشارة الآية: أنّ يعقوب ﷻ لمّا امتلأ قلبه بحبّ يوسف عليه الصّلاة والسّلام وذكره أعرض عن ذكر أخيه، مع قرب عهده بمصيبة فراقه، فلم يذكره مع ذلك ولم يتأسّف عليه غيبة عنه بمحبّة يوسف واستيلائه على قلبه.

ولو استدلّ بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] لكان دليلاً أيضاً، فإنّ مشاهدته في تلك الحال غيّب عن النسوة (٢) السّكاكين وما يقطعن بهنّ، حتّى قطعن أيديهنّ ولا يشعرن، وذلك من قوّة الغيبة.

(١) في «غ» والمنار: (فاستغرقت).

(٢) في «غ» والمنار: (غيب عنهن).

□ قال الشيخ: «الغيبَةُ الَّتِي يُشَارُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: الْأُولَى: غَيْبَةُ الْمُرِيدِ فِي تَخْلُصِ الْقَصْدِ عَنِ أَيْدِي الْعَلَائِقِ، وَدَرْكِ الْعَوَائِقِ لِالْتِمَاسِ الْحَقَائِقِ».

يريد: غيبة المرید عن بلده ووطنه وعاداته، في محلّ تخلص القصد وتصحيحه ليقطع بذلك العلائق، وهي ما يتعلّق بقلبه وقالبه وحسّه (١) من المألوفات، ويسبق العوائق حتّى لا تلحقه ولا تدركه.

قوله: «لِالْتِمَاسِ الْحَقَائِقِ» متعلّق بقوله: «غَيْبَةُ الْمُرِيدِ»؛ أي: هذه الغيبة لالتماس الحقائق، فإنّ العوائق والعلائق تحول بينه وبين طلبها وحصولها لمضادّتها لها. والحقائق: جمع حقيقة، ويراد بها الحقّ تعالى وما نسب إليه فهو الحقّ، وقوله الحقّ، ووعده الحقّ، ولقاؤه الحقّ، ورسوله حقّ، وعبوديته وحده حقّ، وعبوديّة ما سواه الباطل، فكلّ شيء (٢) ما خلا الله باطلّ.

والمقصود: أنّ المرید إن لم يتخلّص قصده في مطلوبه عمّا يعوقه من الشواغل، أو ما (٣) يدركه من المعوّقات؛ لم يبلغ مقصوده، ولم يصل إليه، وإن وصل إليه فبعد جهدٍ شديدٍ ومشقّةٍ، بسبب تلك الشواغل، ولم يصل القوم إلى مطلبهم إلّا بقطع العلائق ورفض الشواغل.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: غَيْبَةُ السَّالِكِ عَنِ رُسُومِ الْعِلْمِ، وَعِلَلِ السَّعْيِ، وَرُخْصِ الْفُتُورِ».

يريد: أنّه ينتقل عن أحكام العلم إلى الحال، وهذا كلامٌ فيه إجمالٌ. فالملحد يفهم منه: أنّه يفارق أحكام العلم، ويقف مع أحكام الحال، وهذا زندقةٌ وإلحادٌ. والموحد يفهم منه: أنّه ينتقل من أحكام العلم وحده إلى أحكام الحال المصاحب للعلم، فإنّ العلم الخالي عن الحال ضعفٌ في الطّريق، والحال المجرد عن العلم ضلالٌ عن الطّريق، ومن عبد الله

(١) في المنار: (وحشة).

(٢) كلمة (شيء): ساقطة من «غ».

(٣) كلمة (ما): ساقطة من «غ» والمنار.

بحالٍ مجرّدٍ عن علمٍ لم يزد من الله إلا بعداً.

قوله: «وَعِلَلُ السَّعْيِ».

يعني: أن السَّالِكَ يغيب عن علل سعيه وعمله، وهذه العلل عندهم: هي اعتقاده أنه يصل بها إلى الله، وسكونه إليها، وفرحها ورؤيتها، فيغيب عن هذه العلل.

ومراد به غيبته عنها: إعدامها حتّى لا تحضره، لا أنه يغيب عنها وهي موجودة قائمة، نعم؛ إذا اعتقد أن الله يوصله إليه بها، ويفرح بها من جهة الفضل والمنّة وسبق الأوليّة، لا من جهة الاكتساب والفعل لم يضره ذلك، بل هذا أكمل، وهو في الحقيقة سكون إلى الله تعالى وفرح به، واعتقاد أنه هو الموصّل لعبده إليه بما منه وحده، لا بحول العبد وقوّته، فهذا لونٌ وهذا لونٌ.

والحاصل: أنه إذا انتقل عن أحكام العلم المجرّد إلى أحكام الحال المصاحب للعلم غابت عنه علل السَّعي.

وكذلك تغيب (١) عنه «رُخْصُ الْفُتُورِ» فلا ينظر إلى عزيمة السَّعي، ولا يقف مع رخص الفتور، فهما آفتان للسَّالِك، فإنه إمّا أن يجرّد عزمه وهمّته، فينظر إلى ما منه، وأن همّته وعزيمته تحمله وتقوم به، وإمّا أن يترخّص برخصٍ تفتّر عزمه وهمّته، فكمال جدّه وصدقه وصحّة طلبه يخلّصه من رخص الفتور، وكمال توحيد ومعرفة برّبّه ونفسه يخلّصه من علل السَّعي.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: غَيْبَةُ الْعَارِفِ عَنِ عُيُونِ الْأَحْوَالِ وَالشَّوَاهِدِ وَالذَّرَجَاتِ فِي عَيْنِ الْجَمْعِ».

إنما كانت هذه الدرجة عنده أعلى على طريقته في كون الفناء غاية الطالب. وهذه الدرجة هي غيبته عن خيراتٍ ومقاماتٍ بما هو أكمل منها وأشرف عنده، وهو حضرة الجمع.

ومعنى: «غَيْبَتِهِ عَنِ عُيُونِ الْأَحْوَالِ» هو ألا يرى الأحوال ولا تراه، فلذلك استعار لها عيوناً؛ لأن الأحوال تقتضي وجداً وموجوداً ووجداناً، وهذا ينافي الفناء في حضرة الجمع؛ فإن الجمع يمحو أثر الرُّسوم، وقد عرفت مراراً أن هذا ليس بكمال، ولا هو مطلوبٌ لنفسه، وغيره أكمل منه.

(١) في «غ» والمنار: (يغيب).

وَأَمَّا غَيْبُتُهُ عَنِ الشَّوَاهِدِ: فقد يريد بها شواهد المعرفة وأدلتها، فيغيب بمعرفه عن الشواهد الدالة عليه في الخارج وفي نفسه.

وقد يريد بالشواهد الأسماء والصفات، والغيبة عنها بشهود الذات، ولكن هذا ليس بكمال، ولا هو أعلى من شهود الأسماء والصفات، بل هذا الشهود هو شهود المعطلة المنكرين لحقائق الأسماء والصفات، فإنهم ينتهون في فنائهم إلى شهود ذات مجردة.

ومن هاهنا دخل الملاحظة القائلون بوحدة الوجود، وجعلوا شهود نفس الوجود المجرد عن التقييدات وعن سائر الأسماء والصفات هو شهود الحقيقة، تعالى الله عن كفرهم وإلحادهم علواً كبيراً، وشيخ الإسلام [بل وأهل الإسلام] (١) براءً من هؤلاء ومن شهودهم.

ومراد أهل الاستقامة بذلك: أن يشهد الذات الجامعة لجميع معاني الأسماء الحسنی والصفات العلی، فيغييب شهوده لهذه الذات المقدسة عن شهود صفة واسم.

فالشواهد هي الأفعال الدالة على الصفات المستلزمة للذات، وشواهد المعرفة هي الأدلة التي حصلت عنها المعرفة، فإذا طواها الشاهد من وجوده، وشهد أنه ما عرف الله إلا به، ولا دل عليه إلا هو؛ غابت عنه شواهد في مشهوده، كما تغيب معارفه في معرفه.

وبكل حال فما عرف الله إلا بالله، ولا دل على الله إلا الله، ولا أوصل إلى الله إلا الله، فهو الدال على نفسه بما نصبه من الأدلة، وهو (٢) الذّاكر لنفسه على لسان عبده، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَيَّ لِسَانِ نَبِيِّ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» (٣)، وهو المحب لنفسه بنفسه، وبما خلق من عبده الذين يحبونه، والشاكر لنفسه بنفسه، وبما أجراه على السنة عبده وقلوبهم وجوارحهم من ذكره وشكره (٤)، فمنه السبب، وهو الغاية، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وللملحد هاهنا مجال: حيث يظن أن الذّاكر والمذكور والذّكر، والعارف والمعروف والمعرفة، والمحبّ والمحبوب والمحبّة من عين واحدة، لا بل ذلك هو العين الواحدة، وأن الذي عرف الله وأحبه هو الله نفسه، وإن تعددت مظاهره، فالظاهر فيها واحد، ظهر بوجوده العيني فيها، فوجودها عين وجوده، ووجوده فاض عليها، وهذا أكفر من كل كفر، وأعظم من كل إلحاد.

والموحدون يقولون: إنّما فاض عليها إيجاده لا وجوده، فظهر فيها فعله، بل أثر فعله لا ذاته

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من ط. الفقي وهو موجود في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (هو): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) رواه مسلم في الصلاة، باب: الشهد في الصلاة (٦٢ - ٦٤)، ورواه أبو داود في الصلاة، باب: الشهد (٩٧٢).

(٤) كلمة (وشكره): ساقطة من «غ» والمنار.

ولا صفاته، فقامت به فقراً إليه واحتياجاً لا وجوداً وذاتاً، وأقامها بمشيتته وربوبيته لا بظهوره فيها. ولقد لاحظ ملاحدة الاتحادية أمراً اشتبه عليهم في وحدة الموجد بوحدة الوجود، وتوحيد الذات والصفات والأفعال بتوحيد الوجود، وفيضان جوده بفيضان وجوده، فوحدوا الوجود وزعموا أنه هو المعبود، فصاروا عبيد الوجود المطلق الذي لا وجود له في غير الأذهان^(١)، وعبيد الموجودات الخارجة في الأعيان؛ فإن وجودها عندهم هو المسمى بالله، تعالى الله عن هذا الإلحاد الذي:

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠]! وسبحان من هو فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله!

أين حقيقة المخلوق من الماء المهين من ذات رب العالمين؟!

أين المكون من تراب من رب الأرباب؟!

أين الفقير بالذات إلى الغني بالذات؟!

أين وجود من يضمحل وجوده ويفوت إلى حقيقة وجود الحي الذي لا يموت؟!

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فصل

□ قال صاحب المنازل: «(بَابُ التَّمَكُّنِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْتَخْفَنَكَ الَّذِينَ لَا

يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].».

وجه استدلاله بالآية في غاية الظهور، وهو أن المتمكن لا يبالي بكثرة الشواغل^(٢)، ولا بمخالطة أصحاب الغفلات، ولا بمعاشرة أهل البطالات، بل قد تمكن بصره وبقينه عن استفزازهم إياه، واستخفافهم له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠] فمن وفى الصبر حقه، وتيقن أن وعد الله حق لم يستفزّه المبطلون، ولم يستخفه الذين لا يوقنون، ومتى ضعف صبره وبقينه

(١) بل في وهمهم المظلم وخيالهم الشيطاني، ولن يكون في ذهن عاقل بصير. (الفاقي).

(٢) في «غ» والمنار: (المشغلات).

أو كلاهما استفزّه هؤلاء واستخفّه هؤلاء، فجذبوه إليهم بحسب ضعف قوّة صبره ويقينه، فكلمّا ضعف ذلك منه قوي جذبهم له، وكلمّا قوي صبره ويقينه قوي انجذابه منهم وجذبهم لهم.

فصل

□ قال الشيخ: «التَّمَكُّنُ: فَوْقُ الطَّمَأْنِينَةِ، وَهُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى غَايَةِ الْإِسْتِقْرَارِ».

التَّمَكُّنُ: هو القدرة على التَّصَرُّفِ في الفعل والتَّرك، ويسمى مكانة أيضًا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ [الأنعام: ١٣٥] الآية.

وأكثر ما يطلق في اصطلاح القوم: على مَنْ انتقل إلى مقام البقاء بعد الفناء وهو الوصول عندهم، وحقيقته: ظفر العبد بنفسه، وهو أن تتوارى عنه أحكام البشريّة بطلوع شمس الحقيقة واستيلاء سلطانها، فإذا دامت له هذه الحال أو غلبت عليه فهو صاحب تمكين.

قال صاحب المنازل: «التَّمَكُّنُ: فَوْقُ الطَّمَأْنِينَةِ، وَهُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى غَايَةِ الْإِسْتِقْرَارِ». إنّما كان فوق الطَّمَأْنِينَةِ؛ لأنّها تكون مع نوع من المنازعة، فيطمئنُّ القلب إلى ما يسكنه، وقد يتمكّن فيه وقد لا يتمكّن، ولذلك كان التَّمَكُّنُ هو غاية الاستقرار، وهو تفعلُّل من المكان، فكأنّه قد صار مقامه مكانًا لقلبه قد تبوّأه منزلاً ومستقرًّا.

□ قال: «وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: تَمَكُّنُ الْمُرِيدِ؛ وَهُوَ أَنْ يَجْتَمَعَ لَهُ صِحَّةُ قَصْدٍ يُسَيِّرُهُ، وَلَمَعُ شُهُودِهِ يَحْمِلُهُ، وَسَعَةُ طَرِيقٍ تُرَوِّحُهُ».

المريد في اصطلاحهم: هو الذي قد شرع في السَّيرِ إلى الله، وهو فوق العابد ودون الواصل، وهذا اصطلاحٌ بحسب حال السَّالِكِينَ، وإلّا فالعابد مريدٌ، والسَّالِكُ مريدٌ، والواصل مريدٌ، فالإرادة لا تفارق العبد ما دام تحت حكم العبوديّة.

وقد ذكر الشيخ للتَّمَكُّنِ في هذه الدَّرَجَةِ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ: «صِحَّةُ قَصْدٍ، وَصِحَّةُ عِلْمٍ، وَسَعَةُ طَرِيقٍ»، فبصحة القصد يصحُّ سيره، وبصحة العلم تنكشف له الطَّرِيقُ، وبسعة الطَّرِيقِ يهون عليه السَّيرُ، وكلُّ طالبٍ أمرٍ من الأمور فلا بدَّ له من تعيُّنٍ مطلوبه، وهو المقصود، ومعرفة الطَّرِيقِ الموصِّلِ إليه، والأخذ في السُّلُوكِ، فمتى فاته واحدٌ من هذه الثَّلاثِ لم يصحَّ طلبه ولا سيره، فالأمر دائرٌ بين مطلوبٍ يتعيَّن

إيثاره على غيره، وطلب يقوم بقصد من يقصده، وطريق توصل إليه.
 فإذا تحقّق العبد بطلب ربّه وحده تعيّن مطلوبه، فإذا (١) بذل جهده في طلبه صحّ له طلبه، فإذا (٢)
 فإذا (٣) تحقّق باتّباع أوامره واجتنب نواهيه صحّ له طريقه، وصحّة القصد والطّريق موقوفة على صحّة
 المطلوب وتعيّنه.

فحكم القصد يُتلقّى من حكم المقصود، فمتى كان المقصود أهلاً للإيثار كان القصد المتعلّق
 به كذلك، فالقصد والطّريق تابعان للمقصود.

وتمام العبوديّة: أن يوافق الرّسول ﷺ في مقصوده وقصده وطريقه، فمقصوده: الله وحده،
 وقصده: تنفيذ أوامره في نفسه وفي خلقه، وطريقه: اتّباع ما أوحى إليه، فصحب الصّحابة رضي الله عنهم على ذلك
 حتّى لحقوا به، ثمّ جاء التّابعون لهم بإحسان فمضوا على آثارهم.

ثمّ تفرّقت الطّرق بالنّاس، فخير النّاس من وافقه في المقصود والطّريق، وأبعدهم عن الله
 ورسوله من خالفه في المقصود والطّريق؛ وهم أهل الشّرك بالمعبود، والبدعة في العبادة، ومنهم من
 وافقه في المقصود وخالفه في الطّريق، ومنهم من وافقه في الطّريق وخالفه في المقصود.

فمن كان مراده الله والدار (٣) الآخرة فقد وافقه في المقصود، فإن عبد الله بما به أمر (٤) على
 لسان رسوله ﷺ فقد وافقه في الطّريق، وإن عبده بغير ذلك فقد خالفه في الطّريق.

ومن كان مقصوده من أهل العلم والعبادة والزّهدي في الدّنيا الرّياسة، فقد خالفه في المقصود،
 وإن تقيّد بالأمر، فإن لم يتقيّد به، فقد خالفه في المقصود والطّريق.

فإذا عرف هذا:

فقول الشّيخ: «تَمَكَّنُ الْمُرِيدُ: أَنْ يَجْتَمَعَ لَهُ صِحَّةُ قَصْدٍ يُسِيرُهُ» إشارة إلى صحّة القصد.
 وقوله: «وَلَمْعُ شُهُودٍ يَحْمِلُهُ» إشارة إلى معرفة المقصود، وقوّة اليقين، فيحصل لقلبه كشفٌ
 يحمله على سلوكه، فإن السّالك إذا كشف له عن مقصوده حتّى كأنّه يعاينه جدّاً في طلبه، وذهبت عنه
 رخص الفتور.

وقوله: «وَسَعَةُ طَرِيقٍ تُرَوِّحُهُ» إشارة إلى صحّة طريقه، وذلك بأمرين: بسعتها حتّى لا تضيق عليه،
 فيعجز عن سلوكها، وباستقامتها حتّى لا يزيغ عنها إلى غيرها؛ فإنّ طريق الحقّ واسعة مستقيمة، وطرق
 الباطل ضيقة معوجة، وهذا يدلّ على رسوخ الشّيخ في العلم، ووقوفه مع السنّة، وفقهه في هذا الشّأن.

(١) في «غ» والمنار: (وإذا).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) كلمة (الدار): غير موجودة في المنار.

(٤) في «غ»: (أمر به).

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: تَمَكُّنُ السَّالِكِ، وَهُوَ أَنْ يَجْتَمَعَ لَهُ صِحَّةُ انْقِطَاعِ، وَبَرَقُ كَشْفِ، وَضِيَاءُ حَالٍ».

هذه الدَّرَجَةُ أتمَّ ممَّا قبلها، فَإِنَّ تِلْكَ تَمَكُّنٌ فِي تَصْحِيحِ قِصْدِ الْأَعْمَالِ، وَهَذِهِ تَمَكُّنٌ فِي حَالِ التَّمَكُّنِ، وَالتَّمَكُّنُ فِي الْحَالِ أبلغ من التَّمَكُّنِ فِي الْقِصْدِ. ويريد بصحَّة الانقطاع: انقطاع قلبه عن الأغيار، وتعلُّقه بالشواغل الموجبة للأكدار، ومع ذلك فقد حصل لقلبه «بَرَقُ كَشْفٍ» يجعل الإيمان له كالعيان، ومع ذلك فحاله مع الله صافٍ من معارضات السُّوئِ^(١)، فلا يعارض كشفه شبهةً، ولا همته إرادةً، بل هو متمكِّنٌ فِي انْقِطَاعِهِ وَشَهُودِهِ وَحَالِهِ.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: تَمَكُّنُ الْعَارِفِ، وَهُوَ أَنْ يَحْصُلَ فِي الْحَضْرَةِ فَوْقَ حَجَبِ الطَّلَبِ لِابْسَاطِ نُورِ الْوُجُودِ».

العارف: فوق السَّالِكِ، ولا يفارقه السُّلُوكِ، لكنَّه مع السُّلُوكِ قد ظفر بالمعرفة، فأخذ منها اسمًا أخصَّ من اسم السَّالِكِ، وهكذا الشَّانُ فِي سَائِرِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، فَإِنَّهَا لَا تَفَارِقُ مِنْ تَرْقِيٍّ فِيهَا، وَلَكِنْ إِذَا تَرْقَى فِي مَقَامٍ أَخَذَ اسْمَهُ، وَكَانَ أَحَقَّ بِهِ مَعَ ثُبُوتِ الْأَوَّلِ لَهُ. والْحَضْرَةُ يرادُ بِهَا حَضْرَةُ الْجَمْعِ، وَعِنْدِي: أَنَّهَا حَضْرَةُ دَوَامِ الْمِرَاقِبَةِ وَالتَّمَكُّنِ مِنْ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، هَذِهِ حَضْرَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعَارِفِينَ.

وَأَمَّا حَضْرَةُ الْجَمْعِ الَّتِي يَشِيرُونَ إِلَيْهَا فَكُلُّ فِرْقَةٍ تُشِيرُ إِلَى شَيْءٍ.

فَأَهْلُ الْفَنَاءِ: يَرِيدُونَ حَضْرَةَ جَمْعِ الْفَنَاءِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَأَهْلُ الْإِلْحَادِ: يَرِيدُونَ حَضْرَةَ جَمْعِ الْوُجُودِ فِي وَجُودِ وَاحِدٍ.

وَطَائِفَةٌ مِنَ السَّالِكِينَ: يَرِيدُونَ حَضْرَةَ جَمْعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي ذَاتٍ وَاحِدَةٍ.

(١) فِي «ع» وَالْمَنَارِ: (السُّوئِ).

وإذا فسّرت بحضرة دوام المراقبة والتَّمكُّن في مقام الإحسان كان ذلك أحسن وأصحّ، وصاحب هذه الحضرة لدوام مراقبته قد انشعنت عنه سحب الغفلات، ولم تشغله عن تلك الحضرة الشّواغل الملهيات.

قوله: «فَوْقَ حُجْبِ الطَّلَبِ».

يعني: أنّ العارف قد ارتفع عن مقام الطَّلَب للمعرفة إلى مقام حصولها، والطَّالِب للأمر دون الواصل إليه، فالطَّالِب بعدُ في حجاب طلبه، والعارف قد ارتفع فوق حجاب الطَّلَب بما شاهده من الحقيقة، فالطَّالِب شيءٌ، والواجد شيءٌ.

وهذا كلامٌ يحتاج إلى شرح وبيان، فإنَّ الطَّلَب لا يفارق العبد، ما دامت أحكام العبوديّة تجري عليه، ولكنّه متقلِّبٌ في منازل الطَّلَب، يتقلّب من عبوديّة إلى عبوديّة، والمعبود واحدٌ جلٌّ وعلا، لا ينتقل عنه، فكيف يمكن (١) تجرُّد المعرفة عن الطَّلَب؟

هذا موضعٌ زلّت فيه أقدامٌ، وضلّت فيه أفهامٌ، وظنّ المخدوعون المغرورون أنّهم قد استغنوا بالمعرفة عن الطَّلَب، وأنَّ الطَّلَب وسيلةٌ والمعرفة غايةٌ، ولا معنى للاشتغال بالوسيلة بعد الوصول إلى الغاية.

فهؤلاء خرجوا عن الدّين بالكليّة، بعد أن شمروا في السّير فيها، فردّوا على أديبارهم، ونكصوا على أعقابهم، ولم يفهموا مراد أهل الاستقامة بذكر «حُجْبِ الطَّلَبِ».

واعلم أنّ كلّ ما منك حجابٌ على مطلوبك، فإن وقفت معه فأنت دون الحجاب، وإن قطعته إلى تجريد المطلوب صرت فوق الحجاب، فطلبك وإرادتك وتوكُّلك وحالك وعملك كلّ حجابٍ، إن وقفت معه أو ركنت إليه، وإن جاوزته إلى الذي أنت به وله وفي يديه وتحت تصرّفه ومشيتته، وليس لك ذرّة واحدة إلّا به ومنه، ولم تقف مع طلبك في إرادتك فقد صرت فوق حجاب الطَّلَب.

ففي الحقيقة: أنت حجاب قلبك عن ربّك، فإذا كشفت الحجاب عن القلب أفضى إلى الرّبِّ، ووصل إلى الحضرة المقدّسة.

وقولنا: إِذَا كَشَفْتَ الْحِجَابَ: إخبارٌ عن محلّ العبوديّة، وإلّا فكشفه ليس بيدك، ولا أنت الكاشف له، فإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلّا هو.

ومن أعظم الضّرر: حجاب القلب عن الرّبِّ، وهو أعظم عذاباً من الجحيم، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ

عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين: ١٥، ١٦].

(١) كلمة (يمكن): غير موجودة في «ع» والمنار.

قوله: «لَا بَسًا نُورُ الْوُجُودِ».

المعنى الصحيح من هذه اللفظة: أن نور الوجود نور ظفره بإقبال قلبه على الله عَبْرَتًا، وجمع همّه عليه، وفنائه بمراده عن مراد نفسه، فصار واجداً لما أكثر الخلق فاقد له، قد لبس قلبه نور ذلك الوجود، حتى فاض على لسانه وجوارحه، وحركاته وسكناته، فإن نطق علاه النور وإن سكت علاه النور. وأخص من هذا: أنه قد فاض على قلبه نور اليقين بالأسماء والصفات، فصار لقلبه من معرفتها والإيمان بها، وذوق حلاوة ذلك نور خاص غير مجرد نور العبادة والإرادة والسلوك، وإياك أن تلتفت إلى غير هذا؛ ﴿فَنَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ بُيُوتِهَا وَتَدْوَفُوا السُّوءَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤]. وليس مراد الشيخ بالوجود ما يريده المتكلمون والفلاسفة، ولا ما يريده الاتحاديّة الملاحدة، وإنما مراده به الوجدان بعد الفقد، كما يقال: فلان واجد، وفلان فاقد، والله أعلم.

فصل

□ قال صاحب المنازل: «(بَابُ الْمُكَاشَفَةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]».

وجه احتجاجة بإشارة الآية: أن الله سبحانه ^(١) كشف لعبده عَبْدًا ما لم يكشفه لغيره، وأطلع على ما لم يطلع عليه غيره، فحصل لقلبه الكريم من انكشاف الحقائق التي لا تخطر ببال غيره ما خصّه الله به، والإيحاء هو الإعلام السريع الخفي، ومنه الوحا الوحا! أي: الإسراع الإسراع! قوله: ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]: أهمه لعظمه، فإن الإيهام قد يقع للتعظيم، ونظيره قوله تعالى ^(٢): ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] أي: أمر عظيم فوق الصفة.

□ قال الشيخ: «المُكَاشَفَةُ: مُهَادَاةُ السِّرِّ بَيْنَ مُتَبَاطِنَيْنِ».

يريد: أن المكاشفة: إطلاع أحد المتباطنين المتصافين صاحبه على باطن أمره وسره.

قوله: «مُهَادَاةُ السِّرِّ»؛ أي: تردّد السر على وجه الإلطف والمودة.

قوله: «بَيْنَ مُتَبَاطِنَيْنِ» يعني بالمتباطنين: باطن المكاشف والمكاشف، فيحمل سر كل منهما إلى الآخر، كما يحمل إليه هديته، فيسري سر كل واحد منهما إلى الآخر، وإذا بلغ العبد في مقام

(١) في «غ» والمنار: (أنه سبحانه).

(٢) جملة (قوله تعالى): غير موجودة في «غ» والمنار.

المعرفة إلى حدِّ كأنه يطالع ما أتصف به الرَّبُّ سبحانه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأحسَّت روحه بالقرب الخاصِّ الَّذي ليس هو كقرب المحسوس من المحسوس، حتَّى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربِّه؛ فإنَّ حجابهُ هو نفسه، وقد^(١) رفع الله سبحانه عنه ذلك الحجاب بحوله وقوَّته أفضى القلب والرُّوح حينئذٍ إلى الرَّبِّ، فصار يعبدُه كأنه يراه، فإذا تحقَّق بذلك، وارتفع عنه حجاب النَّفس، وانفشع عنه ضبابها ودخانها وكشطت عنه سحبها وغيومها، فهناك يقال له:

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ اِكْتِنَامُهُ وَلَا حَ صَبَاحُ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُهُ
فَأَنْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ سِرِّ عَيْهِ وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبَعِ عَلَيْهِ خِتَامُهُ
فَإِنْ غَبَّتْ عَنْهُ حَلٌّ فِيهِ وَطَنَبَتْ عَلَى مَنْكِبِ الْكُشْفِ الْمُصُونِ حِيَامُهُ
وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يَمَلُّ سَمَاعُهُ شَهِيٌّ إِلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ
إِذَا ذَكَرْتَهُ النَّفْسُ زَالَ عَنَّا وَهَهَا وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَيْبِ قَتَامُهُ

□ فلذلك قال الشَّيْخُ: «وَهِيَ فِي هَذَا الْبَابِ: بُلُوغُ مَا وَرَاءَ الْحِجَابِ وَجُودًا».

قوله: «وَجُودًا» احترازٌ من بلوغه سماعًا وعلماً، وكثيرًا ما يلتبس على العبد أحدهما بالآخر، فأين وجود الحقيقة من العلم بها ومعرفتها؟ كما تقدَّم ذلك مرارًا، فتعلَّق العلم بالقلب شيءٌ، وأتصافه بالمعلوم شيءٌ آخر.

فمن النَّاسِ من يتعلَّق به سماع ذلك دون فهمه، ومنهم من يتعلَّق به فهمه دون حقيقته، والتعلُّق الكامل أن يتعلَّق به وجوده، فلذلك قال: «بُلُوغُ مَا وَرَاءَ الْحِجَابِ وَجُودًا».

□ قال الشَّيْخُ: «وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: مُكَاشَفَةٌ تَدُلُّ عَلَى التَّحْقِيقِ الصَّحِيحِ، وَهِيَ لَا تَكُونُ مُسْتَدَامَةً، فَإِذَا كَانَتْ حِينًا دُونَ حِينٍ، وَلَمْ يُعَارِضْهَا تَفَرُّقٌ، غَيْرَ أَنَّ الْغَيْنَ رَبَّمَا شَابَ مَقَامَهُ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا لَا يُلْفِئُهُ قَاطِعٌ، وَلَا يَلُوبِهِ سَبَبٌ، وَلَا يَقْتَطِعُهُ حَظٌّ، وَهِيَ دَرَجَةُ الْقَاصِدِ، فَإِذَا اسْتَدَامَتْ فَمِى الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ».

المكاشفة الصَّحيحة: علومٌ يحدثها الرَّبُّ ﷻ في قلب العبد، ويطلعه بها على أمورٍ تخفى على غيره، وقد يواليها وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها، ويواربها عنه بالغين الَّذي يغشى قلبه، وهو أرقُّ

(١) هكذا في جميع النسخ ولعل الصواب والله أعلم: (وإذا).

الحجب، أو بالغييم وهو أغلظ منه، أو بالران وهو أشدها.

فالأول: يقع للأنبياء ﷺ، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» (١).

والثاني: يكون للمؤمنين.

والثالث: لمن غلبت عليه الشقوة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

قال ابن عباس وغيره: «هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ يُعْطِي الْقَلْبَ حَتَّى يَصِيرَ كَالرَّانِ عَلَيْهِ».

* والحجب عشرة:

حجاب التعميل، ونفي حقائق الأسماء والصفات: وهو أغلظها، فلا يتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله، ولا يصل إليه البتة إلا كما يتهيأ للحجر أن يصعد إلى فوق.

الثاني: حجاب الشرك: وهو أن يتعبد قلبه لغير الله.

الثالث: حجاب البدعة القولية: كحجاب أهل الأهواء، والمقالات الفاسدة على

اختلافها.

الرابع: حجاب البدعة العملية: كحجاب أهل السلوك المتدعين في طريقهم وسلوكهم.

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة: كحجاب أهل الكبر والعجب والرياء والحسد

والفخر والخيلاء ونحوها.

السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة: وحجابهم أرق من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كثرة عباداتهم وزهاداتهم واجتهاداتهم، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك، فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشون من إظهارها وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة، فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم، وقلوبهم خير من قلوبهم (٢).

السابع: حجاب أهل الصغائر.

الثامن: حجاب أهل الفضلات، والتوسع في المباحات.

التاسع: حجاب أهل الغفلة: عن استحضر ما خلقوا له وأريد منهم، وما لله عليهم من

دوام ذكره وشكره وعبوديته.

(١) رواه مسلم في «الذكر»، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٢)، وأبو داود في الصلاة، باب: في الاستغفار (١٥١٥).

(٢) هذه مسألة مهمة وخطيرة فكثير ما يغفل البعض منا عن الآثام الباطنة والسعي في التخلص منها مع أنها - كما أشار الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى - أخطر وأشد فتكاً من الآثام الظاهرة، وقد توجد في قلوب الكثير دون الشعور بها، وبالتالي لا يوجد السعي لمداومتها والتخلص منها؛ فحري بالمسلم وبخاصة طلاب العلم والدعاة أن يولوا هذا الأمر عناية شديدة مع أنفسهم ومع غيرهم.

العاشر: حجاب المجتهدين السالكين، المشمّرين في السير عن المقصود.

فهذه عشر حُجُب بين القلب وبين الله ﷻ، تحول بينه وبين هذا الشّأن، وهذه الحجب تنشأ من أربعة عناصر: عنصر النّفس، وعنصر الشّيطان، وعنصر الدُّنيا، وعنصر الهوى، فلا يمكن كشف هذه الحجب مع بقاء أصولها وعناصرها في القلب ألبتّة.

وهذه الأربعة العناصر^(١) تفسد القول والعمل والقصد والطّريق بحسب غلبتها وقتلتها، فتقطع طريق القول والعمل والقصد أن يصل إلى القلب، وما وصل منه إلى القلب قطعت عليه الطّريق أن يصل إلى الرّبّ، فبين القول والعمل وبين القلب مسافةٌ يسافر فيها العبد إلى قلبه ليرى عجائب ما هنالك، وفي هذه المسافة قطع الطّريق المذكورون؛ فإن حاربهم وخلص العمل إلى قلبه دار فيه، وطلب النّفوذ من هناك إلى الله، فإنّه لا يستقرّ دون الوصول إليه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

فإذا وصل إلى الله سبحانه أتابه عليه مزيداً في إيمانه و يقينه، ومعرفته وعقله، وجمّل به ظاهره وباطنه، فهداه به لأحسن الأخلاق والأعمال، وصرف عنه به^(٢) سيّئ الأخلاق والأعمال، وأقام الله سبحانه من ذلك العمل للقلب جنّداً يحارب به قطع الطّريق للوصول إليه، فيحارب الدُّنيا بالزُّهد فيها وإخراجها من قلبه^(٣)، ولا يضرّه أن تكون في يده وبيته، ولا يمنع ذلك من^(٤) قوّة يقينه بالآخرة، يحارب الشّيطان بترك الاستجابة لداعي الهوى؛ فإنّ الشّيطان مع الهوى لا يفارقه، ويحارب الهوى بتحكييم الأمر المطلق والوقوف معه؛ بحيث لا يبقى له هوىٌ فيما يفعله ويتركه، ويحارب النّفس بقوّة الإخلاص.

هذا كلّهُ إذا وجد العمل منفذاً من القلب إلى الرّبّ ﷻ، وإن دار فيه ولم يجد منفذاً وثبت عليه النّفس فأخذته^(٥) وصيرته جنّداً لها، فصالت به وعلت وطغت، فتراه أزهّد ما يكون، وأعبد ما يكون، وأشدّه اجتهاداً، وهو أبعد ما يكون عن الله، وأصحاب الكبائر أقرب قلوباً إلى الله منه، وأدنى منه إلى الإخلاص والخلاص.

فانظر إلى السّجّاد العباد الزّاهد الذي بين عينيه أثر السُّجود^(٦)، كيف أورثه طغيان عمله أن أنكر على النّبِيِّ ﷺ، وأورث أصحابه احتقار المسلمين، حتّى سلّوا عليهم سيوفهم، واستباحوا دماءهم.

(١) كلمة (العناصر): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (به): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (من يده)، وهذا غلط، والصحيح ما هو مثبت في ط. الفقي.

(٤) كلمة (لا يمنع ذلك من): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) كلمة (فأخذته): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٦) هو ذو الخويصرة التميمي الخارجي، عامله الله بعدله، وأذاقه ما هو أهله، وهو الذي قاد الخوارج يوم النهروان لحرب عليّ رضي الله عنه. (الفقي).

وانظر إلى الشريب السكر الذي كان كثيرًا ما يؤتى به إلى النبي ﷺ، فيحده على الشراب، كيف قامت به قوة إيمانه وبقينه، ومحبه لله ورسوله، وتواضعه وانكساره لله حتى نهى رسول الله ﷺ عن لعنته (١).

فظهر بهذا: أن طغيان المعاصي أسلم عاقبة من طغيان الطاعات (٢).

وقد روى الإمام أحمد في كتاب «الزهد»: «أن الله سبحانه أوحى إلى موسى ﷺ: يا موسى، أنذر الصديقين، فإنني لا أصع عدلي على أحد إلا عدبته من غير أن أظلمه، وبشر الخطائين، فإنه لا يتعاطمني ذنب أن أغفره» (٣).

فلنرجع إلى شرح كلامه.

قوله: «مُكَاشَفَةٌ تَدُلُّ عَلَى التَّحْقِيقِ الصَّحِيحِ».

كلُّ يدَّعي أنَّ التَّحْقِيقَ الصَّحِيحَ معه.

وَكُلٌّ يَدْعُونَ وَصَالَ لَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

فليس التحقيق الصحيح إلا المطابق لما عليه الأمر في نفسه، وهو في العلم الكشف المطابق لما أخبر به الرسل، وفي الإرادة: الكشف المطابق لمراد الربِّ الدِّينِيِّ من عبده، وقولنا: «الدِّينِيُّ» احترازٌ من مراده الكوني؛ فإنَّ كلَّ ما في الكون موجب هذه الإرادة.

فالكشف الصحيح: أن يعرف الحقَّ الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه معاينةً لقلبه، ويجرّد إرادة القلب له، فيدور معه وجودًا وعدمًا، هذا هو التحقيق الصحيح، وما خالفه فغرورٌ (٤) قبيحٌ.

قوله: «وَهِيَ لَا تَكُونُ مُسْتَدَامَةً» هكذا رأيت في نسخ وفي أخرى: «وَهِيَ أَنْ تَكُونَ مُسْتَدِيمَةً» وكأنَّ هذا الثاني أصحُّ؛ لأنَّ سياق الكلام يدلُّ على ذلك، وأنها غير مستدامة في الدرجة الأولى، فإذا استدامت صارت في الدرجة الثانية، وبذلك يحصل الاختلاف (٥) بين الدرجتين، وإلا فلو كانت مستدامةً فيهما

(١) ذكره البخاري في «صحيحه» في كتاب الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر وأن اسمه عبد الله وكان يلقب حمازًا، ورقم الحديث في «فتح الباري» (٦٧٨٠).

(٢) كما هو الحال عند الخوارج الذين بالغوا في الاجتهاد والعبادة حتى خرجوا على المسلمين وكفروهم.

(٣) «الزهد» للإمام أحمد (ص ١١٦)، وهو عنده لداود ﷺ وليس لموسى ﷺ.

(٤) في «غ»: (فغرار).

(٥) في «غ»: (الفرق).

لكانت الدرجتان واحدة.

قوله: «فَإِذَا كَانَتْ حِينًا دُونَ حِينٍ، وَلَمْ يُعَارِضْهَا تَفَرُّقٌ».

يعني: فهي الدرجة الأولى، بشرط ألا يقطع حكمها تفرُّقٌ، ولهذا قال: «لَمْ (١) يُعَارِضْهَا»، ولم يقل: «لَمْ (٢) يعرض لها»، فإن التفرُّق لابد أن يعرض، لكن لا يعارضها ويقاومها بحيث يزيلها، فإن العارض إذا عرض للقلب كرهه ومحاها وأزاله بسرعة.

وأما المعارض (٣): فإنه يزيل الحاصل ويخلفه، فيصير الحكم له، فلذلك قال: «غَيْرَ أَنَّ الْعَيْنَ رُبَّمَا شَابَ مَقَامَهُ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا...» إلى آخره.

يعني: أن لوازم البشرية لابد له منها، ولو لم يكن إلا أخفها، وهو الحجاب الرفيق الذي يعرض لقلبه، وهو العين لكنه لا يضره؛ «لِأَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا لَا يُلْفِتُهُ قَاطِعٌ»؛ أي: لا توجب له القواطع التفات قلبه عن مقامه إليها، بل إذا لحظها بقلبه فر منها، كما يفرُّ الطَّيِّبُ من الكلب الصَّائِدِ (٤) إذا أحسَّ به «وَلَا يَلُوبِيهِ سَبَبٌ»؛ أي: لا يعوجُّ قصده للحقِّ سببٌ من الأسباب، ولا يرده عنه.

قوله: «وَلَا يَقْطَعُهُ حَظٌّ»؛ أي: لا يقطعه عن بلوغ مقصوده حظٌّ من الحظوظ النَّفْسِيَّةِ، والقاصد في هذه الدرجة: هو الذي قد ظفر بالقصد الذي لا يلقي سببًا إلا قطعه، ولا حائلًا إلا منعه، ولا تحاملاً إلا سهله، فهذه درجة القاصد، فإذا استدامت وتمكَّن فيها السَّالِكُ فهي الدرجة الثانية (٥).

□ قال الشيخ: «وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: فَمُكَاشَفَةُ عَيْنٍ، لَا مُكَاشَفَةُ عِلْمٍ، وَهِيَ مُكَاشَفَةٌ لَا تَدْرُسِمَةٌ تُشِيرُ إِلَى التَّدَاذِ، أَوْ تُلْجِئُ إِلَى تَوَقُّفٍ، أَوْ تَنْزِلُ إِلَى رَسْمٍ، وَغَايَةُ هَذِهِ الْمُكَاشَفَةُ الْمُشَاهَدَةُ».

إنما كانت هذه الدرجة «مُكَاشَفَةُ عَيْنٍ» لغلبة نور الكشف على القلب، فتنزَّلت هذه المكاشفة من القلب، وحلَّت منه محلَّ العلم الضَّروريِّ الذي لا يمكن جحده ولا تكذيبه، بل صارت للقلب بمنزلة المرئيِّ للبصر، والمسموع للأذن والوجدانيَّات للنفس، وكما أن المشاهدة بالبصر لا تصحُّ إلا مع صحَّة القوَّة المدركة، وعدم الحائل من جسمٍ أو ظلمةٍ، وانتفاء البعد المفرط؛ فكذلك المكاشفة

(١) في «غ» والمنار: (لا) بدل (لم).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) في «غ» والمنار: (التعارض).

(٤) كلمة (الصائد): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٥) لم يذكر صاحب المنازل الدرجة الثانية في هذه المنزلة، ولعلها ذكرت ضمناً مع الدرجة الأولى كما بين ذلك الإمام

ابن القيم رحمه الله تعالى هنا.

بالبصيرة تستلزم صحّة القلب، وعدم الحائل والشّاعل^(١)، وقرب القلب ممّن يكشفه بأسراره. وليس مراد الشّيخ في هذا الباب: الكشف الجزئيّ المشترك بين المؤمنين والكفّار، والأبرار والفجّار، كالكشف عمّا في دار إنسان، أو عمّا في يده^(٢)، أو تحت ثيابه، أو ما حملت به امرأته بعد انعقاده ذكرًا أو أنثى، وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشّاسع ونحو ذلك، فإنّ ذلك يكون من الشّيطان تارة، ومن النّفس تارة، ولذلك يقع من الكفّار، كالنّصارى، وعابدي النيران والصّلبان. فقد كشف ابن صياد النّبّي ﷺ بما أضمره له وخبّأه، فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»^(٣) فأخبر أنّ ذلك الكشف من جنس كشف الكهّان، وأنّ ذلك قدره. وكذلك مسيلمة الكذاب مع فرط كفره كان يكشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قاله لأهله، يخبره به شيطانه، ليغوي النّاس.

وكذلك الأسود العنسيّ، والحارث المتنبّي الدّمشقيّ الذي خرج في دولة عبد الملك بن مروان، وأمثال هؤلاء ممّن لا يحصيهم إلّا الله، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة، وشاهد النّاس من كشف الرّهبان عبّاد الصّليب ما هو معروف.

والكشف الرّحمانيّ من هذا النّوع: هو مثل كشف أبي بكرٍ لَمَّا قال لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِنَّ امْرَأَتَهُ حَامِلٌ بِأَنْثَى»، وَكَشَفَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا قَالَ: «يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ!»^(٤)، وأضعاف هذا من كشف أولياء الرّحمن.

والمقصود: أنّ مراد القوم بالكشف في هذا الباب أمرٌ وراء ذلك، وأفضله وأجمله أن يكشف للسّالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها. فما أكرم الله الصّادقين بكرامةٍ أعظم من هذا الكشف، وجعلهم منقادين له عاملين بمقتضاه،

(١) في «غ» والمنار: (والتشاعل).

(٢) في «غ» والمنار: (عما في دار العبد وفي يده).

(٣) المشهور أن هذا القول قاله ﷺ لحمل بن النّابغة الهذلي عندما قال له: يا رسول الله، كيف أغرم من لا أكل ولا شرب ولا استهل؟ فمثل ذلك يطل! فقال له الرسول ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ».

رواه البخاري في «الديات»، باب: الكهانة (٥٧٥٨)، ومسلم في «القيامة»، باب: دية الجنين؛ أما خبر ابن صياد الذي ذكره هنا فقد رواه مسلم (٢٩٢٤)، ولكن ليس فيه: «إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ».

(٤) كان سارية بن زعيم من قواد جيش عمر في بلاد العجم، فأخذت عمر وهو على المنبر سنة من النوم، كوشف فيها بمكيدة دبرت لسارية وجيشه، فناداه وهو نائم كذلك بأن يلجأ إلى الجبل، ويجعله وراء ظهره، ويلزمه، وروي أن سارية سمع ذلك النداء وأطاع الأمر؛ فسلم وسلم جيشه. (أفقي).

فإذا انضمَّ هذا الكشف إلى كشف تلك الحجب المتقدمة عن قلوبهم، سارت القلوب إلى ربِّها سير الغيث إذا استدبرته الرِّيح.

فلنرجع إلى شرح كلامه.

□ فقولُه: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: مُكَاشَفَةُ عَيْنٍ، لَا مُكَاشَفَةُ عِلْمٍ».

أي: متعلِّق هذه المكاشفة عين الحقيقة، بخلاف مكاشفة العلم، فإنَّ متعلِّقها الصُّورة الدَّهْنِيَّة المطابقة للحقيقة الخارجِيَّة، فكشف العلم: أن يكون مطابقاً لمعلومه، وكشف العيان: أن يصير المعلوم مشاهدًا للقلب، كما تشاهد العين المرئيَّ.

ومن ظنَّ من القوم أنَّ كشف العين ظهور الدَّات المقدَّسة لعيانه حقيقةً فقد غلط أبح الغلط.

وأحسن أحواله: أن يكون صادقاً ملبوساً عليه؛ فإنَّ هذا لم يقع في الدُّنيا لبشرٍ قطُّ، وقد منع منه

كليم الرَّحمن ﷺ.

وقد اختلف السَّلف والخلف: هل حصل هذا لسيدِّ ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه؟

فالأكثر على أنه لم ير الله سبحانه^(١)، وحكاه عثمان بن سعيد الدَّارميَّ إجماعاً من الصَّحابة، فمن ادَّعى كشف العيان البصريَّ عن الحقيقة الإلهيَّة فقد وهم وأخطأ، وإن قال: إنَّما هو كشف العيان القلبِيَّ، بحيث يصير الرَّبُّ^(٢) سبحانه كأنَّه مرئيٌّ للعبد، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» فهذا حقُّ، وهو قوَّة يقين، ومزيد علم فقط.

نعم؛ قد يظهر له نورٌ عظيمٌ، فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهيَّة، وأنَّها قد تجلَّت له، وذلك

غلطٌ أيضاً، فإنَّ نور الرَّبِّ تعالى لا يقوم له شيءٌ، ولمَّا ظهر للجبل منه أدنى شيءٍ ساخ الجبل وتكدك.

وقال ابن عَبَّاسٍ ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال: «ذَلِكَ نُورُهُ الَّذِي

هُوَ نُورُهُ إِذَا تَجَلَّى بِهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ».

وهذا النور الَّذي يظهر للصادق هو^(٣) نور الإيمان الَّذي أخبر الله عنه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ

كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

قال أبي بن كعبٍ: «مَثَلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ».

(١) في «غ» والمنار: (لم يره سبحانه).

(٢) كلمة (الرب): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) كلمة (هو): ساقطة من «غ» والمنار.

فهذا نورٌ يضاف إلى الرَّبِّ، ويقال: هو نور الله، كما أضافه الله (١) سبحانه إلى نفسه، والمراد: نور الإيمان الَّذي جعله الله له خلقًا وتكوينًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فهذا النور إذا تمكَّن من (٢) القلب، وأشرق فيه فاض على الجوارح، فيرى أثره في الوجه والعين، ويظهر في القول والعمل، وقد يقوى حتَّى يشاهده صاحبه عيانًا، وذلك لاستيلاء أحكام القلب عليه، وغيبة أحكام النَّفس.

والعين شديدة الارتباط بالقلب تظهر ما فيه، فتقوى مادَّة النور في القلب ويغيب صاحبه بما في قلبه عن أحكام حسِّه، بل وعن أحكام العلم، فينتقل من أحكام العلم إلى أحكام العيان. وسرُّ المسألة: أنَّ أحكام الطَّبيعة والنَّفس شيءٌ، وأحكام القلب شيءٌ، وأحكام الروح شيءٌ، وأنوار العبادات شيءٌ، وأنوار استيلاء معاني الصِّفات والأسماء على القلب شيءٌ، وأنوار (٣) الذَّات المقدَّسة شيءٌ وراء ذلك كلِّه.

فهذا الباب يغلط فيه رجلان:

- أحدهما: غليظ الحجاب، كثيف الطَّبَع.

- والآخر: قليل العلم، يلتبس عليه ما في الذَّهن بما في الخارج، ونور المعاملات بنور ربِّ الأرض والسَّموات: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قوله: «وَلَا مُكَاشَفَةُ الْحَالِ».

مكاشفة الحال: هي المواجيد التي يجدها السَّالِك بوارداته، حتَّى يبقى الحكم لقلبه وحاله.

قوله: «وَهِيَ مُكَاشَفَةٌ لَا تَذَرُ سِمَةً تُشِيرُ إِلَى الْإِتِّدَادِ».

يريد: أنَّ هذه المكاشفة تمحو رسوم المكاشف، فلا يبقى منه ما يحسُّ بلذَّة، فإنَّ الأحوال والمواجيد لها لذَّة عظيمة، أضعاف اللذَّة الحسِّيَّة، فإنَّ لذَّتها روحانيَّة قلبية، والمكاشفة العينيَّة تغيب المكاشف عن إدراك تلك اللذَّة، و«السِّمَّة» هي العلامة، فالمعنى: أنَّ هذه المكاشفة لا تذر له علامة تدلُّ على لذَّة.

قوله: «أَوْ تُلْحِجُّ إِلَى تَوْقُفٍ» يعني: لا تذكر له بقية تلجئه إلى وقفة؛ فإنَّ البقية التي تبقى على

السَّالِك من نفسه: هي التي تلجئه إلى التَّوقُّف في سيره.

قوله: «وَلَا تَنْزِلُ عَلَى رَسْمٍ» ألا تنزل هذه المكاشفة على من بقي فيه رسم حجاب بينه وبين

(١) لفظ الجلالة غير موجود في «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (في).

(٣) في المنار: (نور).

هذه المكاشفة؛ فإنَّها بمنزلة نور الشَّمس، فلا تنزل في بيتٍ عليه سقفٌ حائلٌ، فإنَّ الرِّسم عند القوم هو الحجاب بينهم وبين مطلوبهم، والرِّسم: هو النَّفس وأحكامها وصفاتها، وهذه المكاشفة إذا قويت واستحكمت صارت مشاهدةً، ولذلك قال: «وَعَايَةُ هَذِهِ الْمُكَاشَفَةِ هُوَ مَقَامُ الْمَشَاهِدَةِ».

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الْمَشَاهِدَةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ [ق: ٣٧]».

قلت: جعل الله سبحانه كلامه ذكرى لا ينتفع بها إلا من جمع هذه الأمور الثلاثة.

- أحدها: أن يكون له قلبٌ حيٌّ واعٍ؛ فإذا فقد هذا القلب لم ينتفع بالذِّكرى.

- الثَّاني: أن يصغي بسمعه كلُّه نحو المخاطب؛ فإن لم يفعل لم ينتفع بكلامه.

- الثَّالث: أن يحضر قلبه وذهنه عند المكلِّم له، وهو الشَّهيد؛ أي: الحاضر غير الغائب، فإن

غاب قلبه وسافر في موضع آخر لم ينتفع بالخطاب.

وهذا كما أنَّ المبصر لا يدرك حقيقة المرئيِّ إلا إذا كانت له قوَّةٌ مبصرةٌ، وحدِّق بها نحو

المرئيِّ، ولم يكن قلبه مشغولاً بغير ذلك، فإن فقد القوَّة المبصرة، أو لم يحدِّق نحو المرئيِّ، أو حدِّق

نحوه ولكن قلبه كلُّه في موضع آخر لم يدركه، فكثيراً ما يمرُّ بك إنسانٌ أو غيره، وقلبك مشغولٌ بغيره،

فلا تشعر بمرووره، فهذا الشَّأن يستدعي صحَّة القلب وحضوره، وكمال الإصغاء.

فصل

□ قال الشَّيخ: «الْمَشَاهِدَةُ: سُقُوطُ الْحِجَابِ بَتًّا»؛ أي: قطعاً، بحيث لا يبقى منه

شيءٌ، والمشاهدة هي المسقطه للحجاب، وهي (١) التي تكون عند سقوط

الحجاب، وليست هي نفس سقوط الحجاب، لكن عبَّر عن السَّيء بلازمه، فإنَّ

سقوط الحجاب يلازم حصول المشاهدة.

قوله: «وَهِيَ فَوْقَ الْمُكَاشَفَةِ» هذا يدلُّك على أنَّ مراد الشَّيخ ومَن وافقه من أهل الاستقامة

(١) كلمة (هي): ساقطة من «غ» والمنار.

بالمكاشفة والمشاهدة قوّة اليقين، ومزيد العلم، وارتفاع الحجب المانعة من ذلك، لا نفس معاينة الحقيقة؛ فإنّ المكاشفة لو كانت هي معاينة الحقيقة، لما كان فوقها مرتبةً أخرى، وإنّما كانت المشاهدة عنده فوق المكاشفة لما ذكره من قوله: «لأنّ المُكاشِفَةَ وِلَايَةُ النُّعْتِ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ بَقَايَا الرَّسْمِ، وَالْمُشَاهِدَةَ وِلَايَةُ الْعَيْنِ وَالذَّاتِ».

يريد: أنّ المكاشفة تتعلّق بالصفات الإلهية، فولايته وولاية النُّعوت والأوصاف؛ أي: سلطانها وما يتعلّق به هو النُّعوت والصفات وسلطان المشاهدة وما يتعلّق به، هو نفس الذات الجامعة للنُّعوت والصفات، فلذلك كانت فوقها وأكمل منها.

والفرق بين ولاية النُّعوت وولاية العين والذات: أنّ النُّعوت صفة، ومن شاهد الصِّفة فلا بدّ أن يشاهد متعلقاتها؛ فإنّ النُّظر في متعلقاتها يُكسبه التّعظيم للمتّصف بها؛ فإنّ من شاهد العلم القديم الأزليّ متعلّقًا بسائر المعلومات التي لا تتناهى من واجب، وممكن، ومستحيل، ومن شاهد الإرادة الموجبة لسائر الإرادات على تنوعها من الأفعال والأعيان والحركات والأوصاف التي لا تتناهى وشاهد القدرة التي هي كذلك، وشاهد صفة الكلام، الذي لو أنّ البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر، وأشجار العالم كلّها أقلامٌ يكتب بها كلام الرّبّ ﷻ، لفنيت البحار، ونفدت الأقلام، وكلام الله ﷻ لا ينفد ولا يفنى.

فمن شاهد الصفات كذلك، وجال قلبه في عظمتها فهو مشغولٌ بالصفات، ومتفرّق قلبه في متعلقاتها وتنوعها في أنفسها، بخلاف من قصر نظره على نفس الذات، وشاهد قدمها وبقائها، واستغرق قلبه في عظمة تلك الذات، بقطع النُّظر عن صفاتها، فهو مشاهدٌ للعين، والأوّل مشاهدٌ للصفات، فالأوّل في فرق، وهذا في جمع، فمن استغرق قلبه في هذا المشهد استحقّ اسم المشاهد ووصف المشاهدة عند القوم، إذا غاب عن إدراك رسمه وكلّ ما فيه من علمٍ أو عملٍ أو حالٍ، هذا تقرير كلامه.

* ويعد:

فإنّ ولاية النُّعوت والصفات التي جعلها دون ولاية العين والذات، ليس الأمر فيها كما زعم، بل لا نسبة بينهما ألبتّة؛ فإنّ الله ﷻ دعا عباده في كتبه الإلهية إلى الأوّل دون الثاني، وبذلك نطق كتبه ورسله، فهذا القرآن من أوّله إلى آخره إنّما يدعو النَّاس إلى النُّظر في صفات الله وأفعاله وأسمائه، دون الذات المجرّدة، فإنّ الذات المجرّدة لا يلحظ معها وصفٌ، ولا يشهد فيها نعتٌ، ولا تدلّ على كمالٍ ولا جلالٍ، ولا يحصل من (١) شهودها إيمانٌ، فضلًا عن أن يكون من أعلى مقامات العارفين.

(١) في المنار: (ولا في تحصيل شهودها)، وفي «ع»: (ولا تحصيل).

ويا سبحان الله! أين يقع شهود صفات الكمال وتنوعها وكثرتها، وما تدلُّ عليه من عظمة الموصوف بها وجلاله وكماله، وأنه ليس كمثله شيءٌ في كماله؛ لكثرة أوصافه ونعوته وأسمائه، وامتناع أضدادها عليه، وثبوتها له على أكمل الوجوه الذي لا نقص فيه بوجهٍ ما من شهود ذاتٍ قد غاب مشاهدتها عن كلِّ صفةٍ ونعتٍ واسم؟!!

فبين هذين المشهدين من التَّفَاوُت ما لا يحصىه إلا الله، وهذا هو مشهد من تألَّهُ وفني من الجهميَّة والمعطلة صرَّحوا بذلك، وقالوا: إنَّ كمال هذا المشهد هو قصر النَّظَر القلبيِّ على عين الذات، وتنزيهها عن الأعراض والأبغاض والأغراض والحدود والجهات.

ومرادهم بالأغراض: الصِّفَات التي تقوم بالحيِّ، كالسَّمع والبصر، والقدرة والإرادة، والكلام، فلا سمع له ولا بصر، ولا إرادة، ولا حياة ولا علم، ولا قدرة.

ومرادهم بالأبغاض: أنه لا وجه له ولا يدان، ولم يخلق آدم بيده، ولا يطوي سمواته بيده، ولا يقبض الأرض باليد^(١) الأخرى، ولا يمسك السَّموات على إصبعٍ ولا الأرضين على إصبعٍ، ولا الشَّجر على إصبعٍ، ونحو ذلك ممَّا أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله الصَّادق عليه السلام.

ومرادهم بالأغراض: أنه لا يفعل لحكمةٍ، ولا لعلَّةٍ غائيَّةٍ، ولا سببٍ لفعله، ولا غايةٍ مقصودةٍ. ومرادهم بالحدود والجهات: مسألة المباينة والعلوِّ، وأنه غير بائنٍ عن خلقه، ولا مستويٌّ على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا تصعد إليه الأعمال، ولا ينزل من عنده شيءٌ، ولا يصعد إليه شيءٌ، وليس فوق العرش إلهٌ يعبد، ولا ربُّ يصلِّي له ويسجد، بل ليس هناك إلاَّ العدم المحض الذي هو لا شيءٌ!

فكمال الشُّهود عندهم: أن يشهد العبد^(٢) ذاتًا مجردةً عن كلِّ اسمٍ ووصفٍ ونعتٍ. وشيخ الإسلام^(٣) عدوُّ هذه الطائفة، وهو بريٌّ منهم براءة الرُّسل منهم، ولكن بقيت عليه مثل هذه البقيَّة، وهي جعل مشهد العين والذَّات فوق مشهد الصِّفَات على أنه لا سبيل للقوى البشريَّة إلى شهود الذَّات الإلهيَّة البتَّة، ولا يقع الشُّهود على تلك الحقيقة، ولا جعل ذلك إليها، وإنَّما إليها شهود الصِّفَات والأفعال، وأمَّا حقيقة الذَّات والعين فغير معلومةٍ للبشريَّة.

ولمَّا سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حقيقة ربِّه سبحانه: من أيِّ شيءٍ هو؟ أنزل الله جبرئيل:

(١) في المنار: (بيده).

(٢) كلمة (العبد): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (وشيخ الإسلام قدس الله روحه).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَكَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤] (١).

ولذلك لما سأل فرعون موسى عن حقيقة ربه، بقوله: ﴿وَمَارِبُ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣].
أجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥]؛ إذ لا وصول للبشر إلى حقيقة ذاته، فدلهم على نفسه بصفاته الثبوتية؛ من كونه صمداً، وصفاته السلبية المتضمنة للثبوت؛ من كونه ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَكَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ لم يجعل لهم سبيلاً إلى معرفة الذات والكنه.

فما هذا الشهود العيني الذي جعلتموه للمشاهد، وجعلتموه فوق المكاشفة، وجعلتم ولاية المكاشفة النعت وولاية المشاهدة العين؟

فاعلم أن مراد الشيخ (٢) وأمثاله من العارفين أهل الاستقامة: ألا يقصر نظر القلب على صفة من الصفات، بحيث يستغرق فيها وحدها، بل يكون التفاته وشهوده واقعا على الذات الموصوفة بصفات الكمال المنعوتة بنعوت الجلال، فحينئذ يكون شهوده واقعا على الذات والصفات جميعا.
ولا ريب أن هذا فوق مشهد الصفة الواحدة أو الصفات.

ولكن يقال: الشهود لا يقع على الصفة المجردة، ولا يصح تجرُّدها في الخارج ولا في الذهن، بل متى شهد الصفة شهد قيامها بالموصوف ولا بد، فما هذا الشهود (٣) الذي هو فوق الشهود الوصفي؟

والأمر يرجع إلى شيء واحد، وهو أن من كان بصفات الله أعرف ولها أثبت، ومعارض الإثبات منتفٍ عنده كان أكمل شهوداً؛ ولهذا كان أكمل الخلق شهوداً من قال: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» (٤)، ولكمال معرفته بالأسماء والصفات استدلل بما عرفه منها على أن الأمر فوق ما أحصاه وعلمه.

فمشهد الصفات: مشهد الرُّسل والأنبياء وورثتهم، وكل من كان بها أعرف كان بالله أعلم، وكان مشهده بحسب ما عرف منها، وليس للعبد في الحقيقة مشاهدة ولا مكاشفة، لا للذات ولا للصفات،

(١) رواه الترمذي (٣٣٦١)، وأحمد (١٣٤/٥): أن المشركين قالوا للرسول ﷺ: «انصب لنا ربك...»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٨٠).

(٢) في «غ» والمنار: الشيخ قدس الله روحه.

(٣) كلمة (الشهود): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) تقدم تخريجه (٢٥١/١).

أعني مشاهدة عيانٍ وكشف عيانٍ، وإنَّما هو مزيد إيمانٍ وإيقانٍ.

ويجب التَّنْبُه والتَّنْبِيه^(١) هاهنا على أمرٍ، وهو: أنَّ المشاهدة نتائج العقائد، فمن كان معتقده ثابتًا في أمرٍ من الأمور، فإنَّه إذا صفت نفسه وارتاضت، وفارقت الشَّهوات والرَّذائل، وصارت روحانيَّةً تجلَّت^(٢) لها صورة معتقدها كما اعتقدته، وربَّما قوي ذلك التَّجَلِّي حتَّى يصير كالعيان، وليس به، فيقع الغلط من وجهين:

- أحدهما: ظنُّ^(٣) أنَّ ذلك ثابتٌ في الخارج، وإنَّما هو في الدَّهن، ولكن لَمَّا صفا وانجلت عنه ظلمات الطَّبَع، وغاب بمشهوده عن شهوده، واستولت عليه أحكام القلب، بل أحكام الرُّوح ظنَّ أنَّه الَّذي ظهر^(٥) له في الخارج، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم، ولو جاءت كلُّ آيةٍ في السَّموات والأرض، وذلك عنده بمنزلة من عاين الهلال يبصره جهرةً، فلو قال له أهل السَّموات والأرض: لم تره، لم يلتفت إليهم.

ولعمر الله إنَّنا لا نكذِّبه فيما أخبر به عن رؤيته، ولكن إنَّما نوقن أنَّه إنَّما^(٦) رأى صورة معتقده في ذاته ونفسه، لا الحقيقة في الخارج، فهذا أحد الغلطين.

وسببه: قوَّة ارتباط حاسَّة البصر بالقلب، فالعين مرآة القلب شديدة الاتِّصال به، وتنضمُّ^(٧) إلى ذلك قوَّة الاعتقاد، وضعف التَّمييز، وغلبة حكم الهوى والحال على العلم، وسماعه من القوم: أنَّ العلم حجابٌ.

- والغلط الثَّاني: ظنُّ^(٨) أنَّ الأمر كما اعتقده، وأنَّ ما في الخارج مطابقٌ لاعتقاده.

فيتولَّد من هذين الغلطين مثل هذا الكشف والشُّهود.

ولقد أخبر صادق الملاحدة، القائلين بوحدة الوجود: أنَّهم كشف لهم أنَّ الأمر كما قالوه وشهدوه في الخارج كذلك عياناً، وهذا الكشف والشُّهود ثمرة اعتقادهم ونتيجته، فهذه إشارةٌ ما إلى الفرقان في هذا الموضوع، والله أعلم.

(١) ويجب التَّنْبِيه والتَّنْبُه.

(٢) في «المنار» (تجلى)، وفي «غ»: (يجلي).

(٣) كلمة (ظنُّ): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) في المنار: (صفا وارتاض).

(٥) في «غ» والمنار: (ظن أن ما ظهر).

(٦) جملة (إنَّما نوقن أنه إنَّما): ساقطة من «غ» والمنار.

(٧) في «غ» والمنار: (وينضم).

(٨) كلمة (ظن): ساقطة من «غ» والمنار.

فصل

□ قال: «وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: مُشَاهَدَةُ مَعْرِفَةٍ، تَجْرِي فَوْقَ حُدُودِ الْعِلْمِ، فِي لَوَائِحِ نُورِ الْوُجُودِ،
مُنِيخَةً بِفَنَاءِ الْجَمْعِ».

هذا بناءً على أصول القوم، وأن المعرفة فوق العلم؛ فإن العلم عندهم^(١) هو إدراك المعلوم، ولو ببعض صفاته ولوازمه، والمعرفة عندهم إحاطةٌ بعين الشيء على ما هو به كما حدّها الشيخ ولا ريب أنّها بهذا الاعتبار فوق العلم، لكن على هذا الحد لا يتصور أن يعرف الله أحدٌ من خلقه ألبتّة، وسيأتي الكلام على هذا الحد في موضعه إن شاء الله تعالى، وليست المعرفة عند القوم مشروطةً بما ذكروا، وسنذكر كلامهم إن شاء الله.

وقد ذكر بعضهم: أنّ أعمال الأبرار بالعلم، وأعمال المقربين بالمعرفة.

وهذا كلامٌ يصحُّ من وجه، ويبطل من وجه، فالأبرار والمقربون عاملون بالعلم، واقفون مع أحكامه، وإن كانت معرفة المقربين أكمل من معرفة الأبرار، فكلاهما أهل علم ومعرفة، فلا يسلب الأبرار المعرفة، ولا يستغني المقربون عن العلم، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا هُمْ عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»^(٢) فجعلهم عارفين بالله قبل إتيانهم بفرض الصلاة والزكاة، بل جعلهم في أول أوقات دخولهم في الإسلام عارفين بالله، ولا ريب أنّ هذه المعرفة ليست كمعرفة المهاجرين والأنصار، فالناس متفاوتون في درجات المعرفة متفاوتًا بعيدًا^(٣).

قوله: «فِي لَوَائِحِ نُورِ الْوُجُودِ».

يعني: أنّ شواهد المعرفة بوارق تلوح من نور الوجود، والوجود عند الشيخ ثلاث مراتب:

- وجود علم.

- ووجود عين.

(١) كلمة (عندهم): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) رواه البخاري في «الزكاة»، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١٣٩٥)، ومسلم في «الإيمان»، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(٣) جملة (تفاوتًا بعيدًا): غير موجودة في «غ» والمنار.

- ووجود مقام.

كما سيأتي شرحه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وهذه اللوائح التي أشار إليها تلوح في المراتب الثلاث.

وقد ذكروا عن الجنيد أنه قال: «عِلْمُ التَّوْحِيدِ مُبَايِنٌ لَوْجُودِهِ، وَوُجُودُهُ مُبَايِنٌ لِعِلْمِهِ».

ومعنى ذلك: أنَّ العبد قد يصحُّ له العلم بانفراد الحقِّ في ذاته وصفاته وأفعاله علمًا جازمًا، لا يشكُّ ولا يرتاب فيه^(١)، ولكن إذا اختلفت عليه الأسباب، وتقاذفت به أمواجه لم يثبت قلبه في أوائل الصدمات، ولم يبادر إذ ذاك إلى رؤية الأسباب كلها من الأوَّل الَّذِي دَلَّتْ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَوْلِيَّتِهِ الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ وَالْمَشَاهِدَةَ الْإِيمَانِيَّةِ، فهذا عالمٌ بالتَّوْحِيدِ غير واجِدٍ لمقامه، ولا مُتَّصِفٍ بحالٍ أكسبه إيَّاهَا التَّوْحِيدُ، فإذا وجد قلبه وقت اختلاف الأحوال وتباين الأسباب واثقًا بربِّه، مقبلًا عليه، مستغرقًا في شهود وحدانيَّتِهِ في ربوبيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ؛ فإنَّه وحده هو المنفرد بتدبير عبادته فقد وجد مقام التَّوْحِيدِ وحاله.

وأهل هذا المقام متفاوتون في شهوده تفاوتًا عظيمًا؛ من مدركٍ لما هو فيه متنعمٌ متلذذٌ في وقتٍ دون وقتٍ، ومن غالبٍ عليه هذه الحال، ومن مستغرقٍ غائبٍ عن حظِّه ولذَّته بما هو فيه من وجوده، فنور الوجود قد غشي مشاهدته لحاله، ولم يصل إلى مقام الجمع، بل قد أناخ بفنائها، والوجود عنده هو حضرة الجمع، ويسمَّى حضرة الوجود.

قوله: «مُنْبِيحَةٌ بِفَنَاءِ الْجَمْعِ» يعني: قد شارفت مشاهدته لحاله منزل الجمع، وأناخت به، وتبيَّأ لدخوله، وهذه استعارةٌ، فكأنَّه مثل المشاهد بالمسافر، ومثَّل^(٢) مشاهدته بناقته التي يسافر عليها، فإنَّها الحاملة له، وشبَّه حضرة الجمع بالمنزل والدَّار، وقد أناخ المسافر بفنائها، وهذا إشارةٌ منه إلى إشرافه عليها، وأنَّ نور الوجود لا يلوح إلا منها.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: مُشَاهِدَةٌ مُعَايِنَةٌ، تَقَطُّعُ حِيَالِ الشَّوَاهِدِ، وَتَلَبُّسُ نُعُوتِ

الْقُدْسِ، وَتُخْرَسُ أَلْسِنَةُ الْإِشَارَاتِ».

إنَّما كانت هذه الدَّرَجَةُ أعلى ممَّا قبلها؛ لأنَّ تلك الدَّرَجَةَ مشاهدة برقي عن العلم النَّظْرِيِّ بالتَّوْحِيدِ، وتمكَّنت في وجود التَّوْحِيدِ، حتَّى صار صاحبها يرى الأسباب كلها عن واحدٍ متقدِّمٍ

(١) في «غ» والمنار: (لا يشك فيه ولا يرتاب).

(٢) كلمة (مثل): ساقطة من «غ» والمنار.

عليها^(١)، لا أوَّل لوجوده حالًا وذوقًا، وأناخ بفناء الجمع ليتبَّوأه منزلًا لتوحيده، ولكنَّه بعد لم يكمل استغراقه عن شهود رسمها بالكليَّة، فشواهد الرُّسوم بعد معه.

وصاحب هذه الدَّرَجَة قد انقطعت عنه حبال الشُّواهد، وتمكَّن في مقام المشاهدة، وتطهَّر من نعوت النَّفس ولبس نعوت القدس، فتطهَّر من الالتفات إلى غير مشهوده، فحس لذلك لسانه عن الإشارة إلى ما هو فيه، فهذه المشاهدة عنده فوق مشاهدة المعرفة؛ لأنَّ تلك من لوائح نور الوجود^(٢)، وهذه مشاهدة الوجود نفسه، لا بوارق نوره، فهي أعلى؛ لأنَّها مشاهدة عيان، والعيان والمعاني: أن تقع العين في العين.

وقد عرفت أنَّ هذا مستحيلٌ في الدُّنيا، ومن جوَّزه فقد أخطأ أقيح الخطأ، وتعدَّى مقام الرُّسل، وإنَّما غاية ما يصل إليه العارف مزيد إيمانٍ ويقينٍ؛ بحيث يعبد الله كأنَّه يراه؛ لقوَّة يقينه وإيمانه بوجوده وأسمائه وصفاته، وأنَّ الأنوار واللَّوامع والبوارق إنَّما هي أنوار الإيمان والطَّاعات من الذِّكر، وقراءة القرآن ونحوها، أو هي^(٣) أنوار استغراقه في مطالعة الأسماء والصفات وإثباتها والإيمان بها؛ بحيث يبقى كالمعاني لها، فيشرق على قلبه نور المعرفة، فيظنُّه نور الذَّات والصفات.

وتقدَّم بيان السَّبب الموقَّع لهم في ذلك، وأنَّهم لا يمكن رجوعهم في ذلك إلى المحجوبين الذين غلظ في هذا الباب حجابهم، وكثفت عن إدراكه أرواحهم، وقصرت عنه علومهم ومعارفهم، ولم يكادوا يظفرون بذائق صحيح الذُّوق يفصل لهم أحكام أذواقهم ومشاهدتهم، وينزلها منازلها، ويبين أسبابها وعللها، فوجود هذا أعزُّ شيء، والقوم لهم طلبٌ شديدٌ وهممٌ عاليَّةٌ، ومطلبهم وهممهم عندهم^(٤) فوق مطالب النَّاس وهممهم، فتشهد أرواحهم مقامات المنكر عليهم وسفولها، واستغراقه في حظوظه وأحكام نفسه وطبيعته، فلا تسمح نفوسهم بقبول قوله، والرُّجوع إليه، فلو وجدوا عارقًا ذا قرآنٍ وإيمانٍ ينادي القرآن والإيمان على معرفته، وتدلُّ معرفته على مقتضى الإيمان والقرآن، محكمًا للوحي على الذُّوق، مستخرجًا أحكام الذُّوق من الوحي، ليس فظًا ولا غليظًا، ولا مدَّعيًا ولا محجوبًا بالوسائل عن الغايات، إشارته^(٥) دون مقامه، ومقامه فوق إشارته، إن أشار أشار بالله مستشهدًا بشواهد الله، وإن سكت سكت بالله، عاكفًا بسره وقلبه على الله فلو وجدوا مثل هذا لكان الصادقون أسرع إليه من النَّار في يابس الحطب والوقود، والله المستعان.

(١) كلمة (عليها): ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (الموجود).

(٣) كلمة (هي): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) كلمة (عندهم): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) في المنار: (إشارته).

قوله: «وَقَطَعُ جِبَالَ الشَّوَاهِدِ» شبه الشَّوَاهِدَ بالحبال التي تجذب العبد إلى مطلوبه، وهذا إنَّما يكون مع الغيبة عنه، فإذا صار الأمر إلى العيان انقطعت حينئذٍ حبال الشَّوَاهِدِ بحكم المعاينة.
قوله: «وَتَلَبَّسُ نُعُوتُ الْقُدُسِ».

القدس^(١): هو النَّزَاهَةُ وَالطَّهَارَةُ، و«نُعُوتُ الْقُدُسِ» هي صفاته، فيلبسه الحقُّ سبحانه من تلك النُّعُوتِ ما يليق به، واستعار لذلك لفظة اللُّبْسِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ خَلَعٌ، وَخَلَعَ الْحَقُّ ﷻ يَلْبَسُهَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

وهذا موضعٌ يتوارد عليه الموحِّدون والملحدون، فالموحِّد يعتقد: أَنَّ الَّذِي أَلْبَسَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ هُوَ صِفَاتٌ جَمَّلَ اللَّهُ بِهَا ظَاهِرَهُ وَبِاطِنَهُ، وَهِيَ صِفَاتٌ مَخْلُوقَةٌ أَلْبَسَتْ عَبْدًا مَخْلُوقًا، فَكَمَا عَبْدُهُ حَلَّةٌ مِنْ حَلَلِ فَضْلِهِ وَعَطَائِهِ.

والملحد يقول: كساه نفس صفاته، وخلع عليه خلعةً من صفات ذاته، حتَّى صار شبيهاً به، بل هو هو^(٢)، ويقولون: الوصول هو التَّشْبُهُ بِالْإِلَهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَلْطَفُ هَذَا الْمَعْنَى، وَيَقُولُ: بَلْ يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ الرَّبِّ، وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ أَثْرًا بَاطِلًا: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ».

وليس هاهنا غير التَّعَبُّدِ بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي يَحِبُّهَا اللَّهُ، وَيَخْلُقُهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَالْعَبْدُ مَخْلُوقٌ، وَخَلَعْتَهُ مَخْلُوقَةٌ، وَصِفَاتُهُ مَخْلُوقَةٌ، وَاللَّهُ ﷻ بَاطِنٌ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنْ خَلْقِهِ، لَا يَمَازُجُهُمْ وَلَا يَمَازُجُونَهُ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِمْ وَلَا يَحُلُّونَ فِيهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ^(٣) عُلُوًّا كَبِيرًا.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: مُشَاهَدَةُ جَمْعٍ، تَجَذِبُ إِلَى عَيْنِ الْجَمْعِ، مَالِكَةٌ لِصِحَّةِ الْوُرُودِ، رَاكِبَةٌ بِحَرِّ الْوُجُودِ».

صاحب هذه الدَّرَجَةِ أثبت عند الشَّيْخِ فِي مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ، وَأَمَكْنَ فِي مَقَامِ الْجَمْعِ، الَّذِي هُوَ حَضْرَةُ الْوُجُودِ، وَأَمَلَكَ لِحْمَلِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ فِي مَقَامِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَشُوفَاتِ وَالْمَعَارِفِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ مَشَاهِدَتُهُ مَالِكَةً لِصِحَّةِ الْوُجُودِ؛ أَي: تَشْهَدُ لِنَفْسِهَا بِصِحَّةِ وَرُودِهَا إِلَى حَضْرَةِ الْجَمْعِ، وَتَشْهَدُ

(١) كلمة (القدس): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) جملة (بل هو هو): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) كلمة (عن ذلك): ساقطة من «غ» والمنار.

الأشياء^(١) كلُّها لها بالصدِّق، ويشهد المشهود أيضًا لها بذلك، فلا يبقى عندها احتمال شكٍّ ولا ريبٍ. وهذا أيضًا موردٌ للملحد والموحِّد.

فالملحد يقول: مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد، الجامع لجميع المعاني والصُّور والقوى والأفعال والأسماء، وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود، ومشاهدة هذا الجمع تجذب إلى عينه.

قال: وصفة هذا الجذب: أن يحلَّ الحقُّ تعالى عقد خليفته بيد حقيقته، فيرجع الثور الفائض على صورة خليفته إلى أصله، ويرجع العبد إلى عدميته، فيبقى الوجود للحقِّ، والفناء للخلق، وقيم الحقُّ تعالى وصفًا من أوصافه، نائبًا عنه في استجلاء ذاته، فيكون الحقُّ هو المشاهد ذاته بذاته، في طورٍ من أطوار ظهوره، وهي مرتبة عبده، فإذا ثبتَّ الحقُّ تعالى عبده بعد نفيه ومحوه، وأبقاه بعد فنائه، فعاد كما يعود السُّكران إلى صحوه، وجد في ذاته أسرار ربِّه، وطور صفاته، وحقائق ذاته، ومعالم وجوده، ومطراح أشعة نوره، ووجد خليفته أسماء مسمَّى ذاته، وعوده إليه، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الأسماء المشيرة بدلالاتها إلى الوجود المنزَّه الأصل، الموهوم الفرع، فيؤدِّي استصحاب النَّظر إلى أصله أنَّ الفرع لم يفارقه هو إلَّا بشكله، والشكل على اختلاف ضروبه فمعنى عدميٍّ لتعيُّن إمكانه في وجوبه.

فانظر ما في الكلام من الإلحاد والكفر الصُّراح، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق، وأنَّ الرَّبَّ سبحانه أقام نفس أوصافه نائبةً عنه في استجلاء ذاته، وأنَّه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق، وأنَّ الإنسان إذا صحا من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرَّبِّ، ووجد خليفته أسماء مسمَّى ذاته، فيرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الأسماء المشيرة بدلالاتها إلى الوجود المنزَّه الأصل، يعني عن الانقسام والتكثُّر الموهوم الفرع يعني: الذي يوهم فروعه وتكثر مظاهره، واختلاف أشكاله أنَّه متعدِّدٌ، وإنَّما هو وجودٌ واحدٌ، والأشكال على اختلاف ضروبها أمورٌ عدميةٌ، لأنَّها ممكنةٌ وإمكانها يفنى في وجوبها، فلم يبق إلَّا وجوب واجب الوجود، وهو واحدٌ، وإن اختلفت الأشكال التي ظهر فيها، والأسماء التي أشارت إليه.

فالأتحاديُّ يشاهد وجودًا واحدًا، جامعًا لجميع الصُّور والأنواع والأجناس، فاض عليها كلُّها، فظهر فيها بحسب قوابلها واستعداداتها.

وذلك الشُّهود يجذبه إلى انحلال عزمه عن التَّقيد بمعبودٍ معيَّن، أو عبادةٍ معيَّنة، بل يبقى معبوده الوجود المطلق السَّاري في الموجودات بأيِّ معنىٍ ظهر، وفي أيِّ ماهيةٍ تحقَّق، فلا فرق عنده بين

(١) كلمة (الأشياء): ساقطة من المنار.

السُّجُودَ لِلصَّنَمِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِهَا، كَمَا قَالَ شَاعِرُ الْقَوْمِ (١):
 وَإِنْ خَرَّ لِلْأَحْجَارِ فِي الْيَدِ عَاكِفٌ فَلَا تَعُدُّ بِالْإِنْكَارِ بِالْعَصَبِيَّةِ
 وَإِنْ عَبَدَ النَّارَ الْمَجُوسُ وَمَا انْطَفَتْ كَمَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مُذْ أَلْفِ حَجَّةِ
 فَمَا عَبَدُوا غَيْرِي وَمَا كَانَ قَصْدُهُمْ سِوَايَ وَإِنْ لَمْ يُظْهِرُوا عَقْدَ نِيَّةِ
 وَمَا عَقَدَ الزُّنَارُ حُكْمًا سِوَى يَدِي وَإِنْ حَلَّ بِالْإِقْرَارِ لِي فَهِيَ بِيَعْتِي

وكما قال عارفهم (٢): واعلم أن للحق في كل معبود وجهًا يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله، فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال: وما قضى الله شيئاً إلا وقع، وما عبد غير الله في كل معبود، فهذا مشهد الملحد.

والموحد: يشاهد بإيمانه ويقينه ذاتاً جامعةً للأسماء الحسنی، والصفات العلی، لها كل صفة كمال، وكل اسم حسن، وذلك يجذبه إلى نفس اجتماع همّه على الله، وعلى القيام بفرائضه. والطريق بمجموعها لا تخرج عن هذين السببين، وإن طوّلا العبارات، ودقّقا الإشارات، فالأمر كله دائر على جمع الهمة على الله، واستفراغ الوسع بغاية النصيحة في التّقرّب إليه بالنوافل، بعد تكميل الفرائض، فلا تطوّل ولا يطوّل عليك.

وشیخ الإسلام مراده بالجمع الجاذب إلى عين الجمع أمر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم، لا هو هذا ولا هو هذا، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم، وهو الجمع الذي يدندن حوله.

وعين الجمع عنده: هو تفرّد الرّبّ سبحانه بالأزليّة وبالّدوام، وبالخلق والفعل، فكان ولا شيء، ويكون بعد كل شيء، وهو المكوّن لكل شيء، فلا وجود في الحقيقة لغيره، ولا فعل لغيره، بل وجود غيره كالخيال والظلال، وفعل غيره في الحقيقة كحركات الأشجار والنبات، وهذا تحقيق الفناء في شهود الرّبوبيّة والأزليّة والأبدية، وطبيّ بساط شهود الأكوان، فإذا ظهر هذا الحكم انمحق وجود العبد في وجود الحق، وتدبيره في تدبير الحق، فصار سبحانه هو المشهود بوجود العبد، متلاشٍ مضمحلّ كالخيال والظلال.

ولا يستعدّ لهذا عندهم إلا من اجتمعت إرادته على المراد وحده، حالاً لا تكلفاً (٣)، وطبعاً لا تطبعاً، فقد تنبعث الهمة إلى أمرٍ وتتعلّق به، وصاحبها معرض عن غير مطلبه، متحلّ به، ولكن إرادة

(١) هو عمر بن الفارض في التائية (الفتي).

(٢) هو ابن عربي الحاتمي في «الفصوص». (الفتي).

(٣) في المنار: (تكليفاً).

السُّوئى كامنَةٌ فيه، قد توارى^(١) حكمها واستتر، ولمَّا يزل؛ فإنَّ القلب إذا اشتغل بشيءٍ اشتغلاً تامًّا توارت عنه إرادته لغيره، والتفاتته إلى ما سواه مع كونه كامناً في نفسه، مادَّته حاضرةً عنده، فإذا وجد فجوةً وأدنى تخلُّ من شاغله، ظهر حكم تلك الإرادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها.

فإذن؛ الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب:

- أعلاهها: جمع الهَمِّ على الله إرادةً ومحبةً وإنابةً، وجمع القلب والرُّوح والنَّفْس والجوارح على استفراغ الوُسْع في التَّقَرُّب إليه بما يحبه ويرضاه، دون رسوم النَّاس وعوائدهم، فهذا جمع خواصِّ المقربين وساداتهم.

- والثَّاني: الاستغراق في الفناء في شهود الرُّبوبيَّة، وتفردُ الرَّبِّ سبحانه بالأزليَّة والدَّوام، وأنَّ الوجود الحقيقيَّ له وحده، وهذا الجمع دون الجمع الأوَّل بمراتب كثيرة.

- والثَّالث: جمع الملاحظة الاتِّحاديَّة، وعين جمعهم؛ وهو جمع الشُّهود في وحدة الوجود، فعليك بتمييز المراتب؛ لتسلم من المعاطب، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتَّمييز بين صحيحها وفاسدها، في آخر باب التَّوحيد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، والله المستعان.

قوله: «مَالِكَةٌ لِّصَحَّةِ الوُجُودِ»؛ أي: ضامنةٌ لصحَّة ورودها، شاهدةٌ بذلك مشهودًا لها به؛ لأنَّها فوق مشاهدة المعرفة، وفوق مشاهدة المعاينة.

قوله: «رَاكِبَةٌ بَحْرَ الوُجُودِ».

يعني: تلك المشاهدة راكبةٌ بحر الوجود، فهي في لَجَّة بحره لا في أنواره، ولا في بوارقه. وقد تقدَّم الكلام على مراده بالوجود وأنَّه وجود علم، ووجود عين، ووجود مقام، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب إن شاء الله تعالى.

فصل

□ قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: «(بَابُ المَعَايِنَةِ) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]».

قلت: المعاينة مفاعلةٌ من العيان، وأصلها من الرُّؤية بالعين، يقال: عاينه إذا وقعت عينه عليه، كما يقال: شافهه إذا كلَّمه شفاهًا، وواجهه إذا قابله بوجهه، وهذا مستحيلٌ في هذه الدَّار أن يظفر به بشرٌ.

(١) في «غ» والمنار: (توارى).

وأما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: فالرؤية واقعة على نفس مد الظل، لا على الذي مدّه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿١٥﴾ [نوح: ١٥].
وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾ ﴿١﴾ [الفيل: ١]، فهنا أوقع الرؤية على نفس الفعل.

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أوقعها في اللفظ عليه سبحانه، والمراد: فعله من مدّ الظل، هذا كلام عربي بين معناه، غير محتمل ولا مجمل، كما قيل في العزى:
كُفْرَانُكَ الْيَوْمَ لَا سُبْحَانَكَ
إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ
وهو كثير في كلامهم، يقولون: رأيت الله قد^(١) فعل كذا وكذا، والمراد رأيت فعله، فالعيان والرؤية واقع على المفعول لا على ذات الفاعل وصفته ولا فعله القائم به.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «المُعَايِنَةُ ثَلَاثُ:

إِحْدَاهَا: مُعَايِنَةُ الْأَبْصَارِ.

الثَّانِيَةُ: مُعَايِنَةُ عَيْنِ الْقَلْبِ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ عَيْنِ الشَّيْءِ عَلَى نَعْتِهِ، عِلْمًا يَقْطَعُ
الرَّيْبَةَ، وَلَا تَشْوَهِ حَيْرَةً.

الثَّالِثَةُ: مُعَايِنَةُ عَيْنِ الرُّوحِ، وَهِيَ الَّتِي تُعَايِنُ الْحَقَّ عِيَانًا مَحْضًا، وَالْأَرْوَاحَ إِنَّمَا
طَهَّرَتْ وَأَكْرَمَتْ بِالْبَقَاءِ لِتُعَايِنَ سَنَا الْحَضْرَةِ، وَتَشَاهِدَ بَهَاءَ الْعِزَّةِ، وَتَجْدِبَ
الْقُلُوبَ إِلَى فِنَاءِ الْحَضْرَةِ».

جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح، وجعل لكل معاينة منها حكماً.

فمعاينة العين: هي رؤية الشيء عياناً، إمّا بانطباع صورة المرئي في القوة الباصرة، عند أصحاب الانطباع، وإمّا باتصال الشعاع المنبسط من العين المتصل بالمرئي، عند أصحاب الشعاع، وإمّا بالنسبة والإضافة الخاصة بين العين وبين المرئي، عند كثير من المتكلمين.
والأقوال الثلاثة لا تخلو عن خطأ وصواب، والحق شيء غيرها، وأن الله سبحانه جعل في

(١) كلمة (قد): ساقطة من «غ» والمنار.

العين قوَّةً باصرةً، كما جعل في الأذن قوَّةً سامعةً، وفي الأنف قوَّةً شامَّةً، وفي اللسان قوَّةً ناطقةً وقوَّةً ذائقةً^(١)، فهذه قوَّى أودعها الله سبحانه في هذه الأعضاء، وجعل بينها وبينها رابطةً، وجعل لها أسباباً من خارج، وموانع تمنع حكمها، وكلُّ ما ذكره من انطباع، ومقابلة، وشعاع، ونسيء، وإضافة فهو سببٌ وشرطٌ، والمقتضي هو القوَّة القائمة بالمحلِّ، وليس الغرض ذكر هذه المسألة، فالمقصود أمرٌ آخر.

وأما معاينة القلب: فهي انكشاف صورة المعلوم له؛ بحيث تكون نسبته إلى القلب كنسبة المرئيِّ إلى العين، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعمى، كما تبصر العين وكما تعمى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

فالقلب يرى ويسمع، ويعمى ويصمُّ، وعماه وصممه أبلغ من عمى البصر وصممه. وأما ما يثبتته متأخرو القوم من هذا القسم الثالث وهو رؤية الروح، وسمعتها وإرادتها، وأحكامها، التي هي أخصُّ من أحكام القلب؛ فهؤلاء اعتقادهم أنَّ الروح غير النَّفس والقلب. ولا ريب أنَّ هاهنا أموراً معلومةً، وهي: البدن، وروحه القائم به، والقلب المشاهد فيه، وفي سائر الحيوان والغريزة، وهي القوَّة العاقلة التي محلُّها القلب، ونسبتها إلى القلب كنسبة القوَّة الباصرة إلى العين، والقوَّة السَّامعة إلى الأذن؛ ولهذا تسمَّى تلك القوَّة قلباً، كما تسمَّى القوَّة الباصرة بصراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] ولم يُردْ شكل القلب، فإنَّه لكلِّ أحدٍ، وإنَّما أراد القوَّة والغريزة المودعة فيه.

والروح: هي الحاملة للبدن، ولهذه القوَّى كلُّها، فلا قوام للبدن ولا لقواه إلَّا بها، ولها باعتبار إضافتها إلى كلِّ محلِّ حكمٍ واسمٍ يخصُّها هناك، فإذا أُضيفت إلى محلِّ البصر سمَّيت بصراً، وكان لها حكمٌ يخصُّها هناك، وإذا أُضيفت إلى محلِّ السَّمع سمَّيت سمعاً، وكان لها حكمٌ يخصُّها هناك، وإذا أُضيفت إلى محلِّ العقل وهو القلب سمَّيت قلباً، ولها حكمٌ يخصُّها هناك، هي في ذلك كلُّه روحٌ. فالقوَّة الباصرة والعاقلة والسَّامعة والناطقة روحٌ باصرةٌ وسامعةٌ وعاقلةٌ وناطقَةٌ؛ فهي في الحقيقة هذا العاقل، الفاهم المدرك، المحبُّ العارف، المحرِّك للبدن الذي هو محلُّ الخطاب والأمر والنَّهي هو شيءٌ واحدٌ له صفاتٌ متعدِّدةٌ بحسب متعلقاته، فإنَّه يسمَّى نفساً مطمئنَّةً، ونفساً لوامَّةً، ونفساً أمَّارةً، وليس هو ثلاثة أنفسٍ بالذات والحقيقة، ولكن هو نفسٌ واحدةٌ لها صفاتٌ متعدِّدةٌ. وهم يشيرون بالنَّفس إلى الأخلاق والصفات المذمومة، فيقولون: فلانٌ له نفسٌ، وفلانٌ ليس

(١) جملة (وقوَّة ذائقة): ساقطة من «غ» والمنار.

له نفسٌ، ومعلومٌ أنّه لو فارقتَهُ (١) نفسه لَمات، ولكن يريدون تجرّده عن صفات النفس المذمومة. والمحققون منهم يقولون: إنّ النفس إذا تَلَطَّفَت وفارقت الرذائل صارت روحًا، ومعلومٌ أنّها لم تعدم ويخلق له مكانها روحٌ لم تكن، ولكن عدت منها الصفات المذمومة، وصارت (٢) مكانها الصفات المحمودة، فسمّيت روحًا.

وهذا اصطلاحٌ مجردٌ، وإلا فالله ﷻ سمّاها نفسًا في القرآن في جميع أحوالها أمّارةً، ولوأمّةً، ومطمئنةً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدخل في هذا جميع أنفس العباد حتّى الأنبياء.

وسمّاها رسول الله ﷺ روحًا على الإطلاق مؤمنةً كانت أو كافرةً، برّةً أو فاجرةً كقوله: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» (٣).

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَنَا حَيْثُ شَاءَ، وَرَدَّهَا حَيْثُ شَاءَ» (٤).

وقوله ﷺ في حديث قبض الرُّوح وصفته: إن كان مؤمنًا كان كذا وكذا، وإن كان كافرًا كان كذا وكذا (٥) فسمّى المقبوض روحًا كما سمّاه الله في كتابه نفسًا، وهذا المقبوض والمتوفّى شيءٌ واحدٌ، لا ثلاثةٌ ولا اثنان، وإذا قبض تبعته القوى كلّها العقل وما دونه؛ لأنّه كان حامل الجميع ومركبه.

إذا عرفت (٦) هذا؛ فالمعايينة نوعان:

- معايينة بصرٍ.

- ومعايينة بصيرةٍ.

فمعايينة البصر: وقوعه على نفس المرئيِّ، أو مثاله الخارجيِّ، كرؤية مثال الصّورة في المرآة والماء.

ومعايينة البصيرة: وقوع القوّة العاقلة على المثال العلميّ المطابق للخارجيّ، فيكون إدراكه له

(١) في «غ» والمنار: (فارق).

(٢) في «غ» والمنار: (وصار).

(٣) رواه مسلم البخاري في «الجنائز»، باب: في إغماض الميت والدعاء له (٩٢٠)، وابن ماجه في «الجنائز»، باب: ما جاء في تغميض الميت (١٤٥٤).

(٤) رواه البخاري في «المواقيت»، باب: الأذان بعد ذهاب الوقت (٥٩٥)، وأوب داود في الصلاة، باب: فيمن نام عن الصلاة أو نسيها (٤٣٩)، وكلا الروايتين بلفظ «إِنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ...».

(٥) لعله يقصد حديث: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ...». رواه البخاري في «الجنائز»، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩)، ومسلم في «الجنة»، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٦).

(٦) في «غ» والمنار: (عرف).

بمنزلة إدراك العين للصورة الخارجيّة، وقد يقوى سلطان هذا الإدراك الباطن، بحيث يصير الحكم له، ويقوى استحضار القوّة العاقلة لمدرکہا، بحيث يستغرق فيه، فيغلب حكم القلب على حكم الحسّ والمشاهدة، فيستولي على السّمع والبصر، بحيث يراه، ويسمع خطابه في الخارج، وهو في النّفس والذّهن، لكن لغلبة الشّهود، وقوّة الاستحضار، وتمكّن حكم القلب واستيلائه على القوي صار كأنّه مرئيّ بالعين، مسموعٌ بالأذن، بحيث لا يشكّ المدرک ولا يرتاب في ذلك ألبيّة، ولا يقبل عدلاً.

وحقيقة الأمر: أنّ ذلك كلّ شواهد وأمثلة علميّة تابعة للمعتدّ، فذلك الذي أدرك بعين القلب والرّوح، إنّما هو شاهدٌ دالٌّ على الحقيقة، وليس هو (١) نفس الحقيقة، فإنّ شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السّموات والأرض، فإنّه لو ظهر لها لتدكدكت، ولأصابها ما أصاب الجبل، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب، إنّما هو نور التّعظيم والإجلال، لا نور نفس المعظمّ ذي الجلال والإكرام.

وليس مع القوم إلّا الشّواهد، والأمثلة العلميّة، والرّقائق (٢) التي هي ثمرة قرب القلب من الرّبّ، وأنسه به، واستغراقه في محبّته وذكره، واستيلاء سلطان معرفته عليه، والرّبّ تبارك وتعالى وراء ذلك كلّ، منزّه مقدّس عن اطلاع البشر على ذاته، أو أنوار ذاته، أو صفاته، أو أنوار صفاته، وإنّما هي الشّواهد التي تقوم بقلب العبد، كما يقوم بقلبه شاهدٌ من الآخرة والجنّة والنّار، وما أعدّ الله لأهلها. وهذا هو (٣) الذي وجده عبد الله بن حرام الأنصاريّ يوم (٤) أحد، لمّا قال: «وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ! إِنِّي أَجِدُ وَاللَّهِ رِيحَهَا دُونَ أَحَدٍ» (٥).

ومن هذا قوله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قالوا: وما رياض الجنّة؟ قال: «حَلَقُ الذُّكْرِ» (٦).

ومنه قوله: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِئْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» (٧)، فهو روضةٌ لأهل العلم والإيمان، والإيمان، لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنّة، حتّى كأنّها لهم رأيّ عين، وإذا قعد المنافق هناك لم يكن

(١) كلمة (هو): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (والدقائق).

(٣) كلمة (هو): ساقطة من المنار.

(٤) كلمة (الأنصاري): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) رواه مسلم في «الإمارة»، باب: ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠٣)، والترمذي في «تفسير القرآن»، باب: ومن سورة الأحزار، وفي كلا الروايتين فالقائل ليس عبد الله بن حرام ولكنه أنس بن النضر رضي الله عنه.

(٦) رواه الترمذي في «الدعوات» باب (٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٨٧).

(٧) رواه البخاري في «التطوع»، باب: فضل ما بين القبر والمنبر (١١٩٦)، ورواه مسلم في «الحج»، باب: بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (١٣٩١).

ذلك المكان في حقه روضةً من رياض الجنة.

ومن هذا قوله ﷺ: «الجنة تحت ظلال السُّيوف» (١).

فالعامل: إنَّما هو على الشَّواهد، وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله.

* ونحن نشير بعون الله وتوفيقه إلى الشَّواهد، إشارةً يعلم بها حقيقة الأمر:

﴿ فَأُولَ شِوَاهِدِ السَّائِرِ إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ: أَنْ يَظُنُّ بِهِ (٢) شَاهِدٌ مِنَ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا، وَقَلَّةُ وَفَائِهَا، وَكَثْرَةُ جَفَائِهَا، وَخَسَّةُ شِرْكَائِهَا، وَسُرْعَةُ انْقِضَائِهَا، وَيُرَى أَهْلَهَا وَعَشَائِقَهَا صَرَعَى حَوْلَهَا، قَدْ بَدَّعَتْ بِهِمْ (٣)، وَعَذَّبَتْهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَأَذَاقَتْهُمْ أَمْرَ الشَّرَابِ، أَضْحَكْتَهُمْ قَلِيلًا، وَأَبْكَتَهُمْ طَوِيلًا، سَقَتْهُمْ كَثُوسَ سَمَّهَا، بَعْدَ كَثُوسِ خَمْرِهَا، فَسَكَّرُوا بِحَبِّهَا، وَمَاتُوا بِهَجْرَهَا.

فإذا قام بالعبد هذا الشَّاهد منها ترخَّل قلبه عنها، وسافر في طلب الدَّارِ الْآخِرَةِ، وحينئذٍ يقوم بقلبه شاهدٌ من الآخرة ودوامها، وأنَّها هي الحيوان حقًا، فأهلها لا يرتحلون منها، ولا يظعنون عنها، بل هي دار القرار، ومحطُّ الرِّحال، ومنتهى السَّير، وأنَّ الدُّنْيَا بالنَّسْبَةِ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الِئِيمِ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ!؟» (٤).

وقال بعض التَّابعين: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَقْلٌ مِنْ ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي جِبَالِ الدُّنْيَا».

ثمَّ يقوم بقلبه شاهدٌ من النَّار: وتوقُّدها واضطرامها، وبُعدُ قعرها، وشدَّةُ حرِّها، وعظيمُ عذاب أهلها، فيشاهدهم وقد سيقوا إليها سود الوجوه، زرق العيون، والسَّلاسل والأغلال في أعناقهم، فلمَّا انتهوا إليها فتحت في وجوههم أبوابها، فشاهدوا ذلك المنظر الفظيع، وقد تقطعت قلوبهم حسرةً وأسفًا: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الكهف: ٥٣].

فأراهم شاهد الإيمان، وهم إليها يدفعون، وأتى النداء من قبل ربِّ العالمين: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات: ٢٤] ثمَّ قيل لهم: ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَلَيْسَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الطور: ١٤ - ١٦].

(١) هو جزء من خطبة للرسول ﷺ مطلعها: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو...». رواه البخاري في «الجهاد»، باب: لا تتمنوا لقاء العدو (٢٨١٢)، ورواه مسلم في «الجهاد»، باب: كراهية تمني لقاء العدو (١٧٤٢).

(٢) في هامش «غ» وهامش والمنار قالوا: لعله (بقلبه) بدلًا من (به).

(٣) قال في هامش المنار: لعل صوابه: أبدعت بهم؛ أي: أخلفت ظنهم فيها، وأصلها أن تعهد إلى من تثق به فتطمئن إليه لإصلاح أمر من أمورك فلا يفعل.

(٤) تقدم تخريجه (٣/٣١٧).

(٥) في «غ»: (وعظم).

فيراهم شاهد^(١) الإيمان وهم في الحميم على وجوههم يسحبون، وفي النار كالحطب يسجرون: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] فبئس اللحاف وبئس الفراش. وإن استغاثوا من شدة العطش: ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ﴾ [الكهف: ٢٩] فإذا شربوه قطع أمعاءهم في أجوافهم، وصهر ما في بطونهم، شرابهم الحميم، وطعامهم الرقوم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (٣٦) ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٣٧) [فاطر: ٣٦، ٣٧].

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد انخلع من الذنوب والمعاصي، وأتباع الشهوات، ولبس ثياب الخوف والحذر، وأخصب قلبه من^(٢) مطر أجفانه، وهان عليه كل مصيبة تصيبه في غير دينه وقلبه. وعلى حسب قوة هذا الشاهد يكون بُعده من المعاصي والمخالفات، فيذيب هذا الشاهد من قلبه الفضلات، والمواد المهلكة، وينضحها ثم يخرجها، فيجد القلب لذة العافية وسرورها. فيقوم به بعد ذلك: شاهد من الجنة: وما أعد الله لأهلها فيها، ممَّا لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فضلاً عمَّا وصفه الله^(٣) لعباده على لسان رسوله من النعيم المفصل، الكفيل بأعلى أنواع اللذة، من المطاعم والمشارب، والملابس والصُّور، والبهجة والسرور، فيقوم بقلبه شاهد دار قد جعل الله النعيم المقيم الدائم بحذافيره فيها، تربتها المسك، وحبهاؤها الدر، وبنائها كين الذهب والفضة، وقصب اللؤلؤ، وشرابها أحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، وأبرد من الكافور، وألذ من الزنجبيل، ونساؤها لو برز وجه إحداهن في هذه الدنيا لغلب على ضوء الشمس، ولباسهم الحرير من السُّندس والإستبرق، وخدمهم ولدان كاللؤلؤ المنثور، وفاكهتهم دائمة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة^(٤)، وغذاؤهم لحم طير ممَّا يشتهون، وشرابهم عليه خمرة لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، وخضرتهم فاكهة ممَّا يتخيرون، وشاهدهم حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، فهم على الأرائك متكئون، وفي تلك الرياض يحبرون، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

فإذا انضم إلى هذا الشاهد: شاهد يوم المزيد، والنظر إلى وجه الربِّ ﷻ، وسماع كلامه منه

(١) في المنار: (شاهدوا).

(٢) كلمة (من): غير موجودة في المنار.

(٣) لفظ الجلالة غير موجود في «غ».

(٤) جملة (وفرش مرفوعة): ساقطة من «غ» والمنار.

بلا واسطة، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ؛ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] «ثُمَّ يَتَوَارَى عَنْهُمْ، وَتَبَقَى رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ» (١).

فإذا انضمَّ هذا الشَّاهد إلى الشُّواهد التي قبله: فهناك يسير القلب إلى ربِّه أسرع من سير الرياح في (٢) مهايها، فلا يلتفت في طريقه يمينًا ولا شمالًا.

هذا؛ وفوق ذلك شاهدٌ آخر تضمحلُّ فيه هذه الشُّواهد ويغيب به العبد عنها كلها: وهو شاهد جلال الرَّبِّ تَعَالَى، وجماله وكماله، وعزِّه وسلطانه، وقِيُومِيَّتِهِ وعلوُّه فوق عرشه، وتكلمه بكتبه وكلمات تكوينه، وخطابه لملائكته وأنبيائه.

فإذا شاهده (٣) شاهد بقلبه قِيُومًا قاهرًا فوق عبادته، مستويًا على عرشه، منفردًا بتدبير مملكته، أمرًا ناهيًا، مرسلًا رسله، ومنزلًا كتبه، يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعزُّ ويذلُّ، ويحبُّ ويغضب، ويرحم إذا استرحم، ويغفر إذا استغفر، ويعطي إذا سئل، ويجيب إذا دعي، ويقبل إذا استُقبل، أكبر من كلِّ شيء، وأعظم من كلِّ شيء، وأعزُّ من كلِّ شيء، وأقدر من كلِّ شيء، وأعلم من كلِّ شيء، وأحكم من كلِّ شيء (٤).

فلو كانت قوى الخلائق كلُّهم على واحدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم على تلك القوة، ثم نسبت تلك القوى إلى [قوته تعالى لكانت أقل من] (٥) قوة البعوضة بالنسبة إلى قوة الأسد. ولو قدر جمال الخلق كلُّهم على واحدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم بذلك الجمال، ثم نسب إلى جمال الرَّبِّ تَعَالَى لكان دون سراج ضعيفٍ بالنسبة إلى عين الشمس. ولو كان علم الأولين والآخرين على رجلٍ منهم، ثم كان كلُّ الخلق على تلك الصِّفة، ثم نسب إلى علم الرَّبِّ تَعَالَى لكان ذلك بالنسبة إلى علم الرَّبِّ كقنطرة عصفورٍ في بحرٍ.

وهكذا سائر صفاته، كسمعه وبصره، وسائر نعوت كماله، فإنه يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللُّغات، على تفتُّن الحاجات، فلا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تُغلطه المسائل، ولا يتبرم بالبحاح الملحِّين، سواءً عنده من أسرِّ القول ومن جهر به، فالسرُّ عنده علانية، والغيب عنده شهادة،

(١) تقدم تخريجه (٢/١٦٢).

(٢) في «غ» والمنار: (من).

(٣) كلمة (شاهدة): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) جملة (وأحكم من كلِّ شيء): ساقطة من «غ».

(٥) ما بين المعكوفتين ساقط من ط. الفقي وأثبتناه هنا من «غ» والمنار.

يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها ومجاري القوت في أعضائها.

يضع السموات على إصبع من أصابع يده، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، ويقبض سمواته بإحدى يديه، والأرضين باليد الأخرى، فالسموات السبع في كفه كخردلة في كف العبد.

ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله بِحَبْرَةِ رَجُلٍ، لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه.

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد اضمحلَّت فيه الشواهد المتقدمة من غير أن تعدم، بل تصير الغلبة والقهر لهذا الشاهد، وتندرج فيه الشواهد كلها، ومن هذا شاهده فله سلوكٌ وسيرٌ خاصٌ ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة، أو معرفة مجملية.

فصاحب هذا الشاهد سائرٌ إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه وفطره وصيامه، له شأنٌ وللناس شأنٌ، هو في وادٍ والناس في وادٍ.

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْكُمْ مَا إِذَا عَلِمَ مِنْ آلِ لَيْلَى بَدَا لِيَا

والمقصود: أن العيان والكشف والمشاهدة في هذه الدار إنما تقع على الشواهد ^(١) والأمثلة العلمية، وهو المثل الأعلى الذي ذكره سبحانه في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة النحل وسورة الروم وسورة الشورى ^(٢)، وهو ما يقوم بقلوب عابديه ومحبيه، والمنيين إليه من هذا الشاهد، وهو الباعث لهم على العبادة والمحبة، والخشية والإنابة، وتفاوتهم فيه لا ينحصر طرفاه، فكلٌ منهم له مقامٌ معلومٌ لا يتعداه، وأعظم الناس حظًا في ذلك معترفٌ بأنه لا يحصي ثناءً عليه سبحانه، وأنه فوق ما يثني عليه المثنون، وفوق ما يحمده الحامدون، كما قيل ^(٣):

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مَدْحَةً وَإِنْ أَطْبُؤُوا إِنَّ الَّذِي فِيكَ أَعْظَمُ

لَكَ الْحَمْدُ كُلُّ الْحَمْدِ لَا مَبْدَالَ لَهُ وَلَا مُتَهَيِّئِي وَاللَّهُ بِالْحَمْدِ أَعْلَمُ

وطهارة القلب، ونزاهته من الأوصاف المذمومة، والإرادات السفلية، وخلوه وتفريغه من التعلق بغير الله سبحانه، هو كرسي هذا الشاهد، الذي يجلس عليه، ومقعده الذي يتمكن فيه، فحرامٌ

(١) في المنار: (الشاهد).

(٢) لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وفي سورة الروم: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وفي سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(٣) جملة (كما قيل): ساقطة من «غ» والمنار.

على قلبٍ متلوّثٍ بالخباثِ والأخلاق الرديئة والصفات الذميمة، متعلّق بالمرادات السّافلة أن يقوم به هذا الشّاهد، وأن يكون من أهله.

نَزَّةٌ فُوَادِكْ عَن سِوَانَا وَأَتْنَا
وَالصَّبْرُ طِلْسَمٌ لِكَنْزِ لِقَائِنَا
فَجَنَابُنَا حِلٌّ لِكُلِّ مُنَزِّهِ
مَنْ حَلَّ ذَا الطَّلْسَمِ فَأَرَى بِكَنْزِهِ

إذا طلعت شمس التوحيد، وباشرت جوانبها الأرواح، ونورها البصائر، تجلّت بها ظلمات النفس والطبع، وتحركت بها الأرواح في طلب من ليس كمثلها شيء وهو السميع البصير، فسافر القلب في بيداء الأمر، ونزل منازل العبودية، منزلاً منزلاً، فهو ينتقل من عبادة إلى عبادة، مقيم على معبود واحد، فلا تزال شواهد الصفات قائمة بقلبه، توقظه إذا رقد، وتذكره إذا غفل، وتحدو به إذا سار، وتقيمه إذا قعد، إن قام بقلبه شاهد من الربوبية والقيومية رأى أن الأمر كله لله، ليس لأحد معه من الأمر (١) شيء: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَاقُ تُوقِفُكُونَ ﴿٣﴾ [فاطر: ٢، ٣].

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٧) [يونس: ١٧].

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٢٨) [الزمر: ٣٨].

﴿ قُلْ لَئِنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

إن قام بقلبه شاهد من الإلهية: رأى في ذلك الشاهد الأمر والنهي، والتبوت، والكتب والشرائع، والمحبة والرضا، والكرهة والبغض، والثواب والعقاب، وشاهد الأمر نازلاً ممن هو مستو على عرشه، وأعمال العباد صاعدة إليه، ومعروضة عليه، يجزي بالإحسان منها في هذه الدار وفي العقبى نصرة وسروراً، ويقدم إلى ما لم يكن عن أمره وشرعه منها فيجعلها هباءً منثوراً.

(١) لفظة (من الأمر): ساقطة من «غ» والمنار.

وإن قام بقلبه شاهدٌ من الرَّحمة: رأى الوجود كله قائماً بهذه الصِّفة، قد وسع من هي صفته كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وانتهت رحمته إلى حيث انتهى علمه، فاستوى على عرشه برحمته لتسع كلَّ شيءٍ، كما وسع عرشه كلَّ شيءٍ.

وإن قام بقلبه شاهد العزّة والكبرياء والعظمة والجبروت؛ فله شأن آخر. وهكذا جميع شواهد الصِّفات، (فما ذكرناه إنَّما هو أدنى) (١) تنبيه عليها، فالكشف والعيان والمشاهدة لا تتجاوز الشواهد ألبتّة، فلنرجع إلى شرح كلامه.

كقوله في الدرّجة الثّانية: «إِنَّهَا مُعَايِنَةُ عَيْنِ الْقَلْبِ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى نَعْتِهِ»، لا يريد به معرفته على نعته الذي هو عليه في الخارج من كلِّ وجه، فإنَّ هذا ممتنع على معرفة ما في الآخرة من المخلوقات.

كما قال ابن عباسٍ: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ»، فكيف بمعرفة ربِّ الأرض والسَّماء؟!!

وإنَّ غاية المعرفة: أن تتعلّق به على نعته على وجه مجمل أو مفصّل تفصيلاً من بعض الوجوه. قوله: «عِلْمًا يَقْطَعُ الرَّيْبَ، وَلَا يَشُوْبُهُ حَيْرَةٌ» هذا حقٌّ؛ فإنَّ المعرفة متى شابهها ريبٌ أو حيرة لم تكن معرفةً صحيحةً، كما أنّ رؤية العين لو شابهها ذلك لم تكن رؤيةً تامّةً، فالمعرفة: ما قطع الشكَّ والرّيبة والوسواس (٢).

قوله: «وَالْمُعَايِنَةُ الثَّلَاثَةُ: عَيْنُ الرُّوحِ، وَهِيَ الَّتِي تُعَايِنُ الْحَقَّ عِيَانًا مَحْضًا». إن أراد بالحقِّ ضدَّ الباطل؛ أي: تعاین ما هو حقٌّ، بحيث ينكشف لها كما ينكشف المرئي للبصر - فصحيحٌ.

وإن أراد بالحقِّ الرّبَّ تبارك وتعالى؛ فإن لم يحمل كلامه على قوّة اليقين، ومزيد الإيمان، ونزول الرُّوح في مقام الإحسان، وإلّا فهو باطلٌ، فإنَّ الرّبَّ تبارك وتعالى لا يعاینه في هذه الدّار بصراً ولا روحاً، بل المثال العلميّ حظُّ الرُّوح والقلب كما تقدّم.

قوله: «وَالأَرْوَاحُ إِنَّمَا طَهَّرَتْ وَأُكْرِمَتْ بِالْبَقَاءِ، لِتُعَايِنَ سَنَا الْحَضْرَةِ، وَتُشَاهِدَ بَهَاءَ الْعُرَّةِ، وَتَجْدِبَ الْقُلُوبَ إِلَى فِنَاءِ الْحَضْرَةِ».

يعني: أنّ الأرواح خلقت للبقاء لا للفناء، هذا هو الحقُّ (٣)، وما خالف فيه إلّا شرذمة من

(١) في «غ»: (بما ذكرناه بأدنى).

(٢) في «غ»: (الوسواس).

(٣) ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «الروح» مائة وستة عشر دليلاً من الكتاب والسنة على بقاء الأرواح.

النَّاسُ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ الْقَائِلِينَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ تَفْنَى بِفَنَاءِ الْأَبْدَانِ، لِكُونِهَا قُوَّةً مِنْ قُوَاهَا، وَعَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِهَا.

* وهؤلاء قسمان:

- أحدهما: منكرٌ لمعاد الأبدان.

- والثاني: من يقرُّ بمعاد الأبدان، ويقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعِيدُ قُوَى الْبَدَنِ وَأَعْرَاضَهُ، وَمِنْهَا: الرُّوحُ فَتَفْنَى بِفَنَاءِ الْبَدَنِ.

فليس عند الطَّائِفَتَيْنِ رُوحٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، تَسَاكِنُ الْبَدْنَ وَتَفَارِقُهُ، وَتَتَّصِلُ بِهِ وَتَتَفَصَّلُ عَنْهُ. وَأَمَّا الْحَقُّ الَّذِي أَتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ وَأَتَّبَعَهُمْ: فَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مَفَارِقَةِ أَبْدَانِهَا، لَا تَفْنَى وَلَا تَعْدَمُ، وَأَنَّهَا مَنْعَمَةٌ أَوْ مَعْدَبَةٌ فِي الْبِرْزَخِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْمَعَادِ رَدَّتْ إِلَى أَبْدَانِهَا، فَتَنْعَمُ مَعَهَا أَوْ تَعْدَبُ، وَلَا تَعْدَمُ وَلَا تَفْنَى.

فقوله: «وَالْأَرْوَاحُ إِذَا طُهِرَتْ وَأُكْرِمَتْ بِالْبَقَاءِ لُتَعَايِنَ سَنَا الْحَضْرَةَ».

يريد: الأرواح الطاهرة الزكية^(١)، وفي نسخة: «لِتُنَاغِي^(٢) سَنَا الْحَضْرَةَ»، والأول أظهر وألصق

بالباب الذي ترجمه بباب المعاينة.

والمراد بالحضرة: الحضرة الإلهية، وبالسناء: الثور الذي يلمع، قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣]، ومعاينة ذلك إنما هو في الدار الآخرة، والمعاني هاهنا: هو نور المعرفة والمثال العلمي.

قوله: «وَيُشَاهِدُ بِهَاءِ الْعِزَّةِ».

البهاء في اللغة: الحسن، قاله الجوهري، يقال منه: بهي الرجل بالكسر وهو أيضًا؛ فهو بهي. والعزّة يراد بها ثلاثة معانٍ: عزّة القوّة، وعزّة الامتناع، وعزّة القهر، والرّبُّ تبارك وتعالى له العزّة التّامة بالاعتبارات الثلاث، ويقال من الأوّل: عَزَّ يَعَزُّ بفتح العين في المستقبل، ومن الثاني: عَزَّ يَعَزُّ بكسرهما، ومن الثالث: عَزَّ يَعَزُّ بضمّها؛ أعطوا أقوى الحركات لأقوى المعاني، وأخفّها لأخفّها، وأوسطها لأوسطها.

وهذه العزّة مستلزمة للوحدانية؛ إذ الشّرْكة تنقص العزّة، ومستلزمة لصفات الكمال؛ لأنّ الشّرْكة تنافي كمال العزّة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيءٍ منها. فالرُّوح تعانٍ بقوّة معرفتها وإيمانها بهاء العزّة وجلالها وعظمتها، وهذه المعاينة هي نتيجة العقيدة الصّحيحة المطابقة للحقّ في نفس الأمر، المتلقّاة من مشكاة الوحي، فلا يطمع فيها واقفٌ مع

(١) في «غ»: (الزكية).

(٢) في «غ»: (لتناعي).

أقيسة المتفلسفين، وجدل^(١) المتكلمين، وخيالات المتصوفين.
 قوله: «وَتَجَذِبُ الْقُلُوبَ إِلَىٰ فِتْنَةِ الْحَضْرَةِ»، هو بكسر الفاء؛ أي: جانب الحضرة؛ يعني: أن الأرواح لِقُوَّة طلبها، وشدة شوقها تسوق القلوب وتجذبها إلى هناك، فإنَّ طلب الرُّوح وسيرها أقوى من طلب القلب وسيره، كما كانت معابنتها أتمَّ من معابنته.
 وبالجملة: فأحكام الرُّوح عندهم فوق أحكام القلب، وأخصُّ منها.
 والمقصود: أن الرُّوح متى عاينت الحقَّ جذبت القوى كلَّها والقلب إلى حضرتها، فينقاد معها انقيادًا بلا استعصاء، بخلاف جذب القلب؛ فإنَّ الجوارح قد تستعصي عليه بعض الاستعصاء، وتأبى شيئًا من الإباء، وأمَّا جذب الرُّوح فلا استعصاء معه ولا إباء، وبالله التوفيق.

فصل

□ قال صاحب المنازل: «(بَابُ الْحَيَاةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].».

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب ظاهرٌ جدًّا، فإنَّ المراد بها مَنْ كان مَيِّت القلب بعدم روح العلم والهدى والإيمان، فأحياه الرَّبُّ تعالى بروحٍ أُخرى غير الرُّوح التي أحياها بدنه، وهي روح معرفته وتوحيده، ومحَبَّته وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ لا حياة للرُّوح إلَّا بذلك، وإلَّا فهي في جملة الأموات، ولهذا وصف الله تعالى من عَدِم ذلك بالموت، فقال: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].
 - وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠].

وسمَّى وحيه روحًا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكَلِمَةُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].
 فأخبر أنه روحٌ تحصل به الحياة، وأنه^(٢) نورٌ تحصل به الإضاءة.
 وقال تعالى: ﴿يُرِزُّ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

(١) في «غ»: (وجدال).

(٢) كلمة (أنه): ساقطة من «غ» والمنار.

وقال تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر: ١٥].

فالوحي حياة الرُّوح، كما أنَّ الرُّوح حياة البدن؛ ولهذا من فقد هذه الرُّوح فَقَدَ فَقَدَ الحياة النَّافعة في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدنيا فحياته حياة البهائم، وله المعيشة الضَّنك، وأمَّا في الآخرة فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، وقد جعل الله الحياة الطَّيِّبة لأهل معرفته ومحَبَّته وعبادته، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقد فسَّرت الحياة الطَّيِّبة بالقناعة والرِّضا، والرِّزق الحسن وغير ذلك. والصَّواب: أنَّها حياة القلب ونعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحَبَّته، والإنابة إليه، والتَّوَكُّل عليه، فإنَّه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنَّة. كما كان بعض العارفين يقول: «إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ».

وقال غيره: «إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرُقُّصُ فِيهَا طَرَبًا». وإذا كانت حياة القلب حياة طَّيِّبةً تبعته حياة الجوارح، فإنَّه ملكها؛ ولهذا جعل الله (١) المعيشة الضَّنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطَّيِّبة. وهذه الحياة الطَّيِّبة تكون في الدُّور الثلاث (٢)، أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، والمعيشة الضَّنك أيضًا تكون في الدُّور الثلاث، فالأبرار في النِّعيم هنا (٣) وهنالك، والفجَّار في الجحيم هنا (٤) وهنالك، قال الله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعَكُمْ مُنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

فذكر الله ﷻ ومحَبَّته وطاعته والإقبال عليه ضامنٌ لأطيب الحياة في الدنيا والآخرة، والإعراض عنه والغفلة (٥) ومعصيته كفيلٌ بالحياة المنغصة، والمعيشة الضَّنك في الدنيا والآخرة.

(١) في «غ» والمنار: (الله سبحانه).

(٢) في «غ»: (الثلاثة).

(٣) في «غ» والمنار: (ها هنا).

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) في «غ» والمنار: (والإعراض والغفلة عنه).

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «الْحَيَاةُ فِي هَذَا الْبَابِ يُشَارُ بِهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: الْحَيَاةُ الْأُولَى: حَيَاةُ الْعِلْمِ مِنْ مَوْتِ الْجَهْلِ، وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَنْفَاسٍ: نَفْسُ الْخَوْفِ، وَنَفْسُ الرَّجَاءِ، وَنَفْسُ الْمَحَبَّةِ».

قوله: «الْحَيَاةُ فِي هَذَا الْبَابِ».

يريد: الحياة الخاصة التي يتكلم عليها القوم دون الحياة العامة المشتركة بين الحيوان كله، بل بين الحيوان والنبات، وللحياة مراتب، ونحن نشير إليها:

- المرتبة الأولى: حياة الأرض بالنبات: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [النحل: ٦٥].

وقال في الماء: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ﴿١١﴾ [ق: ١٧].

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴿[الفرقان: ٤٨].

وجعل هذه الحياة دليلاً على الحياة يوم المعاد، وهذه حياة حقيقة في هذه المرتبة، مستعملة في كل لغة، جارية على ألسن الخاصة والعامة، قال الشاعر يمدح عبد المطلب:

بِشَيْبَةِ الْحَمْدِ أَحْيَا اللَّهُ بُلْدَتَنَا لَمَّا فَقَدْنَا الْحَيَا وَاجْلَوْرَ الْمَطَرُ

وهذا أكثر من أن نذكر شواهد.

- المرتبة الثانية: حياة النُّمُو والاعتناء: وهذه الحياة مشتركة بين النبات والحيوان الذي يعيش بالغذاء، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ ﴿[الأنبياء: ٣٠].

وقد اختلف الفقهاء في الشعور: هل تحلها الحياة؟ على قولين:

والصواب: أنها تحلها حياة النُّمُو والغذاء، دون الحس والحركة؛ ولهذا لا تنجس بالموت؛ إذ

لو أوجب^(١) لها فراق النُّمُو والاعتناء النجاسة، لنجس الزرع والشجر لمفارقتة هذه الحياة له، ولهذا كان الجمهور على أن الشعور لا تنجس بالموت^(٢).

(١) في «غ»: (وجب).

(٢) بهامش مطبوعة المنار ما نصه: «وافق الفقهاء على فلسفتهم في علة النجاسة. والصواب: أن النجاسة إنما تحصل بالتعفن والتتن في المركبات ذات الرطوبة التي تتولد فيها الديدان الخفية والظاهرة، وليس ذلك خاصاً بالأجسام

- المرتبة الثالثة: حياة الحيوان المتغذي بقدر زائد على نموه واغذائه: وهي (١) إحساسه وحركته؛ ولهذا يألم بورود الكيفيات المؤلمة عليه، وتفرق الاتصال، ونحو ذلك، وهذه الحياة فوق حياة النبات، وهذه الحياة تقوى وتضعف في الحيوان الواحد بحسب أحواله، فحياته بعد الولادة أكمل منها وهو جنين في بطن أمه، وحياته وهو صحيح معافى أكمل منها وهو سقيم عليل.

ففس هذه الحياة تتفاوت تفاوتاً عظيماً في محالها، فحياة الحية أكمل من حياة البعوضة، ومن قال غير هذا فقد كابر الحس والعقل.

- المرتبة الرابعة: حياة الحيوان الذي لا يتغذى (٢) بالطعام والشرب: كحياة الملائكة، وحياة الأرواح بعد مفارقتها لأبدانها، فإن حياتها أكمل من حياة الحيوان المتغذي (٣)؛ ولهذا لا يلحقها كلال ولا فتور، ولا نوم ولا إعياء، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وكذلك الأرواح إذا تخلصت من هذه الأبدان وتجردت صار لها حياة أخرى أكمل من هذه إن كانت سعيدة، وإن كانت شقية كانت عاملة ناصبة في العذاب.

- المرتبة الخامسة: الحياة التي أشار إليها المصنّف: وهي: «حياة العلم من موت الجاهل»، فإن الجاهل موت لأصحابه، كما قيل:

وَفِي الْجَاهِلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورٌ

ذات الشعور والحركة بالإرادة.

فإن قيل: إن ما ذكرت هو القدر الحقيقي الجدير بأن يسمى نجاسة في اللغة، وهم يعنون النجاسة الشرعية. أقول: لا نص في الكتاب والسنة على أن فقد الحس والحركة هو علة النجاسة أو من عللها. اهـ.

تعليق: يعترض الأستاذ رشيد رضا على الإمام ابن القيم رحمهما الله تعالى في موافقته للفقهاء في تعليل نجاسة الميتة بالموت، ويسمي هذا التعليل فلسفة من الفقهاء إزاء هذا القول، مع أن رأي الفقهاء هو الصواب المستمد من دلالات النصوص؛ فإن النجاسة حكم شرعي مرتبط بالخبث الشرعي والحسي، وهم متحققان في الميتة، وما ذكر أن الصواب هو أن النجاسة إنما تحصل بالتعفن والتتن في المركبات ذات الرطوبة التي تتولد من الديدان الخفية أو الظاهرة - فلم يقل أحد من أهل العلم أن كل ما كان كذلك يكون نجسًا أو يكون حرامًا، بل اللحم الحلال لم يخنز لم يحرم ولم ينجس، فمن احتاج إليه وقبلته نفسه فلا حرج عليه، واللحم الحرام إذا كان طرياً فهو نجس كاللحم من ذبيحة المشرك، فما ذكره الأستاذ لا يستقيم له ولا يصلح لمعارضته ما عليه الفقهاء رحمهم الله تعالى.

(١) في «غ» والمنار: (وهو).

(٢) في «غ» والمنار: (يتغذى).

(٣) في المنار: (المتغذي).

فإنَّ الجاهل^(١) ميّت القلب والرُّوح، وإن كان حيّ البدن فجسده قبرٌ يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [٦٩] لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

[يس: ٦٩، ٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [٢٢] ﴿فاطر: ٢٢﴾، وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور، فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبورًا لها، فكما أنه^(٢) لا يسمع أصحاب القبور، كذلك^(٣) لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحسّ والحركة وملزومهما، فهذه القلوب لما لم تحسّ بالعلم والإيمان، ولم تتحرّك له؛ كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيهاً لموتها^(٤) بموت البدن، بل ذلك موت القلب والرُّوح.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب «الزُّهد» من كلام لقمان أنه قال لابنه: «يَا بُنَيَّ^(٥)، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَارِحِنُهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِوَابِلِ الْقَطْرِ». وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ^(٦) سُبُلِ^(٧) أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْأَنْبَسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالِدَلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً، وَإِمَّةً تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِأَعْمَالِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خَلَّتِهِمْ، وَيَأْجِنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، يَسْتَعْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَحَيْثَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ، وَسَبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمَصَابِيحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ، يُبْلَغُ الْعَبْدُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، التَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ الصِّيَامَ، وَمُذَارَسَتُهُ تَعْدِلُ الْفِيَامَ، بِهِ

(١) في «غ» والمنار: (فالجاهل).

(٢) كلمة (أنه): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) كلمة (كذلك): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) كلمة (لموتها): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) كلمة (يا بني): ساقطة من «غ».

(٦) في «غ» والمنار: (ومسلك).

(٧) في «غ» والمنار: (سبيل).

تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَهُوَ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهُ يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ، وَيُحَرِّمُهُ الْأَشْقِيَاءَ» (١). رواه الطبراني وابن عبد البر وغيرهما، وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والوقف والوقف أصح.

والمقصود: قَوْلُهُ: «لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ» فالقلب ميّت، وحياته بالعلم والإيمان.

فصل (٢)

- المرتبة السادسة: حياة الإرادة والهمّة: وضعف الإرادة والطلب من ضعف حياة القلب، وكلّما كان القلب أتمّ حياةً كانت همّته أعلى وإرادته ومحبّته أقوى؛ فإنّ الإرادة والمحبّة تتبع الشعور بالمراد المحبوب، وسلامة القلب من الآفة التي تحول بينه وبين طلبه وإرادته، فضعف الطلب وفتور الهمّة، إمّا من نقصان الشعور والإحساس، وإمّا من وجود الآفة المضعفة للحياة، فقوّة الشعور وقوّة الإرادة دليلٌ على قوّة الحياة، وضعفها دليلٌ على ضعفها (٣)، وكما أنّ علو الهمّة وصدق الإرادة والطلب من كمال الحياة؛ فهو سببٌ إلى حصول أكمل الحياة وأطيبها (٤)؛ فإنّ الحياة الطيّبة إنّما تنال بالهمّة العالية، والمحبّة الصادقة، والإرادة الخالصة، فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيّبة، وأخسّ النّاس حياةً أحسّهم همّةً، وأضعفهم محبّةً وطلباً، وحياة البهائم خيرٌ من حياته، كما قيل:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَا زِمٌ
وَتَكَدَحُ فِيمَا سَوْفَ تُتَكْرَهُ (٥) غِبَّهُ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
تُسْرِبُ بِمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى كَمَا غَرَّ بِاللَّدَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ (٦)

والمقصود: أنّ حياة القلب بالعلم والإرادة والهمّة، والنّاس إذا شاهدوا ذلك من الرّجل قالوا:

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٣٨/١ - ٢٣٩) ت: أبي الأشبال الزهيري، وقال ابن عبد البر: «هكذا حدّثني أبو عبد الله عبيد بن محمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً بالإسناد المذكور، وهو حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفاً. وقال محقق الكتاب الزهيري: إسناده مرفوعاً (٢٣٨/١).

(٢) في المراتب السابقة لم تصدر بعلامة فصل، وكذلك في نسخة «غ» أما في المنار فقد وضع قبل كل مرتبة: فصل.

(٣) في «غ» والمنار: (ضعفها).

(٤) كلمة (وأطيبها): ساقطة من «غ».

(٥) في «غ» والمنار: (تكره).

(٦) هذا البيت ساقط من نسخة «غ».

هو حيُّ القلب، وحياة القلب بدوام الذكر وترك الذنوب.

كما قال عبد الله بن المبارك رحمته الله:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ
وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوءُ
وَبَاعُوا التُّفُوسَ وَلَمْ يَرْبُحُوا
فَقَدَرَتَعَ الْقَوْمُ فِي جِيفَةٍ
يَبِينُ لِذِي اللَّبِّ خُسْرَانُهَا
وَقَدْ يُورِثُ الدَّلَّ إِدْمَانُهَا
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا
كُ وَأَجْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا
وَلَمْ يَغْلُ فِي الْبَيْعِ ائْتِمَانُهَا
يَبِينُ لِذِي اللَّبِّ خُسْرَانُهَا

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يقول: «مَنْ وَاطَبَ عَلَيَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»

كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سَنَةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَحْيَا اللَّهُ بِهَا قَلْبَهُ.

وكما أَنَّ الله سبحانه جعل حياة البدن بالطعام والشراب، فحياة القلب بدوام الذكر، والإنابة إلى الله، وترك الذنوب، والغفلة الجاثمة على القلب، والتعلق بالرزائل والشهوات المنقطعة عن قريب يضعف (١) هذه الحياة، ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت، وعلامة موته: أنه لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً.

كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَتَدْرُونَ مَنْ مَيَّتُ الْقَلْبُ (٢) الَّذِي قِيلَ فِيهِ:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِّتٍ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا».

والرجل: هو (٣) الذي يخاف موت قلبه، لا موت بدنه؛ إذ أكثر هؤلاء (٤) الخلق يخافون موت

أبدانهم، ولا يبالون بموت قلوبهم، ولا يعرفون من الحياة إلا الحياة الطبيعية، وذلك من موت القلب والروح؛ فإن هذه الحياة الطبيعية شبيهة بالظلل الزائل، والنبات السريع الجفاف (٥)، والمنام الذي يخيل كأنه حقيقة، فإذا استيقظ عرف أنه كان خيالاً.

كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا أَوْتِيَهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ،

(١) في المنار: (تضعف).

(٢) في «غ» والمنار: (ميت الأحياء).

(٣) كلمة (هو): ساقطة من «غ».

(٤) في «غ» والمنار: (هذا).

(٥) في «غ» والمنار: (الجفاف).

ثُمَّ جَاءَهُ الْمَوْتُ: لَكَانَ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَسُرُّهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَإِذَا لَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ». وقد قيل: إِنَّ الموت موتان: موتٌ إراديٌّ، وموتٌ طبيعيٌّ، فمن أَمَاتَ نفسه موتًا إراديًّا كان موته الطَّبِيعِيَّ حَيَاةً لَهُ.

ومعنى هذا: أَنَّ الموت الإراديَّ: هو قمع الشَّهوات المردية^(١)، وإخماد نيرانها المحرقة، وتسكين هوائجها المتلفة، فحينئذٍ يَتَفَرَّغُ القلب والرُّوح للتَّفَكُّر فيما فيه كمال العبد، ومعرفته، والاشتغال به، ويرى حينئذٍ أَنَّ يَثَارُ الظِّلُّ الرَّائِلُ عن قريب على العيش اللَّذِيذ الدَّائِمُ أخصر الخسران. فأَمَّا إِذَا كانت الشَّهوات وافدة^(٢)، واللَّذَاتُ مُؤَثَّرَةٌ، والعوائد غالبَةٌ، والطَّبِيعَةُ حاكمَةٌ، فالقلب حينئذٍ إمَّا أن يكون أسيرًا ذليلاً، أو مهزومًا مخرجًا عن وطنه ومستقرِّه الَّذِي لا قرار له إِلَّا فيه، أو قتيلاً ميِّتًا، وما لجرح به إيلاَمٌ، وأحسن أحواله: أن يكون في حربٍ، يدال له^(٣) فيها مرَّةً، ويدال عليه مرَّةً، فإذا مات العبد موته الطَّبِيعِيَّ، كانت بعده حياة روحه بتلك العلوم النَّافعة، والأعمال الصَّالحة، والأحوال الفاضلة الَّتِي حصلت له بِإِمَاتَةِ نفسه، فتكون حياته هاهنا على حسب موته الإراديِّ في هذه الدَّار.

وهذا موضعٌ لا يفهمه إِلَّا ألبَاء النَّاسِ وعقلاؤهم، ولا يعمل بمقتضاه إِلَّا أهل الهمم العليَّة، والنُّفوس الرِّكِيَّة الأبيَّة.

فصل

- المرتبة السَّابعة من مراتب الحياة: حياة الأخلاق، والصفات المحمودة: الَّتِي هي حياة راسخةٌ للموصوف بها، فهو لا يتكلَّف التَّرَقِّي في درجات الكمال ولا يشقُّ عليه؛ لاقتضاء أخلاقه وصفاته لذلك؛ بحيث لو فارقه ذلك لفارق ما هو من طبيعته وسجيَّته، فحياة مَنْ قد طبع على الحياء والعفة والجود والسَّخاء، والمروءة والصِّدق والوفاء ونحوها أتمُّ من حياة مَنْ يقهر نفسه، ويغالب طبعه، حتَّى يكون كذلك؛ فإنَّ هذا بمنزلة من تعارضه أسباب الدَّاء وهو يعالجها ويقهرها بأضدادها، وذلك بمنزلة مَنْ قد عوفي من ذلك.

وكلِّمَا كانت هذه الأخلاق في صاحبها أكمل كانت حياته أقوى وأتمَّ، ولهذا كان خلق الحياء

(١) في «غ»: (الرديّة).

(٢) في «غ»: (واقدة).

(٣) كلمة (له): ساقطة من «غ».

مشتقًا من الحياة اسمًا وحقيقةً، فأكمل النَّاسَ حياةً أكملهم حياءً، ونقصان حياء المرء^(١) من نقصان حياته؛ فإنَّ الرُّوحَ إذا ماتت لم تحسَّ بما يؤلمها^(٢) من القبائح، فلا تستحيي منها، فإذا كانت صحيحة الحياة أحسَّت بذلك، فاستحيت منه.

وكذلك سائر الأخلاق الفاضلة والصفات الممدوحة تابعة لقوَّة الحياة، وضدُّها من نقصان الحياة، ولهذا كانت حياة الشُّجاع أكمل من حياة الجبان، وحياة السَّخِيَّ أكمل من حياة البخيل، وحياة الفَطْنِ الذَّكِيِّ أكمل من حياة الفَدْمِ^(٣) البليد، ولهذا لَمَّا كان الأنبياء^(٤) صلوات الله وسلامه عليهم أكمل النَّاسَ حياةً حتَّى إنَّ قوَّة حياتهم تمنع الأرض أن تبلي أجسامهم كانوا أكمل النَّاسِ في هذه الأخلاق، ثمَّ الأمثل فالأمثل من أتباعهم.

فانظر الآن إلى حياة حَلَّافٍ مهينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنميم، مَنَاعٍ للخير معتدٍ أثيم، عُنْتُلٌ بعد ذلك زنيم، وحياة جوادٍ شجاعٍ، بَرٌّ عادلٍ عفيفٍ محسنٍ؛ تجد الأوَّلَ مِيثًا بالنسبة إلى الثَّانِي، والله دُرُّ القائل:

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

فصل (٥)

المرتبة الثامنة من مراتب الحياة: حياة الفرح والسُّرور، وقوَّة العين بالله: وهذه الحياة إنَّما تكون بعد الظُّفر بالمطلوب، الَّذِي تقرُّ به عين طالبه، فلا حياة نافعة له بدونه، وحول هذه الحياة يدندن النَّاسُ كلُّهم، وكلُّهم قد أخطأ طريقها، وسلك طرقًا لا تفضي إليها، بل تقطعه عنها، إلَّا أقلَّ القليل. فدار طلب الكلِّ حول هذه الحياة، وحرمها أكثرهم.

وسبب حرمانهم إيَّاها^(٦): ضعف العقل والتَّمييز والبصيرة، وضعف الهمة والإرادة؛ فإنَّ مادَّتها بصيرةٌ وقادةٌ، وهمةٌ نقادةٌ، والبصيرة كالبصر تكون عمىً وعمورًا وعمشًا ورمدًا، وتامة النُّور والضياء، وهذه الآفات قد تكون لها بالخلقة في الأصل، وقد تحدث فيها بالعوارض الكسبيَّة.

(١) في «غ» والمنار: (المؤمن).

(٢) في «غ» والمنار: (لم تحس بإيلامها).

(٣) القدم: ثقل الفهم العبي.

(٤) في «غ»: (ولهذا كانت الأنبياء).

(٥) كلمة (فصل): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٦) في «غ» والمنار: (وسبب حرمانها).

والمقصود: أن هذه المرتبة من مراتب الحياة هي أعلى مراتبها، ولكن كيف يصل إليها من عقله مسبي في بلاد الشهوات، وأمله موقوف على اجتناء اللذات، وسيرته جارية على أسوأ العادات، ودينه مستهلك بالمعاصي والمخالفات، وهمته واقفة مع السفليات، وعقيدته غير متلقاة من مشكاة النبوات؟!

فهو في الشهوات منغمس، وفي الشبهات متكس، وعن الناصح معرض، وعلى المرشد معترض، وعن السراء نائم، وقلبه في كل وإد هائم، فلو أنه تجرد من نفسه، ورغب عن مشاركة أبناء جنسه، وخرج من ضيق الجهل إلى فضاء العلم، ومن سجن الهوى إلى ساحة^(١) الهدى، ومن نجاسة النفس إلى طهارة القدس؛ لرأى الإلف الذي نشأ بنشأته، وزاد بزيادته، وقوي بقوته، وشرف عند نفسه وأبناء جنسه بحصوله، وسدّ قذى في^(٢) عين بصيرته، وشجاً في حلق إيمانه، ومرصاً مترامياً إلى هلاكه. فإن قلت: قد أشرت إلى حياة غير معهودية بين أموات الأحياء، فهل يمكنك وصف طريقها، لأصل إلى شيء من أذواقها^(٣)، فقد بان لي أن ما نحن فيه من الحياة حياة هيمية، ربّما زادت علينا فيه البهائم بخلوها عن المنكرات والمنغصات وسلامة العاقبة؟ قلت: لعمر الله إن اشتياقك إلى هذه الحياة، وطلب علمها ومعرفتها لدليل^(٤) على حياتك، وأنتك لست من جملة الأموات.

كف فأول طريقها: أن تعرف الله، وتهدي إليه طريقاً يوصلك إليه، ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب إليها بكلّيته، ويزهد في التعلقات الفانية، ويدأب في تصحيح التوبة، والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات الظاهرة والباطنة، ثم يقوم حارساً على قلبه، فلا يسامحه بخطر يكرهها الله، ولا بخطر فضول لا تنفعه، فيصفو بذلك قلبه عن حديث النفس ووسواسها، فيقضى من أسرها، ويصير طليقاً، فحينئذ يخلو قلبه بذكر ربّه ومحبتّه والإنابة إليه، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة برّبّه وذكره، كما قيل:

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَلَّنِي
أُحَدِّثُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيَا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربّه، وطلبه والشوق إليه. فإذا صدق في ذلك: رزق محبة الرسول ﷺ، واستولت روحانيته على قلبه، فجعله إمامه

(١) في «غ»: (ساحل).

(٢) كلمة (في): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (ذوقها).

(٤) في «غ» والمنار: (دليل).

ومعلّمه، وأستاذه وشيخه وقدوته، كما جعله الله نبيّه ورسوله وهاديًا إليه.
 فيطالع سيرته ومبادئ أمره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه، وآدابه في
 حركاته وسكونه ويقظته ومنامه، وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتّى يصير كأنّه معه من بعض
 أصحابه.

فإذا رسخ قلبه في ذلك: فتح عليه بفهم الوحي المنزّل عليه من ربّه؛ بحيث لو^(١) قرأ السورة
 شاهد قلبه ما أنزلت فيه، وما أريد بها، وحظّه المختصّ به منها من الصّفات والأخلاق والأفعال
 المذمومة، فيجتهد في التخلّص منها كما يجتهد في الشّفاء من المرض المخوف، وشاهد حظّه^(٢) من
 الصّفات والأفعال الممدوحة فيجتهد في تكميلها وإتمامها.

فإذا تمكّن من ذلك: انفتح في قلبه عينٌ أخرى، يشاهد بها صفات الرّبّ ﷻ، حتّى تصير لقلبه
 بمنزلة المرئيّ لعينه، فيشهد علوّ الرّبّ سبحانه فوق خلقه، واستواءه على عرشه، ونزول الأمر من عنده
 بتدبير مملكته، وتكليمه بالوحي، وتكليمه^(٣) لعبده جبريل به، وإرساله إلى من يشاء بما يشاء،
 وصعود الأمور إليه، وعرضها عليه.

فيشاهد قلبه ربًّا قاهرًا فوق عباده، أمرًا ناهيًا، باعثًا لرسله، منزلًا لكتبه، معبودًا مطاعًا، لا شريك
 له، ولا مثل، ولا عدل له، ليس لأحدٍ معه من الأمر شيءٌ، بل الأمر كلّ له، فيشهد ربّه سبحانه قائمًا
 بالملك والتدبير، فلا حركة ولا سكون، ولا نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا قبض ولا بسط إلاّ
 بقدرته وتدبيره، فيشهد قيام الكون كلّ به، وقيامه سبحانه بنفسه، فهو القائم بنفسه، المقيم لكلّ ما
 سواه.

فإذا رسخ قلبه في ذلك: شهد الصّفة المصحّحة لجميع صفات الكمال، وهي الحياة التي كمالها
 يستلزم كمال السّمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام وسائر صفات الكمال، وصفة القيومية
 الصّحيحة المصحّحة لجميع الأفعال، فالحيّ القيوم من له كلّ صفة كمال، وهو الفعّال لما يريد.
 فإذا رسخ قلبه في ذلك: فتح له مشهد^(٤) القرب والمعيّة فيشده سبحانه معه، غير غائب عنه،
 قريبًا غير بعيد، مع كونه فوق سمواته على عرشه، بائنًا من خلقه، قائمًا بالصّنع والتدبير، والخلق
 والأمر؛ فيحصل له مع التعظيم والإجلال الأنس بهذه الصّفة؛ فيأنس به^(٥) بعد أن كان مستوحشًا،

(١) في «غ»: (إذا).

(٢) كلمة (شاهد حظّه): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ»: (وتكلمه).

(٤) في «غ»: (بمشهد).

(٥) كلمة (به): ساقطة من «غ».

ويقوى به بعد أن كان ضعيفاً، ويفرح به بعد أن كان حزيناً، ويجد بعد أن كان فاقداً، فحينئذ يجد طعم قوله: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِن سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ» (١).

فأطيب الحياة على الإطلاق حياة هذا العبد، فإنه محبٌ محبوبٌ، متقربٌ إلى ربه، وربُّه قريبٌ منه، قد صار له حبيبه لفرط استيلائه على قلبه ولهجه بذكره وعكوف همته على مرضاته بمنزلة سماعه وبصره ويده ورجله، وهذه آلات إدراكه وعمله وسعيه؛ فإن سمع سمع بحبيبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به.

فإن صعب عليك فهم هذا المعنى، وكون المحبِّ الكامل المحبَّة يسمع ويبصر ويبطش ويمشي بمحبوبه، وذاته غائبة عنه، فاضرب عنه صفحاً، وحلِّ هذا الشَّان لأهله.

حَلَّ الْهُوَى لِأَناسٍ يُعْرِفُونَ بِهِ قَدْ كَابَدُوا الْحُبَّ حَتَّىٰ لَانَ أَصْعَبُهُ

فإنَّ السَّالِكَ إِلَى رَبِّهِ لَا تَزَالُ هَمَّتَهُ عَاكِفَةً عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: استفراغ القلب في صدق الحبِّ، وبذل الجهد في امتثال الأمر، فلا يزال كذلك حتَّى يبدو على سرِّه شواهد معرفته، وآثار صفاته وأسمائه، ولكن يتوارى عنه ذلك أحياناً، ويبدو أحياناً، يبدو من عين الجود، ويتوارى بحكم الفترة، والفترات أمرٌ لازمٌ للعبد، فكلُّ عامل له شرَّةٌ، ولكلُّ شرَّةٌ فترةٌ، فأعلاها فترة الوحي؛ وهي للأنبياء، وفترة الحال الخاصِّ للعارفين، وفترة الهمة للمريدين، وفترة العمل للعابدين، وفي هذه الفترات أنواعٌ من الحكمة والرَّحمة، والتَّعَرُّفات الإلهية، وتعريف قدر التَّعمة، وتجديد الشَّوق إليها، ومحض التَّواجد إليها وغير ذلك.

ولا تزال تلك الشَّواهد تتكرَّر وتزايِد، حتَّى تستقرَّ، وينصبغ بها قلبه، وتصير الفترة غير قاطعةٍ له، بل تكون نعمةً عليه، وراحةً له، وترويحاً وتنفيساً عنه.

فهمة المحبِّ إذا تعلَّقت روحه بحبيبه، عاكفاً على مزيد محبَّته، وأسباب قوتها، فهو يعمل على هذا، ثمَّ يترقَّى منه إلى طلب محبَّة حبيبه له، فيعمل على حصول ذلك، ولا يعدم الطَّلب الأوَّل، ولا يفارقه البتَّة، بل يندرج في هذا الطَّلب الثَّاني، فتعلَّقت همَّته بالأمرين جميعاً؛ فإنَّه إنَّما يحصل له منزلة «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ» بهذا الأمر الثَّاني، وهو كونه محبوباً لحبيبه، كما قال في الحديث: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ...» إلخ (٢)، فهو يتقرب إلى ربِّه حفظاً لمحبَّته له، واستدعاءً لمحبَّة ربِّه له.

(١) تقدم تخريجه (٣٦/٢).

(٢) لفظة (إلخ): غير موجودة في «غ» والمنار.

فحينئذ يشدُّ مئزر الجدِّ في طلب محبة حبيبه له بأنواع التَّقَرُّبِ إليه، فقلبه للمحبة والإنابة والتَّوَكُّلِ والخوف والرَّجاء، ولسانه للذِّكْرِ وتلاوة كلام حبيبه، وجوارحه للطَّاعات، فهو لا يفتر عن التَّقَرُّبِ من حبيبه (١).

وهذا هو السَّير المفضي إلى هذه الغاية التي لا تنال إلَّا به، ولا يتوصَّل إليها إلَّا من هذا الباب، وهذه الطَّرِيق، وحينئذٍ تجمع له في سيره (٢) جميع متفرقات السُّلوك من الحضور والهيبة والمراقبة ونفي الخواطر وتخلية الباطن.

فإنَّ المحبَّ يشرع أوَّلًا في التَّقَرُّبات بالأعمال الظَّاهرة، وهي ظاهر التَّقَرُّبِ، ثمَّ يترقَّى من ذلك إلى حال (٣) التَّقَرُّبِ، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكليته بروحه (٤) وقلبه، وعقله وبدنه، ثمَّ يترقَّى من ذلك إلى حال (٥) الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، فيتقرب إليه حينئذٍ من باطنه بأعمال القلوب؛ من المحبة والإنابة والتَّعظيم والإجلال والخشية، فينبعث حينئذٍ من باطنه الجود ببذل الرُّوح والجود (٦) في محبة حبيبه بلا تكلف (٧)، فيجود بروحه ونفسه، وأنفاسه وإرادته، وأعماله لحبيبه حالًا لا تكلفًا، فإذا وجد المحبُّ ذلك فقد ظفر بحال التَّقَرُّبِ وسرِّه وباطنه، وإن لم يجده فهو يتقرب بلسانه وبدنه وظاهره فقط، فليدِّم على ذلك، وليتكلف التَّقَرُّبِ بالأذكار والأعمال على الدَّوام، فعساه أن يحظى بحال القرب (٨).

وراء هذا القرب الباطن أمرٌ آخر أيضًا: وهو شيءٌ لا يعبر عنه بأحسن من عبارة أقرب الخلق إلى الله رسول الله ﷺ (٩) عن هذا المعنى؛ حيث يقول حاكياً عن ربِّه تبارك وتعالى: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِراعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» (١٠)؛ فيجد هذا المحبُّ في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقاً حقيقياً.

(١) جملة (من حبيبه): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) في «غ»: (سره).

(٣) في المنار: (مقام).

(٤) في «غ»: (وروحه).

(٥) في «غ»: (مقام).

(٦) في «غ»: (والوجود).

(٧) في «غ»: (تكليف).

(٨) في «غ» والمنار: (التقرب).

(٩) جملة (رسول الله ﷺ): غير موجودة في «غ» والمنار.

(١٠) رواه مسلم في «الذِّكْر والدعاء والتوبة والاستغفار»، باب: فضل الذِّكْر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٢٦٨٧)، ورواه البخاري بلفظ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي...» في كتاب «التوحيد»، باب: قول الله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٧٤٠٥).

فذكر من مراتب القرب ثلاثة، ونبّه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالشبر، وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعاً، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعاً، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولةً، وهاهنا تنتهي الحديث، منبهاً على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه، فإمّا أن يكون قد (١) أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء، أو لأنّه يدخل في الجزاء الذي لم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، أو إحالة له على المراتب المتقدمة، فكأنّه قيل له: وقس على هذا؛ فعلى قدر ما تبذل منك متقرباً إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه، وعلى هذا فلازم هذا التقرب المذكور في مراتبه؛ أي من تقرب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه، وإرادته وأقواله وأعماله تقرب الرب منه سبحانه بنفسه في مقابلة تقرب عبده إليه.

وليس القرب في هذه المراتب كلّها قرب مسافة حسية ولا مماسية، بل هو قرب حقيقي، والرب تعالى فوق سمواته على عرشه، والعبد في الأرض.

وهذا الموضع هو سر السلوك، وحقيقة العبودية، وهو معنى الوصول الذي يدندن حوله القوم. وملاك هذا الأمر: هو قصد التقرب أولاً، ثم التقرب ثانياً، ثم حال القرب ثالثاً، وهو الانبعاث بالكلية إلى الحبيب.

وحقيقة هذا الانبعاث: أن تفنى بمراده عن هواك، وبما منه عن حظك، بل يصير ذلك هو مجموع حظك ومرادك، وقد عرفت أنّ من تقرب إلى حبيبه بشيء من الأشياء جوزي على ذلك بقرب هو أضعافه، وعرفت أنّ أعلى أنواع التقرب تقرب العبد بجملته بظاهره وباطنه، وبوجوده إلى حبيبه، فمن فعل ذلك فقد تقرب بكله، ولم تبق (٢) منه بقية لغير حبيبه، كما قيل:

لَا كَانَ مَنْ لِسَوَاكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ يَجِدُ السَّبِيلَ بِهَا إِلَيْهِ الْعُذْلُ

وإذا كان المتقرب إليه بالأعمال يعطى أضعاف أضعاف ما تقرب به، فما الظن بمن أعطي حال التقرب وذوقه ووجده؟ فما الظن بمن تقرب إليه بروحه، وجميع إرادته وهيمته، وأقواله وأعماله؟ وعلى هذا؛ فكما جاد لحبيبه بنفسه، فإنه أهّل أن يجاد عليه، بأن يكون ربه سبحانه هو حظّه ونصيبه، عوضاً عن كل شيء، جزاءً وفاقاً، فإنّ الجزاء من جنس العمل، وشواهد هذا كثيرة.

(١) كلمة (قد): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) «غ»: (بيق).

- منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ففرق بين الجزاءين كما ترى، وجعل جزاء المتوكل عليه كونه سبحانه حسبه وكافيه (١).

- ومنها: أن الشهيد لما بذل حياته لله أعاضه الله سبحانه حياةً أكمل منها عنده في محلّ قربه وكرامته.

- ومنها: أن من بذل لله شيئاً أعاضه الله خيراً منه.

- ومنها: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ۖ ﴿٢﴾ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۗ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

- ومنها: قوله في الحديث القدسي (٣): «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ» (٤).

- ومنها: قوله: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا...» الحديث.

فالعبد لا يزال رابحاً على ربّه أفضل ممّا قدّم له، وهذا المتقرّب بقلبه وروحه وعمله يفتح عليه ربّه بحياة (٥) لا تشبه ما الناس فيه من أنواع الحياة، بل حياة من ليس كذلك بالنسبة إلى حياته، كحياة الجنين في بطن أمّه بالنسبة إلى حياة أهل الدنيا ولذتهم فيها، بل أعظم من ذلك. فهذا نموذج (٦) من بيان شرف هذه الحياة وفضلها، وإن كان علم هذا يوجب لصاحبه حياةً طيبةً، فكيف إن انصبغ القلب به، وصار حالاً ملازماً لذاته؟! فالله المستعان.

فهذه الحياة هي حياة الدنيا ونعيمها في الحقيقة، فمن فقدتها فقدته لحياته الطبيعية أولى به.

هَذِي حَيَاةُ الْفَتَىٰ فَإِنْ فُقِدَتْ فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَلْيَقُ بِهِ

فلا عيش إلا عيش المحبّين، الذين قرّت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه، وتنعّموا بحبّه، ففي القلب فاقةٌ لا يسدها إلا محبة الله والإقبال عليه والإنابة إليه، ولا يلمّ شعته بغير ذلك ألبتّة، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها همومٌ وغمومٌ وآلامٌ وحسراتٌ، فإنّه إن كان ذا همّةٍ عالية (٧) تقطّعت نفسه على الدنيا حسراتٍ، فإنّ همّته لا ترضى فيها

(١) كلمة (وكافيه): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: لم يذكر من الآية إلا قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

(٣) كلمة (في الحديث القدسي): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) تقدم تخريجه (٢/١٢٦).

(٥) كلمة (ربه): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٦) في «غ» والمنار: (أنموذج).

(٧) كلمة (عالية).

بالذون، وإن كان مهيناً خسيساً فعيشه كعيش أحسن الحيوانات، فلا تقرُّ العيون إلا بمحبة الحبيب الأول.

نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى
وَخَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

فصل

- المرتبة التاسعة من مراتب الحياة: حياة الأرواح بعد مفارقتها الأبدان وخلصها من هذا السَّجن وضيقة: فإن من ورائه فضاءً وروحاً وريحاناً وراحةً، نسبة هذه الدار إليه كنسبة بطن الأم إلى هذه الدار، أو أدنى من ذلك.

قال بعض العارفين: «لِتَكُنْ مُبَادِرَتَكَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا كَمُبَادِرَتِكَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ السَّجْنِ الضَّيِّقِ إِلَى أَحَبَّتِكَ، وَالْاجْتِمَاعِ بِهِمْ فِي الْبَسَاتِينِ الْمُؤَنِقَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ^(١): ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].»

ويكفي في طيب هذه الحياة مرافقة الرفيق الأعلى، ومفارقة الرفيق المؤذي المنكد، الذي تنغص رؤيته ومشاهدته الحياة^(٢)، فضلاً عن مخالطته وعشرته إلى الرفيق الأعلى الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً^(٣)، في جوار الربِّ الرحمن الرحيم.

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَأَسْرَفُوا
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
مِنْهَا أَمَانٌ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ
وَفِرَاقٌ كُلُّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصَفُ

ولو لم يكن في الموت من الخير إلا أنه باب الدخول إلى هذه الحياة، وجسرٌ يُعبَرُ منه إليها لكفى به تحفةً للمؤمن.

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
أَبْرُبْنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَلْطَفُ

(١) جملة (في هذه الحياة): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (الذي تنغص الحياة رؤيته ومشاهدته).

(٣) كلمة (وحسن أولئك رفيقاً): غير موجودة في «غ» والمنار.

يُعَجَّلُ تَخْلِيصَ النَّفْسِ مِنَ الْأَذَى وَيُذْنِي إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

فالاجتهاد في هذا العمر القصير، والمدة القليلة، والسعي والكدح، وتحمل الأثقال، والتعب والمشقة إنما هو لهذه الحياة، والعلوم والأعمال وسيلة إليها، وهي يقظة، وما قبلها من الحياة نوم، وهي عين وما قبلها أثر، وهي حياة جامعة بين فقد المكروه، وحصول المحبوب في مقام الأنس، وحضرة القدس، حيث لا يتعدّر مطلوب، ولا يفقد محبوب؛ حيث الطمأنينة والراحة، والبهجة والشور، حيث لا عبارة للبعد عن حقيقة كنهها؛ لأنها في بلد لا عهد لنا به، ولا إلف بيننا وبين ساكنه، فالنفس لإلفها لهذا السجن الضيق التكد زماناً طويلاً تكره الانتقال منه إلى ذلك البلد، وتستوحش إذا استشعرت مفارقتها.

وحصول العلم بهذه الحياة إنما وصل إلينا بخبر إلهي على يد أكمل الخلق وأعلمهم وأنصحهم ﷺ، فقامت شواهدنا في قلوب أهل الإيمان، حتى صارت لهم بمنزلة العيان، ففرت نفوسهم من هذا الظل الزائل، والخيال المضمحل، والعيش الفاني المشوب بالتغصيص وأنواع الغصص، رغبة عن هذه الحياة، وشوقاً إلى ذلك الملكوت، ووجدًا بهذا الشور، وطرباً على هذا الحد، واشتياقاً لهذا النسيم الوارد من محلّ النعيم المقيم.

ولعمر الله إن من سافر إلى بلد العدل والخصب والأمن^(١) والشور صبر في طريقه على كل مشقة وإعوازٍ وجدي، وفارق المتخلفين أحوج ما كان إليهم، وأجاب المنادي إذا نادى به: حيّ على الفلاح، وبذل نفسه في الوصول بذل المحبّ بالرّضا السّماح، وواصل السير بالغدو والرّواح، فحمد عند الوصول مسراه، وإنما يحمد المسافر الشري عند الصّباح.

عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ وَفِي الْمَمَاتِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ اللَّقَا

وما هذا والله بالصّعب ولا بالشّديد، مع هذا العمر القصير، الذي هو بالنسبة إلى تلك الدار

كساعةٍ من نهارٍ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ بَلَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّو بَلَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ بَلَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَنَا بِسَاعَةٍ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [١١٣] ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ [١١٣] ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا

قَلِيلًا لَّوْ أَن كُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١١٤] [المؤمنون: ١١٢ - ١١٤].

(١) كلمة (الأمن): غير موجودة في «ع».

فلو أن أحدنا يجزُّ على وجهه يتّقي به الشُّوك والحجارة إلى هذه الحياة لم يكن ذلك كثيرًا ولا غبنًا في جنب ما يوقاه.

فوا حسرتاه على بصيرةٍ شاهدت هاتين الحياتين على ما هما عليه، وعلى همّةٍ تؤثر الأذنَى على الأعلى، وما ذاك إلا بتوفيق من أزمّة الأمور بيديه، ومنه ابتداء كلِّ شيءٍ وانتهاؤه إليه، أقعد نفوس من غلبت عليهم الشَّقَاوة عن السَّفَر إلى هذه الدَّار، وجذب قلوب من سبقت لهم منه الحسنَى، وأقامهم في الطَّرِيق، وسَهَّل عليهم ركوب الأخطار، فأضاع أولئك مراحل أعمارهم مع المتخلفين، وقطع هؤلاء مراحل أعمارهم مع السَّائرين، وعقدت الغبرة وثار العجاج، فتوارى عنه السَّائرون والمتخلفون، وسينجلي عن قريب، فيفوز العاملون، ويخسر المبطلون.

ومن طيب هذه الحياة ولذتها قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى الرَّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَهُ»^(١) يعني: ليقتل فيه مرّةً أخرى.

«وَسَمِعَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ:

وَهُوَ مَا يَقُولُهُ الْفَلَسَفِيُّ	إِنَّمَا الْعَيْشُ فِي بَهِيمِيَةِ اللَّذَّةِ
فِي حِسَاها الْبَلِيدُ وَالْأَلْمَعِيُّ	حُكْمُ كَأْسِ الْمُنُونِ أَنْ يَسَاوَى
كَمَا صَارَ تَحْتَهَا اللَّوْدَعِيُّ	وَيَصِيرُ الْعَبِيُّ تَحْتَ نَرَى الْأَرْضِ
كَ وَالشُّبْهَةَ السُّوَالَ الْجَلِيَّ	فَسَلِ الْأَرْضَ عَنْهُمَا إِنْ أزالَ الشُّكُّ

فقال: قاتله الله، ما أشد معاندته للدين والعقل! هذا نفس عدو الفطرة والشريعة والعقل والإيمان والحكمة، يا مسكين! أمن أجل أن^(٢) الموت تساوى فيه الصالح والطالح، والعالم والجاهل، وصاروا جميعاً^(٣) تحت أطباق^(٤) الثرى، أيجب^(٥) أن يتساووا في العاقبة؟! أما تساوى قومٌ سافروا من بلد إلى بلد في الطريق؟ فلما بلغوا القصد نزل كل واحد في مكانٍ كان معداً له، وتلقي بغير ما تلقي به رفيقه في الطريق؟!!

(١) رواه البخاري في الجهاد، باب: الحور العين وصفتهن (٢٧٩٥) (٢٨١٧)، ومسلم في الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (١٨٧٧)، واللفظ لمسلم.

(٢) كلمة (أن): ساقطة من المنار.

(٣) كلمة (جميعاً): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) كلمة (أطباق): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) في «غ» والمنار: (يجب).

أما لكل قوم دارٌّ فأجلس كل واحدٍ منهم حيث يليق به؟ وقوبل هذا بشيءٍ، وهذا بضده؟!
أما قدم على الملك من جاءه بما يحبه فأكرمه عليه، ومن جاءه بما يسخطه فعاقبه عليه؟!
أما قدم ركب المدينة فنزل بعضهم في قصورها وبساتينها وأماكنها الفاضلة، ونزل قومٌ على
قوارع الطريق بين الكلاب؟!!

أما قدم اثنان من بطن الأم الواحدة^(١)، فصار هذا إلى الملك، وهذا إلى الأسر والعناء؟
وَقَوْلُكَ «سَلِ الْأَرْضِ عَنْهُمَا» أما إننا قد سألناها، فأخبرتنا أنها قد ضمت أجسادهم وجثثهم
وأوصالهم، لا كفرهم وإيمانهم، ولا أنسابهم وأحسابهم، ولا حلمهم وسفههم، ولا طاعتهم
ومعصيتهم، ولا يقينهم وشكهم، ولا توحيدهم وشركهم، ولا جورهم وعدلهم، ولا علمهم وجهلهم،
فأخبرتنا عن هذه الجثث البالية والأبدان المتلاشية، والأوصال المتمزقة^(٢)، وقالت هذا خبر
ما عندي.

وأما خبر تلك الأرواح وما صارت إليه، فسلوا عنها كتب رب العالمين، ورسله الصادقين،
وخلفاءهم الوارثين، سلوا القرآن فعنده الخبر اليقين، وسلوا من جاء به فهو بذلك أعرف العارفين،
وسلوا العلم والإيمان فهما الشاهدان المقبولان، وسلوا العقول والفطر فعندها حقيقة الخبر:
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ﴾ [الغائية: ٢١]، تعالى الله أحكم الحاكمين عن هذا الظنِّ والحسبان، الذي لا يليق إلا
بأجهل الجاهلين!.

ثم قال: «الناظر في هذا الباب رجلان: رجلٌ ينظر إلى الأشياء، ورجلٌ ينظر في الأشياء.
فالأول: يحار فيها، فإن صورها وأشكالها وتخاطيها تستفرغ ذهنه وحسه، وتبدد فكره وقلبه،
فنظره إليها بعين حسه لا يفيد منه ثمرة الاعتبار، ولا زبدة الاختبار^(٣)؛ لأنه لما فقد الاعتبار أولاً،
فإنه فقد الاختيار ثانياً.

وأما الناظر في الأشياء: فإن نظره يبعثه على العبور من صورها إلى حقائقها والمراد بها، وما
اقتضى وجودها من الحكمة البالغة والعلم التام، يفيد هذا النظر تمييز مراتبها، ومعرفة نافعها من
ضارها، وصحيحها من سقيمها، وباقيها من فانيها، وقشرها من لبها، ويميز بين الوسيلة والغاية، وبين

(١) كلمة (الواحدة): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (والأوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة).

(٣) في «غ» والمنار: (الاختيار).

وسيلة الشيء ووسيلة ضده، فيعرف^(١) حينئذ أن الدنيا قشره والآخرة لبه، وأن الدنيا محل الزرع، والآخرة وقت الحصاد، وأن الدنيا معبرٌ وممرٌ، والآخرة دار^(٢) مستقر.

وإذا عرف أن الدنيا طريقٌ وممرٌ كان حرياً بتهيئة الزاد لقراره، ويعلم حينئذ أنه لم ينشأ في هذه الدار للاستيطان والخلود، ولكن للجواز إلى مكانٍ آخر، هو المنزل والتمتُّ، وأن الإنسان دعي إلى ذلك بكلِّ شريعةٍ، وعلى لسان كلِّ نبيٍّ، وبكلِّ إشارةٍ ودليلٍ، ونصب له على ذلك علمٌ، وضرب لأجله كلِّ مثلٍ، ونبه عليه بنشأته الأولى ومبادئه، وسائر أحواله، وأحوال طعامه وشرابه، وأرضه وسمائه، بحيث أزيلت عنه الشبهة، وأوضحت له المحجَّة، وأقيمت عليه الحجَّة، وأعذر إليه غاية الإعذار، وأمهل أتمَّ الإمهال، فاستبان لذي العقل الصَّحيح والفطرة السَّليمة أن الظَّن عن هذا المكان ضروريٌّ، والانتقال عنه حقٌّ لا مرية فيه، وأنَّ له محلاً آخر له قد^(٣) أنشئ ولأجله قد خلق وله هيمٌ، فمسيره إليه، وقدمه بلا ريبٍ عليه، وأنَّ داره هذه منزل عبورٍ، لا منزل قرارٍ.

وبالجملة: من نظر في الموجودات، ولم يقنع بمجرد النَّظر إليها وحدها؛ وجدها دالةً على أن وراء هذه الحياة حياةً أخرى أكمل منها، وأنَّ^(٤) هذه الحياة بالنسبة إليها كالمنام بالنسبة إلى اليقظة، وكالظِّل بالنسبة إلى الشَّخص، وسمعتها كلها تنادي بما نادى به ربُّها وخالقها وفاطرها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَكُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وتنادي بلسان الحال، بما نادى به ربُّها بصريح المقال: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ [الكهف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا نَائِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرِيَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [٢٥]. ثمَّ ندبهم إلى المسابقة إلى الدار الآخرة الباقية التي لا زوال لها؛ فقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ

(١) في «غ» والمنار: (فعرِف).

(٢) كلمة (دار): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) كلمة (قد): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) كلمة (أن): غير موجودة في «غ» والمنار.

فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ ﴿الحديد: ٤٠، ٤١﴾.

«وَسَمِعَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ عَنْ بَعْضِ الزَّنَادِقَةِ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الرَّازِي الْمُنْتَبِئُ:

لَعَمْرِي مَا أَدْرِي وَقَدْ أَدِنَ الْبَلَى
بِعَاجِلِ تَرْحَالِي إِلَى أَيْنَ تَرْحَالِي
وَأَيْنَ مَحَلَّ الرُّوحِ بَعْدَ خُرُوجِهِ
عَنِ الْهَيْكَلِ الْمُنْحَلِّ وَالْجَسَدِ الْبَالِي

فَقَالَ: وَمَا عَلَيْنَا مِنْ جَهْلِهِ، إِذَا لَمْ يَدْرِ أَيْنَ تَرْحَالُهُ؟ وَلَكِنَّا نَدْرِي إِلَى أَيْنَ تَرْحَالْنَا وَتَرْحَالُهُ، أَمَّا تَرْحَالُهُ فِإِلَى دَارِ الْأَشْقِيَاءِ، وَمَحَلَّ الْمُنْكَرِينَ لِقُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، وَالْمُكَدِّبِينَ بِمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْمُرْسَلِينَ عَنْ رَبِّهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٥﴾ [الرعد: ٥].

﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿قُلْ يَتُوبَكُم مَّا كَفَرْتُمْ أَلَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ [السجدة: ١٠ - ١٢].

وأما ترحالنا أيها المسلمون المصدقون بقاء ربهم وكتبه ورسله فإلى نعيم دائم، وخلود متصل، ومقام كريم، وجنة عرضها السموات والأرض في جوار رب العالمين، وأرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين، الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، الأول بالحق، الموجود بالضرورة، المعروف بالفطرة، الذي أقرت به العقول، ودلت عليه الموجودات، وشهدت بوحدانيته وربوبيته جميع المخلوقات، وأقرت بها الفطر، المشهود وجوده وقيوميته بكل حركة وسكون، بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون، الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأنبثنا به حقائق ذات بهجة من أنواع النباتات، وبث به^(١) في الأرض جميع الحيوانات: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء، ويفرج الكربات، ويقبل العثرات، الذي يهدي خلقه في ظلمات البر والبحر، ويرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، فيحيي الأرض بوابل القطر، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ويرزق من في السموات والأرض من^(٢) خلقه وعبده، الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبر الأمر: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِمْ وَلَا يُجَارِعُهُ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

(١) كلمة (به): غير موجودة في «غ».

(٢) كلمة (من): ساقطة من «غ» والمنار.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ

نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ٢].

المستعان به على كل نائية وفادحة، والمعهود منه كل بر وكرامية، الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، وسبحت بحمده الأرض والسَّموات وجميع الموجودات.

الذي لا تسكن الأرواح إلا بحبّه، ولا تطمئنُّ القلوب إلا بذكره، ولا تزكو العقول إلا بمعرفته، ولا يدرك النجاح إلا بتوفيقه، ولا تحيا القلوب إلا بنسيم لطفه وقربه، ولا يقع أمرٌ إلا بإذنه، ولا يهتدي ضالٌّ إلا بهدأته، ولا يستقيم ذو أودٍ^(١) إلا بتقويمه، ولا يفهم أحدٌ إلا بتفهيمه، ولا يُتخلص من مكروهٍ إلا برحمته، ولا يحفظ شيءٌ إلا بكلاءته، ولا يفتح أمرٌ إلا باسمه، ولا يتمُّ إلا بحمده، ولا يدرك مأمولٌ إلا بتيسيره، ولا تنال سعادةٌ إلا بطاعته، ولا حياةٌ إلا بذكره ومحبته ومعرفته، ولا طابت الجنةُ إلا بسماع خطابه ورؤيته، الذي وسع كل شيءٍ رحمةً وعلماً، وأوسع كل مخلوقٍ فضلاً وبراً.

فهو الإله الحقُّ، والرَّبُّ الحقُّ، والملك الحقُّ، والمنفرد بالكمال المطلق من كل الوجوه، المبرأ عن النقائص والعيوب من كل الوجوه، لا يبلغ المشنون وإن استوعبوا جميع الأوقات بكل أنواع الثناء ثناءً عليه، بل ثناؤه أعظم من ذلك، فهو كما أثنى على نفسه، هذا الجار.

وأما الدَّار: فلا تعلم نفسٌ حسنها وبهاها، وسعتها ونعيمها، وبهجتها وروحها وراحتها، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذُّ الأعين، فهي الجامعة لجميع أنواع الأفراح والمسرات، الخالية من جميع المنكِّدات والمنغصات، ريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، وزوجةٌ حسناء، وفاكهةٌ نضيجةٌ.

فترحلتنا أيُّها الصَّادقون^(٢) المصدِّقون إلى هذه الدَّار يا ذن ربنا وتوفيقه وإحسانه.

وترحال الكاذبين^(٣) المكذِّبين إلى الدَّار التي أعدت لمن كفر بالله ولقائه وكتبه ورسله.

ولن يجمع الله بين الموحدِّين له الطالبين لمرضاته، السَّاعين في طاعته، الدَّائنين في خدمته، المجاهدين في سبيله، وبين الملحدين السَّاعين في مسأخطه، الدَّائنين في معصيته، المستفرغين جهدهم في أهوائهم وشهواتهم؛ في دارٍ واحدةٍ، إلا على سبيل^(٤) الجواز والعبور، كما جمع بينهما في هذه الدُّنيا، ويجمع بينهم في موقف القيامة، فحاشاه من هذا الظنِّ السيِّء الذي لا يليق بكمالهِ وحكمته!.

(١) الأود: هو الاعوجاج.

(٢) كلمة (الصادقون): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) كلمة (الكاذبين): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) في «غ» والمنار: (إلا على وجه).

فصل

وفي هذه المرتبة تعلم حياة الشهداء، وأنهم عند ربهم يرزقون، وأنها أكمل من حياتهم في هذه الدنيا، وأتم وأطيب، وإن كانت أجسادهم متلاشية، ولحومهم متمزقة، وأوصالهم متفرقة، وعظامهم نخرة^(١)، فليس العمل على الطلل^(٢) إنما الشأن في الساكن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. وإذا كان الشهداء إنما نالوا هذه الحياة بمتابعة الرسل وعلى أيديهم، فما الظن بحياة الرسل في

البرزخ!؟

ولقد أحسن القائل ما شاء^(٣):

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيْالٌ سَارِي^(٤)

فللرسل والشهداء والصديقين من هذه الحياة التي هي يقظة من نوم الدنيا أكملها وأتمها، وعلى قدر حياة العبد في هذا العالم يكون شوقه إلى هذه الحياة، وسعيه وحرصه على الظفر بها، والله المستعان.

فصل

المرتبة العاشرة من مراتب الحياة

الحياة الدائمة الباقية بعد طي هذا العالم، وذهاب الدنيا وأهلها في دار الحيوان: وهي الحياة التي شمّر إليها المشمرون، وسابق إليها المتسابقون، ونافس فيها المتنافسون، وهي التي أجرينها الكلام

(١) جملة (وعظامهم نخرة): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) الطلل: ما شخص من الديار. «تهذيب اللغة» (٢٩٥/١٣).

(٣) كلمة (ما شاء): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) البيت من قصيدة أبي الحسن التهامي يرثي فيها ابنه. «جواهر الأدب» (٦١٦/٢).

إليها، ونادت الكتب السماوية ورسول الله جميعهم عليها، وهي التي يقول من فاته الاستعداد لها: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٦١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٦٢﴾ وَجِئْنَا بِبُحْبُوحِهِمْ يَوْمَئِذٍ بِذِكْرِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٦٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٦٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٦٥﴾ وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الفجر: ٦١ - ٦٦]. وهي التي قال الله ﷻ فيها: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والحياة المتقدمة كالنوم بالنسبة إليها، وكل ما تقدّم من وصف السير ومنزله، وأحوال السائرين، وعبوديتهم الظاهرة والباطنة فوسيلة إلى هذه الحياة، وإنما الحياة الدنيا بالنسبة إليها، كما قال النبي ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يُدْخِلُ أَحَدُكُمْ إِبْصَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟!»^(١). وكما قيل: تنفست الآخرة فكانت الدنيا نفساً من أنفاسها، فأصاب أهل السعادة نفس نعيمها، فهم على هذا النفس يعملون، وأصاب أهل الشقاوة نفس عذابها، فهم على ذلك النفس يعملون. وإذا كانت حياة أهل الإيمان والعمل الصالح في هذه الدار حياةً طيبةً، فما الظنُّ بحياتهم في البرزخ، وقد تخلصوا من سجن الدنيا وضيقها؟ فما الظنُّ بحياتهم في دار النعيم المقيم الذي لا يزول، وهم يرون وجه ربهم تبارك وتعالى بكرةً وعشيّاً ويسمعون خطابه؟

فإن قلت: ما سبب تخلف النفس عن طلب هذه الحياة التي لا خطر لها، وما الذي^(٢) زهدنا فيها؟ وما سبب رغبتها في الحياة الفانية المضمحلة، التي هي كالخيال والمنام؟ أفسادٌ في تصوّرها وشعورها؟ أم تكذيبٌ بتلك الحياة؟ أم لآفةٍ في العقل، وعمى هناك؟ أم إثارةٌ للحاضر المشهود بالعيان على الغائب المعلوم بالإيمان؟

قيل: بل ذلك لمجموع أمورٍ مركبةٍ من ذلك كله^(٣).

وأقوى الأسباب في ذلك: ضعف الإيمان؛ فإن الإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها، والأمر بأحسنها، والنهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، واثمار صاحبه وانتهاؤه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَسْمَأِيَا مُرْكُم بِهِ يَمْنُكُم إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣]. وبالجملة: فإذا قوي الإيمان قوي الشوق إلى هذه الحياة، واشتد طلب صاحبه لها.

السبب الثاني: جثوم الغفلة على القلب: فإن الغفلة نوم القلب؛ ولهذا تجد كثيراً من الأيقاظ في الحسّ نيماً في الواقع^(٤)، فتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ، ضدّ حال من يكون يقظان القلب وهو نائمٌ، فإن

(١) تقدم تخريجه (٣/٣١٧).

(٢) جملة (ما الذي): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ»: (قيل: بل مجموع ذلك لأمر مركبة من ذلك كله).

(٤) جملة (في الواقع): ساقطة من «غ» والمنار.

القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن، وكمال هذه الحياة كان لنبينا ﷺ، ولمن أحيا الله قلبه بمحبته وأتباع رسالته (١) على بصيرة (٢) من ذلك بحسب نصيبه منهما.

فالغفلة واليقظة يكونان في الحسّ والعقل والقلب، فمستيقظ القلب وغافله كمستيقظ البدن ونائمه، وكما أنّ يقظة الحسّ على نوعين، فكذلك يقظة القلب على نوعين.

﴿فالتَّوَعُّدُ الْأَوَّلُ مِنَ يَقِظَةِ الْحَسِّ: أَنَّ صَاحِبَهَا يَنْفِذُ فِي الْأُمُورِ الْحَسِّيَّةِ، وَتَوَعُّلٌ فِيهَا بِكَسْبِهِ وَفَطَانَتِهِ، وَاحْتِيَالِهِ وَحَسَنِ تَأْتِيهِ.﴾

﴿والتَّوَعُّدُ الثَّانِي: أَنْ يَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَذَاتِهِ، فَيَعْتَنِي (٣) بِتَحْصِيلِ كَمَالِهِ، فَيَلْحِظُ عَوَالِي الْأُمُورِ وَسَفَسَافِهَا، فَيُؤَثِّرُ الْأَعْلَى عَلَى الْأَدْنَى، وَيَقْدِّمُ (٤) خَيْرَ الْخَيْرِينَ بِتَفْوِيتِ أَدْنَاهُمَا، وَيُرْتَكِبُ أَحْفَ الشَّرِّينَ خَشِيَةَ حَصُولِ (٥) أَقْوَاهُمَا، وَيَتَحَلَّى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الشِّيمِ، فَيَكُونُ ظَاهِرُهُ جَمِيلًا، وَبَاطِنُهُ أَجْمَلُ مِنْ ظَاهِرِهِ، وَسِرِّيَرَتُهُ خَيْرًا مِنْ عِلَانِيَتِهِ، فَيَزَاحِمُ أَصْحَابَ الْمَعَالِي عَلَيْهَا كَمَا يَتَزَاحِمُ أَهْلَ الدِّيْنَارِ وَالدَّرْهَمِ عَلَيْهِمَا، فَهَذِهِ الْيَقِظَةُ يَسْتَعِدُّ لِلنَّوْعَيْنِ الْآخَرَيْنِ مِنْهُمَا.﴾

- أحدهما: يقظة تبعثه على اقتباس الحياة الدائمة الباقية التي لا خطر لها، من هذه الحياة الزائلة الفانية التي لا قيمة لها.

فإن قلت: مثل لي كيف تقتبس الحياة الدائمة من الحياة الفانية؟ وكيف يكون هذا؟ فأني لا أفهمه.

قلت: وهذا أيضًا من نوم القلب بل من موته، وهل تقتبس الحياة الدائمة إلا من هذه الحياة الزائلة؟ وأنت قد تشعل سراجك من سراج آخر قد أشفى على الانطفاء، فيتقد الثاني ويضيء غاية الإضاءة، ويتصل ضوءه وينطفئ الأول، والمقتبس لحياته الدائمة من حياته المنقطعة إنما ينتقل من دارٍ منقطعة إلى دارٍ باقية، وقد توسط الموت بين الدارين، فهو قنطرة لا يعبر إلى تلك الدار إلا عليها، وباب لا يدخل إليها إلا منه، فهما حياتان في دارين بينهما موت، وكما أنّ نور تلك الدار مقتبس من نور هذه الدار، فحياتها كذلك مقتبسة من حياتها، فعلى قدر نور الإيمان في هذه الدار يكون نور العبد في تلك الدار، وعلى قدر حياته في هذه الدار تكون حياته هناك.

(١) في «غ» والمنار: (رسوله).

(٢) جملة (على بصيرة): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (فيتعنى).

(٤) كلمة (يقدم): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٥) في «غ» والمنار: (من حصول).

نعم؛ هذا النور والحياة الذي يقتبس منه ذلك النور والحياة لا ينقطع، بل يضيء^(١) للعبد في البرزخ وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، فلا يفارقه إلى دار الحيوان، يطفأ نور الشمس وهذا النور لا يطفأ، وتبطل الحياة المحسوسة وهذه الحياة لا تبطل، هذا أحد نوعي يقظة القلب.

- النوع الثاني: يقظة تبعث على حياة، لا تدرکہا العبارة، ولا ينالها التوهم، ولا يطابق فيها اللفظ لمعناه ألبتة.

والذي يشار به إليها حياة المحب مع حبيبه الذي لا قوام لقلبه وروحه وحياته إلا به ولا غنى له عنه طرفة عين، ولا قرّة لعينه، ولا طمأنينة لقلبه، ولا سكون لروحه إلا به، فهو أحوج إليه من سمعه وبصره وقوته، بل ومن حياته، فإن حياته بدون عذاب وآلام، وهموم وأحزان، فحياته موقوفة على قربه وحبّه ومصاحبته، وعذاب حجابها عنه أعظم من العذاب الآخر، كما أن نعيم القلب والرّوح بإزالة ذلك الحجاب أعظم من النّعيم بالأكل والشّرب، والتمتّع بالحدود العينية؛ فهكذا عذاب الحجاب أعظم من عذاب الجحيم؛ ولهذا جمع الله سبحانه لأوليائه بين النّعيمين في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِي وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسن إلى الجنّة، والرّيادة رؤية وجهه الكريم في جنّات عدن، وجمع لأعدائه بين العذابين في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين: ١٥، ١٦].

والمقصود: أن الغفلة هي نوم القلب عن طلب هذه الحياة، وهي حجاب عليه؛ فإن كشف هذا الحجاب بالذكر^(٢) وإلا تكاثف حتّى يصير حجاب بطالة ولعب واشتغال بما لا يفيد، فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتّى يصير حجاب معاصي وذنوبٍ صغارٍ تبعده عن الله، فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتّى يصير حجاب كبائرٍ توجب مقت الرّبّ تعالى له وغضبه ولعنته؛ فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتّى صار حجاب بدعٍ عمليّةٍ يعدّب العامل فيها نفسه، ولا تجدي عليه شيئاً، فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتّى صار حجاب بدعٍ قوليّةٍ اعتقاديّةٍ؛ تتضمن الكذب على الله ورسوله، والتكذيب بالحقّ الذي جاء به الرّسول، فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتّى صار حجاب شكّ وتكذيبٍ؛ يقدح في أصول الإيمان الخمسة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله ولقائه، فلغلظ حجابها وكثافتها وظلمته وسواده لا يرى حقائق الإيمان، ويتمكّن منه الشيطان، يعده ويمنيّه.

والنفس الأمّارة بالسوء تهوى وتشتهي، وسلطان الطبع قد ظفر بسلطان الإيمان، فأسره وسجنه إن لم يهلكه، وتولّى تدبير المملكة واستخدام جنود الشّهوات، وأقطعها العوائد التي جرى عليها

(١) في «غ» والمنار: (يصل).

(٢) كلمة (بالذكر): ساقطة من «غ» والمنار.

العمل، وأغلق باب اليقظة، وأقام عليه بواب الغفلة، وقال: إِيَّاكَ أَنْ نُوْتِي^(١) مِنْ قِبَلِكَ، وَاتَّخَذَ حَاجِبًا مِنَ الْهُوَى، وَقَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تَمَكَّنَ أَحَدًا يَدْخُلُ عَلَيَّ إِلَّا مَعَكَ، فَأَمْرُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ قَدْ صَارَ إِلَيْكَ وَإِلَى الْبَوَابِ، فَيَا بَوَابَ الْغَفْلَةِ، وَيَا حِجَابَ الْهُوَى لِيَلْزِمَ كُلُّ مَنْكَمَا ثَغْرَهُ، فَإِنْ أَخْلَيْتَمَا فَسَدَ أَمْرُ مَمْلَكَتِنَا، وَعَادَتِ الدَّوْلَةُ لغيرنا، وسامنا سلطان الإيمان شرَّ الخزي والهوان، ولا نفرح بهذه المدينة أبدًا.

فلا إله إلا الله! إذا اجتمعت على القلب هذه العساكر مع رقة الإيمان وقلة الأعوان، والإعراض عن ذكر الرحمن، والانخراط في سلك أبناء الزمان، وطول الأمل المفسد للإنسان أن آثر العاجل الحاضر على الغائب الموعود به بعد طي هذه الأكوام، فالله المستعان وعليه التكلان.

فهذا فصلٌ مختصرٌ نافعٌ في ذكر الحياة وأنواعها، والتشويق إلى أشرفها وأطيبها، فمن صادف من^(٢) قلبه حياةً انتفع به، وإلا فخود^(٣) تزفُّ إلى ضريرٍ مقعِدٍ.

فلنرجع إلى شرح كلام صاحب «المنازل».

قال: «وَلَهَا ثَلَاثَةٌ أَنْفَاسٍ: نَفْسُ الْخَوْفِ، وَنَفْسُ الرَّجَاءِ، وَنَفْسُ الْمَحَبَّةِ».

لَمَّا كَانَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ مَتَنَفِّسًا، فَإِنَّ النَّفْسَ مُوجِبَ الْحَيَاةِ وَعَلَامَتَهَا، كَانَتْ أَنْفَاسُ الْحَيَاةِ الْمَشَارِ إِلَىهَا ثَلَاثَةً أَنْفَاسٍ:

- نفس الخوف^(٤): ومصدره: مطالعة الوعيد، وما أعدَّ الله لمن آثر الدنيا على الآخرة، والمخلوق على الخالق، والهوى على الهدى، والغى على الرشاد.

- ونفس الرجاء^(٥): ومصدره: مطالعة الوعد، وحسن الظنِّ بالرَّبِّ تعالى، وما الله أعدَّ لمن آثر الله ورسوله والدار الآخرة، وحكم الهدى على الهوى، والوحي على الآراء، والسنة على البدعة، وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه على عوائد الخلق.

- ونفس بالمحبة: مصدره مطالعة الأسماء والصفات، ومشاهدة النعماء والآلاء.

فإذا ذكر ذنوبه تنفَّس بالخوف، وإذا ذكر رحمة ربِّه وسعة مغفرته وعفوه تنفَّس بالرجاء، وإذا ذكر جماله وجلاله وكماله وإحسانه وإنعامه تنفَّس بالحبِّ.

(١) في المنار: (توتى).

(٢) في «غ» والمنار: (في) بدل (من).

(٣) الخود من النساء: حسنة الخلق «تهذيب اللغة» (٥١٠/٧).

(٤) في «غ» والمنار: (بالخوف).

(٥) في «غ» والمنار: (بالرجاء).

فليزن العبد إيمانه بهذه الأنفاس الثلاثة، ليعلم ما معه من الإيمان، فإن القلوب مفطورةً على حبّ الجمال والإجمال، والله سبحانه جميلٌ، بل له الجمال التأمُّ الكامل من جميع الوجوه؛ جمال الذّات، وجمال الصّفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، وإذا جمع جمال المخلوقات كلّهُ على شخصٍ واحدٍ، ثمّ كانت جميعها على جمال ذلك الشّخص، ثمّ نسب هذا الجمال إلى جمال الرّبّ تبارك وتعالى، كان أقلّ من نسبة سراجٍ ضعيفٍ إلى عين الشمس.

فالنّفس الصّادر عن هذه الملاحظة والمطالعة أشرف أنفاس العبد على الإطلاق، فأين نفس المشتاق المحبّ الصّادق إلى نفس الخائف الرّاجي؟ ولكن لا يحصل له هذا النّفس إلاّ بتحصيل ذينك النّفسين، فإنّ أحدهما ثمرة تركه للمخالفات، والثّاني ثمرة فعله للطّاعات، فمن هذين النّفسين يصل إلى النّفس الثّالث.

فصل

□ قال: «الْحَيَاةُ الثَّانِيَةُ: حَيَاةُ الْجَمْعِ مِنْ مَوْتِ التَّفْرِقَةِ، وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَنْفَاسٍ: نَفْسُ الْإِضْطِرَارِ، وَنَفْسُ الْإِفْتِقَارِ، وَنَفْسُ الْإِفْتِخَارِ».

ومرادُه إن شاء الله بالجمع في هذه الدّرجة: جمع القلب على الله، وجمع الخواطر والعزوم في التّوجّه إليه سبحانه، لا الجمع الّذي هو حضرة الوجود؛ لأنّه قد ذكر حياة هذا الجمع في الدّرجة الثّالثة، وسماها: حياة الوجود.

وإنّما كان جمع القلب على الله والخواطر على السّير إليه حياةً حقيقيّةً؛ لأنّ القلب لا سعادة له، ولا فلاح ولا نعيم، ولا فوز ولا لذّة، ولا قرّة عينٍ إلاّ بأن يكون الله وحده هو غاية طلبه، ونهاية قصده، ووجهه الأعلى هو كلّ بغيته، فالتّفارقة المتضمّنة للإعراض عن التّوجّه إليه، واجتماع القلب عليه هي مرضه إن لم يمت منها.

قال^(١): «وَلِهَذِهِ الْحَيَاةِ ثَلَاثَةُ أَنْفَاسٍ: نَفْسُ الْإِضْطِرَارِ»؛ وذلك لانقطاع أمله ممّا سوى الله، فيضطرّ حينئذٍ بقلبه وروحه ونفسه وبدنه إلى ربّه ضرورةً تامّةً، بحيث يجد في كلّ منبت شعرة منه فاقةً تامّةً إلى ربّه ومعبوده، فهذا النّفس نفسٌ مضطرٌّ إلى ما لا غنى له عنه طرفه عينٍ، وضرورته إليه من جهة

(١) كلمة (قال): غير موجودة في «ع» والمنار.

كونه ربّه، وخالقه وفطره وناصره^(١)، وحافظه ومعينه ورازقه، وهاديه ومعافيه، والقائم بجميع مصالحه، ومن جهة كونه معبوده وإلهه، وحبّيه الذي لا تكمل حياته ولا تنفع إلا بأن يكون هو وحده أحبّ شيء إليه، وأشوق شيء إليه، وهذا الاضطرار هو اضطرار: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والاضطرار الأوّل: اضطرار: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولعمر الله إنّ نفس الافتقار هو هذا النّفس، أو من نوعه، ولكنّ الشّيخ جعلهما نفسين، فجعل نفس الاضطرار بدايةً، ونفس الافتقار توسّطاً، ونفس الافتخار نهايةً، وكأنّ نفس الاضطرار يقطع الخلق من قلبه، ونفس الافتقار يعلّق قلبه برّبّه.

والتّحقيق: أنّه نفسٌ واحدٌ ممتدّد، أوّله انقطاعٌ، وآخره اتّصالٌ.

وأما نفس الافتخار: فهو نتيجة هذين النّفسين؛ لأنّهما إذا صحا للعبد حصل له القرب من ربّه، والأنس به، والفرح به، وبالخلع التي خلعها ربّه^(٢) على قلبه وروحه ممّا لا يقوم لبعضه ممالك الدّنيا بحذافيرها، فحينئذٍ يتنّفّس نفساً آخر، يجد به من التّفريج والتّرويح والرّاحة والانسراح ما يشبّه من بعض الوجوه بنفس من جعل في عنقه حبلٌ ليخنق به حتّى يموت، ثمّ كشف عنه وقد حبس نفسه، فتنفّس نفس من أعيدت عليه حياته، وتخلّص من أسباب الموت.

فإن قلت: ما للعبد والافتخار؟! وأين العبوديّة من نفس الافتخار؟!!

قلت: لا يريد بذلك أنّ العبد يفتخر بذلك، ويختال على بني جنسه، بل هو فرحٌ وسرورٌ لا يمكن دفعه عن نفسه بما فتح عليه ربّه، ومنحه إياه، وخصّه به، وأولى ما فرح به العبد فضل ربّه عليه؛ فإنّه تعالى يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده، ويحبّ الفرح بذلك؛ لأنّه من الشّكر، ومن لا يفرح بنعمة المنعم لا يعدّ شكوراً، فهو افتخارٌ بما هو محض منّة الله ونعمته على عبده، لا افتخار بما من العبد، فهذا هو الذي ينافي العبوديّة لا ذاك.

وهنا^(٣) سرّ لطيفٌ: وهو أنّ هذا النّفس يفخر على أنفاسه التي ليست كذلك، كما تفخر الحياة على الموت، والعلم على الجهل، والسّمع على الصّمم، والبصر على العمى، فيكون الافتخار للنّفس على النّفس، لا للمتنفّس على النّاس، والله أعلم.

(١) كلمة (ناصره): غير موجودة في «غ».

(٢) كلمة (ربه): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (وهاهنا).

فصل

□ قال: «الْحَيَاةُ الثَّلَاثَةُ: حَيَاةُ الْوُجُودِ، وَهِيَ حَيَاةُ بِالْحَقِّ، وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَنْفَاسٍ: نَفْسٌ (١) الْهَيْبَةُ، وَهُوَ يُمِيتُ الْإِعْتِدَالَ، وَنَفْسُ الْوُجُودِ، وَهُوَ يَمْنَعُ الْإِنْفِصَالَ، وَنَفْسُ الْإِنْفِرَادِ، وَهُوَ يُورِثُ الْإِتِّصَالَ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مَلْحَظٌ لِلنَّظَارَةِ، وَلَا طَاقَةٌ لِلْإِشَارَةِ».

هذه المرتبة من الحياة هي حياة الواحد، وهي أكمل من النوعين اللذين قبلها، ووجود العبد لربه هو الذي أشار إليه في الحديث الإلهي بقوله: «فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي» (٢).

والمشار إليه في قوله: «ابْنَ آدَمَ، اظْلُبْنِي تَحْدِنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتَّكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ».

وسياتي في باب الوجود مزيد لهذا إن شاء الله تعالى.
وإنما كانت حياة الوجود أكمل الحياة، لشرفها وكمالها بموجدتها؛ وهو الحقُّ ﷻ، فمن حبي بوجوده فقد فاز بأعلى أنواع الحياة.

فإن قلت: يصعب عليّ فهم معنى الحياة بوجوده.
قلت: لأجل الحجاب الذي ضرب بينك وبين هذه الحياة، فافهم الحياة بوجود الفناء، وبوجود المالك القادر إذا كان معك وناصرك، دون مجرد وجوده ولا معرفة بينك وبينه ألبتة فحقيقة الحياة هي الحياة بالرَّبِّ تعالى، لا الحياة بالنفس والفناء وأسباب العيش.

وقد تفسر «حياة الوجود» بشهود القيومية، حيث لا يرى شيئاً من الأشياء إلا وهو بالله، وهو الذي أقامه، وبحال هذا الشهود، وهو ألا يلتفت بقلبه إلى شيء سوى الله، ولا يخافه ولا يرجوه، بل قد قصر خوفه ورجاءه، وتوكله وإنابته على الحي القيوم (٣)، قيوم الوجود وقيمه وقيامه ومقيمته وحده،

(١) كلمة (نفس): ساقطة من «غ».

(٢) تقدم تخريجه (٣٦/٢).

(٣) كلمة (الحي القيوم): غير موجودة في «غ» والمنار.

فمتى حصل له هذا الشهود وهذا الحال، فقد حصلت له حياة الوجود.
فتارةً يتنفس بالهيبة، وهي سطوة نور الصفات، وذلك عند أول ما يسطع نور الوجود، فيقع القلب في هيبة تستغرق حسه عن الالتفات إلى شيء من عوالم النفس.
وذلك هو الاعتلال الذي يميت النفس الثاني، وهو قوله: «وَنَفْسٌ يُمِيتُ الْإِعْتِلَالَ» فتموت منه علل أعماله، وآثار حظوظه، وشهود إتيته.

قوله: «وَنَفْسٌ الْوُجُودِ».

يريد به: وجود العبد بربه، فيتنفس بهذا الوجود، كما يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي

به.

ولا تصغ إلى غير هذا، فتزل قدم بعد ثبوتها!

قوله: «وَهُوَ يَمْنَعُ الْإِنْفِصَالَ».

الانفصال عند القوم: انقطاع القلب عن الربّ وبقاؤه بنفسه وطبيعته.

و«الإنفصال»: هو بقاؤه بربه، وفناؤه عن أحكام نفسه، وطبعه وهواه.

وقد يراد بالاتصال: الفناء في شهود القيومية؛ وبالانفصال: الغيبة عن هذا الشهود.

وأما الملحد: فيفسر الاتصال والانفصال بالاتصال الذاتي والانفصال الذاتي، وهذا محال

أيضاً^(١)؛ فإنه لم يزل متصلاً به، بل لم يزل إياه عنده.

فالأول: يتعلّق بالإرادة والهمّة، وهو أعلى الأنواع.

والثاني: يتعلّق بالشهود والشعور، وهو دونه، وهو عند الشيخ أعلى^(٢)؛ لأنه إنّما يكون في وادي

الفناء.

والثالث: للملاحدة القائلين بوحدة الوجود.

قوله: «وَنَفْسٌ الْإِنْفِرَادِ، وَهُوَ يُورِثُ الْإِتِّصَالَ».

* نفس الانفراد: هو المصحوب بشهود الفردانية، وهي تفرد الربّ سبحانه بالربوبية والإلهية،

والتدبير والقيومية، فلا يثبت لسواه قسطاً في الربوبية، ولا يجعل لسواه حظاً^(٣) في الإلهية، ولا في

القيومية، بل يفرد به بذلك في شهوده، كما أفرد به في علمه، ثم يفرد به في الحال التي أوجبها له الشهود،

فيكون الله سبحانه فرداً في علم العبد ومعرفته، فرداً في شهوده، فرداً في حاله في شهوده.

(١) في «غ»: (وهذا أيضاً محال).

(٢) في «غ» والمنار: (وعند الشيخ هو أعلى).

(٣) جملة (يجعل لسواه حظاً): ساقطة من «غ» والمنار.

وهذا النَّفس يورثه الاتِّصال برَّبِّه، بحيث لا يبقى له مرادٌ غيره، ولا إرادةٌ غير مراده الدِّينيِّ الَّذي يحبُّه ويرضاه، فيستفرغ حُبُّه قلبه، وتستفرغ مرضاته سعيه، وليس وراء ذلك مقامٌ يلحظه النَّظَّارة، لا بالقلب ولا بالرُّوح. فإنَّ كمال هذا الاتِّصال، والشُّغل بالحقِّ سبحانه قد استفرغ المقامات، واستوعب الإشارات، والله المستعان.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الْقَبْضِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٤٦] ﴿[الفرقان: ٤٦]».

قلت: قد أبعُد في تعلُّقه بإشارة الآية إلى القبض الَّذي يريد، ولا تدلُّ عليه الآية بوجهٍ ما، وإنَّما يشارك القبض المترجم عليه في اللَّفظ فقط^(١)، فإنَّ القبض في الآية هو قبض الظِّلِّ، وهو تقلُّصه بعد امتداده، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٤٥] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦]. فأخبر تعالى: أَنَّهُ بسط الظِّلَّ ومدَّه، وَأَنَّهُ جعله متحرِّكًا تبعًا لحركة الشَّمس، ولو شاء لجعله ساكنًا لا يتحرَّك. إمَّا بسكون المظهر له، والدليل عليه، وإمَّا بسببٍ آخر، ثمَّ أخبر أَنَّهُ قبضه بعد بسطه قبضًا يسيرًا، وهو شيءٌ بعد شيءٍ، لم يقبضه جملةً، فهذا من أعظم آياته الدَّالة على عظيم قدرته، وكمال حكمته، فندب الرُّبُّ سبحانه عباده إلى رؤية صنعته وقدرته، وحكمته في هذا الفرد من مخلوقاته، ولو شاء لجعله لاصقًا بأصل ما هو ظلُّ له من جبلٍ وبناءٍ وشجرٍ وغيره، فلم ينتفع به أحدٌ.

فإنَّ [كمال]^(٢) الانتفاع به تابعٌ لمدِّه وبسطه، وتحوُّله من مكانٍ إلى مكانٍ، ففي مدِّه وبسطه، ثمَّ قبضه شيئًا فشيئًا من المصالح والمنافع ما لا يخفى ولا يحصى، فلو كان ساكنًا دائمًا، أو قبض دفعةً واحدةً لتعطَّلت مرافق العالم ومصالحه به وبالشَّمس، فمدُّ الظِّلِّ وقبضه شيئًا فشيئًا لازمٌ لحركة الشَّمس، على ما قدرت عليه من مصالح العالم، وفي دلالة الشَّمس على الظلال ما تعرف به أوقات

(١) كلمة (فقط): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) في طبعة (الفقي) (وكان)، وما بين المعكوفتين هو في «غ» والمنار، وأثبتناه في الأصل لمناسبته لما بعده.

الصَّلوات، وما مضى من اليوم، وما بقي منه، وفي تحرُّكه وانتقاله ما يبرد به^(١) ما أصابه من^(٢) حرِّ الشَّمس، وينفع الحيوانات والشَّجر والنَّبات، فهو من آيات الله الدَّالَّة عليه.

وفي الآية وجهٌ آخر، وهو: أنَّه سبحانه مدَّ الظَّل حين بنى السَّماء كالقَبَّة المضروبة، ودحا الأرض تحتها، فألقت القَبَّة ظلَّها عليها، فلو شاء سبحانه لجعله ساكنًا مستقرًّا في تلك الحال، ثمَّ خلق الشَّمس ونصبها دليلًا على ذلك الظَّل، فهو يتبعها في حركتها، يزيد بها وينقص، ويمتدُّ ويتقلَّص^(٣)، فهو تابعٌ لها تبعيَّة المدلول لدليله.

وفيها وجهٌ آخر، وهو: أن يكون المراد قبضه عند قيام السَّاعة بقبض أسبابه، وهي الأجرام التي تلقي الظَّل؛ فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه، كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه.

وقوله تعالى: ﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ كأنه يشعر بذلك، وقوله: ﴿قَبَضًا يَسِيرًا﴾^(٤٦) يشبه قوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾^(٤٧) [ق: ٤٤] وقوله: ﴿قَبَضْنَاهُ﴾ بصيغة الماضي لا ينافي ذلك، كقوله: ﴿أَفَعَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١].

والوجه في الآية هو الأوَّل.

وهذان الوجهان إن أراد من ذكرهما دلالة الآية عليهما إشارة وإيماءً فقريب، وإن أراد أن ذلك هو المراد من لفظها فبعيد؛ لأنَّه سبحانه جعل ذلك آيةً ودلالةً عليه للنَّظر فيه، كما في سائر آياته التي يدعو عباده إلى النَّظر فيها، فلا بدَّ أن يكون ذلك أمرًا مشهودًا تقوم به الدَّلالة، وتحصل به التَّبصرة.

وأبعد من هذا ما تعلَّق به صاحب «المَنَازِل» في باب القبض بقبض الظَّل كما أشار إليه في خطبة كتابه، حيث يقول: «الَّذِي مَدَّ ظِلَّ التَّكْوِينِ عَلَى الْخَلِيقَةِ مَدًّا طَوِيلًا، ثُمَّ جَعَلَ شَمْسَ التَّمَكِينِ لَصْفُوتِهِ عَلَيْهِ دَلِيلًا، ثُمَّ قَبَضَ ظِلَّ التَّفْرِقَةِ عَنْهُمْ إِلَيْهِ قَبْضًا يَسِيرًا» فاستعار للتَّكْوِين لفظ الظَّل إعلامًا بأنَّ المكوِّنات بمنزلة الظَّل في عدم استقلالها بأنفسها؛ إذ لا يتحرَّك الظَّل إلاَّ بحركة صاحبه، وقوله: «مَدًّا طَوِيلًا» إشارة إلى أنَّه سبحانه لا يزال يخلق شيئًا بعد شيءٍ خلقًا لا يتناهى، لسعة قدرته، ووجوب أبديته.

ثمَّ إنَّ حقيقة الظَّل هي عدم الشَّمس في بقعةٍ ما لسائر سترها، فإنَّما تتعيَّن تلك الحقيقة بالشَّمس، فكذلك المكوِّن إنَّما تتعيَّن حقيقته بالمكوِّن له ﷻ، و«شَمْسُ التَّمَكِينِ» هي: التَّوْحِيد الجامع لقلوب صفوته عن التَّفْرِق في شعاب ظِلِّ التَّكْوِين «ثُمَّ قَبَضَ ظِلَّ التَّفْرِقَةِ عَنْهُمْ إِلَيْهِ قَبْضًا يَسِيرًا»؛ أي: أخذ ظلَّ التَّفْرِقَة عنهم أخذًا سهلًا.

(١) كلمة (به): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (من): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (ويقلص).

فالشَّيخُ أحوالُ باستشهاده بالآية في الباب المذكور على ما تقدّم له في الخطبة. ووجه الإشارة بالآية يعلم من قوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ والقبض في هذا الباب لم يرد به قبض الإضافة.

□ ولهذا قال الشَّيخُ: «الْقَبْضُ فِي هَذَا الْبَابِ: اسْمٌ يُشَارُ بِهِ إِلَى مَقَامِ الضَّنَائِنِ الَّذِينَ ادَّخَرَهُمُ الْحَقُّ اصْطِنَاعًا لِنَفْسِهِ».

فالقبض نوعان:

- قبض في الأحوال.

- وقبض في الحقائق.

فالقبض في الأحوال أمرٌ يطرق القلب يمنعه عن الانبساط والفرح، وهو نوعان أيضًا:

- أحدهما: ما يعرف سببه، مثل تذكر ذنب، أو تفریط، أو بعد، أو جفوة أو حدوث ما هو نحو (١) ذلك.

- والثاني: ما لا يعرف سببه، بل يهجم على القلب هجوماً لا يقدر على التخلّص منه، وهذا هو القبض المشار إليه على ألسنة القوم، وضده البسط، فالقبض والبسط عندهم حالتان للقلب لا يكاد ينفك عنهما.

وقال أبو القاسم الجنيد: «فِي مَعْنَى الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ مَعْنَى الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ فَالرَّجَاءُ: يَبْسُطُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْخَوْفُ: يَقْبِضُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ».

فكلُّهُمُ تكلم في القبض والبسط على هذا المنهج حتّى جعلوه أقسامًا: قبض تأديب، وقبض تهذيب، وقبض جمع، وقبض تفریق؛ ولهذا يمتنع صاحبه إذا تمكّن منه من الأكل، والشرب، والكلام، وفعل الأوراد، والانبساط إلى الأهل وغيرهم.

- فقبض التّأديب: يكون عقوبةً على غفلة، أو خاطر سوء، أو فكرة رديئة.

- وقبض التّهديب: يكون إعدادًا لبسطٍ عظيمٍ شأنه يأتي بعده، فيكون القبض قبله كالتنبيه عليه والمقدمة له، كما كان «الْعَتُّ وَالْعَطُّ» (٢) مقدّمةً بين يدي الوحي، وإعدادًا لوروده، وهكذا الشّدّة

(١) كلمة (ما هو نحو): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي وفيه: «فأخذني فغطني حتّى بلغ مني الجهد...». رواه البخاري في «بدء

الوحي» باب (٣) رقم الحديث (٣)، وفي «السيرة» لابن هشام «فغتني» بالتاء (١/٢٣٦).

قال في «النهاية» لابن الأثير: «الغت والغظ سواء. كأنه أراد: عصرتني عصراً شديداً حتّى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس في الماء قهراً». (٣/٣٤٢).

مقدِّمةً بين يدي الفرج، والبلاء مقدِّمةً بين يدي العافية، والخوف الشَّدِيدُ مقدِّمةٌ بين يدي الأمن، وقد جرت سنَّةُ الله سبحانه أنَّ هذه الأمور النَّافعةَ المحبوبةَ إنَّما يدخل إليها من أبواب أضدادها.

وأما قبض الجمع: فهو ما يحصل للقلب حال جمعِيته على الله من انقباضه عن العالم وما فيه، فلا يبقى فيه فضلٌ ولا سعةٌ لغير من اجتمع قلبه عليه، وفي هذه الحال من أراد من صاحبه ما يعهده منه من المؤانسة والمذاكرة فقد ظلمه.

وأما قبض التفرقة: فهو القبض الَّذِي يحصل من تفرُّق قلبه عن الله، وتشتُّتُه عنه في الشَّعاب والأودية، فأقلُّ عقوبته ما يجده من القبض الَّذِي يتمنَّى معه الموت.

وأما القبض الَّذِي أشار إليه صاحب «المَنَازِل»: فهو شيءٌ وراء هذا كُلِّه، فإنَّه جعله من قسم الحقائق، وذلك القبض الَّذِي تقدَّم ذكره من قسم (١) البدايات؛ ولهذا قال: «الْقَبْضُ فِي هَذَا الْبَابِ: اسْمٌ اسْمٌ يُشَارُ بِهِ إِلَى مَقَامِ الصَّنَائِنِ»، ومن هنا (٢) حسن استشهاده بإشارة الآية؛ لأنَّه تعالى أخبر عن قبض الظلِّ إليه، والقبض في هذا الباب يتضمَّن قبض القلب عن غيره إليه، وجمعِيته بعد التفرقة عليه.

والصَّنَائِنُ: جمع صُنَيْتَةٍ، وهي الخاصَّة، يرضُّ بها صاحبها؛ أي: ينخل ببذلها ويصطفئها لنفسه، ولهذا قال: «الَّذِينَ ادَّخَرَهُمُ الْحَقُّ اصْطِنَاعًا لِنَفْسِهِ».

والادِّخَارُ: افتعالٌ من الدَّخَرَ، وهو ما يعدُّه المرء لحوائجه ومصالحه.

والاصْطِنَاعُ: بمعنى الاصْطِفَاءِ، قال تعالى لموسى (٣): «وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾» [طه: ٤١]،

والاصْطِنَاعُ في الأصل: اتِّخَاذُ الصَّنِيْعَةِ، وهي الخير تسديه إلى غيرك، قال الشاعر:

وَإِذَا اصْطَنَعْتَ صَنِيْعَةً فَأَقْصِدْ بِهَا وَجْهَ الَّذِي يُوَلِّي الصَّنَائِعَ أَوْ دَعِ

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «اصْطَنَعْتُكَ لَوْحِي وَرِسَالَتِي».

وقال الكلبيُّ: «اخْتَرْتُكَ بِالرِّسَالَةِ لِنَفْسِي، لِكَيْ تُجِيبَنِي (٤) وَتَقُومَ بِأَمْرِي».

وقيل: اخترتك بالإحسان إليك لإقامة حجَّتِي، فتكلَّم عبادي عني.

قال أبو إسحاق: «اخْتَرْتُكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْكَ لِإِقَامَةِ حُجَّتِي، وَجَعَلْتُكَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِي حَتَّى

صِرْتَ فِي الْخِطَابِ وَالتَّبْلِيغِ عَنِّي بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَكُونُ أَنَا بِهَا لَوْ خَاطَبْتُهُمْ».

وقيل: مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصالٍ فيه وخصائص أهلاً لكرامته

(١) في «غ» والمنار: (أقسام).

(٢) في «غ» والمنار: (هاهنا).

(٣) كلمة (لموسى): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) في «غ» والمنار: (تجيبني).

وتقريبه، فلا يكون أحدٌ أقرب منه منزلةً إليه، ولا أطف محلاً، فيصطنعه بالكرامة والأثرة، ويستخلصه لنفسه، بحيث يسمع به، ويصبر به، ويطلع على سرّه.

والمقصود: أن الرّبَّ سبحانه حال بين هؤلاء الصّنائن وبين التعلّق بالخلق، وصرف قلوبهم وهمهم وعزائمهم إليه.

□ قال: «وَهُمْ عَلَى (١) ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ قَبَضَهُمْ إِلَيْهِ قَبْضَ التَّوْقِي، فَضَنَّ بِهِمْ عَنْ أَعْيُنِ الْعَالَمِينَ».

هذا الحرف في التّوّقي بالقاف من الوقاية، وليس من الوفاة؛ أي: سترهم عن أعين النّاس، وقاية لهم، وصيانة عن ملبستهم، فغيبهم عن أعين النّاس، فلم يطلعهم عليهم، وهؤلاء هم أهل الانقطاع والعزلة عن النّاس وقت فساد الزّمان، ولعلّهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ عِنَّمَا يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ» (٢).

وقوله: «وَرَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» (٣).

وهذه الحال تحمد في بعض الأماكن والأوقات دون بعضها، وإلا فالؤمن الذي يخالط النّاس، ويصبر على أذاهم أفضل من هؤلاء، فالعزلة في وقتٍ تجب فيه، ووقتٍ تستحبُّ فيه، ووقتٍ تباح فيه، ووقتٍ تكره فيه، ووقتٍ تحرم فيه.

ويجوز أن يكون قبض التّوّقي بالفاء أجسادهم وقلوبهم من بين العالمين وهم في الدّنيا، لكن لما لم يخالطوا النّاس كانوا بمنزلة من قد توفّي وفارق الدّنيا.

□ قال: «وَفِرْقَةٌ قَبَضَهُمْ بِسِتْرِهِمْ فِي لِبَاسِ التَّلْبِيسِ، وَأَسْبَلَ عَلِمَهُمْ أَكَلَةَ (٤) الرُّسُومِ، فَأَخْفَاهُمْ عَنْ عِيُونِ الْعَالَمِ».

هذه الفرقة: هم مع النّاس مخالطون، والنّاس يرون ظواهرهم، وقد ستر الله حقائقهم وأحوالهم عن رؤية الخلق لها، فحالهم ملتبسٌ على النّاس لا يعرفونه، فإذا رأوا منهم ما يرون من أبناء الدّنيا من

(١) كلمة (على): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) رواه البخاري في «الإيمان»، باب: الدين الفرار من الفتن (١٩)، وأبو داود في «الفتن»، باب: ما يرخص من البداوة في الفتنة (٤٢٦٧).

(٣) رواه البخاري في «الجهاد»، باب: أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (٢٧٨٦)، ومسلم في «الإمارة»، باب: فضل الجهاد والرباط (١٨٨٨).

(٤) أَكَلَةٌ - بتشديد اللام -: جمع كَلَّةٌ، وهي الستارة التي توضع على السرير أو اليهودج، وتسمى الآن ناموسية. (حاشية المنار).

الأكل والشرب واللباس، والنكاح، وطلاقة الوجه، وحسن العشرة قالوا: هؤلاء من أبناء الدنيا، وإذا رأوا ذلك الجدد والهمم، والصبر والصدق، وحلاوة المعرفة والإيمان والذكر، وشاهدوا منهم أموراً ليست من أمور أبناء الدنيا، قالوا: هؤلاء من أبناء الآخرة، فالتبس حالهم عليهم، وهم مستورون عن الناس بأسبابهم وصنائعهم ولباسهم، لم يجعلوا لطلبهم وإرادتهم إشارة تشير إليهم: اعرفوني، [فهؤلاء هم الصادقون]^(١)، فهؤلاء يكونون مع الناس، والمحجوبون لا يعرفونهم، ولا يعرفون بهم رءوساً، وهم من سادات أولياء الله، صانهم الله عن معرفة الناس كرامة لهم، لئلا يفتتنوا^(٢) بهم، وإهانة للجهال بهم، فلا ينتفعون بهم.

وهذه الفرقة بينها وبين الأولى من الفضل ما لا يعلمه إلا الله، فهم بين الناس بأبدانهم، وبين الرفيق الأعلى بقلوبهم، فإذا فارقوا هذا العالم انتقلت أرواحهم إلى تلك الحضرة؛ فإن روح كل عبد تنتقل بعد مفارقة البدن إلى حضرة من كان يألفهم ويحبهم، فإن: «المرء مع من أحبّه»^(٣).
قوله: «وَأَسْبَلَ عَلَيْهِمْ أَكْلَةَ الرُّسُومِ».

أي: أجرى عليهم أحكام الخلق يأكلون كما يأكلون^(٤)، ويشربون كما يشربون^(٥)، ويسكنون حيث يسكنون، ويمشون معهم في الأسواق^(٦)، ويعانون معهم الأسباب، وهم في وادٍ والناس في وادٍ، فمشاركتهم إليهم في ذلك هي التي سترتهم عن معرفتهم، وعن إدراك حقائقهم فهم تحت ستور المشاركة.

وَوَرَاءَ هَاتِيكَ السُّتُورِ مُحَجَّبٌ	بِالْحُسْنِ كُلِّ الْعِزِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ بَعْضَ جَمَالِهِ	لَبَدَّلْتَ مِنْكَ الرُّوحَ فِي إِزْصَائِهِ
مَا طَابَتِ الدُّنْيَا بغيرِ حَدِيثِهِ	كَأَنَّ وَلَا الْأُخْرَى بِدُونِ لِقَائِهِ
يَا خَاسِرًا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ	إِذْ بَاعَهَا بِالْغَبْنِ مِنْ أَعْدَائِهِ
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ قَدْرَ مَا قَدِ بَعْتَهُ	لَفَسَخْتَ ذَاكَ الْبَيْعَ قَبْلَ وَقَائِهِ
أَوْ كُنْتَ كُفُوًا لِلرَّشَادِ وَلِلْهُدَى	أَبْصَرْتَ لَكِنْ لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِهِ

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من ط. الفقي، وأثبتناه هنا من «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (يفتنوا).

(٣) حديث: «المرء مع من أحبّه». رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٤) كلمة (كما يأكلون)، (كما يشربون) ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) انظر الحاشية السابقة.

(٦) في «غ»: (ويمشون حيث يمشون).

(٧) كلمة (عن): ساقطة من «غ» والمنار.

قوله: «وَفِرْقَةٌ قَبْضُهُمْ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، فَصَافَاهُمْ مُصَافَاةَ سِرٍّ، فَضَنَّ بِهِمْ عَلَيْهِمْ».

هذه الفرقة إنما كانت أعلى من الفرقتين المتقدمتين؛ لأنَّ الحقَّ سبحانه قد سترهم عن نفوسهم، لكمال ما أطلعهم عليه، وشغلهم به عنهم، فهم في أعلى الأحوال والمقامات، ولا التفات لهم إليها، فهؤلاء قلوبهم معه سبحانه لا مع سواه، فلم يكونوا مع السَّوئ ولا السَّوئ منهم، بل هم مع السَّوئ بالمحاورة^(١) والامتحان، لا بالمساكنة والألفة، قلوبهم عامرة بالأسرار، وأرواحهم تحنُّ إليه حين الطُّور إلى الأوكار، قد سترهم وليُّهم وحببيهم عنهم، وأخذهم إليه منهم.

قوله: «فَصَافَاهُمْ مُصَافَاةَ سِرٍّ»؛ أي: جعل مواجيدهم في أسرارهم وقلوبهم للطف إدراكهم، فلم تظهر عليهم في ظواهرهم لقوَّة الاستعداد.

قوله: «فَضَنَّ بِهِمْ عَلَيْهِمْ»؛ أي: أخذهم عن رسومهم، فأفناهم عنهم، وأبقاهم به. وقد علمت من هذا: أنَّ القبض المشار إليه في هذا الباب ليس هو القبض الَّذي يشير إليه القوم في البدايات والسُّلوك، والله أعلم.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الْبَسْطِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾»

[الشورى: ١١].

قلت: وجه تعلقه بإشارة الآية: هو أنَّ الله سبحانه يعيِّشكم فيما خلق لكم من الأنعام المذكورة. قال الكلبي: «يُكثِّرُكُمْ فِي هَذَا التَّرْوِيحِ، وَلَوْ لَا هَذَا التَّرْوِيحُ لَمْ يَكْثُرِ النَّسْلُ». والمعنى: يخلقكم في هذا الوجه الَّذي ذكر من جعله لكم أزواجًا، فإنَّ سبب خلقنا وخلق الحيوان بالأزواج.

والضَّمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ يرجع إلى الجعل، ومعنى الذَّرء: الخلق، وهو هنا الخلق الكثير، فهو خلقٌ وتكثيرٌ، فقيل: «في» بمعنى الباء؛ أي: يكثركم بذلك، وهذا قول الكوفيِّين. والصَّحيح: أنَّها على بابها، والفعل تضمَّن^(٢) معنى ينشئكم وهو يتعدَّى بـ«في»، كما قال تعالى: ﴿وَنَشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١]. فهذا تفسير الآية.

(١) في «غ» والمنار: (بالمجاورة).

(٢) كلمة (تضمن): غير موجودة في «غ» والمنار.

ولمّا كانت الحياة حياتين: حياة الأبدان، وحياة الأرواح، وهو سبحانه الذي يحيي قلوب أوليائه وأرواحهم بإكرامه ولطفه وبسطه؛ كان ذلك تنمية لها وتكثيراً وذراً، والله أعلم.

□ قال صاحب «المنازل»: «البسط: أن يُرسل شواهد العبد في مدارج العلم، ويُسبِلَ على باطنه رداء الاختصاص، وهم أهل التلبّيس، وإنّما بسطوا في ميدان البسط، بعد ثلاثة معانٍ، لكلّ معنى طائفة».

يريد: أن البسط إرسال ظواهر العبد وأعماله على مقتضى العلم، ويكون باطنه مغموراً بالمراقبة والمحبة والأنس بالله، فيكون جماله في ظاهره وباطنه، فظاهره قد اكتسب الجمال بموجب العلم، وباطنه قد اكتسب الجمال بالمحبة والرّجاء والخوف والمراقبة والأنس، فالأعمال الظاهرة له دثارٌ، والأحوال الباطنة له شعارٌ، فلا حاله ينقص عليه ظاهر حكمه، ولا علمه يقطع [عليه] (١) وارد حاله، وقد جمع سبحانه بين الجمالين أعني: جمال الظاهر وجمال الباطن في غير موضع من كتابه.

- منها: قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكْمٍ وَرِدْشًا وَيَلْبَسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٣٦].

- ومنها: قوله تعالى في نساء الجنة: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] فهنّ حسان الوجوه، خيرات الأخلاق.

- ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] فالنضرة: جمال الوجوه، والشورور: جمال القلوب.

- ومنها: قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَى رَيْهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فالنضرة تزيّن ظواهرهم، والنظر يجمّل بواطنهم.

- ومنها: قوله تعالى: ﴿وَحُلُوهَا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمُهُمْ رُئُومٌ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٣١] فالأساور جمّلت ظواهرهم، والشراب الطهور طهّر بواطنهم.

- ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [٦] وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ [الصافات: ٦-٧] فجمّلت ظاهرها بالكواكب، وباطنها بالحراسة من الشياطين.

رجعنا إلى شرح كلامه.

قوله: «وهم أهل التلبّيس».

يعني: أنّهم المذكورون في باب القبض، وهم الفرقة الثانية الذين سترتوا بلباس التلبّيس عن

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي، ومثبت في «غ» والمنار.

أعين النَّاسِ؛ فلا ترى حقائقهم.

قوله: «وَأِنَّمَا بُسِطُوا فِي مَيْدَانِ الْبُسْطِ»؛ أي: بسطهم الحق سبحانه على لسان رسوله، لا ما يظنه الملحد أنه السَّماع الشَّهِي، وملاحظة المنظر البهي، ورؤية الصُّور المستحسنت، وسماع الآلات المطربات.

نعم؛ هذا ميدانُ بسطه الشَّيْطان يقتطع به النَّفوس عن الميدان الَّذي نصبه الرَّحمن، فميدان الرَّحمن الَّذي بسطه هو الَّذي نصبه لأنبيائه وأوليائه، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه وأهله، ومع الغريب والقريب، وهي سعة الصَّدر، ودوام البشر، وحسن الخلق، والسَّلام على مَنْ لقيه، والوقوف مع مَنْ استوقفه، والمزاح بالحقِّ مع الصَّغير والكبير أحياناً، وإجابة الدَّعوة، ولين الجانِب؛ حتَّى يظنَّ كلُّ واحدٍ من أصحابه أنَّه أحبُّهم إليه، وهذا الميدان لا تجد فيه إلَّا واجباً، أو مستحباً، أو مباحاً يعين عليهما.

□ قوله: «فَطَائِفَةٌ بَسِطَتْ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، يُبَاسِطُونَهُمْ وَيُلَاسِطُونَهُمْ، فَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِمْ، وَالْحَقَائِقُ مَجْمُوعَةٌ، وَالسَّرَائِرُ مَصُونَةٌ».

جعل الله انبساطهم مع الخلق رحمةً لهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ فالرَّبُّ سبحانه بسط هؤلاء مع خلقه ليقتدي بهم السَّالِك، ويهتدي بهم الحيران، ويُشفَى بهم العليل، ويُستضاء بنور هدايتهم ونصحهم ومعرفتهم في ظلمات دياجي الطَّبع والهوى، فالسَّالكون يقتدون بهم إذا سكتوا، ويتنفعون بكلماتهم إذا نطقوا، فإنَّ حركاتهم وسكونهم [ونطقهم وسكونهم] (١) لمَّا كانت بالله والله وعلى أمر الله جذبت قلوب الصَّادقين إليهم، وهذا النُّور الَّذي أضاء على النَّاس منهم هو نور العلم والمعرفة.

والعلماء ثلاثة:

- عالمٌ استنار بنوره واستنار به النَّاس، فهذا من خلفاء الرُّسل وورثة الأنبياء.
- وعالمٌ استنار بنوره، ولم يستنر به غيره، فهذا إن لم يفرِّط كان نفعه قاصراً على نفسه، فبينه وبين الأوَّل ما بينهما.
- وعالمٌ لم يستنر بنوره ولا استنار به غيره، فهذا علمه وبألِّ عليه، وبسطته للنَّاس فتنةٌ لهم، وبسطة الأوَّل رحمةٌ لهم.

قوله: «وَالْحَقَائِقُ مَجْمُوعَةٌ، وَالسَّرَائِرُ مَصُونَةٌ»؛ أي: انبسطوا والحقائق التي في سرائرهم

(١) انظر الحاشية السابقة.

مجموعةً في بواطنهم، فالانبساط لم يشتت قلوبهم^(١)، ولم يفرق همهم، ولم يحل عقد عزائمهم. قوله^(٢): «وَسَرَّائِرُهُمْ مَّصُونَةٌ» مستورةٌ لم يكشفوها لمن انبسطوا إليه، وإن كان البسط يقتضي الإلف، وإطلاع كل من المتبسطين على سر صاحبه؛ فإياك ثم إياك أن تطلع من باسطته على سرِّك مع الله، ولكن اجذبه وشوقه، واحفظ ودیعة الله عندك، لا تعرّضها للاسترجاع.

□ قال^(٣): «وَطَائِفَةٌ بَسَطَتْ لِقْوَةَ مُعَايِنَتِهِمْ، وَتَصْمِيمِ مَنَاطِرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ طَائِفَةٌ لَا تُخَالِجُ الشَّوَاهِدُ مَشْهُودَهُمْ، وَلَا تَضْرِبُ رِيَّاحُ الرُّسُومِ مَوْجُودَهُمْ، فَمُهم مَبْسُوطُونَ فِي قَبْضَةِ الْقَبْضِ».

إنّما كانت هذه الدرّجة أعلى ممّا قبلها؛ لأنّ ما قبلها لأرباب الأعمال، وهذه لأرباب الأحوال، بسطت الأولى رحمةً للخلق، وبسطت هذه اختصاصاً بالحقّ.

وقوله: «لِقْوَةَ مُعَايِنَتِهِمْ» إمّا أن يكون المعنى: لقوة إدراك معيّنهم، أو لقوة ظهور معيّنهم لبواطنهم، أو لقوتها وبيانها في نفسها.

والمعنى: أنّه لا يطمع البسط أن يحجبهم عن معيّنهم؛ لأنّ قوّة المعايينة منعت وصول البسط إلى إزالتها وإضعافها.

قوله: «وَتَصْمِيمِ مَنَاطِرِهِمْ».

يعني: ثبات مناظر قلوبهم وصحّتها، فليسوا ممّن يحول بين نظر قلوبهم وبين ما تراه قتر من شكّ، ولا غيم من ريب، فاللطيفة الإنسانيّة المدركة لحقيقة ما أخبروا به من الغيب صحيحة، وهي شديدة التوجّه إلى مشهودها، فلم يقدر البسط على حجبها عن مشهودها.

قوله: «لِأَنَّهُمْ طَائِفَةٌ لَا تُخَالِجُ الشَّوَاهِدُ مُشْهُودَهُمْ»؛ أي: لا تمازج الشّواهد مشهودهم، فيكون إدراكهم بالاستدلال، بل مشهودهم حاضرٌ لهم، لم يدركوه بغيره، فلا تخالط مشاهدتهم له شواهد من غيره، والشّواهد مثل الأمارات والعلامات.

وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وبيان وتفصيل.

فإنّ الله سبحانه أقام الشّواهد عليه، وملاً بها كتابه، وهدى عباده إلى النّظر فيها والاستدلال بها، ولكنّ العارف إذا حصل له منها الدّلالة، ووصل منها إلى اليقين انطوى حكمها عن شهوده، وسافر

(١) جملة (فالانبساط لم يشتت قلوبهم): ساقطة من المنار، وفي «غ» جاء بعد قوله: (سرائرهم مجموعة في بواطنهم)

جملة (لم تتفرّق بالانبساط الذي اشتغلت به ظواهرهم).

(٢) جملة (قوله): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ»: (قوله).

قلبه منها إلى المطلوب المدلول عليه بها، ورآها كلّها أثرًا من آثار أسمائه وصفاته وأفعاله، [فاعين] (١) المشهود المدلول عليه بها معاينة القلب والبصيرة للصّانع إذا عاين صنعته، فكأنّه يرى الباني وهو يبني ما شاهده من البناء المحكم المتقن؛ لأنّ الشّواهد والأدلة (٢) تبطل ويبطل حكمها.

فتأمّل هذا الموضوع؛ فإنّه قد غلط فيه فريقان: فريق أساءوا الظنّ بمن طوى حكم الشّواهد والأدلة، ونسبوههم إلى ما نسبوههم إليه، وفريق رأوا أنّ الشّواهد نفس المشهود، والدليل عين المدلول عليه، ولكن كان في الابتداء شاهدًا ودليلاً، وفي الانتهاء مشهودًا ومدلولًا.

قوله: «وَلَا تَضْرِبُ رِيَّاحُ الرُّسُومِ مَوْجُودَهُمْ» شبه الرُّسوم بالرياح؛ لأنّ معاني الصُّور الخلقية تمرّ على أهل الشُّهود الضّعيف، فتحرّك بواطنهم بنوع من الشكّ والريب، فهؤلاء الذين بسطهم الحقّ تعالى سالمون من ذلك.

قوله: «فَهُمْ مُنْبَسِطُونَ فِي قَبْضَةِ الْقَبْضِ»؛ أي: هم في حال انبساطهم غير محجوبين عن معاني القبض، بل هم مبسوطون بقبضه إيّاهم عن غيره، فلا يتنافى في حقهم البسط والقبض، بل قبضهم إليه في بسطهم، وبسطهم به في قبضهم، وجعل للقبض قبضةً ترشيحًا للاستعارة.

□ قال (٣): «وَطَائِفَةٌ بَسِطَتْ أَعْلَامًا عَلَى الطَّرِيقِ، وَأَيْمَةً لِلْهُدَى، وَمَصَابِيحَ

لِلسَّالِكِينَ».

إنّما كانت هذه الفرقة أعلى من الفرقتين؛ لأنّها شاركتهما في درجتيهما، واختصّت عنهما بهذه الدرجة، فاتّصفت بما اتّصفت به (٤) الأولى من الأعمال، واتّصفت بما اتّصفت به الثانية من الأحوال، وزادت عليهما بالنفع للسالكين، والهداية للحائرين، والإرشاد للطالبيين، فاهتدى بهم الحائر، وسار بهم الواقف، واستقام بهم الحاند (٥)، وأقبل بهم المعرض، وكمل بهم الناقص، ورجع بهم الناكص، وتقوى بهم الضّعيف، وتنبّه على المقصود من هو في الطّريق، وهؤلاء هم خلفاء الرُّسل حقًا، وهم أولو البصر واليقين، فجمعوا بين البصيرة والبصر، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سجدة: ٢٤] فكانوا إمامة الدّين بالصّبر واليقين.

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناها من نسخة «غ» والمنار.

(٢) كلمة (والأدلة): ساقطة من «غ».

(٣) في «غ»: (قوله).

(٤) جملة (اتّصفت بما اتّصفت به): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) في المنار (الحائد)، وفي «غ»: (الحايد)، ولعله هو الصواب لأنّ الحايد هو المائل عن الجادة والاستقامة ومنه: حاد عن الطريق: إذا مال عنه.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ السُّكْرِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَاكِبًا عَنْ مُوسَى كَلِيمِهِ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].»

وجه استدلاله بإشارة الآية: أَنَّ موسى لَمَّا استقرَّ في قلبه وروحه، وسمعه وبصره الاستلذاذ بكلام ربِّه له، فحصل له من سماع ذلك الكلام، وطيب ذلك الخطاب، ولذَّة ذلك التَّكليم ما يجلُّ ويعظم ويكبر أن يسمَّى سكرًا، أو يشبَّه بالسُّكر جرئ على لسانه أن طلب الرُّؤية له سبحانه في تلك الحال.

□ قال: «السُّكْرُ فِي هَذَا الْبَابِ: اسْمٌ يُشَارُ بِهِ إِلَى سُقُوطِ التَّمَالِكِ فِي الطَّرْبِ، وَهَذَا مِنْ مَقَامَاتِ (١) الْمُجِبِّينَ خَاصَّةً، فَإِنَّ عَيُْونَ الْفَنَاءِ لَا تَقْبَلُهُ، وَمَنَازِلُ الْعِلْمِ لَا تَبْلُغُهُ.»

قوله: «يُشَارُ بِهِ إِلَى سُقُوطِ التَّمَالِكِ.»

يعني: عدم الصَّبْر، تقول: ما تمالكت أن أفعل كذا؛ أي: ما قدرت أن أصبر عنه، فكأنَّه قال: هو اسمٌ لقوَّة الطَّرْبِ الَّذِي لَا يَدْفَعُهُ الصَّبْرُ.

وهذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن ولا في السنَّة، ولا العارفون من السَّلف بالسُّكر أصلاً، وإنَّما ذلك من اصطلاح المتأخِّرين، وهو بئس الاصطلاح؛ فَإِنَّ لفظ السُّكر والمسكر من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً، وعامة ما يستعمل في السُّكر المذموم الَّذِي يمقته الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصُّكُورَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣].

وعبر به سبحانه عن الهول الشَّدِيد الَّذِي يحصل للنَّاس عند قيام السَّاعة فقال تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

ويقال: فلانٌ أسكره حبُّ الدُّنيا.

وكذلك يستعمل في سكر الهوى المذموم.

فأين أطلق الله سبحانه أو رسوله أو الصَّحابة أو أئمَّة الطَّرِيق المتقدِّمون على هذا المعنى

(١) في «غ»: (مقام).

الشَّرِيف الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْرَفِ أَحْوَالِ مُحِبِّيهِ وَعَابِدِيهِ اسْمُ السُّكْرِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي سُكْرِ الْخَمْرِ، وَسُكْرِ الْفَوَاحِشِ؟ كَمَا قَالَ عَنْ قَوْمِ لَوْطٍ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢) [الحجر: ٧٢] فوصف بالسُّكْرِ أرباب الفواحش، وأرباب الشَّرَابِ الْمُسَكَّرِ، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات، ولا سيَّما في قسم الحقائق، ولا يطلق على كليم الرَّحْمَنِ اسْمَ السُّكْرِ فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَالْإِصْطِلَاحَاتِ لَا مِشَاحَةَ فِيهَا إِذَا لَمْ تَتَضَمَّنْ مَفْسُدَةً.

وأيضاً: فمن المعلوم أنَّ هذا الحال يحصل في الجنَّة عند رؤية الرَّبِّ تَعَالَى، وسماع كلامه على أتمِّ الوجوه، ولا يسمَّى سُكْرًا، ونحن لا ننكر المعنى المشار إليه بهذا الاسم، وإنَّما المنكر تسميته بهذا الاسم، ولا سيَّما إذا انضاف إلى ذلك اسم الشَّرَابِ أَوْ (١) تسمية المعارف (٢) بالخمر، والواردات بالكئوس، والله ﷻ بالسَّاقِي، فهذه الاستعارات والتَّسْمِيَةُ هِيَ الَّتِي فَتَحَتْ هَذَا الْبَابَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ الْمُحِبِّينَ خَاصَّةً» فَلابدُّ من بيان حقيقة السُّكْرِ (٣) وسببه وتولُّده، وهل هو مقدورٌ أو غير مقدورٍ، وبيان انقسامه باعتبار ذاته وأسبابه ومحله، لتكون الفائدة بذلك أتمَّ.

* فنقول وبالله التَّوْفِيقُ:

السُّكْرُ لِدَّةٌ وَنَشْوَةٌ يَغِيبُ مَعَهَا الْعَقْلَ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ التَّمْيِيزُ، فَلَا (٤) يَعْلَمُ صَاحِبُهُ مَا يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]؛ فَجَعَلَ الْغَايَةَ الَّتِي يَزُولُ بِهَا حُكْمُ السُّكْرِ أَنْ يَعْلَمَ مَا يَقُولُ، فَإِذَا عَلِمَ مَا يَقُولُ خَرَجَ عَنْ حَدِّ السُّكْرِ (٥). قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «السُّكْرَانُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نُوْبَهُ مِنْ نُوْبِ غَيْرِهِ، وَنَعْلَهُ مِنْ نَعْلِ غَيْرِهِ». وَيَذَكُرُ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ (٦): «إِذَا اخْتَلَطَ كَلَامُهُ (٧) الْمَنْظُومُ، وَأَفْسَى سِرَّهُ الْمَكْتُومُ». فَالسُّكْرُ يَجْمَعُ مَعْنِيَيْنِ: وَجُودَ لِدَّةٍ، وَعَدَمَ تَمْيِيزٍ، وَقَاصِدُ السُّكْرِ قَدْ يَقْصِدُهُمَا جَمِيعًا، وَقَدْ يَقْصِدُ أَحَدَهُمَا؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لَهَا هَوًى وَشَهَوَاتٌ تَلْتَدُّ بِأَدْرَاكِهَا، وَالْعِلْمُ بِمَا فِي تِلْكَ اللَّذَاتِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَاجِلَةِ وَالْأَجَلَةِ يَمْنَعُهَا مِنْ تَنَاوُلِهَا، وَالْعَقْلُ يَأْمُرُهَا بِأَلَّا تَفْعَلَ، فَإِذَا زَالَ الْعِلْمُ الْكَاشِفُ الْمُمَيِّزُ وَالْعَقْلُ الْأَمْرُ النَّاهِي انْبَسَطَتِ النَّفْسُ فِي هَوَاهَا، وَصَادَفَتْ مَجَالًا وَاسِعًا.

(١) في «غ» والمنار: (و).

(٢) في المنار: (المعازف).

(٣) في «المنار»: (المسكر).

(٤) كلمة (لا): ساقطة من «غ» والمنار والصواب إثباتها.

(٥) في «غ» والمنار: (السكران).

(٦) كلمة (قال): ساقطة من «غ» والمنار.

(٧) في المنار: (بكلامه).

وحَرَّمَ اللهُ سبحانه الشُّكرَ لشيئين، ذكرهما في كتابه، وهما إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، والصَّدُّ عن ذكر الله وعن الصَّلَاة، وذلك يتضمَّن حصول المفسدة النَّاشئة من النَّفوس بواسطة زوال العقل، وانتفاء المصلحة التي لا تتمُّ إلاَّ بالعقل، وإيقاع العداوة من الأوَّل، والصَّدُّ عن ذكر الله من الثَّاني.

وقد يكون سبب الشُّكر غير تناول المسكر: إمَّا ألمٌ شديدٌ يغيب به (١) العقل، حتَّى يكون كالسَّكران، وقد يكون سببه مَخوفٌ عظيمٌ هجم عليه (٢) وهلةٌ واحدةٌ حتَّى يغيب (٣) عقل من هجم عليه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] فهم سكارى من الدَّهش والخوف، وليسوا بسكارى من الشَّراب، فسكروهم سكر خوفٍ ودَهشٍ، لا سكر لذَّةٍ وطربٍ.

وقد يكون سببه قوَّة الفرح بإدراك المحبوب، بحيث يختلط كلامه، وتتغيَّر أفعاله، بحيث يزول عقله، ويعربد أعظم من عربدة شارب الخمر، وربَّما قتله سكر هذا الفرح لسببٍ طبيعيٍّ، وهو انبساط دم القلب وهلةٌ واحدةٌ انبساطاً غير معتادٍ، والدَّم حامل الحارِّ الغريزيِّ، فيبرد القلب بسبب انبساط الدَّم عنه، فيحدث الموت.

ومن هذا قول سكران الفرح بوجد راحلته في المفازة، بعد أن استشعر الموت: «اللَّهِمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» (٤) أخطأ من شدة فرحه.

وسكرة الفرح فوق سكرة الشَّراب، فصور في نفسك حال فقيرٍ معدمٍ، عاشقٍ للدُّنيا أشدَّ العشق، ظفر بكنزٍ عظيمٍ، فاستولى عليه آمناً مطمئناً، كيف تكون سكرته؟! أو من غاب عنه غلامه بمالٍ له عظيمٍ مدَّة سنين، حتَّى أضرب به العُدْم، فقدم عليه من غير انتظارٍ له بماله كلُّه، وقد كسب أضعافه؟!!

وقد يوجهه غضبٌ شديدٌ، يحول بين الغضبان وبين تمييزه، بل قد يكون سكر الغضب أقوى من سكر الطُّرب؛ ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَقْضِي الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ» (٥)، ولا يستريب من شَمِّ

(١) كلمة (به): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) كلمة (عليه): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (غيب).

(٤) قطعه من حديث طويل أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٥) رواه البخاري في «الأحكام»، باب: لا يقضي الحاكم أو يقضي وهو غضبان (٧١٥٨)، ومسلم في «الأفضية»، باب: كراهة قضاء القاضي وهو غضبان (١٧١٧)، وابن ماجه في «الأحكام»، باب: لا يحكم الحاكم وهو غضبان (٢٣١٦) واللفظ لابن ماجه.

رائحة الفقه أن الغضب إذا وصل بصاحبه إلى هذه الحال، فطلّق لم يقع طلاقه.
وقد نصّ الإمام أحمد على أن الإغلاق الذي قال فيه النبي ﷺ: «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق»^(١) أنه الغضب.
وقال أبو داود: «أظنُّه الغضب».

والشافعي سمى نذر اللجاج والغضب نذر الغلق؛ وذلك لأن الغضبان قد انغلق عليه باب القصد والتمييز^(٢) بشدة غضبه، وإذا كان الإكراه غلقاً فالغضب الشديد أولى أن يكون غلقاً، وكذلك السكر غلق، والجنون غلق؛ فالغلق والإغلاق أيضاً كلمة جامعة لمن انغلق عليه باب القصد والتمييز بسبب من الأسباب، وقد أشبعنا الكلام في هذا في كتابنا المسمى «إغائة اللهفان في طلاق الغضبان».

فصل

ومن أسباب السكر: حبّ الصور وغيرها، سواء كانت مباحة أو محرمة، فإن الحب إذا استحکم وقوي أسكر صاحبه، وهذا مشهور في أشعارهم وكلامهم، كما قال الشاعر:

سُكْرَانِ سُكْرٌ هَوِيٌّ وَسُكْرٌ مُدَامَةٌ وَمَتَى إِفَاقَةٌ مَن بِهِ سُكْرَانِ

وقال آخر من أبيات:

تَسْقِيكَ مَن عَيْنِهَا خَمْرًا وَمَن يَدِهَا خَمْرًا فَمَالِكَ مَن سُكْرَيْنِ مَن بُدِّ

لِي سَكْرَتَانِ وَلِلنَّدْمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خَصِصْتُ بِهِ مَن بَيْنَهُمْ وَحَدِي

وفي «المُسْنَدِ» عن النبي ﷺ: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ»^(٣)؛ أي: يعمي عن رؤية مساوي المحبوب^(٤)، ويصم عن سماع العذل واللوم فيه^(٥)، وإذا تمكّن واستمكن أعمى قلبه وأصمّه بالكلية، وهذا أبلغ من السكر.

فإذا انضم إلى سكر المحبة فرحة الوصال قوي السكر وتضاعف، فيخرج صاحبه عن حكم

(١) رواه أبو داود في «الطلاق»، باب: الطلاق على غلط (٢١٩٣)، وابن ماجه في «الطلاق»، باب: طلاق المكره والناسي (٢٠٤٦)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٦٦٥).

(٢) هكذا في جميع النسخ ولعل الصواب: (والتمييز).

(٣) تقدم تخريجه (٢٤٢/٣).

(٤) في «غ»: (يعمي عن مساوي المحبوب رؤية).

(٥) كلمة (فيه): غير موجودة في «غ» والمنار.

العقل وهو لا يشعر، وأكثر ما ترى من عريضة العاشق وتخليطه هو من هذا السكر، ولكن لما ألف الناس ذلك، واشتركوا فيه لم ينكروه، وإنما ينكره من كان خارجاً عنه، فإذا أفاقوا بين الأموات علموا أنهم حينئذ كانوا في سكرتهم يعمهون.

فصل

ومن أقوى أسباب السكر الموجبة له: سماع الأصوات المطربة، لاسيما إن كانت من صورة مستحسنة، وصادفت محلاً قابلاً، فلا تسأل عن سُكر السامع!

وهذا السكر يحدث عندها من جهتين:

- إحداهما: أنها في نفسها توجب لذّة قويّة ينغمر معها العقل.

- الثانية: أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها وجهته، كائناً ما كان، فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيّل للمحبوب، وإحضاره في النفس، وإدناء صورته إلى القلب، واستيلائها على الفكر لذّة عظيمة تقهر العقل، فتجتمع (١) لذّة الألحان، ولذّة الأشجان، فتسكر الروح سُكراً عجيّباً، أقوى (٢) وألذ من سكر الشراب، وتحصل به نشوة ألد من نشوة الشراب.

ومن هاهنا استشهد الشيخ على السكر بقول موسى عليه السلام لما سمع كلام الرب ﷻ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره: «أن الله ﷻ يقول يوم القيامة لداؤد: مَجْدُنِي بِذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدُنِي بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَيْفَ؟ وَقَدْ أَذْهَبَتْهُ الْمَعْصِيَةُ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَرَدْتُهُ عَلَيْكَ، فَيَقُومُ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ فَيَمَجِّدُهُ، فَإِذَا سَمِعَ أَهْلَ الْجَنَّةِ صَوْتَهُ اسْتَفْرَغَ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وأعظم من ذلك: إذا سمعوا كلام الرب ﷻ وخطابه لهم منه إليهم بلا واسطة.

وقد ذكر عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» أثرًا في ذلك: «كَأَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ إِذَا سَمِعُوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ ﷻ».

فإذا انضاف إلى ذلك رؤيتهم وجهه الكريم الذي تغنيهم (٣) لذّة رؤيته عن الجنة ونعيمها فأمر

(١) في «غ» والمنار: (فيجتمع).

(٢) في «غ» والمنار: (أطيب).

(٣) في «غ»: (يغنيهم).

لا تدركه العبارة، ولا قليلاً من كثير، فهذا صوتٌ لا يلج كلَّ أذن، وصيَّبٌ لا تحيا^(١) به كلُّ أرضٍ، وعينٌ لا يشرب منها كلُّ وادٍ، وسماعٌ لا يطرب عليه كلُّ سامع^(٢)، ومائدةٌ لا يجلس عليها طفيليٌّ. فلنرجع إلى ما نحن بصده، فنقول: السكر سببه اللذة القاهرة للعقل، وسبب اللذة إدراك المحبوب، فإذا كانت المحبة قويةً وإدراك المحبوب قويًا كانت اللذة بإدراكه تابعةً لقوة هذين الأمرين، فإذا كان العقل قويًا مستحكما لم يتغير لذلك، وإن كان ضعيفًا حدث السكر المخرج له عن حكمه، فقد يضاف إلى قوة الوارد^(٣)، وقد يضاف إلى ضعف المحل، وقد يجتمع الأمران.

□ قال صاحب «المنازل»: «وَعُيُونُ الْفَنَاءِ لَا تَقْبَلُهُ، وَمَنَازِلُ الْعِلْمِ لَا تَبْلُغُهُ».

لَمَّا كَانَ الْفَنَاءُ يَفْنِي مِنَ الْعَبْدِ كُلِّ مَا سِوَى مَشْهُودِهِ، وَيُفْنِي مَعَانِي كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ الشُّكْرُ كَمَا حَدَّهُ بِأَنَّهُ سَقُوطُ التَّمَالِكِ فِي الطَّرْبِ؛ كَانَ فِي السَّكْرَانِ بَقِيَّةَ طَرْبٍ بِهَا، وَأَحْسَسَ بِهَا بِطَرِبِهِ، بِحَيْثُ لَمْ يَتِمَالِكْ فِي الطَّرْبِ، وَالْفَنَاءُ يَأْبَى ذَلِكَ، فَحَقَائِقُهُ لَا تَقْبَلُ الشُّكْرَ.

والحاصل: أَنَّ الْفَنَاءَ اسْتِغْرَاقٌ مُحْضٌ، وَالشُّكْرُ مَعَهُ لَذَّةٌ وَطَرِبٌ لَا يَتِمَالِكُ صَاحِبُهَا، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْنِيَ عَنْهَا.

والمقصود: أَنَّ الشُّكْرَ لَيْسَ مِنْ أَعْلَى مَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ الْوَاصِلِينَ؛ لِأَنَّ أَعْلَى مَقَامَاتِهِمْ هُوَ الْفَنَاءُ عِنْدَهُ، فَمَقَامُهُمْ لَا يَقْبَلُ الشُّكْرَ.

قوله: «وَمَنَازِلُ الْعِلْمِ لَا تَبْلُغُهُ» صحيحٌ، فَإِنَّ عِلْمَ الْمَحَبَّةِ وَالشُّوقِ وَالْعَشْقِ شَيْءٌ، وَحَالُ الْمَحَبَّةِ شَيْءٌ^(٤) آخَرَ، وَالشُّكْرُ لَا يَنْشَأُ عَنْ^(٥) عِلْمِ الْمَحَبَّةِ، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ عَنْ^(٦) حَالِهَا، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: الشُّكْرُ صِفَةٌ صِفَةٌ وَحَالَةٌ نَقِصٌ لِمَنْ مَقَامُهُ فَوْقَ مَقَامِ الْعِلْمِ، وَدُونَ مَقَامِ الشُّهُودِ وَالْفَنَاءِ، وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ آخِرُ مَنْزِلَةٍ يَلْتَقِي فِيهَا مَقْدَمَةُ الْعَامَّةِ وَهُمْ أَهْلُ طُورِ الْعِلْمِ وَسَاقَةُ الْخَاصَّةِ وَهُمْ أَهْلُ طُورِ الشُّهُودِ وَالْفَنَاءِ فَالْبَرْزَخُ الْحَاصِلُ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ هُوَ مَقَامُ الْمَحَبَّةِ فَاخْتَصَّ بِهِ الشُّكْرُ.

(١) في «غ» والمنار: (لا يحيا).

(٢) جملة (وسماع لا يطرب عليه كل سامع): ساقطة من «غ».

(٣) جملة (فقد يضاف إلى قوة الوارد): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) كلمة (شيء): ساقطة من المنار.

(٥) في «غ» والمنار: (من).

(٦) انظر الحاشية السابقة.

فصل

□ قال: «وَلِلسُّكْرِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: الضِّيقُ عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِالْخَبَرِ وَالتَّعْظِيمُ قَائِمٌ، وَافْتِحَامُ لُجَّةِ الشَّوْقِ وَالتَّمَكُّنُ دَائِمٌ، وَالْعَرَقُ فِي بَحْرِ السُّرُورِ وَالصَّبْرُ هَائِمٌ».

يريد: أنَّ المحبَّ تشغله شدَّة وجده بالمحبوب، وحضور قلبه معه، وذوبان جوارحه من شدَّة الحبِّ عن سماع الخبر عنه، وهذا الكلام ليس على إطلاقه؛ فإنَّ المحبَّ الصادق أحبُّ شيءٍ إليه الخبر عن محبوبه وذكره.

كما قال عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهَّرْتُ قُلُوبَنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ».

وقال بعض العارفين: «كَيْفَ يَشْبَعُونَ مِنْ كَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ، وَهُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ؟!».

والَّذي يريده الشَّيْخُ وَأمثاله بهذا^(١): أنَّ المحبَّ الصادق يمتلئ قلبه بالمحبَّة، فتكون هي الغالبة

عليه، فتحمله غلبتها وتمكَّنْها على ألاَّ يغفل عن محبوبه، ولا يشتغل قلبه بغيره ألبتَّة، فيسمع من الفارغين ما ورد في حقِّ المحبِّين، ويسمع منهم أوصاف حبيبه والخبر عنه، فلا يكاد يصبر^(٢) على أن يسمع ذلك أبداً، لضيق قلبه عن سماعه من قلبٍ غافل، وإلَّا فلو سمع هذا الخبر ممَّن هو شريكه في شجوه وأنيسه في طريقه، وصاحبه في سفره لما ضاق عنه، بل لا تَسع^(٣) له غاية الاتِّساع. فهذا وجهه.

ووجهٌ ثانٍ وهو: أنَّ السُّكران بالمحبَّة قد امتلأ قلبه بمشاهدة المحبوب، فاجتمعت قوى قلبه وهمة وإرادته عليه، ومعاني الخبر فيها كثرةٌ وانتقالٌ من معنى إلى معنى، فقلبه يضيق في هذه الحال عنها حتَّى إذا صحَّ اتَّسع قلبه لها.

قوله: «وَالتَّعْظِيمُ قَائِمٌ»؛ أي: ضيق قلبه عن اشتغاله بالخبر ليس اطِّراحاً له ورغبةً عنه، وكيف^(٤)

وكيف^(٤) وهو خبرٌ عن محبوبه واردٌ منه؟! بل لضيقه في تلك الحال عن الاشتغال به، وتعظيمه قائمٌ في قلبه، فهو مشغولٌ بوجده وحاله عمَّا يفرِّقه عنه، وهذا يحسن إذا كان المشتغل به أحبَّ إلى حبيبه من المشتغل عنه، فأما إذا كان ما أعرض عنه أحبَّ إلى الحبيب ممَّا اشتغل به فشرع المحبَّة يوجب عليه إيثار أعظم المحبوبين إلى حبيبه، وإلَّا كان مع نفسه ووجده ولدَّته.

(١) في «غ» والمنار: (بهذا الكلام).

(٢) في «غ» والمنار: (يقدر).

(٣) في «غ» والمنار: (بل اتسع).

(٤) في «غ» والمنار: (كيف).

قوله: «وَأَفْتَحَامُ لُجَّةِ الشُّوقِ وَالتَّمَكُّنُ دَائِمٌ».

افتحام لجة الشوق: هو ركوب بحره، وتوسّطه، لا الدخول في حاشيته وطرّفه.
والتمكن المشار إليه: هو لزوم أحكام العلم من العمل به، ولزوم أحكام الورع، والقيام بالأوراد الشرعيّة، فلزوم ذلك ودوامه علامة صحّة الشوق.

قوله: «وَالْغَرَقُ فِي بَحْرِ الشُّرُورِ وَالصَّبْرُ هَائِمٌ»؛ أي: يكون المحبّ غريقاً في بحر الشرور، ولا يفارقه الشرور، حتّى كأنّه بحرٌ قد غرق فيه، فكما أنّ الغريق لا يفارقه الماء، كذلك المحبّ لا يفارقه الشرور.

ومن ذاق مقام المحبّة عرف صحّة ما يقوله الشيخ؛ فإنّ نعيم المحبّة في الدنيا رقيقه ولطيفه من نعيم الجنّة في الآخرة، بل هو جنّة الدنيا، فما طابت الدنيا إلّا بمعرفة الله ومحبّته^(١)، ولا الجنّة إلّا برويته ومشاهدته، فنعيم المحبّ دائمٌ، وإن مزج بالآلام أحياناً، فلو عرف المشغولون بغير الحقّ سبحانه ما فيه أهل محبّته وذكره ومعرفته من النعيم لتقطّعت قلوبهم حسراتٍ، ولعلموا أنّ الذي حصّلوه لا نسبة له إلى ما ضيعوه وحرّموه.

كما قيل:

وَأَنْتَ وَحِيدٌ مُفْرَدٌ غَيْرُ عَاشِقٍ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي نَعِيمِهَا

وقال الآخر:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْعَاشِقُونَ دُؤُومَ الْهُوَى وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

وقال الآخر:

هَلِ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ وَتَغْتَدِي وَأَنْتَ بِكَأْسِ الْعِشْقِ فِي النَّاسِ نَشْوَانٌ

وقال الآخر:

وَمَا تَلَقْتُ إِلَّا مِنَ الْعِشْقِ مُهَجَّتِي وَهَلْ طَابَ عَيْشٌ لِمُرِيٍّ غَيْرِ عَاشِقٍ

وقال الآخر:

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي خَلِيٌّ مِنْ الْهُوَى وَلَوْ أَنَّ لِي مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

وقال الآخر:

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ صَبَابَةٍ وَلَا فِي نَعِيمٍ لَيْسَ فِيهِ حَبِيبٌ

(١) في «غ» والمنار: (إلا بمعرفته ومحبّته).

وقال الآخر:

وَمَا طَابَتْ الدُّنْيَا بِغَيْرِ مَحَبَّةٍ وَأَيُّ نَعِيمٍ لِأَمْرِيٍّ غَيْرِ عَاشِقٍ

وقال الآخر:

اسْكُنْ إِلَى سَكَنِ تَلَذُّ بِحُبِّهِ ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدٌ بِهِ

وقال الآخر:

إِذَا لَمْ تَذُقْ فِي هَذِهِ الدَّارِ صَبُوءَ فَمَوْتُكَ فِيهَا وَالْحَيَاةُ سَوَاءٌ

وقال الآخر:

وَمَا ذَاقَ طَعْمَ العَيْشِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيْبٌ إِلَيْهِ يَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ

وقال الآخر:

وَلَا حَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ حَبِيبًا وَلَا وَافِيًا إِلَيْكَ حَيْبُ

قال الآخر:

يَزُورُ فَتَنْجَلِي عَنِّي هُمُومٌ لِأَنَّ جَلَاءَ حُزْنِي فِي يَدَيْهِ

وَيَمْضِي بِالمَسْرَةِ حِينَ يَمْضِي لِأَنَّ حَوَالِي فِيهَا عَلَيَّهِ

قال أبو المنجاب: «رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم، بين الضعف، يلوذ ويتعوذ، وينشد:

وَدَدْتُ بِأَنَّ الحُبَّ يُجْمَعُ كُلُّهُ فَيُقْدَفُ فِي قَلْبِي وَيَنْغَلِقُ الصَّدْرُ

وَلَا يَنْقُضِي مَا فِي فُؤَادِي مِنَ الهَوَى وَمِنْ فَرَحِي بِالحُبِّ أَوْ يَنْقُضِي العُمُرُ».

والأخبار في المحبين وأشعارهم في ذلك أكثر من أن تحصى، هذا وكلُّ منهم معدَّبٌ

بمحبوبه^(١) سوى الحقِّ سبحانه، ولو ظفر بوصاله، فما الظنُّ بمن قصر حبه على الحبيب الأول؟

وكلِّما دعت نفسه إلى محبة غيره تمثل بقول القائل:

نَقَلَ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى مَا الحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الأوَّلِ

قوله: «وَالصَّبْرُ هَائِمٌ»؛ أي: يكون غريقاً في سروره بالمحبة وصبره مفقوداً، والهيمنان: هو

التشتت والحيرة.

(١) في «غ» والمنار: (بمحبوب).

قوله: «وَمَا سَوَىٰ هَذَا فَحَيْرَةٌ تُنْحَلُ اسْمَ السُّكْرِ جَهْلًا، أَوْ هَيْمَانًا يُسَمَّى بِاسْمِهِ جَوْرًا». يقول: وما سوى ما ذكرناه من العلامات الثلاث - وإن كان من المحبة - إلا أنه لا ينبغي أن يسمّى سكرًا، مثل الحياة فإنها تعطى اسم السكر عند الجهال، ومثل الهيمان فإنه يسميه من لا يعرف السكر سكرًا، وذلك جورٌ وخروجٌ عن التحقيق، وعدولٌ عن الصواب.

□ قوله: «وَمَا سَوَىٰ ذَلِكَ فَكُلُّهُ يُنَاقِضُ الْبَصَائِرَ، كَسُكْرِ الْحِرْصِ، وَسُكْرِ الْجَهْلِ، وَسُكْرِ الشَّهْوَةِ».

أي: هذه الأنواع من السكر أنواعٌ مذمومةٌ، تناقض البصائر، فسكر الحرص ينشأ من شدة الرغبة في الدنيا، وعدم الزهد فيها، والحرص عليها سكرانٌ في صورة صاح، وكذلك سكر الجهل؛ فإن الجهل جهلان: جهل العلم، وجهل العمل، فإذا تحكّم الجهلان فلا تسأل عن سكر صاحبهما، وكذلك سكر الشهوة، فإن لها سكرًا أشدّ من سكر الخمر، وكذلك سكر الغضب، وسكر الفرح، وكذلك سكر السلطان والرئاسة، فإن للرئاسة (١) سكرًا وعريضة لا تخفى، وكذلك الشباب له سكرة قوية، وهي شعبة من الجنون، وكذلك الخوف له سكرة تحول بين الخائف وبين حكم العقل.

سَكَرَاتُ حَمْسٍ إِذَا مُنِيَ الْمَرْءُ ءُ بِهَا صَارَ ضَحَكَةً لِلزَّمَانِ
سَكْرَةُ الْحِرْصِ وَالْحَدَائَةِ وَالْعِشَى سِقِ وَسُكْرِ (٢) الشَّرَابِ وَالسُّلْطَانِ

وآخر ذلك سكرة الموت التي تأتي بالحق: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الصَّحْوِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٢٣] ﴿سبأ: ٢٣﴾».

وجه استدلاله بإشارة (٣) الآية: أن الله سبحانه إذا تكلم بالوحي صعقت الملائكة، وأخذهم

(١) في «غ»: (الرئاسة).

(٢) في «غ» والمنار: (وسكره).

(٣) كلمة (إشارة): ساقطة من «غ».

الغشي من تكلم الرب ﷻ، فإذا كشف الفزع عن قلوبهم، وحلّى عنها، وأفاقوا من ذلك الغشي، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيستخبر كل أهل سماءٍ من يليهم حتى ينتهي الأمر إلى أهل السماء السابعة، فيسألون جبريل: يا جبريل، ماذا قال ربنا؟ فيقول: قال الحق وهو العليّ الكبير^(١).

□ قال: «الصَّحْوُ فَوْقَ السُّكْرِ، وَهُوَ يُنَاسِبُ مَقَامَ الْبَسْطِ، وَالصَّحْوُ مَقَامٌ صَاعِدٌ عَنِ الْإِنْتِظَارِ، مُغْنٍ عَنِ الطَّلَبِ، طَاهِرٌ مِنَ الْحَرَجِ، فَإِنَّ السُّكْرَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِّ، وَالصَّحْوُ إِنَّمَا هُوَ بِالْحَقِّ، وَكُلُّ مَا كَانَ فِي عَيْنِ الْحَقِّ لَمْ يَخُلْ مِنْ حَيْرَةٍ، لَا حَيْرَةٍ الشُّبْهِةِ، بَلْ حَيْرَةٌ مُشَاهِدَةٌ نُورِ الْعِزَّةِ، وَمَا كَانَ بِالْحَقِّ لَمْ يَخُلْ مِنْ صِحَّةٍ، وَلَمْ تَحِفْ عَلَيْهِ نَقِيسَةٌ، وَلَمْ تَتَعَاوَزْهُ عِلَّةٌ، وَالصَّحْوُ مِنْ مَنَازِلِ الْحَيَاةِ، وَأَوْدِيَةِ الْجَمْعِ، وَلَوَائِحِ الْوُجُودِ».

قوله: «الصَّحْوُ فَوْقَ السُّكْرِ».

يعني: أن السُّكْرَ يكون في الانفصال، والصَّحْوُ في الاتِّصال، وأيضًا فالسُّكْرُ فناءٌ، والصَّحْوُ بقاءٌ. وأيضًا فالسُّكْرُ غيبةٌ والصَّحْوُ حضورٌ، وأيضًا فالسُّكْرُ غلبةٌ والصَّحْوُ تمكُّنٌ، وأيضًا فالسُّكْرُ كالنَّومِ والصَّحْوُ كاليقظة.

وبعضهم يفضّل مقام السُّكْرِ على مقام الصَّحْوِ ويقول: لولا البقيّة التي بقيت فيه لما صحا، وينشد متمثلاً:

وَمَهْمَا بَقِيَ لِلصَّحْوِ فِيكَ بَقِيَّةٌ يَحِذُ نَحْوَكَ اللَّاحِي سَبِيلًا إِلَى الْعَدْلِ

وهذا غلطٌ محضٌ، لما ذكرنا؛ نعم السُّكْرُ فوق الصَّحْوِ الفارغ، والسُّكْران بالمحبّة خيرٌ من الصَّاحي منها، والصَّاحي بها خيرٌ من السُّكْران فيها.

قوله: «وَهُوَ يُنَاسِبُ مَقَامَ الْبَسْطِ» وجه المناسبة بينهما: أن الانبساط لا يكون إلا مع الصَّحْوِ، وإلا فالسُّكْرُ لا يحتل الانبساط.

قوله: «وَالصَّحْوُ مَقَامٌ صَاعِدٌ عَنِ الْإِنْتِظَارِ».

يعني: انتظار الحضور فإن الصَّاحي متمكِّنٌ في الحضور؛ ولذلك أشبه مقامه مقام البسط، فالصَّحْوُ أعلى من أن يصحبه الانتظار؛ لأن صاحبه قد اتَّصل، فهو لا ينتظر الاتِّصال، ولذلك قال: «مُغْنٍ عَنِ الطَّلَبِ»، فإنَّ الطَّالِبَ إنما يطلب الوصول إلى مطلوبه، وهذا قد اتَّصل، فصحوه مغنٍ له عن طلبه.

(١) رواه البخاري بلفظ آخر في «التفسير»، باب: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (٤٧٠)، والترمذي في «التفسير»، باب: ومن سورة سبأ بلفظ آخر؛ وانظر الروايات المختلفة للحديث في «جامع الأصول» (٣٢٧-٣٢٩).

وهذا الكلام ليس على إطلاقه؛ فإنَّ الطلب لا يفارق العبد ما دامت الحياة تصحبه؛ نعم صحوه مغنٍ عن طلب حظٍّ من حظوظه، وأمَّا طلب محابِّ محبوبه ومراضيه فهو أكمل ما يكون لها طلبًا. فإن قيل: إنَّ مراد الشيخ: أنَّه مغنٍ عن التوجُّه^(١) والسُّلوك، فإنَّه واصلٌ، والسَّالك لا يزال^(٢) في الطَّريق.

قلت: العبد لا يزال في الطَّريق حتَّى يلحق الله^(٣) تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وهو الموت بإجماع أهل العلم كلِّهم. قال الحسن: «لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَجَلًا دُونَ الْمَوْتِ». وتقسيم أبناء الآخرة إلى طالبٍ وسالكٍ وواصلٍ، صحيحٌ باعتبارٍ فاسدٌ باعتبارٍ؛ فكأنَّهم جعلوا السَّير إلى الله تعالى بمنزلة السَّير إلى بيته، فالنَّاس ثلاثةٌ: طالبٌ للسَّفر، ومسافرٌ في الطَّريق، وواصلٌ إلى البيت.

وهذا موضعٌ زلَّت فيه أقدامٌ، وضلَّت فيه أفهامٌ، ولا بدَّ من تحقيقه.

* فنقول وبالله التوفيق، ومنه الاستمداد وهو المستعان:

هذا المثال غير مطابق؛ فإنَّ الوصول إلى البيت هو غاية الطَّريق، فإذا وصل فقد انقطعت طريقه، وانتهى سفره، وليس كذلك الوصول إلى الله؛ فإنَّ العبد إذا وصل إلى الله جذبته سيره، وقوي سفره، فعلاية الوصول إلى الله: الجُدُّ في السَّير، والاجتهاد في السَّفر، وهذا الموضع هو مفرق الطَّريقين بين الموحِّدين والملحدين.

فالملحد يقول: السَّفر وسيلةٌ، والاشتغال بالوسيلة بعد الوصول إلى الغاية بطلانٌ، ومتى وصل

العبد سقطت عنه أحكام السَّفر، وصار كما قيل:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَابِ الْمَسَاوِرِ

«ودعي بعض هؤلاء إلى الصَّلاة، وقد أقيمت، فقال:

يُطَالِبُ بِالْأَوْرَادِ مَنْ كَانَ عَافِلًا فَكَيْفَ بِقَلْبِ كُلِّ أَوْقَاتِهِ وَرُدًّا».

وقيل لملحدٍ آخر منهم^(٤): «أَلَا تُصَلِّي؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ مَعَ أَوْرَادِكُمْ، وَنَحْنُ مَعَ وَرِدَاتِنَا».

وهؤلاء هم الذين صاح بهم أئمة الطَّريق، وأخرجوهم من دائرة الإسلام.

(١) في المنار: (التوحيد).

(٢) جملة (لا يزال): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (بالله).

(٤) كلمة (منهم): ساقطة من «غ».

وقال بعضهم: «نَعَمْ وَصَلُّوا وَلَكِنْ إِلَى الشَّيْطَانِ لَا إِلَى الرَّحْمَنِ».

وقال آخر: «وَصَلُّوا وَلَكِنْ إِلَى سَقَرٍ».

فكلُّ واصل إلى الله فهو طالبٌ له، وسالكٌ في طريق مرضاته.

نعم؛ بداية الأمر الطَّلَب، وتوسُّطه السُّلُوك، ونهايته الوصول، وسيأتي بيان حقيقة الوصول الذي

يشير إليه القوم في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

والمقصود: أن قوله: «مُغْنٍ عَنِ الطَّلَبِ» كلامٌ يحتاج إلى تأويل وحملٍ على معنى يصحُّ، فإمَّا

أن يحمل على أنه مغنٍ عن تكلف الطَّلَب، فلا يريد (١) هذا على هذا المعنى.

وإمَّا أن يحمل على أنه مغنٍ عن رؤيته، وهذا أقرب، ولكن (٢) لا يريده.

وإمَّا أن يحمل على أنه قد وصل إلى مشاهدة الأوليّة، حيث تنطوي الأكوان والأسباب، ولا

يبقى للطَّلَب تأثيرُ البتّة؛ فإنه من عين الجود، وحصول المطلوب لم يكن موقوفًا عليه ولا به، وإمَّا هو

ممن وجود كلِّ شيءٍ به وحده، فهو الموجد والمعدُّ (٣) والممدُّ، ويده الأسباب وسببها وقواها

وموانعها ومعارضها، فالأمر كله له وبه، ومصيره إليه، فهذا معنى صحيحٌ في نفسه، ولكن صاحب هذا

المقام لا يستغني عن الطَّلَب.

قوله: «طَاهِرٌ مِنَ الْحَرَجِ»؛ أي: خالٍ منه، لا حرج عليه؛ لأنه قائمٌ بوظائف العبوديّة في سكره

وصحوه.

قوله: «فَإِنَّ السُّكْرَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِّ، وَالصَّحْوَ إِنَّمَا هُوَ بِالْحَقِّ».

يريد: أن السُّكْرَ إِنَّمَا هُوَ فِي مَحَبَّتِهِ وَالشُّوقَ إِلَيْهِ، فقلبه مستغرقٌ في الحبِّ، والصَّحْوُ إِنَّمَا هُوَ

بِالْحَقِّ؛ أي: بوجوده، وهذا كلامٌ يحتاج إلى شرحٍ وبيانٍ وعبارةٍ وافيةٍ.

* فنقول والله المستعان:

- المحبُّ له حالتان: حالة استغراقٍ في محبّة محبوبه، كاستغراق صاحب السُّكْر في سكره،

وذلك عند استغراقه في شهود جماله وكمالهِ، فلا يبقى فيه متسعٌ لسواه، ولا فضلٌ لغيره، فإذا رآه من لم

يعرف حاله ظنّه سكرًا، فهذا استغراقٌ في محبوبه وصفاته ونعوته.

- الحالة الثّانية: حالة صحوٍ، يفيق فيها على عبوديته والقيام بمرضاته، كالمسارعة إلى محابّته،

فهو في هذا الحال به؛ أي: متصرّفٌ في أوامره (٤) ومحابّته به، ليس غائبًا عنه بأوامره، ولا غائبًا به عن

(١) في المنار: (نريد).

(٢) كلمة (لكن): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ»: (والمعدم).

(٤) في «غ»: (ولا غائبًا عند أوامره).

أوامره، فلا يشغله واجبٌ أو أمرٌ وحقوقه عن واجب محبته، والإنابة إليه، والرضا به، ولا يشغله واجب حبه عن أوامره، بل هو مقتدٍ بإمام الحنفاء إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، فإنه كان في أعلى مقامات المحبة وهي الخلة ولم يشغله ذلك عن القيام بخصال الفطرة من الختان، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، فضلاً عما هو فوق ذلك، فوفى المقامين حقهما، ولهذا أثنى الله عليه بذلك فقال: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

قوله: «وَكُلَّمَا كَانَ فِي عَيْنِ الْحَقِّ لَمْ يَخُلْ مِنْ حَيْرَةٍ».

يريد بذلك: تفضيل مقام الصحو على مقام السكر، ورفع عليه، وأن السكر لما كان في عين الحق كان مستلزماً لنوع من الحيرة، ثم استدرك فقال: «لَا حَيْرَةَ الشُّبْهَةِ» فإنها تنافي أصل (١) عقد الإيمان «وَلَكِنْ حَيْرَةَ مُشَاهَدَةِ أَنْوَارِ الْعِزَّةِ» وهي دهشة تعترى الشاهد لأمرٍ عظيمٍ جداً، لا عهد له بمثله، بخلاف مقام «الصَّحْوِ» فإنه لقوته وثباته وتمكُّنه لا يعرض له ذلك.

وحاصل كلامه: أن من كان ناظرًا في عين الحقيقة لزمته الحيرة، وهي حيرة مشاهدة أنوار العزة، لا حيرة من ضلَّ عن طريق مقصوده؛ فإن الشبهة هي اشتباه الطريق على السالك، بحيث لا يدري أعلى حق هو أم على (٢) باطل؟ وقد تقدّم بيان أن مشاهدة نور الذات المقدسة في هذه الدار محال، فلا نعيده.

قوله: «وَمَا كَانَ بِالْحَقِّ لَمْ يَخُلْ مِنْ صِحَّةٍ، وَلَمْ تَحْفَ (٣) عَلَيْهِ تَقِيصَةٌ، وَلَمْ تَتَعَاوَرَهُ (٤) عِلَّةٌ».

هذا تقرير منه لرفع مقام الصحو على مقام السكر؛ فإنه لما كان بالله كان محفوظاً محروساً من النفس والشيطان اللذين هما مصدر كل باطل، وهذا الحفظ هو معنى قوله: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصْرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» (٥) فأين الباطل هاهنا؟ ثم قال: «فِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي» (٦) تحقيقاً لحفظ سمعه وبصره وبطشه ومشيه.

قوله: «وَلَمْ تَتَعَاوَرَهُ عِلَّةٌ» التعاور: الاختلاف؛ أي: لم تتخالف عليه العلل، والعلل ملاحظة

الأغيار، وطاعة القلب للسوى، وإجابته لداعيه.

(١) كلمة (أصل): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (على): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (ولم يخف).

(٤) في «غ»: (يتعاوره).

(٥) سبق تخريجه (٣٦/٢).

(٦) سبق تخريجه (٣٦/٢).

قوله: «وَالصَّحُوفُ مِنْ مَنَازِلِ الْحَيَاةِ، وَأُودِيَةِ الْجَمْعِ، وَلَوَائِحِ الْوُجُودِ». هذا تقريرٌ أيضًا لرفع مقامه على مقام السكر، وقد تقدّم ذكر الحياة ومراتبها وأقسامها. والمناسبة بين الصّحو والحياة: أنّ الحياة هي المصحّحة لجميع المقامات والأحوال، فهي التي ترمي على جميعها كما ترمي الأودية أمواها على البحار.

قوله: «وَأُودِيَةِ الْجَمْعِ». الجمع يراد به: جمع الوجود، وجمع الشهود، وجمع الإرادة. فالأوّل: جمع أهل الإلحاد الاتّحادية. والثاني: جمع أهل الفناء. والثالث: جمع الرُّسل وورثتهم، كما سيأتي تفصيل ذلك في باب الجمع إن شاء الله تعالى.

فالصّحو من أودية الجمع العالي لا النَّازل ولا المتوسّط.

قوله: «وَلَوَائِحِ الْوُجُودِ». اللّوائح: جمع لائحة، وهي ما يلوح لك كالبرق وغيره، وسيأتي الكلام على الوجود الذي الصّحو من لوائحه في بابه إن شاء الله تعالى.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الْإِتِّصَالِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مِمَّنْ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨ - ٩] آيسَ الْعُقُولِ، فَقَطَعَ الْبَحْثُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾».

كأن الشيخ فهم من الآية أن الذي دنى فتدلى فكان من محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى هو الله ﷻ، وهذا وإن قاله جماعة من المفسرين؛ فالصحيح: أن ذلك هو جبريل عليه الصلاة والسلام، فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤] هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، قالت عائشة رضي الله عنها: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية؟ فقال: «ذاك جبريل، لم أره في صورته التي خلق عليه إلا مرتين» (١).

(١) رواه البخاري في كتاب «التفسير» سورة النجم، باب (١) (٤٨٥٥)، ورواه مسلم في كتاب «الإيمان»، باب: معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٧٧﴾﴾ واللفظ له.

ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه:

- أحدها: أنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٥] وهذا جبريل الذي وصفه الله (١) بالقوة في سورة التكوير، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٨﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٨، ٢٠].

- الثاني: أنه قال: ﴿ذُو مِرْقٍ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٦] أي: حسن الخلق، وهو الكريم المذكور في التكوير.

- الثالث: أنه قال: ﴿فَأَسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾ [النجم: ٦، ٧] وهو ناحية السماء العليا،

وهذا استواء جبريل بالأفق الأعلى، وأما استواء الرب ﷻ فعلى عرشه.

- الرابع: أنه قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨، ٩] فهذا دنو جبريل

وتدليّه إلى الأرض، حيث كان رسول الله ﷺ، وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله ﷺ كان (٢) فوق السموات؛ فهناك دنا الجبار ﷻ منه وتدلي.

فالدنو والتدلي في الحديث غير الدنو والتدلي في الآية، وإن اتفقا في اللفظ.

- الخامس: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤] والمرثي عند

السدرة: هو جبريل قطعاً، وبهذا فسره النبي ﷺ، فقال لعائشة (٣): «ذَلِكَ جِبْرِيلُ».

- السادس: أن مفسر الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ﴿٤﴾﴾، وفي قوله (٤): ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾، وفي

قوله (٥): ﴿فَأَسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾، وفي قوله (٦): ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾ واحد (٧)؛ فلا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسر (٨) من غير دليل.

- السابع: أنه سبحانه ذكر في هذه السورة الرسولين الكريمين: الملكي، والبشري، ونزه البشري

عن الضلال والغواية، ونزه الملكي عن أن يكون شيطاناً قبيحاً ضعيفاً، بل هو قوي كريم حسن الخلق، وهذا نظير الوصف المذكور في سورة التكوير سواء.

- الثامن: أنه أخبر هناك أنه: ﴿رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٢﴾﴾ وهاهنا أخبر (٩) أنه رآه بالأفق الأعلى

(١) لفظ الجلالة غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (كان): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) كلمة (لعائشة): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) كلمة (قوله): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) انظر الحاشية السابقة.

(٦) انظر الحاشية السابقة.

(٧) في المنار: واحدة.

(٨) كلمة (والمفسر): ساقطة من «غ» والمنار.

(٩) كلمة (أخبر): ساقطة من «غ» والمنار.

وهو (١) واحدٌ وصف بصفيتين، فهو مبينٌ وهو أعلى؛ فإنَّ الشَّيءَ كلِّما علا بان وظهر.
- التَّاسِعُ: أَنَّهُ قَالَ: ﴿ذُو مَرْوٍ﴾ وَالْمِرَّةُ: الْخَلْقُ الْحَسَنُ الْمَحْكَمُ، فَأَخْبَرَ عَنْ حَسَنِ خَلْقِ الَّذِي عَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَ الْخَبَرَ كُلَّهُ عَنْهُ نَسَقًا وَاحِدًا.

- العاشر: أَنَّهُ لَوْ كَانَ خَبْرًا عَنِ الرَّبِّ تَعَالَى لَكَانَ الْقُرْآنُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَبَّهُ سَبْحَانَهُ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِالْأَفْقِ، وَمَرَّةً عِنْدَ السُّدْرَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ وَقَدْ سَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!» (٢) فَكَيْفَ يَخْبِرُ الْقُرْآنُ أَنَّهُ رَأَى مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّى أَرَاهُ؟!» وهذا أبلغ من قوله: لم أراه؛ لأنَّه مع النَّفي يقتضي الإخبار عن عدم الرُّؤية فقط، وهذا يتضمَّن النَّفي، وطرفاً (٣) من الإنكار على السَّائل، كما إذا قال لرجلٍ: هل كان كيت وكيت؟ فيقول: كيف يكون ذلك؟

- الحادي عشر: أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمَ لِلرَّبِّ ﷻ ذَكَرٌ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] وَالَّذِي يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَيْهِ لَا يَصْلِحُ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعَبْدِهِ.

- الثَّانِي عَشْرَ: أَنَّهُ كَيْفَ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى مَا لَمْ يَذْكُرْ، وَيَتْرَكَ عَوْدَهُ إِلَى الْمَذْكُورِ مَعَ كَوْنِهِ أَوْلَى بِهِ؟

- الثَّالِثُ عَشْرَ: أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ «صَاحِبِكُمْ» وَأَعَادَ عَلَيْهِ الضَّمَائِرَ الَّتِي تَلِيْقُ بِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ «شَدِيدَ الْقُوَى ذَا الْمِرَّةِ» وَأَعَادَ عَلَيْهِ الضَّمَائِرَ الَّتِي تَلِيْقُ بِهِ، وَالْخَبْرُ كُلُّهُ عَنِ هَذَيْنِ الْمَفْسَّرَيْنِ، وَهُمَا الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ وَالرَّسُولُ الْبَشَرِيُّ.

- الرَّابِعُ عَشْرَ: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى كَانَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى وَهُوَ أَفْقُ السَّمَاءِ، بَلْ هُوَ تَحْتَهَا قَدْ دَنَا مِنْ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷺ، وَدَنُوَ الرَّبُّ تَعَالَى وَتَدَلَّى عَلَيْهِ مَا فِي حَدِيثِ شَرِيكَ كَانَ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ لَا إِلَى الْأَرْضِ.

- الْخَامِسُ عَشْرَ: أَنَّهُمْ لَمْ يَمَارَوْهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ عَلَى رُؤْيَةِ رَبِّهِ، وَلَا أَخْبَرَهُمْ بِهَا، لِتَقَعِ مِمَارَاتِهِمْ لَهُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا مَارَوْهُ عَلَى رُؤْيَةِ مَا أَخْبَرَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَلَوْ أَخْبَرَهُمْ الرَّبُّ تَعَالَى لَكَانَتْ مِمَارَاتِهِمْ لَهُ عَلَيْهَا أَعْظَمَ مِنْ مِمَارَاتِهِمْ عَلَى رُؤْيَةِ الْمَخْلُوقَاتِ.

- السَّادِسُ عَشْرَ: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَرَّرَ صِحَّةَ مَا رَأَى الرَّسُولُ ﷺ (٤)، وَأَنَّ مِمَارَاتِهِمْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ

(١) كلمة (هو): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) رواه مسلم في كتاب «الإيمان»، باب: في قوله ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ...» (١٧٨)، والترمذي في كتاب «التفسير»، باب: سورة النجم، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٦).

(٣) في «غ» والمنار: (فطرفاً).

(٤) جملة (الرَّسُولُ ﷺ): غير موجودة في «غ» والمنار.

باطلة بقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿١٨﴾ [النجم: ١٨]، فلو كان المرئي هو الرب ﷻ، والممارسة على ذلك منهم، لكان تقرير تلك الرؤية أولى، والمقام إليها أحوج، والله أعلم.

قوله: «آيسَ الْعُقُولِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾» يعني: أن العقول لا تقدر أن (١) تثبت على معرفة اتصال هو أدنى من قاب قوسين، وهذا بناء على ما فهمه من الآية، وإلا فالعقول غير آيسة من دنو رسوله الملكي من رسوله البشري، حتى صار في القرب منه قاب قوسين أو أدنى من قوسين، فإنه دنو عبد من عبد، ومخلوق من مخلوق.

يبقى أن يقال: فما فائدة ذكر «أو»؟

فيقال: هي لتقرير (٢) المذكور قبلها، وأن القرب إن لم ينقص عن قدر قوسين لم يزد عليهما، وهذا كقوله: ﴿وَأَرْسَلْتُهُ إِلَى مِائَةِ آلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الصافات: ٤٧]، والمعنى: أنهم إن لم يزيدوا على المائة الألف لم ينقصوا عنها، فهو تقرير لنصيحة عدد المائة الألف، فتأمل!

□ قال: «وَالِاتِّصَالَ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: اتِّصَالَ الْإِعْتِصَامِ، ثُمَّ اتِّصَالَ الشُّهُودِ، ثُمَّ اتِّصَالَ الْوُجُودِ،
وَاتِّصَالَ الْإِعْتِصَامِ: تَصْحِيحُ الْقَصْدِ، ثُمَّ تَصْفِيَةُ الْإِرَادَةِ، ثُمَّ الْحَالِ».

أما القسمان الأولان وهما اتصال الاعتصام، واتصال الشهود، فلا إشكال فيهما، فإنهما مقاما الإيمان والإحسان، فاتصال الاعتصام مقام الإيمان، واتصال الشهود مقام الإحسان.

وعندي: أنه ليس وراء ذلك مرعى، وكل ما يذكر بعد ذلك من اتصال صحيح فهو من مقام الإحسان، فاتصال الوجود لا حقيقة له، ولكن لابد من ذكر مراد الشيخ وأهل الاستقامة بهذا الاتصال، ومراد أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود منه، إذا انتهينا إلى ذكره إن شاء الله.

فأما اتصال الاعتصام: فقد قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ

فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) كلمة (أن): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) في المنار: (التقرير).

فلا اعتصام به نوعان:

- اعتصام توكل واستعانة وتفويضٍ ولجأٍ وعبادٍ، وإسلام النفس إليه، والاستسلام له سبحانه.
- والثاني: اعتصامٌ بوحيه، وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم^(١) وكشوفاتهم ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك فهو منسل^(٢) من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علماً وعملاً، وإخلاصاً واستعانةً، ومتابعةً، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة.

قوله: «ثُمَّ اتَّصَلَ الشُّهُودُ» وتقدّم ذكر المشاهدة قريباً، وبيننا أنّ المشاهدة هي تحقّق مقام الإحسان.

فالاتّصال الأوّل: اتّصال العلم والعمل.

والثاني: اتّصال الحال والمعرفة.

قوله: «ثُمَّ اتَّصَلَ الْوُجُودُ».

الوجود: الظفر بحقيقة الشّيء، ومعاذ الله أن يريد الشيخ: أنّ وجود العبد يتّصل بوجود الرّب، فيصير الكلّ وجوداً واحداً، كما يظنّه الملحّد، فإنّ كفر النصارى جزءٌ يسير من هذا الكفر، وهو أيضاً كلامٌ لا معنى له، فإنّ العبد - بل لا عبد في الحقيقة عندهم - لم يزل كذلك، ولو كان أفسق الخلق وأفجرهم، فنفس وجوده متّصل بوجود ربّه، بل هو عين وجوده، بل لا ربّ عندهم ولا عبد.

وإنّما يريد الشيخ باتّصال الوجود: أنّ العبد يجد ربّه بعد أن كان فاقداً له، فهو بمنزلة من كان يطلب كنزاً ولا وصول له إليه، فظفر به بعد ذلك ووجده واستغنى به غاية الغنى، فهذا اتّصال الوجود.

كما في الأثر: «أَطْلُبُنِي تَجِدُنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ قُتِكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ».

وهذا الوجود من العبد لربّه يتنوّع بحسب أحوال العبد ومقامه، فإنّ التائب الصادق في توبته إذا تاب إليه، وجده غفوراً رحيماً، والمتوكّل إذا صدق في التوكّل عليه وجده حسيباً كافياً، والدّاعي إذا صدق في الرّغبة إليه وجده قريباً مجيباً، والمحبّ إذا صدق في محبّته وجده ودوداً حبيباً، والملهوف إذا صدق في الاستغاثة به وجده كاشفاً للكرب مخلّصاً منه، والمضطرّ إذا صدق في الاضطرار إليه وجده رحيماً مغيثاً، والخائف إذا صدق في اللّجأ إليه وجده مؤمناً من الخوف، والرّاجي إذا صدق في الرّجاء وجده عند ظنّه به.

(١) في «غ» والمنار: (وأذواقاتهم).

(٢) في «غ»: (متخل)، وفي المنار: (متسلل).

فمحبُّه وطالبه ومريده الَّذِي (١) لا يبغِي به بدلاً، ولا يرضى بسواه عوضاً، إذا صدق في محبته وإرادته وجده أيضاً وجوداً أخصَّ من تلك الوجودات؛ فإنَّه إذا كان المريد منه يجده، فكيف بمريده (٢) ومحبِّه؟! فيظفر هذا الواجد بنفسه وبربِّه.

أمَّا ظفره بنفسه: فتصير منقاداً له، مطيعةً له، تابعةً لمرضاته (٣) غير آبية، ولا أمارة، بل تصير خادمةً له مملوكةً بعد أن كانت مخدومةً مالكةً.

وأمَّا ظفره بربِّه: فقربه منه وأنسه به، وعمارة سرِّه به، وفرحه وسروره به أعظم فرحٍ وسرورٍ، فهذا حقيقة اتصال الوجود، والله المستعان.

قوله: «فَاتِّصَالَ الْأَعْتَصَامُ: تَصْحِيحُ الْقَصْدِ، ثُمَّ تَصْفِيَةُ الْإِرَادَةِ، ثُمَّ تَحْقِيقُ الْحَالِ».

قلت: تصحيح القصد يكون بشيئين؛ إفراد المقصود، وجمع الهَمِّ عليه، وحقيقته توحيد القصد والمقصود، فتمتُ انقسم قصده أو مقصوده لم يكن صحيحاً.

وقد عبَّر عنه الشَّيْخُ فيما تقدَّم بأنَّه: «قَصْدٌ يَبْعَثُ عَلَى الْإِرْتِيَاضِ، وَيُخَلِّصُ مِنَ التَّرَدُّدِ، وَيَدْعُو إِلَى مُجَانِبَةِ الْأَعْوَاضِ» (٤)؛ فالإتصال في هذه الدَّرَجَةِ بهذا القصد.

وقوله: «ثُمَّ تَصْفِيَةُ الْإِرَادَةِ» هو تخليصها من الشَّوَابِغِ وتعليقها بالسَّوَى أو بالأعراض، بل تكون إرادةً صافيةً من ذلك كلِّه، بحيث تكون متعلِّقةً بالله وبمراده الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ، كما تقدَّم بيانه.

قوله: «ثُمَّ تَحْقِيقُ الْحَالِ»؛ أي: يكون له حال محقَّقٌ ثابتٌ، لا يكتفي بمجرد العلم حتَّى يصحبه العمل، ولا بمجرد العمل حتَّى يصحبه الحال، فتصير الإرادة والمحبَّة والإنابة والتَّوَكُّلُ وحقائق الإيمان حالاً لقلبه، قد انصبغ قلبه بها، بحيث لو تعطلَّت جوارحه كان قلبه في العمل والسَّيرِ إِلَى اللَّهِ، وربَّما يكون عمل قلبه أقوى من عمل جوارحه.

□ قوله: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: اتِّصَالَ الشُّهُودِ، وَهُوَ الْخَلَاصُ مِنَ الْإِعْتِلَالِ، وَالْغِنَى عَنِ

الِاسْتِدْلَالِ، وَسُقُوطُ شَتَاتِ الْأَسْرَارِ».

الاعتلال: هو العوائق والعلل، والخلاص منها هو الصَّحَّةُ؛ ولهذا كانت هذه الدَّرَجَةُ أعلى ممَّا قبلها؛ فإنَّ الأولى: اتِّصَالَ بِصَحَّةِ الْقَصُودِ (٥) والأعمال، وهذه اتِّصَالَ بِرُؤْيَاةٍ مِنَ الْعَمَلِ لَهُ، عَلَى تَحْقِيقِ

(١) في «غ» والمنار: (من).

(٢) في «غ» والمنار: (مريده).

(٣) في «غ» والمنار: (مرضاته).

(٤) في «غ»: (الأعراض).

(٥) في «غ» والمنار: (المقصود).

مشاهدته بالبصيرة، فيتخلص العبد بذلك من علل الأعمال واستكثارها، واستحسانها والشكون إليها. قوله: «وَالْغِنَى عَنِ الْإِسْتِدْلَالِ»؛ أي: هو مستغن بمشاهدة المدلول عليه عن طلب الدليل؛ فإنَّ طالب الدليل إنَّما يطلبه ليصل به إلى معرفة المدلول، فإذا كان مشاهدًا للمدلول، فما له ولطلب الدليل؟!

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

فكيف يحتاج إلى إقامة الدليل عليه من النهار بعض آياته الدالة عليه؟ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ آيَاتُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ ولهذا خاطب الرُّسُل قومهم خطاب من لا يشكُّ في ربِّه ولا يرتاب في وجوده: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. قوله: «وَسُقُوطُ شَتَاتِ الْأَسْرَارِ».

يعني: أنَّ الخلاص من الاعتلال والفناء باتِّصال الشُّهود عن [الاستدلال] (١) يسقطان عنه شتات الأسرار، وهو تفرُّق باله وتشَّتُّ قلبه في الأكوان، فإنَّ اتِّصال شهوده بجمعه (٢) على المشهود، كما أنَّ دوام الذِّكر الَّذي تواطأ (٣) عليه القلب واللِّسان وشهود المذكور يجمعه عليه، ويسقط شتاته، فالشتات مصحوب الغيبة، وسقوطه مصحوب الحضور، والله المستعان.

□ قوله: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: اتِّصَالُ الْوُجُودِ، وَهَذَا الْإِتِّصَالُ لَا يُدْرِكُ مِنْهُ نَعْتُ وَلَا مَقْدَارٌ، إِلَّا اسْمٌ مُعَارٌ، وَلَمْحٌ إِلَيْهِ مُشَارٌ».

يقول: لَمَّا [لم] (٤) يُعْهَدُ فِي هَذَا النُّوعِ مِنَ الْإِتِّصَالِ وَكَانَ أَعَزَّ شَيْءٍ وَأَغْرَبَهُ عَنِ النُّفُوسِ عِلْمًا وَحَالًا لَمْ تَفِ الْعِبَارَةُ بِكَشْفِهِ؛ فَإِنَّ الْفِظَ كَلْمٌ (٥) وَالْعِبَارَةُ فَتَانَةٌ، إِمَّا أَنْ تَزِيغَ إِلَى زِيَادَةِ مَفْسَدَةٍ أَوْ نَقْصِ مَخْلٍ، أَوْ تَعْدِلَ بِالْمَعْنَى إِلَى غَيْرِهِ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَمَكَّنَ الْعِبَارَةُ عَنْهُ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ غَلِبَهُ نُورُ الْقُرْبِ، وَتَمَكَّنَ الْمَحَبَّةُ، وَقُوَّةُ الْأَنْسِ، وَكَمَالُ الْمِرَاقَبَةِ، وَاسْتِيْلَاءُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ، فَيَذْهَبُ الْعَبْدُ عَنِ إِدْرَاكِهِ بِحَالِهِ لَمَّا قَهَرَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَيَبْقَى بِوُجُودٍ آخَرَ غَيْرِ وَجُودِهِ الطَّبِيعِيِّ. وما أظنك تصدق بهذا، وأنه (٦) يصير له وجودٌ آخر، وتقول: هذا خيالٌ ووهمٌ، فلا تعجل

(١) ما بين المعكوفتين هو المثبت من نسخة «غ» والمنار وهو الصواب، وفي طبعة الفقي: (الاستلال).

(٢) في «غ» والمنار: (يجمعه).

(٣) في «غ» والمنار: (توالي).

(٤) كلمة (لم): ساقطة من ط. الفقي وأثبتتها من «غ» والمنار.

(٥) في حاشية المنار: (ظلم).

(٦) في «غ» والمنار: (أنه).

بإنكار ما لم تحط بعلمه، فضلاً عن ذوق حاله، وأعط القوس باريها، وخل المطايا وحاديها، فلو أنصفت لعرفت أن الوجود الحاصل للمعذب^(١) مضيّق عليه في أسوأ حالٍ، وأضيق سجنٍ، وأنكد عيشٍ، إذا فارق هذه الحال، وصار إلى ملكٍ هنّيٍ واسعٍ، نافذةً فيه كلمته، مطاعٌ أمره، قد انقادت له الجيوش، واجتمعت عليه الأمة، فإن وجوده حينئذٍ غير الوجود الذي كان فيه، وهذا تشبيهٌ على التقريب، وإلا فالأمر أعظم من ذلك وأعظم، فلهذا قال: «لا يدرك منه نعتٌ» يطابقه ويحيط به، فإن الأمور العظيمة جداً نعتها لا يكشف حقيقتها على ما هي عليه، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وإنما نذكر بعض لوازمها ومتعلقاتها، فيدل بالمذكور على غيره.

قوله: «وَلَا مِقْدَارَ».

يريد: مقدار الشرف والمنزلة، كما تقول: فلانٌ كبير المقدار.

قوله: «إِلَّا اسْمٌ مُعَارٍ وَلَمْحٌ إِلَيْهِ مُشَارٌ».

لَمَّا كان الاسم لا يبلغ الحقيقة ولا يطابقها، فكأنه لغيرها، وأعير إطلاقه عليها عاريةً، وكذلك اللَّحْمُ المشار هو الذي يشار به إشارةً إلى الحقيقة.

وبعد: فالشيخ يدندن حول بحر الفناء، وكأنه يقول: صاحب هذا الاتصال قد فني في الوجود، بحيث صار نقطةً انحَلَّ تعينها، واضمحَلَّ تكوُّنها، ورجح عودها على بدئها، ففني من لم يكن، وبقي من لم يزل، فهناك طاحت الإشارات، وذهبت العبارات، وفنيت الرسوم: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١٣٣].

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الْإِنْفِصَالِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَحَذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] لَيْسَ فِي الْمَقَامَاتِ شَيْءٌ فِيهِ مِنَ التَّفَاوُتِ مَا فِي الْإِنْفِصَالِ».

وجه الإشارة بالآية: أنه سبحانه المقرَّب المبعَّد، فليحذر القريب من الإبعاد والتمتص من الانفصال، فإنَّ الحقَّ ﷻ غيورٌ لا يرضى ممَّن عرفه ووجد حلاوة معرفته، واتَّصل قلبه بمحبَّته

(١) في «غ» والمنار: (المعذب).

والأنس به، وتعلقت روحه بإرادة وجهه الأعلى أن يكون له التفات إلى غيره البتة.

ومن غيرته سبحانه: حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

والله سبحانه يغار أشد الغيرة على عبده أن يلتفت إلى سواه، فإذا أذاقه حلاوة محبته، ولذة الشوق إليه، وأنس معرفته، ثم ساكن غيره باعده من قربيه، وقطعه من وصله، وأوحش سره، وشئت قلبه، ونغص عيشه، وألبسه رداء الدلّ والصغار والهوان، فنادى عليه حاله إن لم يصرح به قاله: هذا جزاء من تعوض عن وليه وإلهه وفاطره، ومن لا حياة له إلا به بغيره وآثر غيره عليه، فاتخذ سواه له حبيباً، ورضي بغيره أنيساً، واتخذ سواه ولياً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

فإذا ضرب هذا القلب بسوط البعد والحجاب، وسُلط عليه من يسومه سوء العذاب، وملئ من الهموم والغموم والأحزان، وصار محلاً للجيء والأفذار والأنتان، وبدل بالأنس وحشةً، وبالعرذلاً، وبالقناعة حرصاً، وبالقرب بعداً وطرداً، وبالجمع شتاتاً وتفرقةً كان هذا بعض جزائه، فحينئذٍ تطرقه الطوارق والمؤلمات^(١)، وتعتره وفود الأحزان والهموم بعد وفود المسرات.

«قَرَأَ قَارِئٌ بَيْنَ يَدَيْ السَّرِيِّ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] فَقَالَ السَّرِيُّ: تَذَرُونَ مَا هَذَا الْحِجَابُ؟ هُوَ حِجَابُ الْغَيْرَةِ، وَلَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ؛ فَمَنْ عَرَفَهُ وَذَاقَ حَلَاوَةَ قُرْبِهِ وَمَحَبَّتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ إِلَى مُسَاكِنَةِ غَيْرِهِ: نَبَطَ جَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَعَقَلَ قَلْبَهُ عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَأَخْرَهُ عَنْ مَحَلِّ قُرْبِهِ، وَوَلَّاهُ مَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ».

وقال بعضهم: «أَحْذَرُهُ، فَإِنَّهُ غَيُورٌ، لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى فِي قَلْبِ عَبْدِهِ سِوَاهُ».

ومن غيرته: أن صفية آدم لما ساكن بقلبه الجنة، وحرص على الخلود فيها أخرجه منها.

ومن غيرته سبحانه: أن إبراهيم خليله لما أخذ إسماعيل شعبةً من قلبه أمره بذبحه، حتى يخرج

من قلبه ذلك المُرْاحِم.

إنما كان الشرك عنده ذنباً لا يغفر لتعلق قلب المشرك به وبغيره، فكيف بمن تعلق قلبه كله

بغيره، وأعرض عنه بكليته؟

إذا أردت أن تعرف ما حلّ بك من بلاء الانفصال، وذلل الحجاب، فانظر لمن استعبد قلبك،

واستخدم جوارحك، وبمن شغل سرك، وأين يبست قلبك إذا أخذت مضجعك؟ وإلى أين يطير إذا

استيقظت من منامك؟ فذلك هو معبودك وإلهك، فإذا سمعت النداء يوم القيامة: لينطلق كل واحد مع

(١) في «غ» والمنار: (الطوارق المؤلمات).

مَنْ كَانَ يَعْْبُدُهُ، انْطَلَقَتْ مَعَهُ كَائِنًا مِنْ كَانَ.

لا إله إلا الله! ما أشدَّ غبن من باع أطيب الحياة في هذه الدَّارِ المتَّصلة بالحياة الطَّيِّبة هناك! والتَّعِيمِ المقيم بالحياة المنغصَّة المنكَّدة المتَّصلة بالعذاب الأليم! والمُدَّة ساعةً من نهارٍ، أو عشيَّةً أو ضحاها، أو يومٌ أو بعض يومٍ، فيه ربح الأبد أو خسارة الأبد.

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ وَيَزُولُ

فصل

□ قال الشَّيْخُ: «لَيْسَ فِي الْمَقَامَاتِ شَيْءٌ فِيهِ مِنَ التَّفَاوُتِ مَا فِي الْإِنْفِصَالِ».

يعني أنَّ: بين درجات المقامات تناسبٌ، واختلافٌ يسيرٌ، ومقام الانفصال قليل التَّناسب في درجاته، كثير التَّفَاوُتِ، كما سنذكره.

□ قال: «وَوُجُوهُهُ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: انْفِصَالٌ هُوَ شَرْطُ الْإِتِّصَالِ، وَهُوَ الْإِنْفِصَالُ عَنِ الْكَوْنَيْنِ بِانْفِصَالِ نَظَرِكَ إِلَيْهِمَا، وَانْفِصَالِ تَوْقُفِكَ عَلَيْهِمَا، وَانْفِصَالِ مُبَالَاتِكَ بِهِمَا».

يعني: أنَّ انفصال العبد عن رسومه بالفناء، هو شرط اتِّصال وجوده بالبقاء، فلا ولاء لله ورسوله إِلَّا بالبراء ممَّا يضادُّ ذلك ويخالفه، وقد قال إمام الحنفاء لقومه: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا نَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وقال الفتية: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] فلم تعتزلوه.

وهذه العبارة التي ذكرها الشَّيْخُ في بادي الرَّأْيِ لا تخلو عن إنكارٍ حتَّى يبيِّن معناها والمراد بها؛ فَإِنَّ «الْكَوْنَيْنِ» عبارةٌ عن جميع ما خلقه الله في الدُّنيا والآخرة، ويعبر عنهما بعالم الغيب وعالم الشَّهادة، وفيهما الرُّسل والأنبياء، والملائكة والأولياء، فكيف ينفصل عنهم ولا ينظر إليهم، ولا يقف بقلبه عليهم، ولا يبالي بهم؟

فاعلم أنَّ في لسان القوم من الاستعارات، وإطلاق العامِّ وإرادة الخاصِّ، وإطلاق اللَّفْظِ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه: ما ليس في لسان أحدٍ من الطَّوائف غيرهم^(١)، ولهذا يقولون: نحن أصحاب

(١) وما عمدة الجهمية وغيرهم من الضالين إلا على هذه الاستعارات والمجازات التي شن الشيخ عليها غاراته في كتابه «الصواعق المرسله». (الفقي).

إشارة لا أصحاب عبارة، والإشارة لنا والعبارة لغيرنا، وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد، ويريدون بها معنى لا فساد فيه، وصار هذا سبباً لفتنة طائفتين:

- طائفةٌ تعلّقوا عليهم بظاهر عباراتهم، فبدّعوهم وضلّلوهم.

- وطائفةٌ نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم، فصبّوا تلك العبارات، وصحّحوا تلك الإشارات. فطالب الحقّ يقبله ممّن كان، ويردّ ما خالفه على من كان.

ومراد الشيخ وأهل الاستقامة: أنّ النَّفسَ لَمَّا كانت مائلةً إلى الملوذات المحسوسة والمعنويّة المشاهدة المعانيّة كان النَّظر إليها والوقوف معها علّةً في الطّريق والقصد جميعاً، وكان شاغلاً لها عن النَّظر إلى المقصود وحده، والوقوف معه دون غيره، والالتفات إليه دون ما سواه، فمتى قوي تعلّق القلب بالمقصود الأعلى، بحيث يشغله ذكره عن ذكر غيره، وحبّه عن حبّ غيره، وخوفه عن خوف غيره، ورجاؤه عن رجاء غيره، وكان أنسه به خاصّةً انفصل عن ذكر غيره في حال شغله به سبحانه؛ إذ ليس فيه اتّساعٌ لغيره، فانفصل في هذه الحال نظره إلى الكونين، وانفصل توقّفه عليهما، وانفصلت مبالاته بهما ضمراً أو نفعاً، أو عطاءً أو منعاً، وهذه الحال لا تدوم، فإذا رجع إلى الكون بحكم طبيعته، وأنّه جزءٌ من الكون ذكر الرُّسل والأنبياء والملائكة والأولياء بالتّعظيم والاحترام، وأحسن الذّكر، وذكر أعداءهم باللّعن [والطّعن]^(١) وأقبح الذّكر، فهذه وظيفته في هذه الحال، وتلك وظيفته في ذلك المقام.

والمقصود: أنّه انفصال شهودٍ في الأحوال، لا انفصال وجودٍ، ولا انفصال شهودٍ دائماً أبداً، ولا تلتفت إلى غير هذا، فإنّه خيالٌ وخبالٌ^(٢) ووهمٌ، لا نطيل الكتاب بذكره.

□ قال: «الثّاني: انفصالٌ عن رؤيةِ الانفصالِ الَّذِي ذكّرناه، وهو ألا يتراءى عندك

في شهودِ التّحقيقِ شيءٌ يُوصِلُ بالانفصالِ مِنْهُمَا إلى شيءٍ».

إنّما كانت هذه الدّرجة أعلى عنده ممّا قبلها، من حيث كانت الأولى وسيلةً إليها، وكانت هذه غايةً لها ومرتبّةً عليها، فإنّ المنفصل من الكونين شغلاً بالله ﷻ قد تسكن نفسه إلى مقامه من الانفصال، ويساكنه بسرّه وقلبه، ويغيب عنه أنّه محض مئة الله، ومجرّد عطائه، فيحتاج إلى أن ينفصل عن رؤية انفصاليه، ويضيف ذلك إلى أهله ووليّه المانّ به.

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي ومثبت من نسخة «غ» والمنار.

(٢) كلمة (وخبال): ساقطة من «غ» والمنار.

وهذا التفصيل يتضمّن التّفاوت الذي أشار إليه الشّيخ في أوّل الباب؛ فإنّه ذكر في الدّرجة الأولى: «أَنَّ الْإِنْفَصَالَ شَرْطٌ فِي الْإِتِّصَالِ»، وقال هاهنا: «لَا يَتَرَاءَى عِنْدَكَ فِي شُهُودِ التَّحْقِيقِ سَبَبٌ يُوَصِّلُ بِالْإِنْفَصَالِ مِنْهُمَا إِلَى شَيْءٍ» وهذا يناقض ما ذكره، ولا يجتمع معنَى كلاميه، بل بينهما تفاوت التّناقض، فأين شرط حصول الشّيء من شهود عدم كونه سبباً وشرطاً؟

والجواب عن هذا: أن كونه الشّيء شرطاً وسبباً لحصول شيء لا يناقض أن يكون عدم رؤيته شرطاً لحصول ذلك الشّيء، فيكون حصوله مشروطاً بوجود ذلك الشّيء في نفس الأمر، وبعدم رؤية العبد له، فتكون الرّؤية مانعة، وإيضاح ذلك ببيان كلامه.

فقوله: «إِنْفَصَالٌ عَنْ رُؤْيَا الْإِنْفَصَالِ».

يعني: أن العبد يرى حالة الشّهود أنّه انفصل عن الكونين، ثمّ اتّصل بجناب العزّة، فيشهد اتّصلاً بعد انفصال، وهذه الرّؤية في التّحقيق ليست صحيحة؛ لأنّه لم ينفصل عن الكونين أصلاً، لكنّه توهم ذلك، فإذا تبين أنّه لم ينفصل عن الكونين فقد انفصل عن الانفصال المذكور، لتحقّقه أنّه لم يكن صحيحاً.

ثمّ بين كيف يصحّ له انفصال عن انفصاليه بقوله: «أَلَا يَتَرَاءَى؟» أي: لا يظهر لك شيء في شهود التّحقيق يكون هو السّبب الموجب للاتّصال، فكأنّه قال: أن تشهد^(١) التّحقيق، فيريك شهوده أنّك ما انفصلت بنفسك عن شيء، ولا اتّصلت بنفسك بشيء، بل الأمر كلّ بيد غيرك، فهو الذي فصلك وهو الذي وصلك.

وأما الملحد: فيفسّر كلامه بغير هذا، ويقول: إذا شهدت الحقيقة أرّتك أنّك ما انفصلت من شيء، ولا اتّصلت بشيء، فإنّ تلك اثنيّتنا تنافي الوحدة المطلقة.

فانظر ما في الألفاظ المجملة الاصطلاحية من الاحتمال، وكيف يجرّها كلّ أحدٍ إلى نحلته ومذهبه؟

ولهذا يقول الملحد: إنّهُ ليس هناك اتّصال ولا انفصال إنّما هو في نظر العبد ووهمه فقط^(٢)، فإذا صار من أهل التّحقيق علم بعد ذلك أنّه لا انفصال ولا اتّصال، وينشد في هذا المعنى بيتاً مشهوراً لطائفة الاتّحادية:

فَمَا فِيكَ لِي شَيْءٌ لِشَيْءٍ مُوَافِقٌ وَلَا مِنْكَ لِي شَيْءٌ لِشَيْءٍ مُخَالَفٌ

(١) في «غ» والمنار: (يشهد).

(٢) كلمة (فقط): ساقطة من «غ» والمنار.

□ قال: «الثالث: انفصالٌ عن الاتصال، وهو انفصالٌ عن شهود مزاحمة الاتصال عين السبق، فإنَّ الانفصالَ والاتصالَ على عظم تفاوتيهما في الاسم والرسم في العلة سيان».

الفرق بين هذه الدرجة والتي قبلها: أنَّ ما قبلها انفصالٌ عن سكونه إلى انفصاله ورؤيته له، وهو في هذه الدرجة انفصالٌ عن رؤية اتصاله، فيتجرد عن رؤية كونه متصلاً، فإنَّ هذه الرؤية علةٌ في الاتصال، بل كمال الاتصال غيبته عن رؤية كونه متصلاً، لكمال استغراقه بما هو فيه من حقيقة الاتصال، فيحصل^(١) من الدرجتين انفصاله عن الانفصال والاتصال معاً. فهانها جال الملحد وصال، وفتح فاه ناطقاً بالإلحاد، وقال: هذا يدلُّ على أنَّ الانفصال والاتصال لا حقيقة لهما في نفس الأمر بل في نظر الناظر، فلا حقيقة لهما في نفس الأمر، لكن في وهم المكاشف، فأين الاتصال والانفصال في العين الواحدة؟ إنَّما الوهم والخيال قد حكما على أكثر الخلق.

وقد أعاد الله الشيخ من أن يظنَّ به هذا الإلحاد، وإنَّما مراده ما ذكرناه.

وقد كشف عن مراده بقوله: «وهو انفصالٌ عن شهود مزاحمة الاتصال عين السبق».

أي: ينفصل عن شهود مزاحمته لاتصاله عمَّا سبق في الأزل من الأوَّل الآخر سبحانه، فإنَّه إذا لاحظ السبق وما تقرَّر فيه، حيث لم يكن هو ولا شيء من الأشياء لم يزاحم شهود اتصاله لشهود ما سبق له به الأزل، بل اضمحلَّ فعله وشهوده ووجوده إلى ذلك الوجود الأزلي، بحيث كأنَّه لم يكن، فإذا نسب فعله وصفاته ووجوده إلى ذلك الوجود اضمحلَّ وتلاشى، وصار كالظِّل والخيال للشخص.

قوله: «فإنَّ الاتصالَ والانفصالَ على عظم تفاوتيهما في الاسم والرسم في العلة سيان».

معناه: أنَّ معنى اسم الاتصال يضادُّ [معنى] (٢) اسم الانفصال كما يضادُّ اسمه اسمه، وهما متساويان في العلة؛ أي: رؤية الاتصال علةٌ، ورؤية الانفصال علةٌ، فتساويا من هذا الوجه، وإن تضاداً لفظاً ومعنى، والله تعالى أعلم.

(١) في «غ» والمنار: (فحصل).

(٢) كلمة (معنى): ساقطة من طبعة الفقهي، وأثبتناها من «غ» والمنار.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ الْمَعْرِفَةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] الْمَعْرِفَةُ: إِحَاطَةٌ بِعَيْنِ الشَّيْءِ كَمَا هُوَ.»

قلت: وقع في القرآن لفظ المعرفة ولفظ العلم، فلفظ المعرفة كقوله: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

[المائدة: ٨٣].

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وأما لفظ العلم فهو أوسع إطلاقاً، كقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] الآية.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتُّوُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتُّوُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الفصص: ٨٠].

وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: ٤٠].

وقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧].

وقوله (١): ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوُ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقوله (٢): ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقوله (٣): ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، وهذا كثير.

(١) كلمة (وقوله): غير موجودة في «ع» والمنار.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

واختار سبحانه لنفسه اسم العلم وما تصرّف منه، فوصف نفسه بأنه عالمٌ، وعليمٌ، وعَلَامٌ، وعلمٌ، ويعلم، وأخبر أنّ له علمًا، دون لفظ المعرفة في القرآن، ومعلومٌ أنّ الاسم الذي اختاره الله لنفسه أكمل نوعه المشارك له في معناه.

وإنّما جاء لفظ المعرفة في القرآن في مؤمني أهل الكتاب خاصّةً، كقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وهذه الطائفة ترجّح المعرفة على العلم جدًّا^(١)، وكثيرٌ منهم لا يرفع بالعلم رأسًا، ويعده قاطعًا وحبابًا دون المعرفة، وأهل الاستقامة منهم أشدُّ النَّاسِ وصيّةً للمريدين بالعلم، وعندهم أنّه لا يكون وليّ الله كامل الولاية من غير أولي العلم أبدًا، فما اتّخذ الله ولا يتّخذ وليًّا جاهلًا، والجهل رأس كلّ بدعة وضلالةٍ ونقصٍ، والعلم أصل كلّ خيرٍ وهدىٍ وكمالٍ.

فصل

* والفرق بين العلم والمعرفة لفظًا ومعنى:

أَمَّا اللَّفْظُ: ففعل المعرفة يقع على مفعولٍ واحدٍ، تقول: عرفت الدار، وعرفت زيدًا، قال تعالى:

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨) ﴿يُوسُفَ: ٥٨﴾.

وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

وفعل العلم يقتضي مفعولين، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠]، وإن وقع على مفعولٍ واحدٍ، كان بمعنى المعرفة، كقوله: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأما الفرق المعنوي فمن وجوه:

- أحدها: أنّ المعرفة تتعلّق بذات الشيء، والعلم يتعلّق بأحواله، فتقول: عرفت أباك،

(١) لأن أكره شيء إلى قلوبهم: هو العلم الصحيح النافع من قال الله وقال الرسول، فإنما يفضحهم ويخزيهم ويكشف للناس سوءاتهم هذا العلم، فهم لذلك يحتالون على إبعاده عن طريق الناس ليسهل اصطيادهم. (الفقي).
تعليق: ما ذكره (الفقي) رحمه الله تعالى يمكن أن يصدق على غير أهل الاستقامة منهم كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، ولكن ما ذكره الفقي من أن الباعث لأولئك في إعراضهم عن العلم وتزهيدهم غيرهم فيه هو خشية افتضاحهم - لأن العلم يكشف مساوئهم وتلييسهم - إنما يصدق على المنافقين والزنادقة، أما الصادقون الغالطون فالحامل لهم على الإعراض عن العلم هو الجهل والغلو في العبادات وتهذيب النفوس، وهم بهذا الإعراض ضالون.

وعلمته صالحًا عالمًا، ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة، كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤].

فالمعرفة: حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه، فالمعرفة: تشبه التصوير، والعلم: يشبه التصديق.

- الثاني: أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها، قيل: عرفه، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبُّهُمْ يُدْرِكُهُمْ لَئِن رَأَوْا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

وقال: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٦].

لما كانت صفاته معلومة عندهم، فأوه: عرفوه بتلك الصفات.

وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَخْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا: أَتَعْرِفُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى عَلَى رَبِّهِ»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾

[البقرة: ٨٩] فالمعرفة: تشبه الذكر للشيء، وهو حضور ما كان غائبًا عن الذكر، ولهذا كان ضدَّ المعرفة الإنكار، وضدَّ العلم الجهل، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] ويقال: عرف الحق فأقرَّ به، وعرفه فأنكره.

- الوجه الثالث من الفرق: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، وهذا الفرق غير الأول، فإنَّ ذلك يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها، وهذا يرجع إلى تخليص الذات من غيرها، وتخليص صفاتها من صفات غيرها.

- الفرق الرابع: أنك إذا قلت: علمت زيدًا، لم يفد المخاطب شيئًا؛ لأنَّه ينتظر بعد أن تخبره على أيِّ حالٍ علمته^(٢)؟ فإذا قلت: كريمًا أو شجاعًا، حصلت له الفائدة، وإذا قلت: عرفت زيدًا، استفاد المخاطب أنك أثبتته وميزته عن غيره، ولم يبق منتظرًا لشيءٍ آخر، وهذا الفرق في التحقيق إيضاحٌ للفرق الذي قبله.

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، باب: آخر أهل النار خروجًا (١٨٦)، ورواه بهذا اللفظ الترمذي في «صفة جهنم» باب (١٠)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) في المنار: (على أي حال بيان علمته).

- الفرق الخامس وهو فرق العسكري^(١) في فروقه وفروقه غيره: أن المعرفة علمٌ بعين الشيء مفصلاً عمّا سواه، بخلاف العلم فإنّه قد يتعلّق بالشيء مجملاً، وهذا يشبه فرق صاحب «المنازل»، فإنّه قال: «المعرفة إحاطةٌ بعين الشيء كما هو»، وعلى هذا الحدّ فلا يتصور أن يعرف الله ألبتّة، ويستحيل عليه هذا الباب بالكليّة فإنّ الله سبحانه لا يحاط به علماً، ولا معرفةً ولا رؤيةً، فهو أكبر من ذلك وأجلُّ وأعظم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. بل حقيقة هذا الحدّ: انتفاء تعلّق المعرفة بأكبر المخلوقات حتّى بأظهرها، وهو الشّمس والقمر، بل لا يصحُّ أن يعرف أحدٌ نفسه وذاته ألبتّة.

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشّأن: أن المعرفة عندهم هي^(٢) العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالمًا بالله، وبالطّريق الموصّل إلى الله^(٣)، وبآفاتها وقواطعها، وله حالٌ مع الله تشهد له بالمعرفة. فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثمّ صدق الله في معاملته، ثمّ أخلص له في قصوده ونياته، ثمّ انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثمّ تطهّر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته، ثمّ صبر على أحكام الله في نعمه وبلباته، ثمّ دعا إليه على بصيرةٍ بدينه وآياته، ثمّ جرد الدّعوة إليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يشبها بآراء الرّجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ما جاء به الرّسول عليه من الله أفضل صلواته، فهذا الذي يستحقّ اسم العارف على الحقيقة، إذا سمّي به غيره على الدّعوى والاستعارة. وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدا.

فقال بعضهم: من أمارات المعرفة بالله: حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته. وقال أيضًا: «المعرفة توجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكنته». وقال لي بعض أصحابنا: «ما علامة المعرفة التي يشيرون إليها؟ فقلت له: أنس القلب بالله، قال لي: علامتها أن يحسّ بقرب قلبه من الله، فيجده قريباً منه». وقال الشّبلي: «ليس لعارف علاقة، ولا لمحب شكوى، ولا لعبد دعوى، ولا لخائف قرأ، ولا لأحد من الله قرأ».

وهذا كلامٌ جيّدٌ، فإنّ المعرفة الصّحيحة تقطع من القلب العلائق كلّها، وتعلّقه بمعروفه، فلا

(١) في «غ» والمنار: (العسكر).

(٢) في «غ» والمنار: (هو).

(٣) في «غ» والمنار: (الموصل إليه).

يبقى فيه علاقةٌ بغيره، ولا تمرُّ به العلائقُ إلا وهي مجتازةٌ، لا تمرُّ مرور استيطانٍ.

وقال أحمد بن عاصم: «مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ لَهُ أَحْوَفَ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].»

وقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً» (١).

وقال آخر: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِسَعَتِهَا».

وقال غيره: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى اتَّسَعَ عَلَيْهِ كُلُّ ضَيْقٍ».

ولا تنافي بين هذين الأمرين؛ فإنه يضيّق عليه كلُّ مكانٍ لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه، ويتّسع

عليه ما ضاق على غيره، لأنه ليس فيه، ولا هو مساكنٌ له بقلبه، فقلبه غير محبوسٍ فيه.

والأول: في بداية المعرفة.

والثاني: في نهايتها التي يصل إليها العبد.

وقال آخر: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى صَفَا لَهُ الْعَيْشُ، فَطَابَتْ لَهُ الْحَيَاةُ، وَهَابَتْ كُلُّ شَيْءٍ، وَذَهَبَ عَنْهُ

خَوْفُ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنَسَ بِاللَّهِ».

وقال غيره: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِالْمَوْتِ (٢)، وَقَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ

يَعْرِفَ اللَّهَ تَقَطَّعَ قَلْبُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَبْقَ لَهُ رَغْبَةٌ فِيمَا سِوَاهُ (٣)، وَمَنْ أَدْعَى

مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَهُوَ رَاغِبٌ فِي غَيْرِهِ كَذَّبَتْ رَغْبَتُهُ مَعْرِفَتَهُ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَخَافَهُ

وَرَجَاهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَلَهَجَ بِذِكْرِهِ، وَاشْتَأَقَ إِلَى لِقَائِهِ، وَاسْتَحْيَا مِنْهُ، وَأَجَلَّهُ وَعَظَّمَهُ عَلَى

قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَعَلَامَةُ الْعَارِفِ: أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مِرَاةً إِذَا نَظَرَ فِيهَا [رَأَى فِيهَا] (٤) الْغَيْبَ الَّذِي دُعِيَ إِلَى

الْإِيمَانِ بِهِ، فَعَلَى قَدْرِ جِلَاءِ تِلْكَ الْمِرَاةِ يَتَرَاءَى لَهُ فِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَالِدَارُ الْأَخْرَى، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ،

وَالْمَلَائِكَةُ، وَالرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ [أَجْمَعِينَ] (٥)، كَمَا قِيلَ:

وَجُنَّبَ أَنْ يُحَرِّكَهُ النَّسِيمُ

إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرُ عَلَى صَفَاءٍ

كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنُّجُومُ

بَدَتْ فِيهِ السَّمَاءُ بِلَا امْتِرَاءٍ

يُرَى فِي صَفْوِهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ

كَذَاكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي

(١) تقدم تخريجه (١/١٥١).

(٢) جملة (وقرت عينه بالموت): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في المنار: (في سواه).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقط من ط. الفقي وأثبتناه من «غ» والمنار.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقط من ط. الفقي وأثبتناه من «غ» والمنار.

وهذه رؤية المثل (١) الأعلى، كما تقدم.

ومن علامات المعرفة: أن يبدو لك الشاهد، وتفنى الشواهد، وتنحل العلائق، وتنقطع العوائق، وتجلس بين يدي الرب تعالى، وتقوم وتضطجع على التأهب للقاءه، كما يجلس الذي شد أحماله وأزمع السفر على التأهب له، ويقوم على ذلك ويضطجع عليه، كما ينزل المسافر في المنزل، فهو قائمٌ وجالسٌ ومضطجعٌ على التأهب.

وَقِيلَ لِلْجُنَيْدِ: «إِنَّ أَقْوَامًا يَدْعُونَ الْمَعْرِفَةَ، يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَصِلُونَ بِتَرْكِ الْحَرَكَاتِ مِنْ بَابِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى؟ فَقَالَ الْجُنَيْدُ: هَذَا قَوْلُ أَقْوَامٍ تَكَلَّمُوا بِإِسْقَاطِ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ عِنْدِي عَظِيمٌ، وَالَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الَّذِي يَقُولُ هَذَا؛ إِنَّ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ أَخَذُوا الْأَعْمَالَ عَنِ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ رَجَعُوا فِيهَا، وَلَوْ بَقِيَتْ أَلْفَ عَامٍ لَمْ أَنْقُضْ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ ذَرَّةً إِلَّا أَنْ يُحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا».

ومن علامات العارف: أنه لا يطالب ولا يخاصم، ولا يعاتب، ولا يرى له على أحد فضلًا، ولا يرى له على أحد حقًا.

ومن علاماته: أنه لا يأسف على فائت، ولا يفرح بآت؛ لأنه ينظر إلى الأشياء بعين الفناء والزوال؛ لأنها في الحقيقة كالظلال والخيال.

وقال الجنيد: «لَا يَكُونُ الْعَارِفُ عَارِفًا حَتَّى يَكُونَ كَأَلْأَرْضٍ يَطْوُهَا الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ، وَكَالسَّحَابِ يُظِلُّ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَالْمَطَرِ يَسْقِي مَا يُحِبُّ وَمَا لَا يُحِبُّ».

وقال يحيى بن معاذ: «يَخْرُجُ الْعَارِفُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَقْضِ وَطْرَهُ مِنْ شَيْئَيْنِ: بُكَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَنَاءِ عَلَى رَبِّهِ».

وهذا من أحسن الكلام، فإنه يدل على معرفته بنفسه وعبوبه وآفاته، وعلى معرفته بربه وكماله وجلاله، فهو شديد الإزراء على نفسه، لهجٌ بالثناء على ربه.

وقال أبو يزيد: «إِنَّمَا نَالُوا الْمَعْرِفَةَ بِتَضْيِيعِ مَا لَهُمْ وَالْوُقُوفِ مَعَ مَا لَهُ».

يريد: تضييع حظوظهم، والوقوف مع حقوق الله ﷻ، فتغنيهم حقوقه عن حظوظهم.

وقال آخر: «لَا يَكُونُ الْعَارِفُ عَارِفًا حَتَّى لَوْ أُعْطِيَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ».

وهذا يحتاج إلى شرح، فإن ما هو دون ذلك يشغل القلب، لكن يكون اشتغاله بغير الله، لذلك اشتغاله به سبحانه؛ لأنه إذا اشتغل بغيره لأجله لم يشتغل عنه.

قال ابن عطاء: «الْمَعْرِفَةُ عَلَى (٢) ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ: الْهَيْبَةُ وَالْحَيَاءُ وَالْأُنْسُ».

(١) في «غ» وحاشية المنار: (المثال).

(٢) كلمة (على): ساقطة من «غ».

وقيل لذي النون: «بِمَ عَرَفْتَ اللَّهَ رَبِّكَ؟ قَالَ: عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي، وَلَوْلَا رَبِّي لَمَا عَرَفْتُ رَبِّي». وقيل لعبد الله بن المبارك: «بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ حَلْقِهِ». فأتى عبد الله بأصل المعرفة التي لا يصحُّ لأحدٍ معرفةٌ ولا إقرارٌ بالله سبحانه إلا به، وهو المبينة والعلوُّ على العرش.

ومن علامات العارف: أن يعتزل الخلق بينه وبين الله، حتَّى كأنهم أمواتٌ لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق، حتَّى يكون بينهم بلا نفسٍ. وهذا معنى قول من قال: «العارف يقطع الطَّرِيقَ بخطوتين: خطوةً عن نفسه، وخطوةً عن الخلق».

وقيل: العارف ابن وقته.

وهذا من أحسن الكلام وأخصره، فهو مشغولٌ بوظيفةٍ وقته عمًّا مضى وصار في العدم، وعمًّا لم يدخل بعد في الوجود، فهُمُّه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية. ومن علاماته: أنه مستأنسٌ بربه، مستوحشٌ ممَّن يقطعه عنه.

ولهذا قيل: العارف من أنس بالله، فأوحشه من الخلق، وافتقر إلى الله فأغناه عنهم، وذَلَّ لله فأعزَّه فيهم، وتواضع لله فرفعه بينهم، واستغنى بالله فأحوجهم إليه.

وقيل: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول، يعني: أنَّ العالم علمه أوسع من حاله وصفته، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره.

وقال أبو سليمان الداراني: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَحُ لِلْعَارِفِ عَلَى فِرَاشِهِ مَا لَمْ يَفْتَحْ لَهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي».

وقال غيره: «الْعَارِفُ تَنْطِقُ الْمَعْرِفَةَ عَلَى قَلْبِهِ وَحَالِهِ وَهُوَ سَاكِتٌ».

وقال ذو النون: «لِكُلِّ شَيْءٍ عُقُوبَةٌ، وَعُقُوبَةُ الْعَارِفِ انْقِطَاعُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ».

وقال بعضهم: «رِيَاءُ الْعَارِفِينَ أَفْضَلُ مِنْ إِخْلَاصِ الْمُرِيدِينَ».

وهذا كلامٌ ظاهره منكرٌ جدًّا يحتاج إلى شرح: فالعارف لا يرائي المخلوق طلبًا للمنزلة في قلبه وإنَّما يكون رؤياه نصيحةً وإرشادًا وتعليمًا ليقتدي به، فهو يدعو إلى الله بعمله كما يدعو إليه بقوله، فهو ينتفع بعلمه وينفع به غيره، وإخلاص المرید مقصورٌ على نفسه، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله، فإخلاصه في قلبه، وهو يظهر عمله وحاله ليقتدي به، والعارف ينفع بسكوته، والعالم إنَّما ينفع بكلامه.

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

وقال ذو النون: «الرَّهَادُ مُلُوكُ الْآخِرَةِ، وَهُمْ فُقَرَاءُ الْعَارِفِينَ».

وسئل الجنيّد عن العارف فقال: «لَوْ أَنَّ الْمَاءَ لَوْنٌ إِنَائِهِ».

وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبوديّة، وهو أن يتلَوْنَ بتلَوْنِ أقسام العبوديّة، فبينما تراه مصلياً إذ رأيته ذاكرًا، أو قارئًا، أو معلِّمًا، أو متعلِّمًا، أو مجاهدًا، أو حاجًا، أو مساعدًا للضيّف، أو مغيثًا للملهوف، فيضرب في كلّ غنيمَةٍ من الغنائم بسهم، فهو مع المتسبِّين متسبِّبٌ، ومع المتعلِّمين متعلِّمٌ، ومع الغزاة غازٍ، ومع المصلِّين مصلٌّ، ومع المتصدِّقين متصدِّقٌ، فهو يتنقَّل في منازل العبوديّة من عبوديّة إلى عبوديّة، وهو مقيمٌ على معبودٍ واحدٍ، لا يتنقل [عنه] ^(١) إلى غيره.

وقال يحيى بن معاذٍ: «الْعَارِفُ كَائِنٌ بَائِنٌ». وهذا يفسّر على وجوه.

- منها: أنّه كائنٌ مع الخلق بظاهره، بائنٌ عنهم بسرّه وقلبه ^(٢).

- ومنها: أنّه كائنٌ برّبّه بائنٌ عن نفسه.

- ومنها: أنّه كائنٌ مع أبناء الآخرة، بائنٌ عن أبناء الدنيا.

- ومنها: أنّه كائنٌ مع الله بموافقته، بائنٌ عن النَّاسِ في مخالفته.

- ومنها: أنّه داخلٌ في الأشياء خارجٌ منها، فإنَّ من النَّاسِ مَنْ هو داخلٌ فيها لا يقدر على

الخروج منها، ومنهم مَنْ هو خارجٌ عنها لا يقدر على الدُّخول فيها، والعارف داخلٌ فيها خارجٌ منها، ولعلَّ هذا أحسن الوجوه.

وقال ذو النُّون: «عَلَامَةُ الْعَارِفِ ثَلَاثَةٌ: لَا يُطْفِئُ نُورَ مَعْرِفَتِهِ نُورَ وَرَعِهِ، وَلَا يَعْتَقِدُ بَاطِنًا مِنَ الْعِلْمِ

يَنْقُضُهُ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَلَا تَحْمِلُهُ كَثْرَةُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى هَتَاكَ أَسْتَارِ مَحَارِمِ اللَّهِ».

وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة، وهو محتاجٌ إلى شرحٍ، فإنَّ كثيرًا من النَّاسِ يرى

أنَّ التَّوَرُّعَ عن الأشياء من قلة المعرفة، فإنَّ المعرفة متسعة الأكناف، واسعة الأرجاء؛ فالعارف واسعٌ

موسّعٌ، والسَّعة تطفئ نور الروع، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه، ولا يخالف ورعه معرفته.

كما قال بعضهم ^(٣): «الْعَارِفُ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا لِأَسْتَبْصَارِهِ بِسِرِّ اللَّهِ فِي الْقَدْرِ».

فعنده: أن مشاهدة القدر والحقيقة الكونيّة هو غاية المعرفة، وإذا شاهد الحقيقة عذر الخليقة؛

لأنَّهم مأسورون في قبضة القدر، فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق

الله عن الروع، بل ظلام معرفته قد أطفأ نور إيمانه.

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وموجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (وقلبه): ساقطة من «غ».

(٣) قال في هامش طبعة الفقي: بهامش الأصل؛ أي: بعض الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، أعادنا الله من الزيغ

والضلال. (الفقي).

قوله: «بَاطِنُ الْعِلْمِ الَّذِي يَنْقُضُهُ ظَاهِرُ الْحُكْمِ» فإنه يشير به إلى ما عليه المنحرفون ممن ينسب إلى السلوك، فإنهم يقع لهم أذواقٌ ومواجيدٌ ووارداتٌ^(١) تخالف الحكم الشرعي، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جردها، فيعتقدونها ويتركون بها ظاهر الحكم، وهذا كثيرٌ جدًّا، وهو الذي انتقد^(٢) أئمة الطريق على هؤلاء، وصاحوا بهم من كل ناحية، وبدعوهم وضللوهم به.

قوله: «وَلَا تَحْمِلُهُ كَثْرَةُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ هَتَكَ أَسْتَارِ مَحَارِمِ اللَّهِ» كثرة النعم تظني العبد، وتحمله على أن يصرفها في وجوهها وغير وجوهها، وهي تدعو إلى أن يتناول العبد بها ما حلَّ وما لا يحلُّ، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة على القدر الحلال، بل يتعداه إلى غيره، وتسوّل له نفسه أن معرفته بالله تردّ عليه ما انتهت به منهم أيدي الشهوات والمخالفات، ويقول: العارف لا تضره الذنوب، كما تضرّ الجاهل، وربما يسوّل له أن ذنوبه خيرٌ من طاعات الجهال، وهذا من أعظم المكر، والأمر بضدّ ذلك، فيحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف وإذا عوقب الجاهل ضعفًا عوقب العارف ضعفين.

وقد دلّ على هذا شرع الله وقدره؛ ولهذا كانت عقوبة الحرّ في الحدود مثلي عقوبة العبد، وقال تعالى في نساء النبي ﷺ: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] فإذا أكملت النعمة على العبد، فقابلها بالإساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم، فدرجته أعلى وعقوبته أشدّ.

وقال أيضًا: «لَيْسَ بِعَارِفٍ مَنْ وَصَفَ الْمَعْرِفَةَ عِنْدَ أَبْنَاءِ الْأَخْرَةِ، فَكَيْفَ عِنْدَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؟!». يريد: أنه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها، سواء كانوا عبادًا، أو من أبناء الدنيا. وقال أبو سعيد: «الْمَعْرِفَةُ تَأْتِي مِنْ عَيْنِ الْوُجُودِ، وَبِذَلِكَ الْمَجْهُودِ». وهذا كلامٌ حسنٌ يشير إلى أن المعرفة ثمرة بذل المجهود في الأعمال، وتحقق الوجد^(٣) في الأحوال؛ فهي ثمرة عمل الجوارح، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث، فمن ليس له عملٌ ولا حالٌ فلا معرفة له.

وسئل ذو النون عن العارف؟ فقال: «كَانَ هَاهُنَا فَدَهَبَ».

فسئل الجنيّد عمّا أراد بكلامه هذا؟ فقال: «لَا يَخْصُرُهُ حَالٌ عَنْ حَالٍ، وَلَا يَحْجُبُهُ مَنْزِلٌ عَنِ التَّنَقُّلِ فِي الْمَنَازِلِ، فَهُوَ مَعَ كُلِّ أَهْلِ مَنْزِلٍ بِمِثْلِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، يَجِدُ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُونَ، وَيَنْطِقُ بِمَعَالِمِهَا لِيَسْتَمِعُوا».

(١) في «غ»: (وواجبات).

(٢) في «غ» والمنار: (وهو الذي نفاه).

(٣) في المنار: (الوجود).

وقال محمد بن الفضل: «المعرفة حياة القلب مع الله».
 وسئل أبو سعيد: «هل يصل العارف إلى حال يحفو عليه البكاء؟ فقال: نعم، إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله، فإذا نزلوا بحقائق القرب، وذاقوا طعم الوصول من بره؛ زال عنهم ذلك».
 وقال بعض السلف: «نوم العارف يقظة، وأنفاسه تسبيح، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل».

وإنما كان نوم العارف يقظة؛ لأن قلبه حي؛ فعيناه تامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها، جسده في الفرش وقلبه حول العرش، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل؛ لأن بدن الغافل واقف في الصلاة، وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والأمان؛ ولذلك كانت يقظته نومًا؛ لأن قلبه موات.

وقيل: مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة.

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «المعرفة على ثلاث درجات، والخلق فيما على ثلاث فرق: الدرجة الأولى: معرفة الصفات والنعموت، وقد وردت أساميها بالرسالة، وظهرت شواهدهما في الصنعة بتبصر النور القائم في السر، وطيب حياة العقل لزرع الفكر، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار، وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها، وهي على ثلاثة أركان: إثبات الصفات باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل، والإيأس من إدراك كمها، وابتغاء تأويلها».

قلت: الفرق بين الصفة والنعمت من وجوه ثلاثة:

- أحدها: أن النعمت يكون بالأفعال التي تتجدد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ ﴿الأعراف: ٥٤﴾ الآية.

وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠١﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ [الزخرف: ١٠-١٢] ونظائر ذلك.

والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] ونظائر ذلك.

- الفرق الثاني: أَنَّ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةَ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ النُّعُوتِ، كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ، وَالْقَدَمِ،
وَالْأَصْبَاعِ، وَتَسْمَى صِفَاتٍ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ السَّلْفُ هَذَا الْاسْمَ، وَكَذَلِكَ مُتَكَلِّمُوا أَهْلَ الْإِثْبَاتِ، سَمَّوْهَا
صِفَاتٍ، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ، كَأَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ ^(٢) وَغَيْرِهِ، وَقَالَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: نِصُوصُ
الصِّفَاتِ، بَلْ آيَاتُ الْإِضَافَاتِ؛ لِأَنَّ الْحَيَّ لَا يُوصَفُ بِيَدِهِ وَلَا وَجْهِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَوْصُوفُ، فَكَيْفَ
تَسْمَى صِفَةً؟

وأيضاً: فالصفة معنَى يعمُّ الموصوف، فلا يكون الوجه واليد صفةً.
والتحقيق: أَنَّ هَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ فِي التَّسْمِيَةِ، فَالْمَقْصُودُ: إِطْلَاقُ هَذِهِ الْإِضَافَاتِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ،
وَنَسْبَتِهَا إِلَيْهِ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهَا، مَنْزَهَةً عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ، سِوَاءً سَمَّيْتَ صِفَاتٍ أَوْ لَمْ تَسَمْ.
- الفرق الثالث: أَنَّ النُّعُوتَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَشْتَهَرُ، وَيَعْرِفُهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، وَالصِّفَاتُ:
أَعْمٌ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ النُّعْتِ وَالصِّفَةِ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي تَحْلِيَةِ الشَّيْءِ: نَعْتُهُ كَذَا
وَكَذَا، لَمَا يَظْهَرُ مِنْ صِفَاتِهِ.

وقيل: هما لغتان، لا فرق بينهما، ولهذا يقول نحاة البصرة: باب الصِّفَةِ، ويقول نحاة الكوفة:
باب النُّعْتِ، والمراد واحدٌ، والأمر قريبٌ، ونحن في غير هذا؛ فلنرجع إلى المقصود.
وهو: أَنَّهُ لَا يَسْتَقَرُّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ بَلْ وَلَا فِي الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ،
ويعرفها معرفةً تخرجه عن حدِّ الجهل بربه، فالإيمان بالصِّفَاتِ وتعرُّفها هو أساس الإسلام، وقاعدة
الإيمان، وثمره شجرة الإحسان ^(٣)؛ فمن جحد الصِّفَاتِ فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمره
شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظنِّ
به، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشُّرك والكفر والكبائر، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ

(١) جملة (إلى قوله... العزيز الحكيم): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (ابن عقيل): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (شجرة ثمرة الإحسان).

يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ أَنْخَسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣] فأخبر سبحانه: أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به، وأنه هو الذي أهلكهم.

وقد قال في الظَّائِنِ به ظنَّ السَّوِّءِ: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، ولم يجيء مثل هذا الوعيد في غير من ظنَّ السَّوِّءِ به سبحانه، وجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظنَّ السَّوِّءِ به.

ولمَّا كان أحبُّ الأشياءِ إليه حمده ومدحه، والثَّناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به، وهو شرُّ من الشُّرك، فالمعطلُّ شرُّ من المشرك، فإنَّه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والطَّعن في أوصافه هو، والتَّشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطلُّون أعداء الرُّسل بالذَّات، بل كلُّ شرِك في العالم فأصله التَّعطيل؛ فإنَّه لولا تعطيل كماله أو بعضه وظنَّ السَّوِّءِ به لما أشرك به.

كما قال إمام الحنفاء وأهل التَّوحيد لقومه: ﴿أَيْفَاكَ إِلهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ [الصفات: ٨٦، ٨٧]. أي: فما ظنُّكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟! وما الذي ظننتم به حتَّى جعلتم معه شركاء؟! أظننتم أنَّه محتاجٌ إلى الشُّركاء والأعوان؟! أم ظننتم أنَّه يخفى عليه شيءٌ من أحوال عباده حتَّى يحتاج إلى شركاء تعرِّفه بها كالمملوك؟! أم ظننتم أنَّه لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم، أم هو قاسٍ؛ فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده؟! أم ذليلٌ؛ فيحتاج إلى وليٍّ يتكثَّر به من القلَّة ويتعزَّز به من الذلَّة؟ أم يحتاج إلى الولد فيتَّخذ صاحبةً يكون الولد منها ومنه؟ تعالى الله عن ذلك كلِّه علوًّا كبيرًا.

والمقصود: أن التَّعطيل مبدأ الشُّرك وأساسه، فلا تجد معطلًّا إلَّا وشركه على حسب تعطيله، فمستقلٌّ ومستكثَّرٌ.

فصل

والرُّسل من أوَّلهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أرسلوا بالدَّعوة إلى الله، وبيان الطَّريق الموصل إليه، وبيان حال المدعوِّين بعد وصولهم إليه، فهذه القواعد الثَّلاث ضروريَّة في كلِّ ملَّةٍ على لسان كلِّ رسولٍ.

﴿فَعَرَفُوا﴾^(١) الرَّبَّ المدعوَّ إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفًا مفصَّلًا، حتَّى كأنَّ العباد يشاهدونه سبحانه، وينظرون إليه فوق سمواته على عرشه، يكلم ملائكته، ويدبِّر أمر مملكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم، كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى، ويرضى ويغضب، ويحبُّ ويسخط، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره، ويجيب دعوة مضطَّريهم، ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي، ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممَّن يشاء، ويعزُّ من يشاء، ويذلُّ من يشاء، بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

كلُّ يومٍ هو في شأنٍ، يغفر ذنبًا، ويفرِّج كربًا، ويفكُّ عانيًا، وينصر مظلومًا، ويقصم ظالمًا، ويرحم مسكينًا، ويغيث ملهوفًا، ويسوق الأقدار إلىٰ مواقيتها، ويجريها علىٰ نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخِّر ما يشاء تأخيره، فأزمنة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدَّعوة، وزبدة الرِّسالة.

﴿القاعدة الثَّانية﴾: تعريفهم بالطريق الموصل إليه، وهو صراطه المستقيم، الَّذي نصبه لرسله وأتباعهم، وهو امتثال أمره، واجتناب نهيهِ، والإيمان بوعده ووعيدهِ.

﴿القاعدة الثَّالثة﴾: تعريف الحال بعد الوصول، وهو ما تضمَّنهُ اليوم الآخر من الجنَّة والنَّار، وما قبل ذلك من الحساب، والحوض والميزان والصُّراط.

فقدَّت المعطَّلة والجهميَّة علىٰ رأس القاعدة الأولىٰ، فحالوا بين القلوب وبين معرفة ربِّها، وسمَّوا إثبات صفاته وعلوه فوق خلقه، واستواءه علىٰ عرشه تشبيهاً وتجسيمًا وحشواً، فنفروا عنه صبيان العقول، وسمَّوا نزوله إلىٰ سماء الدُّنيا، وتكلُّمه بمشيئته، ورضاه بعد غضبه، وغضبه بعد رضاه، وسمعه الحاضر لأصوات العباد، ورؤيته المقارنة لأفعالهم ونحو ذلك: حوادث، وسمَّوا وجهه الأعلىٰ، ويديه المبسوطتين، وأصابه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة: جوارح وأعضاء، مكرًا منهم كبارًا بالنَّاس، كمن يريد التَّنفير عن العسل، فيمكر في العبارة، ويقول: مائعٌ أصفر يشبه العذرة المائعة، أو ينفِّر عن شيءٍ مستحسنٍ فيسمِّيهِ بأقبح الأسماء، فعل الماكر المخادع، فليس مع مخالف الرُّسل سوى المكر في القول والعمل.

فلمَّا تمَّ للمعطَّلة مكرهم، وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بحقائق الإيمان، وما جاء به

(١) هذه هي القاعدة الأولىٰ.

الرَّسُولُ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ، وَعَنْ ذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ^(١)، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ، وَنَعُوتُ جَلَالِهِ، فَانصرفت قوئى حبِّها وشوقها وأنسها إلى سواه.

وجاء أهل الآراء الفاسدة، والسياسات الباطلة، والأذواق المنحرفة، والعوائد المستمرّة فقعدوا على رأس هذا الصراط، وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيِّها، وما كان عليه هو^(٢) وأصحابه، وعابوا من خالفهم في قعودهم عن ذلك، ورغب عمّا اختاروه لأنفسهم، ورموه بما هم أولى به منه، كما قيل: رمتني بدائها وانسلت^(٣).

وجاء أصحاب الشّهوات المفتونون بها، الذين يعدّون حصولها - كيف كان - هو الظفر في هذه الحياة والبغية، فقعدوا على رأس طريق المعاد، والاستعداد للجنة ولقاء الله، وقالوا: اليوم خمّر، وغداً أمر، اليوم لك ولا تدري غداً لك أو عليك؟ وقالوا: لا نبيع ذرّة منقودة بدرّة موعودة.

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ رُحْلِ

وقالوا للنّاس: خلّوا لنا الدّنيا، ونحن قد خلّينا لكم الآخرة، فإن طلبتم منا ما بأيدينا أحلناكم على الآخرة.

أَنْسُ يُنْقُدُونَ عَيْشَ النَّعِيمِ وَنَحْنُ نَحَالُ عَلَى الْآخِرَةِ
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِثْلَ مَا يَزْعُمُونَ نَفْتَلُكَ إِذَنْ كَرَّةً خَاسِرَةً

فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلّق القلب بها، وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير همهم إذا قصرُوا، فإن سيرهم إنّما هو على الشواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له^(٤)، ولا طلب ولا سلوك له، وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم، ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العلم الذي رُفِعَ لهم في السير فشَمروا إليه.

كما قالت عائشة رضي الله عنها: «مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ رَأَهُ غَادِيًا رَائِحًا، لَمْ يَصْغُ لِبِنَّةٍ عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَكِنْ رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَرَ إِلَيْهِ».

ولا يزال العبد في التّواني والفتور والكسل، حتّى يرفع الله ﷻ له بفضلُه ومَنّه علماً يشاهده بقلبه، فيشمر إليه، ويعمل عليه.

(١) كلمة (ومحبته): ساقطة من «غ».

(٢) كلمة (هو): ساقطة من «غ».

(٣) مثال تضربه العرب لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه انظر: «الأمثال» (١/١٠٢).

(٤) كلمة (له): ساقطة من «غ» والمنار.

فإن عطّلت شواهد الصّفات، ووضعت أعلامها عن القلوب، وطمست آثارها، وضربت بسياط البعد، وأسبل دونها حجاب الطرد، وتخلّفت مع المتخلّفين، وأوحى إليها القدر: أن اقعدي مع القاعدين، فإنّ أوصاف المدعوّ إليه، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبّته، وطلب الوصول إليه؛ لأنّ القلوب إنّما تحبّ من تعرفه، وتخافه وترجوه وتشتاق إليه، وتلتذّ بقربه، وتطمئنّ إلى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته، فإذا ضرب دونها حجاب معرفة الصّفات والإقرار بها: امتنع منها - بعد ذلك - ما هو مشروط بالمعرفة، وملزوم لها؛ إذ وجود الملزوم بدون لازمه، والمشروط بدون شرطه، ممتنع.

فحقيقة المحبّة، والإنابة، والتّوكل، ومقام الإحسان ممتنع على المعطل امتناع حصول المغل (١) من معطل البذر، بل أعظم امتناعاً.

كيف تصمد القلوب إلى من ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، ولا مبيئاً له ولا محايثاً؟ بل حظّ العرش منه كحظّ الآبار والوهاد، والأماكن التي يرغب عن ذكرها؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها، ولا يرى مكانها، ولا يحبّ ولا يحبّ، ولا يقوم به فعل ألبيته، ولا يتكلّم ولا يكلم، ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء، ولا يقوم به رافة ولا رحمة ولا حنان، ولا له حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لأجلها؟!

فكيف يتصوّر على ذلك، ومحبّته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه، ورؤية وجهه الكريم في جنّات (٢) النعيم، وهو مستوٍ على عرشه فوق جميع خلقه؟! أم كيف تأله القلوب من لا يحبّ ولا يُحبّ، ولا يرضى ولا يغضب، ولا يفرح ولا يضحك؟

فسبحان من حال بين المعطّلة وبين محبّته ومعرفة، والشّرور والفرح به، والشوق إلى لقائه، وانتظار لذة النّظر إلى وجهه الكريم، والتّمتع بخطابه في محلّ كرامته ودار ثوابه! فلو رآها أهلاً لذلك لمنّ عليها به، وأكرمها به؛ إذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده، والله أعلم حيث يجعل كرامته، ويضع نعمته: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣]. ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ﴿أَهَرَّ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم مَّعِي سَحِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

(١) المغل: وجع البطن من أكل التراب المختلط بالبذر. انظر: «لسان العرب» (٦/٤٢٤١).

(٢) «غ» والمنار: (جنان).

وليس جحودهم صفاته سبحانه، وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيهاً، وإنّما هو حجابٌ ضرب عليهم، فظنّوه تنزيهاً، كما ضرب حجاب الشُّرك والبدع المضلّة والشّهوات المردية على قلوب أصحابها، وزين لهم سوء أعمالهم، فأوها حسنةً. عدنا إلى شرح كلامه.

قوله: «وَقَدْ وَرَدَتْ أَسْمَاهُ بِالرِّسَالَةِ...» إلى آخره.

ذكر أن إثبات الصفات دلّ عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة؛ فاستدلّ بها على صفات صانعها، والعقل الذي طابت حياته بزرع الفكر، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار. فأما الرسالة: فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة، وكشف الغطاء، وحصل العلم اليقيني، ورفع الشكّ والريب؛ فتلجّت له الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقرّ به الإيمان في نصابه.

ففضّلت الرسالة الصفات والنوعت والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقرّرت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ، وأبعده من الإجمال والاحتمال، وأمنعه من قبول التأويل.

وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره، بل أبعده منه لوجوه كثيرة، ذكرتها في كتاب «الصواعق المرسلة على الجهميّة والمُعطلّة» بل تأويل آيات الصفات - بما يخرجها عن حقائقها - كتأويل آيات الأمر والنهي سواء^(١)، فالباب كلّ باب واحد، ومصدره واحد، ومقصوده واحد، وهو إثبات حقائقه والإيمان بها.

وكذلك^(٢) سطا على تأويل آيات المعاد قوم، وقالوا: فعلنا فيها كفعل المتكلمين في آيات الصفات، بل نحن أعذر، فإنّ اشتمال الكتب الإلهية على الصفات والعلو وقيام الأفعال أعظم من نصوص المعاد للأبدان بكثير، فإذا ساغ لكم تأويلها، فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الأمر والنهي، وقالوا: فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات، مع كثرتها وتنوعها، وآيات الأحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية.

قالوا: وما يظنّ أنّه معارض من العقلات لنصوص الصفات، فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد، من جنسه أو أقوى منه.

(١) كلمة (سواء): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (ولذلك).

وقال متأولوا آيات الأحكام على خلاف حقائقها وظواهرها: الذي سوَّغ لنا هذا التأويل القواعد التي اصطلمحتموها لنا، وجعلتموها أصلاً نرجع إليه^(١)، فلما طردناها كان طردها^(٢) أن الله ما تكلم بشيء قط، ولا يأمر ولا ينهى ولا له صفة تقوم به، ولا يفعل شيئاً، وطرد هذا الأصل لزوم تأويل آيات الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب.

وقد ذكرنا في كتاب «الصَّوَاعِقِ» أن تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين، وزوال الممالك، وتسليط أعداء الإسلام عليه؛ إنَّما كان بسبب التأويل، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم؛ ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته؛ لأنَّه سبب لفساد العالم، وتعطيل الشرائع.

ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها؛ فإنَّها وردت على وجه لا يحتمل معه التأويل بوجه.

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع: تأويل إتيان الربِّ ﷻ بإتيان ملائكته أو آياته؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهةً أصلاً: أنه إتيانه بنفسه؟ وكذلك قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

ففرَّق بين الإيحاء العام، والتكليم الخاص، وجعلهما نوعين، ثمَّ أكَّد فعل التكليم بالمصدر الرافع لتوهم ما يقوله المحرِّفون.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] فنوع تكليمه إلى تكليم بواسطة، وتكليم بغير واسطة.

وكذلك قوله لموسى ﷺ: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] ففرَّق بين الرسالة والكلام، والرسالة إنما هي بكلامه.

وكذلك قول النبي ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي الصَّحْوِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ﴾^(٣)، ومعلوم أن هذا البيان والكشف والاحتراز ينافي إرادة التأويل قطعاً، ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين.

(١) في «غ» والمنار: (إليها).

(٢) في «غ» والمنار: (طردنا).

(٣) رواه مسلم في «الإيمان»، باب: معرفة طريق الرؤية في حديث طويل (١٨٢)، ورواه البخاري بطوله في «التوحيد»، باب: قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٧٤: ٣٩).

قوله: «وظَهَرَتْ شَوَاهِدُهَا فِي الصَّنْعَةِ».

هذا هو الطريق الثاني من طرق إثبات الصفات، وهو دلالة الصنعة عليها؛ فإنَّ المخلوق يدلُّ (١) على وجود خالقه، على حياته وعلى قدرته، وعلى علمه ومشيتته؛ فإنَّ الفعل الاختياريَّ يستلزم ذلك استلزاماً ضرورياً، وما فيه من الإتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه يدلُّ (٢) على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان والتفجع، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدلُّ على رحمة خالقه، وإحسانه وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدلُّ على أنَّ خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحقُّ بالكمال، وخالق الأسماع والأبصار والنطق أحقُّ بأن يكون سمياً بصيراً متكلماً، وخالق الحياة والعلوم، والقدر والإرادات أحقُّ بأن يكون هو كذلك في نفسه، فما في المخلوقات (٣) من أنواع التخصيصات هو (٤) من أدلِّ شيءٍ على إرادة الربِّ سبحانه، ومشيتته وحكمته، التي اقتضت التخصيص.

وحصول الإجابة عقيب سؤال الطالب، على الوجه المطلوب دليلٌ على علم الربِّ تعالى بالجزئيات، وعلى سمعه لسؤال عبده، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم، وعلى رأفته ورحمته بهم. والإحسان إلى المطيعين، والتقرب إليهم بالإكرام، وإعلاء درجاتهم يدلُّ على محبته ورضاه، وعقوبته للعصاة والظلمة، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدلُّ على صفة «الغضبِ والسخطِ»، والإبعاد والطرْد والإقصاء يدلُّ على «المقتِ والبغضِ».

فهذه الدلالات من جنسٍ واحدٍ عند التأمل، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته، فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته، وصفات كماله بآثار صفته (٥) المشهودة، والقرآن مملوءٌ بذلك.

فيظهر شاهد اسم «الخالق» من نفس المخلوق، وشاهد اسم «الرازق» من وجود الرزق والمرزوق، وشاهد اسم «الرحيم» من شهود الرحمة الماثلة في العالم، واسم «المُعطي» من وجود العطاء الذي هو مدارج لا ينقطع لحظة واحدة، واسم «الحليم» من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم، واسم «العفور» و«التواب» من مغفرة الذنوب، وقبول التوبة، ويظهر شاهد اسمه «الحكيم» من العلم بما في خلقه وأمره من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كلُّ اسمٍ من أسمائه

(١) في «غ» والمنار: (ما يدل).

(٢) في «غ» والمنار: (تدل).

(٣) في «غ» والمنار: (فما في المخلوقات شيء).

(٤) كلمة (هو): ساقطة من «غ» والمنار.

(٥) في «غ» والمنار: (صنعته).

الحسنى له شاهدٌ في خلقه وأمره، يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته.

وكلُّ سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصّانع وحِذِّقه وتبريزه على غيره، وتفردّه بكمالٍ لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلويّ والسفليّ وهذه المخلوقات من بعض صنعته؟!

وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلّها دالّةً على النُّعوت والصفّات، وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أنّ المعطّلة من أعظم النّاس عمىً بمكابرةٍ، ويكفي ظهور شاهد الصُّنع فيك خاصّةً، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرّبِّ ﷻ ونعوته وأسمائه، فهي كلّها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها، وتدلُّ عليها، وتخبر بها بلسان النُّطق والحال، كما قيل:

تَأْمَلُ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خَطَّ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ خَطَّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ
تُشِيرُ بِإِبْتَاتِ الصِّفَاتِ لِرَبِّهَا فَصَامَتْهَا يَهْدِي وَمَنْ هُوَ قَائِلُ

فلست ترى شيئاً أدلّ على شيءٍ (من دلالة المخلوقات على صفات خالقها، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلّتها بحسب تنوعها، فهي تدلُّ عقلاً وحسّاً، وفطرةً ونظرًا، واعتبارًا) (١).

قوله: «بِتَبْصِيرِ النُّورِ الْقَائِمِ فِي السَّرِّ» يعني: أنّ النُّور الإلهيّ الذي جعله الله لعبده، ويلقيه إليه، ويودعه في سرّه هو الذي يبصّره بشواهد صفاته، فكلمًا قوي هذا النُّور في قلب العبد: كان بصره بالصفّات أتمّ وأكمل، وكلّما قلّ نصيبه من هذا النُّور، وطفئ مصباحه في قلبه طفئ نور التّصديق بالصفّات وإثباتها في قلبه، فإنّه إنّما يشاهدها بذلك النُّور، فإذا فقدته لم يشاهدها، وجاءت الشُّبه الباطلة مع تلك الظُّلمة، فلم يكن له نصيبٌ منها سوى الإنكار.

قوله: «وَطَيْبِ حَيَاةِ الْعَقْلِ لِرِزْقِ الْفِكْرِ»؛ أي: يدرك الصفّات بذلك النُّور القائم في سرّه، وطيب حياة عقله، التي طيبها زرع الفكر الصّحيح، المتعلّق بما دعا الله سبحانه عباده إلى الفكر فيه، بقوله: ﴿وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة «ع».

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠].
 فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم، فيستدلون بها على توحيده، وصفات كماله، وصدق رسله،
 والعلم بلقائه، ويتفكرون في الدنيا وانقضائها، واضمحلالها وآفاتا، والآخرة ودوامها وبقائها وشرها،
 وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الروم: ٢١].

فالفكر الصحيح، المؤيد بحياة القلب، ونور البصيرة يدل على إثبات صفات الكمال ونعوت
 الجلال، وأما فكرٌ مصحوبٌ بموت القلب وعمى البصيرة فإنما يعطي صاحبه نفيها وتعطيلها.
 قوله: «وَحَيَاةُ الْقَلْبِ بِحُسْنِ النَّظْرِ بَيْنَ التَّعْظِيمِ وَحُسْنِ الإِعْتِبَارِ» يعني: أنه يضاف إلى نور
 البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر، الدائر بين تعظيم الخالق ﷻ وحسن الاعتبار
 بمصنوعاته الدالة عليه، فلا بد من الأمرين؛ فإنه إن غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له
 الاستدلال على الصفات، وإن حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه لم يستفد به إثبات
 الصفات، فإذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أثمر له إثبات صفات كماله ولا بد.
 والاعتبار: هو أن يعبر نظره من الأثر إلى المؤثر، ومن الصنعة إلى الصانع، ومن الدليل إلى
 المدلول، فينتقل إليه بسرعة لطف إدراك، فينتقل ذهنه من الملزوم إلى لازمه، قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا
 يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

والاعتبار: افتعالٌ من العبور، وهو عبور القلب من الملزوم إلى لازمه، ومن النظر إلى نظيره.
 وهذا الاعتبار يضعف ويقوى، حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكماله على ما يفعله،
 لحسن اعتباره وصحة نظره، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم، فإنهم يستدلون بأسماء الله وصفاته
 وأفعاله، وأنه يفعل كذا ولا يفعل كذا؛ فيفعل ما هو موجب حكمته وعلمه وغناه وحمده، ولا يفعل ما
 يناقض ذلك، وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه، فقال تعالى في الطريق الأولي: ﴿سَأْرِيهُمْ
 آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ثم قال في الطريق الثانية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣] فمخلوقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته، وأسمائه وصفاته
 دالة على ما يفعله ويأمر به، وما لا يفعله ولا يأمر به.

مثال ذلك: أن اسمه «الْحَمِيدُ» سبحانه يدل على أنه لا يأمر بالفحشاء والمنكر، واسمه
 «الْحَكِيمُ» يدل على أنه لا يخلق شيئاً عبثاً، واسمه «الْعَنِي» يدل على أنه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً،
 واسمه «الْمَلِكُ» يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته، وتدبيره، وعطائه ومنعه، وثوابه وعقابه،
 وبث رسله في أقطار مملكته، وإعلام عبيده بمراسيمه، وعهوده إليهم، واستوائه على سرير مملكته
 الذي هو عرشه المجيد، فمتى قام بالعباد تعظيم الحق ﷻ وحسن النظر في الشواهد، والتبصر

والاعتبار بها صارت الصفات والنعوت مشهودة لقلبه قبله له.

قوله: «وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْعَامَّةِ الَّتِي لَا تَنْعَقِدُ شَرَائِطُ الْيَقِينِ إِلَّا بِهَا».

لا يريد بالعامّة الجهال الذين هم عوامّ الناس، وإنما يريد أنّ هذه هي المعرفة التي وقف عندها العموم ولم يتعدّوها، وأمّا معرفة أهل الذوق والمحبة الخاصة فأحصّ من هذا، كما سيأتي.

قوله: «وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ إِبْتِاطُ الصِّفَةِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ...» إلى آخرها^(١).

هذه ثلاثة أشياء:

- أحدها: إِبْتِاطُ تِلْكَ الصِّفَةِ؛ فلا يعاملها بالنفي والإنكار.

- الثاني: أَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى بِهَا اسْمُهَا الْخَاصَّ الَّذِي سَمَّاهَا اللَّهُ بِهِ، بل يحترم الاسم كما يحترم الصِّفَةَ، فلا يعطّل الصِّفَةَ، ولا يغيّر اسمها ويعيرها اسمًا آخر^(٢)، كما تسمّي الجهميّة والمعطّلة سمعه وبصره، وقدرته وحياته، وكلامه أعراضًا، ويسمّون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأبعاضًا، ويسمّون حكمته وغاية فعله المطلوبة عللاً وأغراضًا، ويسمّون أفعاله القائمة به حوادث، ويسمّون علوّه على خلقه، واستواءه على عرشه، تحيّرًا، ويتواصون^(٣) بهذا المكر الكبار إلى نفي ما دلّ عليه الوحي والعقل والفطرة، وآثار الصنعة من صفاته، فيسقطون هذه الأسماء التي سمّوها هم وآباؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه.

- الثالث: عدم تشبيهها بما للمخلوق، فإنّ الله سبحانه ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فالعارفون به، المصدّقون لرسله، المقرّون بكماله يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التّعطيل، فمذهبيهم حسنةٌ بين سيّئتين، وهدى بين ضلالتين، فصراطهم صراط المنعم عليهم، وصراط غيرهم صراط المغضوب عليهم والصلّين.

قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا نُزِيلُ عَنِ اللَّهِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِأَجْلِ شِنَاعَةِ الْمُشَنِّعِينَ».

وقال: «التَّشْبِيهُ: أَنْ تَقُولَ يَدٌ كَيْدِي»، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قوله: «وَالْإِيَّاسُ مِنْ إِدْرَاكِ كُنْهَيْهَا، وَابْتِغَاءِ تَأْوِيلِهَا».

يعني: أن العقل قد يئس من تعرّف كنه الصِّفَةِ وكيفيّتها، فإنّه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا

(١) في «غ»: (إلى آخره).

(٢) في «غ»: (أسماء آخر).

(٣) في «غ»: (ويتصلون).

معنى قول السلف: «بَلَا كَيْفٍ»؛ أي: بلا كيف يعقله البشر، فإنَّ مَنْ لا تعلم (١) حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف (٢) كيفية نعوته وصفاته؟! ولا يقدر ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أننا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة (٣) كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية مَنْ له الكمال كلُّه، والجمال كلُّه، والعلم كلُّه، والقدرة كلُّها، والعظمة كلُّها، والكبرياء كلُّها، مَنْ لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وما وراء ذلك، الَّذِي يقبض سمواته بيده، فتغيب كما تغيب الخردلة في كفِّ أحدنا، الَّذِي نسبة علوم الخلائق كلُّها إلى علمه أقلُّ من نسبة (٤) نقرة عصفورٍ من بحار [العالم] (٥) الَّذِي لو أنَّ البحر يمدُّه من بعده سبعة أبحرٍ مداً وأشجار الأرض من حين خلقت إلى قيام الساعة أقلامٌ: لفني (٦) المداد وفنيت الأقلام؛ ولم تنفد كلماته، الَّذِي لو أنَّ الخلق من أوَّل الدُّنيا إلى آخرها - إنسهم وجنهم، وناظفهم وأعجمهم - جعلوا صفًا واحدًا ما أحاطوا به سبحانه، الَّذِي يضع السموات على إصبعٍ من أصابعه، والأرض على إصبعٍ، والجبال على إصبعٍ، والأشجار على إصبعٍ، ثمَّ يهزُّهنَّ، ثمَّ يقول: أنا الملك.

فقاتل الله الجهميَّة والمعطلَّة! أين التَّشبيه هاهنا؟ وأين التَّمثيل؟ لقد اضمحلَّ هاهنا كلُّ موجودٍ سواه، فضلًا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال، ويشابهه فيه، فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته، ووَلَّاهَا ما تولَّت من وقوفها مع الألفاظ التي لا حرمة لها، والمعاني التي لا حقائق لها. ولمَّا فهمت هذه الطائفة من الصِّفات الإلهيَّة ما تفهمه من صفات المخلوقين، فرَّت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها، وسمَّته تأويلًا، فشبَّهت أولًا، وعطلت ثانيًا، وأساءت الظنَّ برَّبِّها وبكتابه وبنبيِّه وبأتباعه.

- أمَّا إساءة الظنَّ بالرَّبِّ: فإنَّها عطَّلت صفات كماله، ونسبته إلى أنَّه أنزل كتابًا مشتملاً على ما ظاهره كفرٌ وباطلٌ، وأنَّ ظاهره وحقائقه غير مرادة.

(١) في «غ» والمنار: (يعلم).

(٢) في «غ» والمنار: (يعرف).

(٣) كلمة (معرفة): ساقطة من «غ».

(٤) كلمة (نسبة): ساقطة من «غ».

(٥) في طبعة الفقي (العلم)، وقد أثبتنا ما بين المعكوفتين في الأصل وذلك من «غ» والمنار لمناسبتها للسياق.

(٦) في «غ» والمنار: (فني).

- وأما إساءة ظنّها بالرّسول: فلائّه تكلم بذلك وقرّره وأكّده، ولم يبيّن للأمة أنّ الحقّ في خلافه وتأويله.

- وأما إساءة ظنّها بأتباعه: فبنسبتهم لهم إلى التّشبيه والتّمثيل، والجهل والحشو، وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفّروهم، إلّا من عاند الرّسول، وقصد نفي ما جاء به، والقوم عندهم في خفارة جهلهم، قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله، وإثبات حقائق أسمائه، وأوصاف كماله.

فصل

□ قال: «الدّرَجَةُ الثّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ الدّاتِ، مَعَ إِسْقَاطِ التّفْرِيقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَالدّاتِ، وَهِيَ تَنْبُتُ بِعِلْمِ الْجَمْعِ، وَتَصِفُو فِي مَيْدَانِ الْفَنَاءِ، وَتُسْتَكْمَلُ بِعِلْمِ الْبِقَاءِ، وَتُشَارَفُ عَيْنَ الْجَمْعِ».

نشرح كلامه ومراده أوّلاً، ثمّ نبين ما له وعليه فيه.

فكانت هذه الدّرَجَة عنده أرفع ممّا قبلها؛ لأنّ التي قبلها نظرٌ في الصّفات، وهذه متعلّقةٌ بالدّاتِ الجامعة للصّفات، وإن كانت الدّات لا تخلو عن الصّفات، فهي قائمةٌ بها، ولا نقول: إنّ صفاتها عينها ولا غيرها، لما في لفظ الغير من الإجمال والاشتباه، فإنّ الغيرين قد يراد بهما ما جاز افتراقهما ذاتاً أو زماناً، أو مكاناً، وعلى هذا فليست الصّفات مغايرةً للدّات، وقد^(١) يراد بالغيرين ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر، فيفترقان في الوجود الدّهنيّ، لا في الوجود الخارجيّ، فالصّفات غير الدّات بهذا الاعتبار؛ لأنّه قد يقع الشّعور بالدّات حال ما يغفل عن صفاتها، فتتجرّد عن صفاتها في شعور العبد، لا في نفس الأمر.

وقوله: «مَعَ إِسْقَاطِ التّفْرِيقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَالدّاتِ» التّفريق بين الصّفات والدّات في الوجود مستحيلٌ، وهو ممكنٌ في الشّهود بأن يشهد الصّفة ويذهل عن شهود الموصوف، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصّفة، فتجريد الدّات أو الصّفات إنّما يمكن في الدّهن، فالمعرفة في هذه الدّرَجَة تعلّقت بالدّات والصّفات جميعاً، فلم يفرّق العلم والشّهود بينهما، ولا ريب أنّ ذلك أكمل من شهود مجرد الصّفة، أو مجرد الدّات.

(١) كلمة (قد): ساقطة من «غ» والمنار.

ولا يريد الشيخ أنك تُسقط التفریق بين الذات والصفات في الخارج والعلم، بحيث تكون الصفات هي نفس الذات، فهذا لا يقوله الشيخ، وإن كان كثير من أرباب الكلام يقولون: إن الصفات هي الذات، فليس مرادهم أن الذات نفسها صفة، فهذا لا يقوله عاقل، وإنما مرادهم أن صفاتها ليست شيئاً غيرها.

فإن أراد هؤلاء أن مفهوم الصفة هو مفهوم الذات: فهذا مكابرة، وإن أرادوا أنه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت إليها وقامت بها فهذا حق.

والتحقيق: أن صفات الرب ﷻ داخله في مسمى اسمه، فليس اسمه «الله، والرب، والآله» أسماء لذات مجردة، لا صفة لها البتة؛ فإن هذه الذات المجردة^(١) وجودها مستحيل، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنع، ثم يحكم عليها، واسم «الله» سبحانه، «والرب، والآله» اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال، كالعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والبقاء، والقدم، وسائر الكمال الذي يستحقه الله لذاته، فصفاته داخله في مسمى اسمه، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لا حقيقة له، وهو أمر اعتباطي لا فائدة فيه، ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان، ولا هو علم في نفسه، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن، بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] قالوا: «والقرآن شيء».

فأجابهم السلف: بأن القرآن كلامه، وكلامه من^(٢) صفاته، وصفاته داخله في مسمى اسمه؛ كعلمه وقدرته وحياته، وسمعه وبصره، ووجهه ويديه، فليس الله اسماً لذات لا نعت لها، ولا صفة، ولا فعل، ولا وجه، ولا يدين. ذلك إله معدوم مفروض في الأذهان، لا وجود له في الأعيان، كإله الجهمية، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا محايت له ولا مبين.

وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت، ولا له مشيئة ولا قدرة، ولا إرادة ولا كلام.

وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً ساريًا في الموجودات ظاهراً فيها، هو عين وجودها. وكإله النصاري الذي فرضوه قد اتخذ صاحبةً وولداً، وتدرع بناسوت ولده، واتخذ منه حجاباً. فكل هذه الآلهة ممّا عملته أيدي أفكارها.

(١) كلمة (المجردة): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (من): غير موجودة في «غ» والمنار.

وإله العالمين الحقُّ: هو الَّذِي دعت إليه الرُّسل وعَرَفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله، فوق سمواته على عرشه، بائنٌ من خلقه، موصوفٌ بكلِّ كمالٍ، منزهٌ عن كلِّ نقصٍ، لا مثال له، ولا شريك، ولا ظهير، ولا يشفع عنده أحدٌ إلَّا بإذنه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] غنيٌّ بذاته عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه بذاته.

قوله: «وَهِيَ تَثْبُتُ بِعِلْمِ الْجَمْعِ، وَتَصْفُو فِي مَيْدَانِ الْفَنَاءِ».

يعني: أنَّ هذه المعرفة الخاصَّة تثبت بعلم الجمع، ولم يقل بحال الجمع، ولا بعينه، ولا مقامه فإنَّ علمه أوَّلاً هو سبب ثبوتها، فإنَّ هذه المعرفة لا تنال إلَّا بالعلم، فهو شرطٌ فيها، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى في الجمع عن قريب.

فإذا علم العبد انفراد الرَّبِّ سبحانه بالأزل والبقاء والفعل، وعجز من سواه عن القدرة على إيجاد ذرَّةٍ أو جزءٍ من ذرَّةٍ، وأنَّه لا وجود له من نفسه، فوجوده ليس له، ولا به ولا منه، وتوالي هذا العلم عن (١) القلب يسقط (٢) ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر، كما سقط غناه (٣) وربوبيته وملكوته وقدرته، فصار الرَّبُّ سبحانه وحده هو المعبود والمشهود والمذكور، كما كان وحده هو الخالق المالك، الغنيُّ الموجود بنفسه أزلاً وأبداً، وأمَّا ما (٤) سواه فوجوده وتوابع وجوده عاريةٌ ليست له.

وكلمًا فني العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه، فلماذا قال: «وَتَصْفُو فِي مَيْدَانِ الْفَنَاءِ»، استعار الشَّيخ للفناء ميداناً وأضافه إليه لتساع مجاله؛ لأنَّ صاحبه قد انقطع التفاته إلى ضيق الأغيار، وانجذبت روحه وقلبه إلى الواحد القهَّار، فهي تجول في ميدانٍ أوسع من السَّموات والأرض، بعد أن كانت مسجونةً في سجون المخلوقات، فإذا استمرَّ له عكوف قلبه على الحقِّ سبحانه، ونظر قلبه إليه كأنَّه يراه، ورؤية تفرِّده بالخلق والأمر، والنَّفع والضَّرُّ، والعطاء والمنع؛ كملت وتمَّت في هذه الدَّرَجَة معرفته، واستكملت بهذا البقاء الَّذي أوصله إليه الفناء، وشارفت عين الجمع بعد علمه، فغاب العارف عن معرفته بمعرفه، وعن ذكره بمذكوره، وعن محبَّته وإرادته بمراده ومحبوته، فلذلك قال: «وَتُسْتَكْمَلُ بِعِلْمِ الْبَقَاءِ، وَتُشَارِفُ عَيْنَ الْجَمْعِ».

(١) في «غ» والمنار: على.

(٢) في المنار: (لا يسقط) وهو خطأ لا يناسب السياق.

(٣) قوله: (كما سقط غناه... إلخ) الضمير هنا يعود إلى المخلوق؛ أي: كما سقط غنى من سوى الله من الموجودات وسقطت ربوبيته وقدرته وملكوته، فليس لأي مخلوق حظ من هذه المعاني المختصة بالرب سبحانه؛ وهي الغنى المطلق والربوبية المطلقة على كل شيء، والقدرة على كل شيء، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(٤) كلمة (ما): ساقطة من «غ».

□ ولهذه المعرفة ثلاثة أركانٍ، أشار إليها الشيخ بقوله: «إِرْسَالُ الصِّفَاتِ عَلَى الشُّوَاهِدِ، وَإِرْسَالُ الْوَسَائِطِ عَلَى الْمَدَارِجِ، وَإِرْسَالُ الْعِبَارَاتِ عَلَى الْمَعَالِمِ».

شواهد الصِّفَاتِ: هي التي تشهد^(١) بها، وتدُلُّ عليها من الكتاب والسُّنَّةِ، وشهادة العقل والفترة وآثار الصَّنعة، فإذا تمكَّن العبد في التَّوْحِيدِ علم أنَّ الحقَّ سبحانه هو الَّذِي عَلَّمَهُ صفات نفسه بنفسه، لم يعرفها العبد من ذاته، ولا بغير تعريف الحقِّ له، بما أجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشُّوَاهِدِ، والانتقال منها إلى المشهود المدلول عليه، فهو سبحانه الَّذِي شهد لنفسه في الحقيقة، إذ تلك الشُّوَاهِدِ مصدرها منه، فشهد لنفسه بنفسه، بما قاله وفعله وجعله شاهداً لمعرفته، فهو الأوَّل والآخِر، والعبد آله محضَةٌ، ومنفعلٌ ومحلٌّ لجريان الشُّوَاهِدِ وآثارها وأحكامها عليه، ليس له من الأمر شيءٌ، فهذا معنى إرسال الصِّفَاتِ على الشُّوَاهِدِ، فإذا أرسلها عليها تبين له أنَّ الحكم للصِّفَاتِ دون الشُّوَاهِدِ، بل الشُّوَاهِدِ هي آثار الصِّفَاتِ، فهذا وجهٌ.

ووجهٌ ثانٍ، أيضًا وهو: أنَّ الشُّوَاهِدِ بوارق وتجلِّياتٌ تبدو للشَّاهد، فإذا أرسل الصِّفَاتِ على تلك الشُّوَاهِدِ توارى حكم تلك البوارق والتَّجَلِّياتِ في الصِّفَاتِ، وكان الحكم للصِّفَاتِ، فحينئذٍ يترقَّى العبد إلى شهود الذاتِ شهودًا علميًا عرفانيًا، كما تقدَّم.

قوله: «وَإِرْسَالُ الْوَسَائِطِ عَلَى الْمَدَارِجِ».

الوسائط: هي الأسباب المتوسِّطة بين الرَّبِّ والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها. والمدارج: هي المنازل والمقامات التي يترقَّى العبد فيها إلى المقصود. وقد تكون المدارج الطُّرُق التي يسلكها^(٢) إليه ويُدْرَجُ فيها، فإرسال الوسائط التي من الرَّبِّ على المدارج التي هي منازل السَّير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المدارج، فيغيب عن شهود المدارج بالوسائط، وقد غاب عن شهود الوسائط بالصِّفَاتِ، فيترقَّى حينئذٍ إلى شهود الذاتِ.

وحقيقة الأمر: أن يعلم أنَّ الرَّبَّ سبحانه ما أطلعه على معرفته إلا بشواهد منه سبحانه، وبوسائط ليست من العبد، فهو قادرٌ على قبض تلك الشُّوَاهِدِ والوسائط، وعلى إجرائها على غيره؛ فإنَّ الأمر كلُّه له، وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئًا، قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (١٨٦) [الإسراء: ٨٦، ٨٧].

(١) في «غ» والمنار: (يشهد).

(٢) في «غ»: (سلكها).

وقال للائمة على لسانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦].

ويعلم العبد أن ما أخبر به الربُّ تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته، والإيمان به هي معالم يهتدي بها عباده إليه^(١)، ويعرفون بها كماله وجلاله وعظمته، فإذا تيقنوا صدقه ولم يشكوا فيه، وتفطنوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم؛ انضمَّ شاهد العقل والفطرة إلى شاهد الوحي والشَّرع، فانتقلوا حينئذٍ من الخبر إلى العيان، فالعبارات معالم على الحقائق المطلوبة، والمعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب؛ فإذا أوصل العارف كلَّ معنى ممَّا تقدَّم ذكره على مقصوده، وصرف همته إلى مجريه وناصبه ومصدره اجتمع همُّه عليه، وتمكَّن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال، ونعوت الجلال.

ومقصوده: أن يبيِّن في هذه الأركان الثلاثة حال صاحب معرفة الذات، وكيف ترتَّب الأشياء في نظره، ويترقى فيها إلى المقصود؟

مثال ذلك: أن الشواهد أرسلته إلى الصِّفات بإرسالها عليها، فانتقل من مشاهدتها إلى مشاهدة الصِّفات، والوسائط التي كان يراها آيةً على المدارج، انتقل فانتقل منها إلى المدارج ولم يلقها، وإنما تعلَّق بما هي آيةٌ له، والعبارات التي كانت عنده ألفاظًا خارجةً عن المعبر عنه صارت أماراتٍ توصله إلى الحقيقة المعبر عنها، فبهذه الأركان الثلاثة يصير بها من أهل معرفة الذات عنده.

قوله: «وَهَذِهِ مَعْرِفَةُ الْخَاصَّةِ الَّتِي تُؤَنَسُ مِنْ أَفْقِ الْحَقِيقَةِ»؛ أي: تدرك وتحسُّ من ناحية الحقيقة.

والإيناس: الإدراك والإحساس، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَأَسَّتُمْ مِنْهُمْ شُذُوذًا فَاذْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].
وقال موسى ﷺ: ﴿إِنِّي ءَأَسَّتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠].

والمقصود: أن العارف إذا علَّق همُّه بأفق الحقيقة، وأعرض عن الأسباب والوسائط - لا إعراض جحودٍ وإنكارٍ، بل إعراض اشتغالٍ، ونظرٍ إلى عين المقصود - أوصله ذلك إلى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال، والله ﷻ أعلم.

(١) كلمة (إليه): غير موجودة في «ع» والمنار.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: مَعْرِفَةٌ مُسْتَعْرِقَةٌ فِي مَحْضِ التَّعْرِيفِ، لَا يُوصِلُ إِلَيْهَا إِسْتِدْلَالٌ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهَا شَاهِدٌ، وَلَا تَسْتَحَقُّهَا وَسِيلَةٌ، وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ: مُشَاهَدَةَ الْقُرْبِ، وَالصُّعُودَ عَنِ الْعِلْمِ، وَمُطَالَعَةَ الْجَمْعِ، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ الْخَاصَّةُ».

إنَّما كانت هذه المعرفة عنده أرفع ممَّا قبلها؛ لأنَّ ما قبلها متعلِّقةٌ بالوسائط والشَّواهد، متَّصلةٌ إلى المطلوب، وهذه متعلِّقةٌ بعين المقصود فقط، طابوئةٌ للوسائط والشَّواهد، فالوسائط صاعدةٌ عنها إليه، وهي غالبٌ على حال العارف وشهوده، وقد استغرقت إدراكه لما هو فيه، بحيث غاب عن معرفته بمعرفته، وعن ذكره بمذكوره، وعن وجوده بوجوده.

فقوله: «مُسْتَعْرِقَةٌ فِي مَحْضِ التَّعْرِيفِ».

المعرفة: صفة العبد وفعله.

والتَّعْرِيفُ: فعل الرَّبِّ وتوفيقه، فاستغرقت صفة العبد في فعل الرَّبِّ وتعريفه نفسه لعبده.

وقوله: «لَا يُوصِلُ إِلَيْهَا بِالْإِسْتِدْلَالِ».

يريد: أنَّ هذه المعرفة في الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ لا يوصل إليها بسببٍ، فإنَّ الأسباب قد انطوت فيها، والوسائل قد انقطعت دونها، فلا يدُلُّ عليها شاهدٌ غيرها، بل هي شاهد نفسها، فشاهدها وجودها، ودليلها نفسها، ولا تعجل بإنكار هذا، فالأمور الوجدانيَّة كذلك، ودليلها نفسها، وشاهدها حقيقتها، فتصير هذه المعرفة للعارف كالأمور الوجدانيَّة، كاللَّذَّةِ والفرح، والحبِّ والخوف، وغيرها من الأمور التي لا يطلب من قامت به شاهدًا عليها من سوى أنفسها.

ولعمر الله إنَّ هذه درجةٌ من المعرفة مُنيفةٌ، ورتبةٌ شريفةٌ، تنقطع دونها أعناق مطايا السَّائرين، فلذلك لا يوصل إليها بالاستدلال، ولا يدُلُّ عليها شاهدٌ، ولا تستحقُّها وسيلةٌ، والأعمال والأحوال والمقامات كُلُّها وسائل، وهي لا تستحقُّ هذه الدَّرَجَةَ من المعرفة، وإنَّما هي فضل من الفضل كُلُّه بيده، وهو ذو الفضل العظيم، وكون الوسائل المذكورة لا تستحقُّها لا تمنع من القيام بها على أتمِّ الوجوه، وبذل الجهد فيها، ومع ذلك فلا تستحقُّها الوسائل.

قوله: «وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ: مُشَاهَدَةَ الْقُرْبِ، وَالصُّعُودَ عَنِ الْعِلْمِ، وَمُطَالَعَةَ الْجَمْعِ».

إنَّما كانت هذه الثلاثة أركانًا لها؛ لأنَّ صاحب هذه المعرفة قد وصل من القرب إلى مقام يليق

به بحسب معرفته، فكَلَّمَا كانت معرفته أتمَّ؛ كان قربه أتمَّ، فإنَّ شهود الوسائط والوسائل حجابٌ عن عين القرب، وإلغائها وجحودها حجابٌ عن أصل الإيمان.

- وأما صعوده عن العلم: فليس المراد به صعوده عن أحكامه، فإنَّ ذلك سقوطٌ ونزولٌ إلى الحضيض الأدنى، لا صعودٌ إلى المطلب الأعلى، وإنما المراد أنَّه يصعد بأحكام العلم عن الوقوف معه، وتوسيطه بينه وبين المطلوب، فإنَّ الوسائط قد طوي بساطها في هذا الشهود والعرفان؛ أعني: بساط الوقوف معها والنظر إليها، فيدرك مشهوده ومعروفه به سبحانه، لا بالعلم والخبر، بل بالمشاهدة والعيان، وإن كان لم يصل إلى ذلك إلا بالعلم والخبر، لكنَّه قد صعد من العلم والخبر إلى المعلوم المخبر عنه.

- وأما مطالعة الجمع: فهي الغاية عند هذه الطائفة، ونحن لا ننكر ذلك، لكن أيُّ جمع هو؟ هل هو جمع الوجود، كما يقوله الاتحاديُّ؟ أم جمع الشهود، كما يقوله صاحب الفناء في توحيد الربوبية؟ أم هو جمع الإرادة كلها في مراد الربِّ تعالى الدينيِّ الأمريِّ؟ فالشأن في هذا الجمع الذي مطالعته من أعلى أنواع المعرفة.

نعم؛ هاهنا جمعٌ آخر، مطالعته هي كلُّ المعرفة، وهو جمع الأفعال في الصفات، وجمع الصفات في الذات، وجمع الأسماء في الذات والصفات والأفعال، فمطالعة هذا الجمع هي غاية المعرفة، وأعلى أنواعها، وهي - لعمر الله - معرفةٌ خاصَّةٌ الخاصَّة، والله المستعان، وبه التوفيق، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

فصل

□ قال صاحب «المتنازل»: «(بَابُ الْفَنَاءِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].»

الفناء المذكور في الآية: ليس هو الفناء الذي تشير إليه الطائفة؛ فإنَّ الفناء في الآية الهلاك والعدم، أخبر سبحانه أنَّ كلَّ مَنْ على الأرض يعدم ويموت، ويبقى وجهه سبحانه. وهذا مثل قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٣٠].

ومثل قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال الكلبي ومقاتل: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨] أَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْهَلَاكِ.»

قال الشعبي: «إِذَا قَرَأْتَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] فَلَا تَسْكُتُ حَتَّى تَقْرَأَ: ﴿وَبَعَثْنَا وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧].»

وهذا من فقهه في القرآن وكمال علمه، إذ المقصود: الإخبار بفناء مَنْ عليها مع بقاء وجهه سبحانه؛ فإن الآية سيقت لتمدحه بالبقاء وحده، ومجرد فناء الخليقة ليس فيه مدحه، إنما المدح في بقاءه بعد فناء خلقه، فهي نظير قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وأما الفناء الذي تترجم عنه الطائفة فأمرٌ غير هذا، ولكن وجه الإشارة بالآية: أن الفناء المشار إليه هو ذهاب القلب، وخروجه من هذا العالم وتعلقه بالعليّ الكبير الذي له البقاء فلا يدركه الفناء، ومن فني في محبته وطاعته وإرادة وجهه أوصله هذا الفناء إلى منزل البقاء، فالآية تشير إلى أن العبد حقيقٌ ألا يتعلّق بمن هو فانٍ، ويذر من له البقاء، وهو ذو الجلال والإكرام، فكأنها تقول: إذا تعلقت بمن هو فانٍ انقطع ذلك التعلّق عند فئائه أحوج ما تكون إليه، وإذا تعلقت بمن هو باقٍ لا يفنى لم ينقطع تعلقك ودام بدوامه.

والفناء الذي يترجم عليه هو غاية التعلّق ونهايته، فإنه انقطع عمّا سوى الربّ تعالى من كلّ وجه، ولذلك قال: «الْفُتَاءُ فِي هَذَا الْبَابِ: اضْمِحْلَالُ مَا دُونَ الْحَقِّ عِلْمًا، ثُمَّ جَحْدًا، ثُمَّ حَقًّا».

قلت: الفناء: ضدُّ البقاء، والباقي إمّا باقٍ بنفسه من غير حاجةٍ إلى من يبقيه، بل بقاءه من لوازم نفسه، وهو الله تعالى وحده، وما سواه فبقاؤه ببقاء الربّ، وليس له من نفسه بقاء، كما أنّه ليس له من نفسه وجود، فإيجاده وإبقاؤه من ربه وخالقه، وإلا فهو ليس له من نفسه إلاّ العدم قبل إيجاده، والفناء بعد إيجاده.

وليس المعنى أن نفسه^(١) وذاته اقتضت عدمه وفئاه، وإنما الفناء أنك إذا نظرت إلى ذاته - بقطع النظر عن إيجاد موجد له - كان معدومًا، وإذا نظرت إليه بعد وجوده - مع قطع النظر عن إبقاء موجد له - استحال بقاءه، فإنه إنّما يبقى بإبقائه، كما أنّه إنّما يوجد بإيجاده، فهذا معنى قولنا: «إِنَّهُ نَفْسُهُ مُعْدُومٌ وَفَانٍ؛ فافهمه!»

وقد اختلف الناس: هل إفناء الموجود وإعدامه بخلق عرضٍ فيه يسمّى الفناء والإعدام؟ أم بإمساك خلق البقاء له؛ إذ هو في كلّ وقتٍ محتاجٌ إلى أن يخلق له بقاءً يبقيه؟ وهي مسألة الإعدام المشهورة.

والتحقيق فيها: أن ذاته لا تقتضي الوجود، وهو معدومٌ بنفسه، فإذا قدر الربّ تعالى لوجوده أجلًا ووقتًا انتهى وجوده عند حضور أجله، فرجع إلى أصله وهو العدم، نعم قد يقدر له وقتًا ثم يمحو

(١) الضمير هنا وما بعده من الضمائر عائد إلى المخلوق.

سبحانه ذلك الوقت (١)، ويريد إعدامه قبل وقته، كما أنه سبحانه (٢) يمحو ما يشاء، ويريد استمرار وجوده بعد الوقت المقدّر إلى أمدٍ آخر، فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت، قال الله تعالى حاكياً عن نبيّه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٢﴾ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَرِّجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣﴾﴾ [نوح: ٢-٤]، فإذا أراد الله سبحانه إبقاء الشّيء أبقاه إلى حين يشاء، وإذا أراد إفناؤه أعدمه بمشيئته، كما يوجد بمشيئته.

فإن قيل: متعلّق المشيئة لا بدّ أن يكون أمراً وجودياً، فكيف يكون العدم متعلّق المشيئة؟ قيل: متعلّق المشيئة أمران: إيجاد وإعدام، وكلاهما ممكن، فقول القائل لا بدّ أن يكون متعلّق المشيئة أمراً وجودياً دعوى باطلة، نعم، العدم المحض لا تتعلّق به المشيئة، وأمّا الإعدام فهو أخصّ من العدم.

ولولا أنّنا في أمرٍ أخصّ من هذا لبسطنا الكلام في هذه المسألة، وذكرنا أوهام الناس وأغلاطهم فيها.

وقوله: «الفناء: اسمٌ لإضمحلال ما دون الحقِّ علماً».

يعني: يضمحلّ عن القلب والشهود علماً، وإن لم تكن ذاته فانية في الحال مضمحلة، فتغيب صور الموجودات في شهود العبد، بحيث تكون (٣) كأنّها دخلت في العدم، كما كانت قبل أن توجد، ويبقى الحقّ تعالى ذو الجلال والإكرام وحده في قلب الشاهد، كما كان وحده قبل إيجاد العوالم.

قوله: «علماً، ثمّ جحداً، ثمّ حقّاً» هذه الثلاثة هي مراتب الاضمحلال إذا ورد على العبد على الترتيب؛ فإذا جاء وهلة واحدة لم يشهد شيئاً من ذلك، وإن كان قد يعرف ذلك إذا عاد إلى علمه وشهوده، فإنّ الرّبّ سبحانه إذا رقى عبده بالتدرّج نوراً باطنه وعقله بالعلم، فرأى أنّه لا خالق سواه، ولا ربّ غيره، ولا يملك الضّرّ والنفع والعطاء والمنع غيره، وأنّه لا يستحقّ أن يعبد - بنهاية الخضوع والحبّ - سواه، وكلّ معبودٍ سوى وجهه الكريم فباطل، فهذا توحيد العلم.

ثمّ إذا رقاها الحقّ سبحانه درجةً أخرى فوق هذه أشهده عود المفعولات إلى أفعاله سبحانه، وعود أفعاله إلى أسمائه وصفاته، وقيام صفاته بذاته، فيضمحلّ (٤) شهود غيره من قلبه، وجحد أن يكون لسواه من نفسه شيءٌ ألبتّة، ولم يجحد السويّ كما يجحده الملاحدة؛ فإنّ هذا الجحود عين الإلحاد.

(١) في «غ» والمنار: (ثم يمحو ذلك سبحانه).

(٢) جملة (أنه سبحانه): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٣) كلمة (تكون): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) في «غ» والمنار: (اضمحل).

ثم إذا رَقَّاه درجةً أخرى؛ أشهده قيام العوالم كلها -جواهرها وأعراضها، وذواتها وصفاتها- به وحده؛ أي: بإقامته لها وإمساكه لها، فإنه سبحانه يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك البحار أن تغيض أو تفيض على العالم، ويمسك السماء أن تقع على الأرض، ويمسك الطير في الهواء صفاتٍ ويقبضن، ويمسك القلوب الموقنة أن تزيع عن الإيمان، ويمسك حياة الحيوان أن تفارقه إلى الأجل المحدود، ويمسك على الموجودات وجودها، ولولا ذلك لاضمحلت وتلاشت، والكل قائم بأفعاله وصفاته التي هي من لوازم ذاته، فليس الوجود الحقيقي إلا له، أعني الوجود الذي هو مستغن فيه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقيرٌ إليه بالذات، لا قيام له بنفسه طرفة عين.

□ ولما كان للفناء مبدأً وتوسطاً وغايةً: أشار إلى مراتبه الثلاثة:

«فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: فَنَاءُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَحَقِّقِينَ (١) بِهِ، وَالثَّانِيَةُ: فَنَاءُ أَهْلِ السُّلُوكِ وَالْإِزَادَةِ، وَالثَّلَاثَةُ: فَنَاءُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، الْمُسْتَعْرِقِينَ فِي شُهُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ».

فأول الأمر، أن تفتنى قوة علمه وشعوره بالمخلوقين في جنب علمه ومعرفته بالله وحقوقه، ثم يقوى ذلك حتى يعدهم كالأموات والعدم، ثم يقوى ذلك حتى يغيب عنهم، بحيث يكلم ولا يسمع، ويمر به ولا يرى، وذلك أبلغ من حال السكر، ولكن لا تدوم له هذه الحال، ولا يمكن أن يعيش عليها.

فصل

□ قال: «وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: فَنَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الْفَنَاءُ عِلْمًا، وَفَنَاءُ الْعِيَانِ فِي الْمُعَايِنِ، وَهُوَ الْفَنَاءُ جَحْدًا، وَفَنَاءُ الطَّلَبِ فِي الْوُجُودِ، وَهُوَ الْفَنَاءُ حَقًّا».

هذا تفصيل ما أجمله أولاً، ونبيّن ما أرادوا بالعلم، والجحد، والحق.

ففناء المعرفة في المعروف: هو غيبة العارف بمعروفه عن شعوره بمعرفته ومعانيها فيفتنى به سبحانه عن وصفه هنا وما قام به، فإن المعرفة فعله ووصفه، فإذا استغرق في شهود المعروف فني عن صفة نفسه وفعلها، ولما كانت المعرفة فوق العلم وأخص منه كان فناء المعرفة في المعروف مستلزماً لفناء العلم في المعرفة؛ فيفتنى أولاً في المعرفة ثم تفتنى المعرفة في المعروف.

(١) في «غ»: (المحققين).

وأما فناء العيان في المعايين: فالعيان فوق المعرفة، فإنَّ المعرفة مرتبةٌ فوق العلم ودون العيان، فإذا انتقل من المعرفة إلى العيان فني عيانه في معانيه، كما فنيته معرفته في معرفه. وأما فناء الطُّلب في الوجود: فهو ألاَّ يبقى لصاحب هذا الفناء طلبٌ؛ لأنَّه ظفر بالمطلوب المشاهد، وصار واجداً بعد أن كان طالباً، فكان إدراكه أوَّلاً علمًا، ثمَّ قوي فصار معرفةً، ثمَّ قوي فصار عيانًا، ثمَّ تمكَّن فصار معرفةً، ثمَّ تمكَّن فصار وجودًا.

ولعلَّك أنَّ تستنكر أو تستبعد هذه الألفاظ ومعانيها، فاسمع ضرب مثل يهون عليك ذلك، ويقرِّبه منك: مثل ملكٍ عظيم السُّلطان، شديد السُّطوة، تامَّ الهيبة، قويُّ البأس استدعى رجلاً من رعيته قد اشتدَّ جرمه وعصيانه له، فحضر بين يديه، وغلب على ظنِّه إتلافه، فأحواله في حال حضوره مختلفةٌ بالنسبة إلى ما يشاهده، فتارةً يتذكَّر جرمه وسطوة السُّلطان وقدرته عليه، فيفكِّر فيما سيلقاه، وتارةً تقهره الحال التي هو فيها، فلا يذكر ما كان منه ولا ما أحضر من أجله، لغلبة الخوف على قلبه ويأسه من الخلاص، ولكنَّ عقله وذهنه معه، وتارةً يغيب قلبه وذهنه بالكليَّة فلا يشعر أين هو؟ ولا من إلى جانبه، ولا بما يراد به، وربَّما جرى على لسانه في هذه الحال ما لا يريد، فهذا فناء الخوف.

ومثالٌ ثانٍ في فناء الحبِّ: محبٌّ استغرقت محبَّته شخصًا في غاية الجمال والبهاء، وأكبر أمنيته الوصول إليه، ومحادثته ورؤيته، فبينما هو على حاله قد ملأ الحبُّ قلبه، وقد استغرق فكره في محبوبة، وإذا به قد دخل عليه محبوبة بغتةً على أحسن هيئة، فقابله قريباً منه، وليس دونه سواه، أفليس هذا حقيقةً أن يفنى عن رؤية غيره بمشاهدته، وأن يفنى عن شهوده بمشهوده، بل وعن حبه بمحبوبة؟! فيملك عليه المحبوب سمعه وبصره وإرادته وإحساسه، ويغيب به عن ذاته وصفاته؟ وانظر إلى النسوة كيف قطعن أيديهنَّ لما طلع عليهنَّ يوسف عليه السلام، وشاهدن ذلك الجمال، ولم يتقدَّم لهنَّ من عشقه ومحبَّته ما تقدَّم لامرأة العزيز، فأفناهنَّ شهود جماله عن حالهنَّ حتَّى قطعن أيديهنَّ.

وأما امرأة العزيز: فإنَّها - وإن كانت صاحبة المحبَّة - فإنَّها كانت قد ألفت رؤيته ومشاهدته، فلمَّا خرج لم يتغيَّر عليها حاله كما تغيَّر على العواذل، فكان مقامها البقاء ومقامهنَّ الفناء، وحصل لهنَّ الفناء من وجهين:

- أحدهما: ذهلنَّ عن الشُّعور بقطع ما في أيديهنَّ حتَّى تخطأه القطع إلى الأيدي.
- الثَّاني: فناؤهنَّ عن الإحساس بألم القطع، وهكذا الفناء بالمخوف، والفرح بالمحبوب يفني صاحبه عن شعوره وعن إحساسه بالكيفيَّات النَّفسانيَّة.

هذا في مشاهدة مخلوقٍ محدثٍ له أشباهٌ وأمثالٌ، وله من يقاربه ويدانيه في الجمال، وإنَّما فاق بني جنسه في الحسن والجمال ببعض الصِّفات، وامتاز ببعض المعاني المخلوقة المصنوعة، فما الظَّنُّ

بمن له الجمال كله، والكمال كله، والإحسان والإجمال، ونسبة كل جمال في الوجود إلى جماله وجلاله أقل من نسبة سراج ضعيف إلى عين الشمس، ولمّا علم سبحانه أنّ قوى البشر لا تحتل في هذه الدار رؤيته؛ احتجب عن عباده إلى يوم القيامة، فبنشئهم نشأة يتمكّنون بها من مشاهدة جماله ورؤية وجهه، وأنت ترى بعض آياته ومخلوقاته ومبدعته كيف يفنى فيها مشاهدتها عن غيرها؟ ولكنّ هذا كلّ في المشاهدات العيانية، والواردات الوجدانية.

وأما المعارف الإلهية: فإنّ حالة البقاء فيها أكمل من حالة الفناء، وهي حالة نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وحال الكمل من أتباعه، ولهذا رأى ما رأى ليلة الإسراء والمعراج وهو ثابت القلب، رابط الجأش، حاضر الإدراك، تامّ التمييز، ولورأى غيره بعض ذلك لما تمالك.

فإن قلت: ربّما أفهم معنى فناء المعرفة في المعروف وفناء العيان في المعانين، فما معنى فناء الطّلب في الوجود، حتّى يكون هو الفناء حقّاً؟

قلت: متى فهمت الأمرين اللذين قبله فهمت معناه، فإنّ الواجد لمّا ظفر بموجوده فني طلبه له^(١) واضمحَل، وهذا مشهود في الشاهد، فإنّك ترى طالب أمر مهمّ، فإذا ظفرت يده به وأدركه كيف يبرد طلبه، ويفنى في وجوده؟ لكنّ هذا محالّ في حقّ العارف، فإنّ طلبه لا يفارقه، بل إذا وجد اشتدّ طلبه، فلا يزال طالباً، فكلمّا كان أو وجد كان أطلب.

نعم؛ الذي يفنى طلب حظّه في طلب محبوبه وطلب مرضيه، وليس بعد هذا غايةً، ولكنّ الذي يشير إليه القوم: أنّ العبد يصل في منزلة المحبّة والمعرفة والاستغراق في المشاهدة إلى حالة تستولي فيها عليه أنواع القرب وآثار الصّفات، بحيث يذهل لبّه عن شعوره بطلبه وإرادته ومحبّته.

وإيضاح ذلك: أنّ العبد إذا أقبل على ربّه، وتفقد أحواله، وتمكّن من شهود قيام ربّه عليه، فإنّه يكون في أوّل أمره مكابداً وصابراً ومرابطاً^(٢)، فإذا صبر وصابر ورابط، صبر في نفسه وصابر عدوّه، ورابط على ثغر قلبه أن يدخل فيه خاطرٌ لا يحبّه وليّه الحقّ - ظهر حينئذٍ في قلبه نورٌ من إقباله على ربّه، فإذا قوي ذلك النور غيبه عن وجوده الدّهنيّ، وسرى به في مطاوي الغيب، فحينئذٍ يصفو له إقباله على ربّه، فإذا صفا له ذلك غاب عن وجوده العينيّ والدّهنيّ، فغاب بنور إقباله على ربّه بوصول خالص الذّكر وصافيه إلى قلبه، حيث خلا من كلّ شاغل من الوجود العينيّ والدّهنيّ، وصار واحداً لواحد، فيستولي نور المراقبة على أجزاء باطنه، فيمتلئ قلبه من نور التّوجّه، بحيث يغمر قلبه، ويستره

(١) كلمة (له): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (ومرابطاً): غير موجودة في «غ» والمنار.

عمًا سواه، ثم يسري ذلك النور من باطنه فيعمُّ أجزاء ظاهره، فيتشابه الظاهر والباطن فيه، وحينئذ يفنى العبد عمًا سواه، ويبقى بالمشهد الروحي الذاتي الموجب للمحبة الخاصة الملهية للروح.

- فمنهم: من يضعف لقلّة الوارد، فلا يمكنه أن يتسع لغير ما باشر سرّه وقلبه من آثار الحبّ الخاصّ.

- ومنهم: من يقوى ويتسع نظره، فيجد آثار الجلال والجمال المقدّس في قلبه وروحه، ويجد العبوديّة والمحبة، والدعاء والافتقار، والتوكل والخوف والرّجاء، وسائر الأعمال القلبية قائمة بقلبه، لا تشغله عن مشهد الروح، ولا تستغرق مشهد الروح عنه، ويجد ملاحظته للأوامر والنواهي حاضرًا في جذر قلبه حيث نزلت الأمانة، فلا يشغله مشهد الروح المستغرق، ولا مشهد القلب عن ملاحظة مرضي الرّبّ تعالى ومحابّه وحقّه على عبده، ويجد ترك التدبير والاختيار وصحة التفويض موجودًا في محلّ نفسه، فيعامل الله سبحانه بذلك؛ بحيث لا تشغله مشاهدة الأولى عنه، ويقوم بملاحظة عقله لأسرار حكمة الله في خلقه وأمره، ولا يحجبه ذلك كلّ عن ملاحظة عبوديته، فيبقى مغمور الروح بملاحظة الفردانية وجلالها وكمالها وجمالها، قد استغرقت محبته والشوق إليه، معمر^(١) القلب بعبادات القلوب، معمر^(٢) القلب بملاحظة الحكمة ومعاني الخطاب، طاهر القلب عن سفساف الأخلاق، مع الله تعالى ومع الخلق، قد صار عبدًا محضًا لرّبّه بروحه وقلبه وعقله، ونفسه وبدنه وجوارحه، قد قام كلّ بما عليه من العبوديّة، بحيث لا تحجبه عبوديّة بعضه عن عبوديّة البعض الآخر، قد فني عن نفسه وبقي برّبّه.

كما قال أبو بكر الكتائي: «جَرْتُ مَسْأَلَةً بِمَكَّةَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ فِي الْمَحَبَّةِ، فَتَكَلَّمْتُ الشُّيُوخَ فِيهَا، وَكَانَ الْجَنِيْدُ أَصْغَرَهُمْ سِنًا^(٣)، فَقَالُوا لَهُ: هَاتِ مَا عِنْدَكَ يَا عِرَاقِي، فَأَطْرَقَ سَاعَةٌ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: عَبْدٌ ذَاهِبٌ عَنْ نَفْسِهِ، وَمُتَّصِلٌ بِذِكْرِ رَبِّهِ، قَائِمٌ بِإِدَاءِ حُقُوقِهِ، نَاطِرٌ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، أَحْرَقَ قَلْبُهُ أَنْوَارَ هَيْبَتِهِ، وَصَفَا شُرْبُهُ مِنْ كَأْسِ وَدِّهِ، وَانْكَشَفَ لَهُ الْجَبَّارُ مِنْ أَسْتَارِ غَيْبِهِ، فَإِنْ تَكَلَّمْتُ فَبِاللَّهِ، وَإِنْ نَطَقْتُ فَعَنِ اللَّهِ، وَإِنْ عَمِلْتُ فَبِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِنْ سَكَنْتُ^(٤) فَمَعَ اللَّهُ، فَهُوَ لِلَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَمَعَ اللَّهُ. فَبَكَى الشُّيُوخُ، وَقَالُوا: مَا عَلَيَّ هَذَا مَزِيدٌ؛ جَبْرَكَ اللَّهُ يَا تَاجَ الْعَارِفِينَ!».

(١) في «غ»: (مغمور).

(٢) في «غ» والمنار: (مغمور).

(٣) كلمة (سنًا): غير موجودة في «غ».

(٤) في «غ» والمنار: (سكت).

فصل

□ قال الشيخ: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَنَاءُ شُهُودِ الطَّلَبِ لِإِسْقَاطِهِ، وَفَنَاءُ شُهُودِ الْعِلْمِ لِإِسْقَاطِهِ، وَفَنَاءُ شُهُودِ الْعِيَانِ لِإِسْقَاطِهِ».

إنَّما كانت هذه الدَّرَجَةُ من الفناء أعلى عنده ممَّا قبلها؛ لأنَّها أبلغ في الفناء من جهة فناء أربابها عن فنائهم، فقد سقط عن قلوبهم ذكر أحوالهم ومقاماتهم لما هم فيه من الشُّغْلِ برَبِّهم. وقوله: «لِلْإِسْقَاطِ»؛ أي: لإسقاط الشُّهُودِ، لإسقاط المشهود، فالطَّلَبُ والعلم والعِيَانُ قائمٌ، وقد سقط الشُّهُودُ، لاستغراق صاحبه في المطلوب المعين.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الْفَنَاءُ عَنِ شُهُودِ الْفَنَاءِ، وَهُوَ الْفَنَاءُ حَقًّا، شَائِمًا بَرَقَ الْعَيْنِ، رَاكِبًا بَحَرَ الْجَمْعِ، سَالِكًا سَبِيلَ الْبَقَاءِ».

الفرق بين الفناء في هذه الدَّرَجَةِ والتي قبلها أنَّه في التي قبلها قد فني عن شهود طلبه وعلمه وعيانه، مع شعوره بفنائه عن ذلك، وفي هذه الدَّرَجَةِ قد فني عن ذلك كلِّه، وفني عن شهود فنائه، كما يقال: آخر من يموت ملك الموت.

وإنَّما كان هذا الفناء عنده هو الفناء حَقًّا؛ لأنَّه قد فني فيه كلُّ ما سوى الحقِّ سبحانه؛ لأنَّ صاحبه يشهد الفناء قد فني، فلم يبق سوى الواحد القهَّار.

وقوله: «شَائِمًا بَرَقَ الْعَيْنِ» الشَّائِمُ: النَّاطِرُ مِنْ بَعْدِ، وَبَرَقَ الْعَيْنُ: نُورُ الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَى اسْتِحَالَةِ تَعَلُّقِ هَذَا بِالنُّورِ الْخَارِجِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ أَنْوَارُ الْقُرْبِ وَالْمِرَاقِبَةِ وَالْحَضُورِ مَعَ اللَّهِ.

وقوله (١): «رَاكِبًا بَحَرَ الْجَمْعِ».

الجمع الَّذِي يَشِيرُونَ إِلَيْهِ: عِبَارَةٌ عَنْ شَخْصِ الْبَصِيرَةِ إِلَى مَجْرَدِ مَصْدَرِ الْمَتَفَرِّقَاتِ كُلِّهَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَرُكُوبُ لَجَّةِ هَذَا الْجَمْعِ هُوَ فَنَاؤُهُ فِيهِ.

(١) في «غ»: (قوله).

قوله: «سَالِكًا سَبِيلَ الْبَقَاءِ».

يعني: أن مَنْ فني فقد تَاهَلَ للبقاء بالحق، وهذا البقاء هو بعد الفناء، فإنه إذا تحقّق بالفناء رفع له علم الحقيقة، فشمّر إليه سالكًا في طريق البقاء، وهي القيام بالأوراد، وحفظ الواردات، فحينئذٍ يرجى له الوصول.

فصل

لم يرد في الكتاب، ولا في السُّنَّة، ولا في كلام الصَّحابة والتَّابعين مدح لفظ الفناء ولا ذمّه، ولا استعملوا لفظه في هذا المعنى المشار إليه ألبتّة، ولا ذكره مشايخ الطُّريق المتقدِّمون، ولا جعلوه غايةً ولا مقامًا، وقد كان القوم أحقّ بكلِّ كمالٍ، وأسبق إلى كلِّ غايةٍ محمودةٍ، ونحن لا ننكر هذا اللفظ مطلقًا، ولا نقبله مطلقًا؛ ولا بدّ فيه من التّفصيل، وبيان صحّحه من معلوله، ووسيلته من غايته.

* فنقول وبالله التّوفيق، وهو الفتح العليم:

حقيقة «الفناء» المشار إليه: هو استهلاك الشّيء في الوجود العلميّ الدّهنيّ، وهاهنا تقسّمه أهل الاستقامة وأهل الزّيغ والإلحاد.

فزعم أهل الاتّحاد القائلون بوحدة الوجود: أنّ الفناء هو غاية الفناء عن وجود السّوى، فلا يثبت للسّوى وجودٌ ألبتّة، لا في الشّهود ولا في العيان، بل يتحقّق بشهود وحدة الوجود، فيعلم حينئذٍ أنّ وجود جميع الموجودات هو عين وجود الحقّ، فما تمّ وجودان، بل الموجود واحدٌ، وحقيقة الفناء عندهم أن يفنى عمّا لا حقيقة له، بل هو وهمٌ وخيالٌ، يفنى عمّا هو فانٍ في نفسه، لا وجود له، فيشهد فناء وجود كلّ ما سواه في وجوده، وهذا تعبيرٌ محضّ، وإلّا ففي الحقيقة ليس عند القوم «سوى» ولا «غيرٌ» وإنّما السّوى والغير في الوهم والخيال، فحول هذا الفناء يدندنون وعليه يحومون.

وأما أهل التّوحيد والاستقامة: فيشيرون بالفناء إلى أمرين، أحدهما أرفع من الآخر:
- الأمر الأوّل: الفناء في شهود الرّبوبيّة والقبوميّة: فيشهد تفرد الرّبّ تعالى بالقبوميّة والتّدبير، والخلق والرّزق، والعطاء والمنع، والضّرّ والنّفع، وأنّ جميع الموجودات منفعلَةٌ لا فاعلةٌ، وما له منها فعلٌ فهو منفعلٌ في فعله، محلّ محضّ لجريان أحكام الرّبوبيّة عليه، لا يملك شيئًا منها لنفسه ولا لغيره، فلا يملك ضرًّا ولا نفعًا، فإذا تحقّق العبد^(١) بهذا المشهد خمدت منه الخواطر والإرادات،

(١) كلمة (العبد): غير موجودة في «غ» والمنار.

نظرًا إلى القيوم الذي بيده تدبير الأمور، وشخصًا منه إلى مشيئته وحكمته فهو ناظرٌ منه به إليه، فإن شهوده عن شهود ما سواه، ومع هذا فهو ساعٍ في طلب الوصول إليه، قائمًا بالواجبات والنوافل.

– الأمر الثاني: الفناء في مشهد الإلهية: وحقيقته «الفناء» عن إرادة ما سوى الله ومحبه، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخوفه ورجائه، فيفنى بحبه عن حب ما سواه، وبخوفه ورجائه عن خوف ما سواه ورجائه، وحقيقة هذا الفناء أفراد الرب سبحانه بالمحبة، والخوف والرجاء، والتعظيم والإجلال.

ونحن نشير إلى مبادئ ذلك وتوسطه وغايته، فنقول^(١): اعلم أن القلب إذا خلا من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال، أو رياسة أو صورة، وتعلق بالآخرة، والاهتمام بها من تحصيل العدة، والتأهب للقدوم على الله ﷻ فذلك أول فتوحه، وتباشير فجره، فعند ذلك يتحرك قلبه لمعرفة ما يرضى به ربه منه^(٢)، فيفعله ويتقرب به إليه، وما يسخطه منه، فيجتنبه، وهذا عنوان صدق إرادته، فإن كل من يقن بقاء الله، وأنه سائله عن كلمتين – يسأل عنهما الأولون والآخرين – ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ لا بد أن يتنبه لطلب معرفة معبوده، والطريق الموصلة إليه، فإذا تمكّن في ذلك فتح له باب الأنس بالخلوة والوحدة والأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات، فلا شيء أشوق إليه من ذلك، فإنها تجمع عليه قوى قلبه وإرادته، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همّه وتشتت قلبه، فيأنس بها ويستوحش من الخلق.

ثم يفتح له باب^(٣) حلاوة العبادة بحيث لا يكاد يشبع منها، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب، ونيل الشهوات؛ بحيث إنّه إذا دخل في الصلاة ودّ ألا يخرج منها.

ثم يفتح له باب^(٤) حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه، وإذا سمعه هدأ قلبه به كما يهدأ الصبي إذا أعطي ما هو شديد المحبة له.

ثم يفتح له باب^(٥) شهود عظمة الله المتكلم به وجلاله، وكمال نعوته وصفاته وحكمته، ومعاني ومعاني خطابه، بحيث يستغرق قلبه في ذلك حتى يغيب فيه، ويحسُّ بقلبه وقد دخل في عالم آخر غير ما الناس فيه.

ثم يفتح له باب الحياء من الله، وهو أول شواهد المعرفة، وهو نور يقع في القلب، يريه ذلك

(١) كلمة (فنتقول): غير موجودة في «غ» والمنار.

(٢) كلمة (ربه): ساقطة من «غ».

(٣) كلمة (باب): ساقطة من «غ» والمنار.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) كلمة (باب): غير موجودة في «غ» والمنار.

النور أَنَّهُ واقفٌ بين يدي رَبِّهِ ﷻ، فيستحيي منه في خلواته، وجلواته، ويرزق عند ذلك دوام المراقبة للرقيب، ودوام التطلع إلى حضرة العليّ الأعلى، حتّى كأنّه يراه ويشاهده فوق سمواته، مستويًا على عرشه، ناظرًا إلى خلقه، سامعًا لأصواتهم، مشاهدًا لبواطنهم، فإذا استولى عليه هذا الشاهد غطى عليه كثيرًا من الهموم بالدنيا وما فيها، فهو في وجودِ النَّاسِ في وجودٍ آخر، هو في وجودِ بين يدي رَبِّهِ ووليّهِ، ناظرًا إليه بقلبه، والنَّاسِ في حجاب عالم الشهادة في الدُّنيا، فهو يراهم وهم لا يرونه، ولا يرون منه إلَّا ما يناسب عالمهم ووجودهم.

ثمّ يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية، فيرى سائر التقلبات الكونية وتصاريف الوجود بيده سبحانه وحده، فيشاهده مالك الضّرّ والنّفع، والخلق والرّزق، والإحياء والإماتة، فيتّخذُه وحده وكيلاً، ويرضى به ربًّا ومدبرًا وكافيًا، وعند ذلك إذا وقع نظره على شيءٍ من المخلوقات دلّه على خالقه وبارئه، وصفات كماله ونعوت جلاله، فلا يحجبه خلقه عنه سبحانه، بل يناديه كلّ من المخلوقات بلسان حاله: اسمع شهادتي لمن أحسن كلّ شيءٍ خلقه، فأنا صنع الله الذي أتقن كلّ شيءٍ.

فإذا استمرّ له ذلك فتح عليه باب القبض والبسط، فيقبض عليه حتّى يجد ألم القبض لقوّة وارده، ثمّ يقبض وعاءه بأنوار الوجود، فيفنى عن وجوده، وينمحي كما يمحو نور الشّمس نور الكواكب، ويطوي الكون عن قلبه بحيث لا يبقى فيه إلَّا الله الواحد القهار، وتفيض أنوار المعرفة والمعاملة والصدّق والإخلاص والمحبة من قلبه، كما يفيض نور الشّمس عن جرمها، فيغرق حينئذٍ في الأنوار كما يغرق راكب البحر في البحر، وذلك إنّما يكون في الرّياضة والمجاهدة، وزوال أحكام الطّبيعة، وطول الوقوف في الباب.

وهذا هو من علم اليقين، لا من عين اليقين، ولا من حقّ اليقين، إذ لا سبيل إليهما في [هذه] (١) الدّار، فإنّ عين اليقين مشاهدةٌ، وحقّ اليقين مباشرةٌ، نعم قد يكون حقّ اليقين في هذه الدُّنيا بالنّسبة إلى الوجود الدّهنيّ، وما يقوم بالقلوب فقط، ليس إلّا، كما تقدّم تقريره مرارًا، ونحن لا تأخذنا في ذلك لومة لائم، وهم لا تأخذهم في كون ذلك في العيان لومة لائم وهم عندنا صادقون ملبوسٌ عليهم، ونحن عندهم محجوبون عن ذلك غير واصلين إليه.

فإن استمرّ على حاله واقفًا بباب مولاه، لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا يجيب غير من يدعوه إليه، ويعلم أنّ الأمر وراء ذلك، وأنّه لم يصل بعد، ومتى توهم أنّه قد وصل انقطع [وانقطع] (٢) عنه المزيد، رجي أن يفتح له فتحٌ آخر، هو فوق ما كان فيه، مستغرّفًا قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناها من «غ» والمنار.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

ظهور أنوار الوجود الحقّ، ومحو وجوده هو، ولا يتوهّم أنّ وجود صفاته وذاته تبطل، بل الذي يبطل هو (١) وجوده النَّفْسَانِي الطَّبَعِيّ، ويبقى له وجودٌ قلبيٌّ روحانيٌّ ملكيٌّ، فيبقى قلبه سابقاً في بحرٍ من أنوار أنوار آثار الجلال، فتنبع الأنوار من باطنه، كما ينبع الماء من العين، حتّى يجد الملكوت الأعلى كأنّه في باطنه وقلبه، ويجد قلبه عاليًا على ذلك كلّ، صاعدًا إلى من ليس فوقه شيءٌ، ثمّ يرقّيه الله سبحانه، فيشده أنوار الإكرام بعدما شهد أنوار الجلال، فيستغرق في نورٍ من أنوار أشعة الجمال.

وفي هذا المشهد يدوق المحبّة الخاصّة الملهبة للأرواح والقلوب، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليّه، ممتحنًا بحبه، وإن شئت أن تفهم ذلك تقريبًا، فانظر إليك وإلى غيرك، وقد امتحنت بصورةٍ بديعة الجمال ظاهرًا وباطنًا، فملكك عليك قلبك وفكرك، وليلك ونهارك، فيحصل لك (٢) نازٌ من المحبّة، فتضرم في أحشائك (٣) يعزُّ معها الاصطبار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فيا له من قلبٍ ممتحنٍ مغمورٍ مستغرقٍ بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأحديّ، والنّاس مفتونون ممتحنون بما يفنى من المال والصُّور والرِّياسة، معدّون بذلك قبل حصوله، وحال حصوله، وبعد حصوله، وأعلام رتبة من يكون مفتونًا بالحوار العين، أو عاملاً على تمتّعه في الجنّة بالأكل والشُّرب واللبّاس والنِّكاح، وهذا المحبُّ قد ترقّى في درجات المحبّة على أهل المقامات، ينظرون إليه في الجنّة كما ينظرون إلى الكوكب الدُّرِّي الغابر في الأفق لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه، ومعيتته معه، فإنّ المرء مع من أحبّ ولكلّ عمل جزاءٌ، وجزاء المحبّة المحبّة والوصول والاصطناع والقرب، فهذا هو الذي يصلح، وكفى بذلك شرفًا وفخرًا في عاجل الدُّنيا، فما ظنك بمقاماتهم العالية عند مليكٍ مقتدرٍ؟ فكيف إذا رأيتهم في موقف القيامة، وقد أسمعهم المنادي: «لِيُنْطَلَقَ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ» (٤)؛ فيبقون في مكانهم ينتظرون معبودهم وحبيبهم الذي هو أحبُّ شيءٍ إليهم، حتّى يأتيهم، فينظرون إليه ويتجلّى لهم ضاحكًا.

والمقصود: أنّ هذا العبد لا يزال الله (٥) يرقّيه طبقًا بعد طبقٍ، ومنزلًا بعد منزلٍ، إلى أن يوصله إليه، ويمكن له بين يديه، أو يموت في الطّريق، فيقع أجره على الله، فالسَّعيد كلُّ السَّعيد، والموفِّق كلُّ الموفِّق من لم يلتفت عن ربّه تبارك وتعالى يمينًا ولا شمالًا، ولا اتَّخذ سواه ربًّا ولا وكيلاً، ولا حبيباً ولا مدبرًا، ولا حكمًا ولا ناصرًا ولا رازقًا.

(١) كلمة (هو): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (له).

(٣) في «غ» والمنار: (أحشائه).

(٤) ورد بنحو هذا اللفظ في حديث رواه البخاري (٦٨٨٥).

(٥) لفظ الجلالة: غير موجودة في «غ».

وجميع ما تقدّم من مراتب الوصول إنّما هي (١) شواهد وأمثلة إذا تجلّت له الحقائق في الغيب -بحسب استعداده ولطفه ورقّته من حيث لا يراها- ظهر من تجلّيها شاهدٌ في قلبه، وذلك الشاهد دالٌّ عليها ليس هو عينها، فإنّ نور الجلال في القلب ليس هو نور ذي الجلال في الخارج، فإنّ ذلك لا تقوم له السّموات والأرض، ولو ظهر للوجود لتدكدك، لكنّه شاهدٌ دالٌّ على ذلك، كما أنّ المثل الأعلى شاهدٌ دالٌّ على الذات.

والحقّ وراء ذلك كلّ، منزّه عن حلولٍ واتّحادٍ، وممازجةٍ لخلقه، وإنّما تلك رقائق وشواهد تقوم بقلب العارف، تدلُّ على قرب الألفاظ منه في عالم الغيب حيث يراها، وإذا فني فإنّما يفنى بحال نفسه لا بالله ولا فيه، وإذا بقي فإنّما يبقى بحاله هو ووصفه، لا ببقاء ربّه وصفاته، ولا يبقى بالله إلا الله. ومع ذلك فالوصول حقّ، يجد الواصل آثار تجلّي الصفات في قلبه، وآثار تجلّي الحقّ في قلبه، ويوقف القلب فوق الأكوان كلّها بين يدي الرّبّ تعالى، وهو على عرشه، ومن هناك يكشف بآثار الجلال والإكرام، فيجد العرش والكرسيّ تحت مشهد قلبه حكماً، وليس الذي يجده تحت قلبه حقيقة العرش والكرسيّ، بل شاهدٌ ومثالٌ علميّ، يدلُّ على قرب قلبه من ربّه، وقرب ربّه من قلبه، وبين الذّوقين تفاوتٌ، فإذا قرب الرّبّ تعالى من قلب عبده بقيت الأكوان كلّها تحت مشهد قلبه، وحينئذٍ يطلع في أفقه شمس التّوحيد، فينقشع بها ضباب وجوده ويضمحلُّ ويتلاشى، وذاته وحقيقته موجودةٌ بائنّة عن ربّه، وربّه بائنٌ عنه، فحينئذٍ يغيب العبد عن نفسه ويفنى، وفي الحقيقة هو باقٍ (٢) غير فانٍ، ولكنّه ليس في سرّه (٣) غير الله، قد فني فيه عن كلّ ما سواه.

نعم؛ قد يتفق له في هذه الحالة ألاّ يجد شيئاً غير الله؛ فذلك لاستغراق قلبه في مشهوده وموجوده، ولو كان ذلك في نفس الأمر؛ لكان العبد في هذه الحال خالقاً بارئاً مصوراً أزليّاً أبديّاً.

فعليك بهذا الفرقان، واحذر فريقين هما أعدى عدوّ لهذا الشّأن:

- فريق الجهميّة المعطّلة، التي ليس عندها فوق العرش إلاّ العدم المحض، فشمّ رائحة هذا المقام من أبعاد الأمكنة حراماً عليها.

- وفريق أهل الاتّحاد القائلين بوحدة الوجود، وأنّ العبد ينتهي في هذا السّفر إلى أن يشهد وجوده هو عين وجود الحقّ جلّ جلاله.

(١) في «غ» والمنار: (هو).

(٢) كلمة (باق): ساقطة من «غ».

(٣) في «غ» والمنار: (سيره).

وعيشك بجهلك خيرٌ من معرفة هاتين الطائفتين، وانقطاعك مع الشهوات خيرٌ [من سيرك] (١) معهما، والله المستعان وعليه التكلان.

فصل

□ قال الشيخ: «(بَابُ الْبَقَاءِ) قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].».

البقاء الذي يشير إليه القوم: هو صفة العبد ومقامه، والبقاء في الآية: هو بقاء الرب، ودوام وجوده، وإنما ذكره مؤمنو السحرة في هذا المكان؛ لأن عدو الله فرعون توعددهم على الإيمان بإتلاف حياتهم، وإفناء ذواتهم، فقالوا له: وإن فعلت ذلك، فالذي آمننا به وانتقلنا من عبوديتك إلى عبوديته، ومن طلب رضاك والمنزلة عندك إلى طلب رضاه والمنزلة عنده - خيرٌ منك وأدوم، وعذابك ونعيمك ينقطع ويفرغ، وعذابه هو ونعيمه وكرامته لا تنقطع ولا تبيد، فكيف نؤثر المنقطع الفاني الأدنى، على الباقي المستمر الأعلى؟

ولكن وجه الإشارة بالآية: أن الوسائل والتعلقات والمحبة والإرادة تابعة لغاياتها ومحبوبها ومرادها، فمن كانت غاية محبته وإرادته منقطعة، انقطع تعلقه عند انقطاعها، وذهب عمله وسعيه واضمحلاً، ومن كان مطلوبه وغايته باقياً دائماً لا زوال له ولا فناء، ولا يضمحل ولا يتلاشى دام تعلقه ونعيمه به بدوامه، فالوسائل تابعة للغايات، والتعلقات تابعة لمتعلقاتها، والمحبة تابعة للمحبيب، فليس المحبوب الذي يتلاشى ويضمحل ويفنى كالمحبيب الذي كل شيء هالك إلا وجهه فالمحِبُّ باقٍ ببقاء محبوبه، يشرف بشرفه، ويعظم خطره بحسب محبوبه، ويستغني بغناه، ويقوى بقوته، ويعزُّ بعزّه، ويعظم شأنه في النفوس بخدمته وإرادته ومحبته، تالله لولا حجاب الغفلة والعوائد والهوى والمخالفات لذاق القلب أعظم الألم بتعلقه بغير الحبيب الأوَّل، ولذاق (٢) أعظم اللذة والسُرور بتعلقه به، فالله المستعان.

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناه من نسخة «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (وذاق).

فصل

□ قال الشيخ: «البقاء: اسم لما بقي قائماً بعد فنائه الشواهد وسقوطها».

له في هذه العبارة تسامح، وأرباب هذا الشأن همهم المعاني، فهم يسامحون في العبارات ما لا يسامح فيه^(١) غيرهم.

فالبقاء: هو الدوام واستمرار الوجود، وهو نوعان: مقيّد ومطلق، فالمقيّد: البقاء إلى مدّة، والمطلق: الدائم المستمرّ لا إلى غاية.

والبقاء أوضح من هذا الحدّ الذي ذكره، ولكن لما كان مراده البقاء الذي هو صفة العبد ومقامه، قال: «هو اسم لما بقي بعد فنائه الشواهد»، وهذا عامٌّ في سائر أنواع ما بقي العبد متصفاً به بعد فناء الأدلّة والآثار التي دلّت على الحقيقة.

والشواهد عنده هي الرسوم كلّها، وربما يراد بها معالم الشهود، وهو الذي عناه فيما تقدّم، فإذا جعلت الشواهد هاهنا معالم الشهود، كان المعنى أنّ المعالم توصل إلى الشهود، ويبقى الشهود قائماً بعد فناء معالمه.

وحقيقة الأمر: أنّ الحقّ سبحانه يفنيهم عمّا سواه ويبقيهم به، وما سواه هو المعالم والرسوم.

□ قال: «وهو على ثلاث درجات:

- بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً^(٢) لا علماً.

- وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً.

- وبقاء ما لم يزل حقّاً بإسقاط ما لم يكن محوّاً».

قلت: أمّا «بقاء المعلوم بعد سقوط العلم»، فقد يظهر في بادي الأمر امتناعه؛ إذ كونه معلوماً مع سقوط العلم به جمعٌ بين النقيضين، وكأنّه معلومٌ غير معلوم؛ فإنّ المعلوم لا يكون معلوماً إلا بالعلم، فكيف يكون معلوماً مع سقوطه؟

وجواب هذا: أنّ هنا أمرين:

- أحدهما: وجود صورة المعلوم في قلب العالم، وإدراكه لها وشعوره بها.

(١) في «غ» والمنار: (به).

(٢) في «غ»: (عياناً).

- والثاني: علمه بعلمه وشعوره، وهو أمرٌ وراء حضور تلك الصورة، وهذا في سائر المدارك، فقد يرى الرائي الشيء ويسمعه ويَشْمُهُ، ويغيب عن^(١) علمه وشعوره بصفة نفسه التي هي إدراكه، فيغيب^(٢) بمدركه عن إدراكه، وبمعلومه عن علمه وبمرئيه عن رؤيته.

فإن قلت: أوضح لي هذا لينجلي فهمه!

فاعلم أن هاهنا [مدركا] و[^(٣) قوّة مدركة له إذا تعلقت به صار معلوما مدركا، فتولد من بين هذين الأمرين حالةٌ ثالثة تسمى «الشعور» و«العلم» و«الإدراك».

مثال ذلك: ما يدركه بحاسة الذوق والشّم، فإنه لا بدّ من وجود المدرك المذوق المشموم، ولا بدّ من قوّة في الآلة والمحلّ المخصوص تقابل المدرك، وتتعلّق به، فيتولد من بين الأمرين كيفية الشّم والذوق، وكذلك في الملموس والمسموع والمرئي، فتمام الإدراك أن يحيط علما بهذه الأمور الثلاثة، فيشعر بالمدرك، وبالقوّة المدركة، وبحالة الإدراك، فإذا استغرق القلب في شهوده المعلوم غاب به عن شهود القوّة التي بها يعلم، وعن حالة العلم.

ومثل هذا برجل أدرك بلمسه ما التذّب به أعظم لذّة حصلت له، فاستغرقته تلك اللذّة عمّا سواها، فأسقطت شعوره بها دون وجودها.

ولهذا قال الشيخ: «بِقَاءُ الْمَعْلُومِ بَعْدَ سُقُوطِ الْعِلْمِ عَيَانًا لَا عِلْمًا» فعيانا حال من البقاء لا من السقوط؛ أي: بقاؤه وجودا لا نعتا، فإنه في مرتبة العلم باقٍ نعتا ووصفا، وفي هذه المرتبة باقٍ وجودا وعبارة لا علما مجردا.

وهذا وجهٌ ثانٍ في كلامه: أنه يبقى وجوده وعينه لا مجرد العلم به، فالعلم به لم يعدم، ولكن انتقل العبد من وجود العلم إلى وجود المعلوم.

وكذلك قوله في الدرجة الثانية: «وَبِقَاءُ الْمَشْهُودِ بَعْدَ سُقُوطِ الشُّهُودِ وَجُودًا لَا نَعْتًا» الشهود فوق العلم؛ لأنّه علم عيان؛ فينتقل من مجرد الشهود إلى الوجود، فيبقى المشهود موجودا له بعد أن كان مشهودا، ومرتبة الوجود فوق مرتبة الشهود فإنّ الوجود حصول ذاتي، والشهود حصول علمي، وإن كان فوق العلم.

(١) في «غ»: (عنه).

(٢) كلمة (فيغيب): ساقطة من «غ».

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقهي، ومثبت «غ» والمنار.

قوله في الدرّجة الثالثة^(١): «وَبَقَاءُ مَنْ لَمْ يَزَلْ حَقًّا بِإِسْقَاطِ مَا لَمْ يَكُنْ مَحْوًا»؛ أي: يغلب على القلب سلطان الحقيقة، ونور الجمع، حتّى ينطمس من قلبه أثر المخلوقات كما ينطمس نور الكواكب بطلوع الشّمس، ويبقى فيه تعظيم من لم يزل وذكره وحبّه، والاشتغال به لا بغيره.

- فالدرّجة الأولى: بقاء في مرتبة العلم.

- والثانية: بقاء في مرتبة الشّهود.

- والثالثة: بقاء في مرتبة الوجود، فهذا وجه.

ويمكن شرح كلامه على وجه آخر، وهو: أنّ المعلوم يسقط شهود العلم، فالعلم يسقط والمعلوم يثبت، فالعبد إذا بقي بعد الفناء سقط علمه في مشهد عيانه بحيث تبقى مرتبة العلم عياناً، فيسقط العلم بالعيان؛ بحيث يصير عينا لا علما، فإذا نظرت إلى العلم باعتبار العين - وهي حضرة الجمع - سقط العلم، فإذا نظرت إليه باعتبار الفرق لم يسقط، فسقطه في حضرة الجمع، وثبوتها في مقام الفرق.

قوله: «وَبَقَاءُ الْمَشْهُودِ بَعْدَ سُقُوطِ الشُّهُودِ وَجُودًا».

يعني: بقاء الحقّ الذي هو المشهود بعد سقوط الشّهود الذي هو المخلوق، كان المشهود صفة المشاهد، والمشاهد وصفاته مخلوق، ومشهده سبحانه غير مخلوق، كما أنّ علمه وذكره ومعرفته مخلوقة، والمعلوم المذكور المعروف سبحانه غير مخلوق، وإذا كان الموصوف قد فني، وصفاته تابعة له في الفناء، فيفنى شهوده ويبقى مشهده.

قوله: «وَجُودًا لَا نَعْتًا»؛ أي: سقط وجود شهوده لا نعته والإخبار عنه.

قوله: «وَبَقَاءُ مَا لَمْ يَزَلْ حَقًّا بِإِسْقَاطِ مَا لَمْ يَكُنْ مَحْوًا» يوضح المراد من الدرّجتين اللّتين قبل، ومعناه: بقاء الحقّ، وفناء المخلوق، والحقّ سبحانه لم يزل باقياً، فلم يتجدّد له البقاء، والفناء المتعلّق بالمخلوق فناؤهم في شهود المشاهد، ومحورسومهم من قلبه بالكلّيّة، لا فناؤهم في الخارج.

وحاصل ذلك: أن يفنى من قلبك إرادة السّوى: وشهوده والالتفات إليه، ويبقى فيه إرادة الحقّ وحده، وشهوده والالتفات بالكلّيّة إليه، والإقبال بجمعيّتك عليه، فحول هذا يدندن العارفون، وإليه يشمّر السّالكون، وإن وسّعوا له العبارات، وصرّفوا إليه القول، والله أعلم.

(١) كلمة (الثالثة): ساقطة من «غ».

فصل

□ قال: «(بَابُ التَّحْقِيقِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوْلَمَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظْمِنُونَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] التَّحْقِيقُ: تَلْخِصُ مَصْحُوبِكَ مِنَ الْحَقِّ، ثُمَّ بِالْحَقِّ، ثُمَّ فِي الْحَقِّ، وَهَذِهِ أَسْمَاءُ دَرَجَاتِهِ الثَّلَاثِ».

وجه تعلقه بإشارة الآية: أن إبراهيم ﷺ طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحياء الله الموتى إلى رؤية تحقيقه عياناً، فطلب - بعد حصول العلم الذّهني - تحقيق الوجود الخارجي، فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب، ولما كان بين العلم والعيان منزلة أخرى، قال النبي ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ^(١)» إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] وإبراهيم لم يشك ﷺ، ورسول الله ﷺ لم يشك، ولكن أوقع اسم «الشك» على المرتبة العلمية باعتبار التفاوت الذي بينها وبين مرتبة العيان في الخارج، وباعتبار هذه المرتبة سمي العلم اليقيني قبل مشاهدة معلومه ظناً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وهذا الظن علم جازم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣] لكن بين الخبر والعيان فرق.

وفي «المُسْنَدِ» مرفوعاً: «لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ»^(٢). ولهذا لما أخبر الله موسى أنه قد فتن قومه، وأن السامري أضلهم لم يحصل له من الغضب والكيفية وإلقاء الألواح ما حصل له عند مشاهدة ذلك. إذا عرف هذا؛ فقله: «التَّحْقِيقُ: تَلْخِصُ مَصْحُوبِكَ مِنَ الْحَقِّ» هاهنا أربعة ألفاظٍ بتفسيرها يفهم مراده إن شاء الله:

- أحدها: لفظ «التَّحْقِيقِ» وهو: تفعيلٌ من حَقَّقَ الشَّيْءَ تحقيقاً، فهو مصدرٌ فعله حَقَّقَ الشَّيْءَ؛ أي: أثبتته وخلصه من غيره.

(١) أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، باب: قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (٣٣٧٢)، ورواه مسلم.

(٢) رواه أحمد (١/٢٦٥)، وصححه إسناده أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (٣/٢٥٤) (١٨٤٢).

- الثانية: لفظ «التَّخْلِيسُ»^(١) ومعناه: تخليص الشيء من غيره، فخلَّصه ولخَّصه يشتركان لفظًا ومعنى، وإن كان «التَّلْخِيسُ» أغلب ما في الدُّهن، والتَّخْلِيسُ أغلب على ما في الخارج، فالتَّلْخِيسُ: تلخيص الشيء في الدُّهن، بحيث لا يدخل فيه غيره، والتَّخْلِيسُ: إفراده في الخارج عن^(٢) غيره.
- الثالث^(٣): «المَصْحُوبُ» وهو: ما يصحب الإنسان في قصده ومعرفته من معلوم ومرادٍ.
- الرابع^(٤): «الحَقُّ» وهو: الله سبحانه، وما كان موصلًا إليه، مدنيًا للعبد من رضاه.

إذا عرف هذا؛ فمصحوب العبد من الحق هو معرفته ومحَبَّته، وإرادة وجهه الكريم، وما يستعين به على الوصول إليه، وما هو محتاج إليه في سلوكه، فالتَّحْقِيقُ هو تخليصه من المفسدات القاطعة عنه، الحائلة بين القلب وبين الموصل إليه، وتحسينه من المخالطات، وتخليصه من المشوشات، فإن تلك قواطع له عن مصحوبه الحق، وهي نوعان لا ثالث لهما: عوارض محبوبة، وعوارض مكروهة.

فصاحب مقام التَّحْقِيقِ لا يقف مع العوارض المحبوبة، فإنها تقطعه عن مصحوبه ومحبوبة، ولا مع العوارض المكروهة، فإنها قواطع أيضًا، ويتغافل عنها ما أمكنه، فإنها تمرُّ بالمكاثرة^(٥) والتَّغافل مرًا سريعًا، لا يوسَّع دوائرها، فإنه كلما وسَّعها اتَّسعت، ووجدت مجالًا فسيحًا، فصالت فيه وجالت، ولو ضيَّقها -بالإعراض عنها^(٦) والتَّغافل - لاضمحلت وتلاشت، فصاحب التَّحْقِيقِ ينساها ويطمس آثارها، ويعلم أنها جاءت بحكم المقادير في دار المحن والآفات.

قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّةً: «الْعَوَارِضُ وَالْمِحْنُ هِيَ كَالْحَرِّ وَالْبُرْدِ، فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُمَا لَمْ يَغْضَبْ لِيُورُوْدِهِمَا، وَلَمْ يَغْتَمَّ لِذَلِكَ وَلَمْ يَحْزَنْ».

فإذا صبر العبد على هذه العوارض ولم ينقطع بها ورجي له أن يصل إلى مقام التَّحْقِيقِ، فيبقى مع مصحوبه الحق وحده، فتهذَّب نفسه، وتطمئن مع الله، وتنظف عن عوائد السوء، حتى تغمر محبة الله قلبه وروحه، وتعود جوارحه متابعة للأوامر، فيحسُّ قلبه حينئذ^(٧) بأنَّ معية الله معه وتولَّيه له، فيبقى في حركاته وسكناته بالله لا بنفسه، وترد على قلبه التعريفات الإلهية، وذلك إنَّما يكون في منزل

(١) في «غ» والمنار: (تخليص).

(٢) في «غ» والمنار: (من).

(٣) في «غ» والمنار: (الثالثة) وهو الصواب لتناسب مع ما قبلها.

(٤) في «غ» والمنار: (الرابعة) وهو الصواب لتناسب ما قبلها.

(٥) في «غ» والمنار: (بالمكاسرة).

(٦) كلمة (عنها): غير موجودة في المنار.

(٧) في «غ»: (فيحس حينئذ قلبه).

البقاء بعد الفناء، والظفر بالمحبة الخاصة، ويشهد الإلهية والقيومية والفردانية، فإن على هذه المشاهد الثلاثة مدار المعرفة والوصول.

والمقصود: أن صاحب مقام التحقيق يعرف الحق، ويميز بينه وبين الباطل، فيمسك بالحق، ويلغي الباطل، فهذه مرتبة، ثم يتبين له أن ذلك ليس به، بل بالله وحده؛ فبراً حينئذ من حوله وقوته، ويعلم أن ذلك بالحق، ثم يتمكن في ذلك المقام، ويرسخ فيه قلبه، فيصير تحقيقه بالله وفي الله.

ففي الأول: يخلص له مطلوبه من غيره، ويتجرد له من سواه.

وفي الثاني: يخلص له إضافته إلى غيره، وأن يكون سواه سبحانه.

وفي الثالث: تجرد له شهوده وقصوره، بحيث صارت في مطلوبه.

- فالأول: سفر إلى الله.

- والثاني: سفر بالله.

- والثالث: سفر في الله.

وإن أشكل عليك معنى السفر فيه والفرق بينه وبين السفر إليه؛ ففرق بين حال العابد الزاهد السائر إلى الله، الذي لم يفتح له في الأسماء والصفات والمعرفة الخاصة، وبين حال العارف الذي قد كشف له في معرفة الأسماء والصفات والفقه فيها ما حجب عن غيره.

□ قوله: «أما الدرجة الأولى - وهي تخليص مصحوبك من الحق -: فالأخاليج علمك علمه».

يعني: أنك كنت تنسب العلم إلى نفسك قبل وصولك إلى مقام التحقيق ففي حالة التحقيق تعود نسبته إلى معلمه ومعطيه الحق، ولعل هذا معنى قول الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ إذ جمعهم الرب تبارك وتعالى وقال: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [المائدة: ١٠٩] قيل: قالوه تأدباً معه سبحانه، إذ ردوا العلم إليه (١)، وقيل: معناه لا علم لنا بحقيقة الباطن، وإنما أجابنا من أجابنا ظاهراً، والباطن غيب، وأنت علام الغيوب.

والتحقيق - إن شاء الله -: أن علومهم تلاشت في علمه سبحانه واضمحلّت، فصارت بالنسبة إليه كلاً علم، فردوا العلم كله إلى وليه وأهله، ومن هو أولى به، فعلمهم وعلوم الخلائق جميعهم في جنب علمه تعالى كنفرة عصفور في بحر من بحار العالم، و«المخالجة»: المنازعة.

(١) في المنار: (إذ ردوا إليه).

□ قوله: «وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَإِنَّ لَا يُنَازَعُ شُهُودُكَ شُهُودَهُ». هذا قريبٌ من المعنى الأول، والمعنى: أَنَّ الشُّهُودَ الَّذِي كُنْتَ تَنْسِبُهُ إِلَى نَفْسِكَ قَبْلَ الْفَنَاءِ تَصِيرُ بَعْدَ تَنْسِبِهِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ، لَا إِلَيْكَ.

□ قوله: «الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ: أَلَّا يُنَاسِمَ رَسْمُكَ سَبْقَهُ».

الرَّسْمُ عِنْدَهُمْ: هُوَ الشَّخْصُ وَهُوَ مُحَدَّثٌ مَخْلُوقٌ، وَالرَّبُّ تَعَالَى هُوَ الْقَدِيمُ الْخَالِقُ، فَإِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِالْحَقِيقَةِ شَهِدَ الْحَقَّ وَحَدَهُ مِنْفَرِدًا عَنْ خَلْقِهِ، فَلَمْ يَنَاسِمِ رَسْمَهُ سَبْقَ الْحَقِّ وَأَوْلِيَّتِهِ، وَالْمُنَاسِمَةُ: كَالْمَشَامَةِ، يُقَالُ: نَاسِمَهُ؛ أَي: شَامَهُ، فَاسْتَعَارَ الشَّيْخُ اللَّفْظَةَ لِأَدْنَى الْمَقَارِبَةِ وَالْمَلَابَسَةِ؛ أَي: لَا يَدَانِي رَسْمُكَ سَبْقَهُ، وَلَوْ بِأَدْنَى مُنَاسِمَةٍ، بَلْ تَشْهَدُ الْحَقُّ وَحَدَهُ مِنْفَرِدًا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَهُمْ يَشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرٍ، وَهُوَ: أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلِيٌّ مَا عَلَيْهِ كَانَ، فَأَمَّا اللَّفْظُ الْأَوَّلُ وَهُوَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ» فَهَذَا قَدْ رُوِيَ فِي الصَّحِيحِ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ الثَّابِتُ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»^(١). وَهُوَ الْمَطَابِقُ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ الصَّحِيحِ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»^(٢) وَلَمْ يَقُلْ: فَلَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْآنَ عَلِيٌّ مَا كَانَ عَلَيَّ» فزِيَادَةٌ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَتْ مِنْهُ، بَلْ زَادَهَا بَعْضُ الْمُتَحَدِّثِينَ، وَهِيَ بَاطِلَةٌ قَطْعًا، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ خَلْقِهِ بِالْعِلْمِ وَالتَّدْبِيرِ وَالقُدْرَةِ، وَمَعَ أَوْلِيَائِهِ بِالْحِفْظِ وَالكَلَاءَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَهُمْ مَعَهُ بِالمُوَافَقَةِ وَالمُحِبَّةِ، وَصَارَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مَجْنَأً وَتَرْسًا لِلْمَلَا حِدَةِ مِنَ الِاتِّحَادِيَّةِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا وَجُودَ سِوَى وَجُودِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا وَحَالًا، فَلَيْسَ فِي الِوَجُودِ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ وَتَلْمَسُهُ وَتَذُوقُهُ وَتَشْمُهُ وَتَبَاشِرُهُ فَهُوَ حَقِيقَةُ اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ إِفْكَهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

- وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ: فَقَدْ يَطْلُقُونَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ، وَيُرِيدُونَ بِهَا لَفْظًا صَحِيحًا، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ مِنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ عَنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ مَخَالَطًا لَهُمْ، وَلَا حَالًا فِيهِمْ، وَلَا مِمَازَجًا لَهُمْ، بَلْ هُوَ بَاطِنٌ عَنْهُمْ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَأَمَّا الشَّيْخُ وَأَرْبَابُ الْفَنَاءِ: فَقَدْ يَعْنُونَ مَعْنَى آخَرَ أَحْصَى مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْمَشَارُ إِلَى بَقُولِهِ: «لَا يُنَاسِمُ رَسْمُكَ سَبْقَهُ»؛ أَي: لَا تَرَى أَنَّكَ مَعَهُ بَلْ تَرَاهُ وَحَدَهُ.

(١) البخاري في «التوحيد»، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٧٤١٨)، ورواه أحمد (٤/٤٢٦)، ورواية: «كان الله ولم يكن شيء معه» لم ترد في الصحيح. انظر: «فتح الباري» (٦/٢٨٩).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في «الذكر والدعاء والاستغفار»، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٥١).

ولهذا قال: «فَتَسْقُطُ الشَّهَادَاتُ، وَتَبْطُلُ الْعِبَارَاتُ، وَتَفْنَى الْإِشَارَاتُ».

يعني: أنك إذا لم تشهد معه غيره، وأسقطت الغير من الشُّهود، لا من الوجود، بخلاف ما يقول الملحد الاتِّحاديُّ: إنَّك تسقط الغير شهودًا ووجودًا، سقطت الشَّهادات والعبارات والإشارات؛ لأنَّها صفات العبد المحدث المخلوق، والفناء يوجب إسقاطها.

والمعنى: أنَّ الواصل إلى هذا المقام لا يرى مع الحقِّ سواه، فيمحو السَّوى في شهوده، وعند الملحد يمحوه من الوجود، والله أعلم وهو الموفق.

فصل

□ قال: «(بَابُ التَّلْبِيسِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَكَائِدِ سُونَ﴾ [الأنعام: ٩].»

ليته لم يستشهد بهذه الآية في هذا الباب؛ فإنَّ الاستشهاد بها على مقصوده أبعده شاهدٍ عليه، وأبطله شهادةً، وليته لم يسمَّ هذا الباب بالتَّلْبِيسِ واختار له اسمًا أحسن منه موقعًا.

فأمَّا الآية: فإنَّ معناها غير ما عقد له الباب من كلِّ وجه، فإنَّ المشركين قالوا تعنَّتْ في كفرهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، يعنون: ملكًا نشاهده ونراه، يشهد له ويصدِّقه، وإلَّا فالملك كان ينزل عليه بالوحي من الله، فأجاب الله تعالى عن هذا، وبيَّن الحكمة في عدم إنزال الملك على الوجه الذي اقترحوه بأنَّه لو أنزل ملكًا - كما اقترحوا ولم يؤمنوا ويصدِّقوه - لعوجلوا بالعذاب، كما جرت (١) واستمرت به سنَّته تعالى مع الكفَّار في آيات الاقتراح، إذا جاءتهم ولم يؤمنوا بها، فقال: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَى الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨].

ثمَّ بيَّن سبحانه أنه لو أنزل ملكًا - كما اقترحوا - لما حصل به مقصودهم؛ لأنَّه إن أنزله في صورته لم يقدرُوا على التَّلْقِي عنه؛ إذ البشر لا يقدرُونَ (٢) على مخاطبة الملك ومباشرة وقد كان النَّبِيُّ ﷺ وهو أقوى الخلق - إذا نزل عليه الملك كرب لذلك، وأخذه البرحاء، وتحذَّر منه العرق في

(١) كلمة (جرت و): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (يقدر).

اليوم الشَّاتي، وإن جعله في صورة رجل؛ حصل لهم لبس؛ هل هو رجل، أم ملك^(١)؟ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في هذه الحال: ﴿مَّا يَلْبَسُونَ﴾ ﴿١﴾ على أنفسهم حيثُ، فإنَّهم يقولون- إذا رأوا الملك في صورة الإنسان - هذا إنسانٌ، وليس بملكٍ، فهذا معنى الآية، فأين تجده ممَّا عقد له الباب؟

فصل

□ قال: «التَّلْبِيسُ: تَوْرِيَةٌ بِشَاهِدٍ مُعَارٍ عَن مَوْجُودٍ قَائِمٍ».

لَمَّا كانت التَّورِيَةُ إظهار خلاف المراد، بأن يذكر شيئًا يوهم أنَّه مراده، وليس هو بمراده، بل ورَى بالمذكور عن المراد: فسَّر «التَّلْبِيسُ» بها، وفي الحديث: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَى بِغَيْرِهَا»^(٢).

مثاله: أن يريد غزو خيبر فيقول للنَّاس: كيف طريق نجدٍ، وما بها من المياه؟ ونحو ذلك. فها هنا^(٣) شيان: أمر ستره المورِي الملبس، وأمر ستر [به]^(٤) ما ورَى عنه.

فأشار المصنَّف إلى الأمرين بقوله: «تَوْرِيَةٌ شَاهِدٌ مُعَارٍ عَن مَوْجُودٍ قَائِمٍ».

فأمَّا التَّورِيَةُ فقد عرفتها، وأمَّا الشَّاهد: فهو الَّذي تورَى به عن مرادك وتستشهد به، وأمَّا المعار فهو الشَّاهد^(٥) الَّذي استعير لغيره ليشهد له، فهو شاهدٌ استعير لمشهودٍ قائم، فالتَّورِيَةُ: أن تذكر ما يحتمل^(٦) معنيين ومقصودك خلاف الَّذي يظهر منهما، والتَّلْبِيسُ: يشبه التَّعمية والتَّخليط، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢] والله ﷻ أعلم.

(١) في «غ» والمنار: (هل هو ملك أم رجل).

(٢) هو جزء من حديث توبة كعب الطويل، رواه البخاري في «الجهاد والسير»، باب: من أراد غزوة فورَى بغيرها (٢٩٤٧)، ومسلم في «التوبة»، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢٧٦٩).

(٣) في «غ» والمنار: (فهنا).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي، ومثبت من نسخة «غ» والمنار.

(٥) في «غ» والمنار: (والشاهد المعار فهو).

(٦) في «غ» والمنار: (يحتمل).

فصل

□ قال الشيخ: «وَهُوَ اسْمٌ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا: تَلْبِيسُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْكَوْنِ عَلَى أَهْلِ التَّفْرِقَةِ، وَهُوَ تَعْلِيْقُهُ الْكَوَائِنَ بِالْأَسْبَابِ وَالْأَمَّاكِنِ وَالْأَحْيَاءِ، وَتَعْلِيْقُهُ الْمَعَارِفَ بِالْوَسَائِطِ، وَالْقَضَايَا بِالْحُجَجِ، وَالْأَحْكَامَ بِالْعِلَلِ، وَالْإِنْتِقَامَ بِالْجِنَايَاتِ، وَالْمَثُوبَةَ بِالطَّاعَاتِ، وَأَخْفَى الرِّضَا وَالسُّخْطَ اللَّذَيْنِ يُوجِبَانِ الْفَصْلَ وَالْوَصْلَ، وَيُظْهِرَانِ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ».

شيخ الإسلام حبيتنا، ولكن^(١) الحقُّ أحبُّ إلينا منه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «عَمَلُهُ خَيْرٌ مِنْ عِلْمِهِ».

صدق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فسيرته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد أهل البدع لا يشقُّ له فيها غبارٌ، وله المقامات المشهورة في نصره الله ورسوله، وأبى الله أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقد أخطأ في هذا الباب لفظاً ومعنى.

أَمَّا اللَّفْظُ: فتسميته فعل الله الذي هو حقٌّ وصوابٌ وحكمةٌ ورحمةٌ، وحكمه الذي هو عدلٌ وإحسانٌ، وأمره الذي هو دينه وشرعه «تَلْبِيسًا» فمعاذ الله، ثمَّ معاذ الله من هذه التَّسمية، ومعاذ الله من الرِّضا بها، والإقرار عليها، والدَّبُّ عنها، والانتصار لها، ونحن نشهد بالله أن هذا تلبيسٌ على شيخ الإسلام^(٢)، فالتلبيس وقع عليه، ولا نقول: وقع منه، ولكنَّه صادقٌ لبس عليه، ولعلَّ متعصِّبًا له يقول: أنتم لا تفهمون كلامه؛ فنحن نبين مراده على وجهه إن شاء الله، ثمَّ نتبع ذلك بما له وعليه.

فقوله: «أَوَّلُهَا: تَلْبِيسُ الْحَقِّ بِالْكَوْنِ عَلَى أَهْلِ التَّفْرِقَةِ».

والحقُّ هاهنا المراد به الرَّبُّ تعالَى، والكون اسمٌ لكلِّ ما سواه، وأهل التَّفْرِقَةِ ضدُّ أهل الجمع، وسيأتي معنى الجمع عنده بعد هذا إن شاء الله، فأهل التَّفْرِقَةِ الَّذِينَ لم يصلوا إلى مقام الجمع، فأهل التَّفْرِقَةِ عنده لبسٌ عليهم الحقُّ بالباطل، فإنَّهم لبس عليهم الحقُّ بالكون وهو الباطل، وكلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ، وأهل التَّفْرِقَةِ عندهم الَّذِينَ غلب عليهم النَّظَرُ إلى الأسباب حتَّى غفلوا عن المسبَّب،

(١) كلمة (ولكن): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) المقصود بشيخ الإسلام هنا الهروي صاحب «المنازل».

ووقفوا معها دونه، والتلبيس فعلٌ من أفعال الرّبِّ تعالى، وهو سبحانه يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، ولذلك استدلَّ على هذا المعنى بالآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكَبَّسْنَا عَلَيْهِم مَّكَايِلَهُمْ﴾ [الأنعام: ٩]؛ ليعرفك أنَّ هذا الفعل (لا تمنع نسبه إلى الله كما) (١) لا تمنع نسبة الإضلال إليه (٢).

ووجه هذا التلبيس: أنَّه سبحانه أضاف الأفعال الصّادرة عن محض قدرته ومشيتته إلى أسباب وأزمنة وأمكنة، فلبس الحقُّ سبحانه على أهل التّفرقة حيث علّق الكوائن - وهي الأفعال - بالأسباب، فنسبها أهل التّفرقة إلى أسبابها، وعمّوا عن رؤية الحقِّ سبحانه، ففي الحقيقة لا فعل إلا لله، وأهل التّفرقة يجهلون ذلك، ويقولون: فعل فلان، وفعل الماء، وفعل الهواء، وفعل النار، وكذلك تعليقه سبحانه المعارف بالوسائط، وهي الأدلّة السّميّة والعقليّة والفطريّة، وتعليقه المسموعات والمبصرات والملموسات بآلاتها وحواسّها، من السّمع والبصر والسّمّ والدّوق واللّمس، وهو سبحانه الخالق لتلك الإدراكات مقارنةً لهذه الحواسّ، وعندها، لا بها، ولا بقوى مودعة فيها، وهو سبحانه قادرٌ على خلق هذه المعارف بغير هذه الوسائط، فحجب أهل التّفرقة بهذه [٣] الوسائط عن إليه قادرٍ سبحانه حقيقة، الذي لا فعل في الحقيقة إلا له، فكأنّه لبس على أهل التّفرقة - أي: أضلّهم - بشهودهم الأسباب، وغيبتهم بها عنه.

وكذلك القضايا - وهي الوقائع بين العباد - غلّقها بالحجج الموجبة لها، فكلُّ قضاءٍ وحكمٍ لا بدّ له من حجّة يستند إليها، فيحجب صاحب التّفرقة بتلك الحجّة عن المصدر الأوّل الذي منه ابتداء كلّ شيء، ويقف مع الحجّة، ولا ينظر إلى من حكم بها، وجعلها مظهرًا لنفوذ حكمه وقضائه. وكذلك تعليقه الأحكام بالعلل - وهي المعاني والمناسبات والحكم والمصالح - التي من أجلها ثبتت الأحكام، وهو سبحانه واضع تلك المعاني، ومضيف الأحكام إليها، وإنّما هي في الحقيقة مضافةٌ إليه سبحانه.

وكذلك ترتيبه الانتقام على الجنایات، وربطه الثّواب بالطّاعات، كلُّ ذلك مضافٌ إليه سبحانه وحده، لا إلى الجنایات، ولا إلى الطّاعات، فإضافة ذلك إليها تلبیس على أهل التّفرقة. وموضع التلبيس في ذلك كلّ: أن أهل التّفرقة يظنون أنه لولا تلك الوسائط لما وجدت معرفة، ولا وقعت قضیة، ولا كان (٤) حكمٌ ولا ثوابٌ، ولا عقابٌ ولا انتقامٌ، وهذا تلبیس عليهم؛ فإنّ هذه الأمور إنّما أوجبها محض مشیئة الله الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة المنار.

(٢) في «غ» والمنار: (عليه).

(٣) في طبعة (الفتي) والمنار: (فهذه) وفي «غ»: (بهذه) وهو الصواب لمناسبتها للسباق، ولذلك وضعتها في الأصل.

(٤) كلمة (كان): ساقطة من «غ» والمنار.

فانطوى حكم تلك الوسائط والأسباب والعلل في بساط المشيئة الأزليّة، واضمحلت في عين الحكم الأزليّ، وصارت من جملة الكائنات التي هي منفعة لا فاعلة، ومطيعة لا مطاعة، وأمورة لا أمرّة وخلق من خلقه، لا واسطة بينه وبين خلقه، فهي به لا بهم.

ولهذا عاذ العارفون به منه وهربوا منه إليه^(١)، والتجئوا منه إليه، وفرّوا منه إليه، وتوكلوا به عليه، وخافوه بما منه لا من غيره، فشهدوا أوّليته في كلّ شيء، وتفردوا في الصنع^(٢) وأنه ما ثمّ ما يوجب من الأشياء إلاّ مشيئته وحده، فمشيئته هي السبب في الحقيقة وما يشاهد أو يعلم من الأسباب فمحلّ ومجرى لنفوذ المشيئة، لا أنّه مؤثّر وفاعل، فالوسائط لا بدّ أن تنتهي إلى أوّل، لامتناع التسلسل، ولهذا قال النبيّ ﷺ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ؟»^(٣).

والله سبحانه قدّر المقادير، وكتب الآثار والأعمال، والشقاء والسعادة، والثواب والعقاب، حيث لا واسطة هناك ولا سبب ولا علة، فأهل التفرقة وقفوا مع الوسائط، وأهل الجمع نفذ بصبرهم من الوسائط والأسباب إلى من أقامها وربط بها أحكامها.

قوله: «وَأَخْفَى الرَّضَا وَالسُّخْطَ اللَّذَيْنِ هُمَا مَوْضِعُ الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ»^(٤).

يعني: أنّه سبحانه أخفى عن عباده ما سبق لهم عنده من سخطه على من سخط عليه، ورضاه عمّن رضي عنه، الموجبين لوصل من وصله، وقطع من قطعه.

ومراده: أنّ هذا مع السبب الصحيح في نفس الأمر، وهو رضاه وسخطه، وإنّما لبس سبحانه على أهل التفرقة الأمر بما ذكره من الجنایات والطاعات، والعلل والحجج، ولا سبب في الحقيقة إلاّ رضاه^(٥) وسخطه، وذلك لا علة له؛ فالرضا هو الذي^(٦) أوجب المثوبة لا الطاعة، والسُّخْط هو الذي أوجب العقوبة لا المعصية، والمشيئة هي التي أوجبت الحكم لا الوسائط، فأخفى الرّبّ سبحانه ذلك عن خلقه، وأظهر لهم أسباباً آخر علّقوا بها الأحكام، وذلك تليّس من الحقّ عليهم، فأهل التفرقة وقفوا مع هذا التليّس، وأهل الجمع صعّدوا عنه وجاوزوه إلى مصدر الأشياء كلّها، وموجدتها بمشيئته فقط.

(١) كلمة (إليه): ساقطة من «غ» والمنار.

(٢) في «غ» والمنار: (بالصنع).

(٣) هو جزء من حديث رواه البخاري في «الطب»، باب: لا صفر (٥٧١٧)، ورواه مسلم في كتاب «السلام»، باب: لاعدوى ولا طيره ولا هامة (٢٢٢٠).

(٤) في «غ»: (الفصل والوصل).

(٥) في «غ» المنار: (رضاءه).

(٦) كلمة (الذي): ساقطة من «غ».

فبالغ الشَّيخ في ذلك حتَّى جعل الرِّضا والسُّخْط يُظهران السَّعادة والشَّقَاوة، ولم يجعل الرِّضا والسُّخْط مؤثِّرَيْن فيهما، وذلك لأنَّ السَّعادة والشَّقَاوة سبقت عنده سبقًا محضًا مستندًا إلى محض المشيئة لا علةَ لهما، والرِّضا والسُّخْط أظهرهما سبق به التَّقدير من السَّعادة والشَّقَاوة، فهذا أحسن ما يقال في شرح كلامه وتقريره، وحمله على أحسن الوجوه وأجملها.

وأما ما فيه من التَّوحيد وانتفاء الأمور إلى مشيئة الرَّبِّ ﷻ، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فذلك عقد نظام الإيمان^(١)، ومع ذلك فلا يكفي وحده؛ إذ غايته تحقيق توحيد الرُّبوبيَّة الَّذي لا ينكره عبَاد الأصنام.

وإنَّما الشَّأن في أمرٍ آخر وراء هذا؛ هذا بابه، والمدخل إليه، والدَّلِيل عليه، ومنه يُوصَل إليه، وهو التَّوحيد الَّذي دعت إليه الرُّسل، ونزلت به الكتب، وعليه الثَّواب والعقاب، والشَّرائع كُلُّها تفاصيله وحقوقه، وهو توحيد الإلهيَّة والعبادة، وهو الَّذي لا سعادة للنفوس إلَّا بالقيام به علمًا وعملاً وحالًا وهو أن يكون الله وحده أحبَّ إلى العبد من كلِّ ما سواه، وأخوف عنده من كلِّ ما سواه، وأرجى له من كلِّ ما سواه، فيعبده بمعاني الحبِّ والخوف والرَّجاء بما يحبُّه هو ويرضاه، وهو ما شرعه على لسان رسوله، لا بما يريده العبد ويهواه.

وتلخيص ذلك في كلمتين: «إِيَّاكَ أُرِيدُ بِمَا تُرِيدُ».

فالأولى: توحيد وإخلاص.

والثَّانية: اتِّباعٌ للسنَّة وتحكيمٌ للأمر.

والمقصود: أن ما أشار إليه في هذا الباب غايته تقرير توحيد الأفعال، وهو توحيد الرُّبوبيَّة. وأما جعله ما نصبه من الأسباب في خلقه وأمره، وأحكامه، وثوابه، وعقابه تلبيسًا، فتلبيسٌ من النَّفس عليه^(٢)، وليس ذلك - عند العارفين بالله ورسله وأسمائه وصفاته - من التَّلبيس في شيء، وإنَّما ذلك مظهر أسمائه وصفاته، وحكمته، ونعمته، وقدرته وعزَّته؛ إذ ظهور هذه الصِّفات والأسماء، تستلزم محالَّ وتعلُّقاتٍ تتعلَّق بها، ويظهر فيها آثارها، وهذا أمرٌ ضروريٌّ للصِّفات والأسماء؛ إذ العلم لا بدَّ له من معلوم، وصفة الخالقيَّة والرَّازقيَّة؛ تستلزم وجود مخلوقٍ ومرزوقٍ، وكذلك صفة الرَّحمة، والإحسان، والحلم، والعفو، والمغفرة، والتَّجاوز تستلزم [محالَّ تتعلَّق بها، ويظهر فيها آثارها، فالأسباب والوسائط، مظهر^(٣) الخلق والأمر، فكيف يكون تعليق الأحكام، والثَّواب، والعقاب بها

(١) في «غ»: (نظام عقد الإيمان).

(٢) في «غ» والمنار: (زيادة رحمه الله).

(٣) في «غ»: (مظاهر).

كما قال النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذُنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(١).

فلمن كانت تكون مغفرته لو لم يخلق الأسباب التي يعفو عنها ويغفرها؟ والعبد الذي له يغفر؟ فخلق العبد المغفور له، وتقدير الذنب الذي يغفر، والتوبة التي يغفر بها هو نفس مقتضى العزة والحكمة، وموجب الأسماء الحسنی، والصفات العلی، ليس من التلبيس في شيء، فتعليق الكوائن بالأسباب كتعليق الثواب والعقاب بالأسباب.

ولهذا؛ سوئ صاحب المنازل بين الأمرين، وهو محض الحكمة وموجب الكمال الإلهي، ومقتضى الحمد التام، ومظهر صفة العزة، والقدرة والملك، والشرائع كلها - من أولها إلى آخرها - مبنية على تعليق الأحكام بالعلل، والقضايا بالحجج، والثواب بالطاعة، والعقوبات بالجرائم، فهل يقال: إن الشرائع كلها تليس بأي معنى فسر التلبيس؟!

ولعمر الله، لقد كان في غنية عن هذا الباب، وعن هذه التسمية، ولقد أفسد الكتاب بذلك. هذا؛ ولا يجهل محل الرجل من العلم والسنة، وطريق السلوك، وآفته وعلله، ولكن قصده تجريد توحيد الأفعال والربوبية قاده إلى ذلك، وانضم إليه اعتقاده أن الفناء في هذا التوحيد هو غاية السلوك، ونهاية العارفين، وساعده اعتقاد كثير من المنتسبين إلى السنة، الراديين على القدرة في الأسباب أنه لا تأثير لها ألبتة، ولا فيها قوى، ولا يفعل الله شيئاً بشيء ولا شيئاً لشيء، فينكرون أن يكون في أفعاله باء^(٢) سببية، أو لام تعليل، وما جاء من ذلك حملوا الباء فيه على باء المصاحبة، واللام فيه على لام العاقبة، وقالوا: يفعل الله الإحراق والإغراق والإزهاق عند ملاقات النار، والماء والحديد، لا بهما، ولا بقوى فيهما، ولا فرق - في نفس الأمر - بين النار وبين الهواء والتراب والخشب، وانضم إلى ذلك أن العبد ليس بفاعل أصلاً، وإنما هو منفعل محض، ومحل جريان^(٣) تصاريف الأحكام عليه، وأن الفاعل فيه سواه، والمحرك له غيره، وإذا قيل: إنه فاعل أو متحرك، فهو تليس.

فهذه الأصول: أوجبت هذا التلبيس على نفاة الحكم والأسباب، وقابلهم آخرون، فمزقوا لحومهم كل ممزق، وفرقوا أديمهم، وقالوا: عطلتهم الشرائع، والثواب، والعقاب، وأبطلتم حقيقة الأمر والنهي؛ فإن مبنى ذلك على أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم منسوبة إليهم على الحقيقة، وأن

(١) تقدم تخريجه (١/٢١٣).

(٢) كلمة (باء): ساقطة من «غ» والمنار.

(٣) في «غ» والمنار: (ومحل لجريان).

قَدَرَهُم وإرادتهم ودواعيهم مؤثِّرةٌ في أفعالهم، وأفعالهم واقعةٌ بحسب دواعيهم وإرادتهم، على ذلك قامت الشرائع والنَّبَوَات، والثَّوَاب، والعقاب، والحدود، والزَّوَجِر، فطرة الله التي فطر النَّاس عليها والحيوان، وسويتم بين ما فرَّق الله بينه؛ فَإِنَّ الله سبحانه ما سوَّى بين حركة المختار وحركة من تحرَّك قَسْرًا بغير إرادةٍ منه أبدًا، ولا سوَّى بين حركات الأشجار، وحركات بني آدم، ولا جعل الله سبحانه أفعال عباده وطاعتهم ومعاصيهم أفعالاً له، بل نسبها إليهم حقيقةً، وأخبر أنه هو الَّذي جعلهم فاعلين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٤٤].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾ [القصص: ٤١].

وقال سادات العارفين به: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال إبراهيم خليله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

فهو الَّذي جعل العبد كذلك، والعبد هو الَّذي صلَّى وصام وأسلم، وهو الفاعل حقيقةً، بجعل الله له فاعلاً، وهو السائر بتيسير الله له، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] فهذا فعله، والسَّير فعلهم، والإقامة فعله، والقيام فعلهم، والإنطاق فعله، والنطق فعلهم، فكيف تجعل نسبة الأفعال إلى محالِّها القائمة بها، وأسبابها المظهرة لها تليسيًّا؟!

ومعلومٌ: أَنَّ طَيِّبَ سبَاطِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ تَعْطِيلٌ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالشَّرَائِعِ وَالْحُكْمِ، وَأَمَّا الْوُقُوفُ مَعَ الْأَسْبَابِ، وَاعْتِقَادُ تَأْثِيرِهَا، فَلَا نَعْلَمُ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ مِنْ قَالَ: إِنَّهَا مُسْتَقَلَّةٌ بِأَنْفُسِهَا، حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى نَفْيِ هَذَا الْمَذْهَبِ، وَإِنَّمَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ -وَهُمُ الْقَدْرِيَّةُ-: إِنَّ أَعْمَالَ الْحَيَوَانَ خَاصَّةً غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ لِلَّهِ، وَلَا وَاقِعَةٍ بِمَشِيئَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَطْبَقَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأئِمَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَى ذَمِّهِمْ وَتَبْدِيْعِهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ، وَبَيَّنَّ أئِمَّةَ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ أَشْبَاهُ الْمَجُوسِ، وَأَنَّهُمْ مَخَالِفُونَ الْعُقُولَ وَالْفِطْرَ وَنُصُوصَ الْوَحْيِ، فَالتَّلْيِيسُ فِي الْحَقِيقَةِ حَصَلَ لَهُؤُلَاءِ، وَلِمَنْكِرِي الْأَسْبَابِ فِي الْقُوَى وَالطَّبَائِعِ وَالْحُكْمِ، وَلَبَّسَ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.

والحَقُّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ اللهُ رَسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَفَطَرَ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وَأَوْدَعَهُ فِي عُقُولِهِمْ، بَيْنَ مَذْهَبِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، فَالْهُدَى بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ، وَالِاسْتِقَامَةُ بَيْنَ الْإِنْحِرَافَيْنِ.

والمقصود: أَنَّ الْقُرْآنَ -بِلِ وَسَائِرِ كُتُبِ اللهِ- تَضَمَّنَتْ تَعْلِيقَ الْكَوَائِنِ بِالْأَسْبَابِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْأَحْيَاءِ، وَتَعْلِيقَ الْمَعَارِفِ بِالْوَسَائِطِ، وَالْقَضَايَا بِالْحُجُجِ وَالْأَحْكَامَ بِالْعِلَلِ، وَالِانْتِقَامَ بِالْجَنَائِيَّاتِ، وَالْمَثُوبَاتِ بِالطَّاعَاتِ، فَإِنَّ كَانَ هَذَا تَلْيِيسًا عَادَ الْوَحْيِ وَالشَّرْعِ وَالكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ تَلْيِيسًا.

نعم؛ التَّلْيِيسُ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ التَّعْلِيقَ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقْلَالِ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ مَسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَنَاصِبِ الْحُكْمِ وَالْعِلَلِ.

فإن كان مراده: أنه ليس الأمر على هؤلاء، فلم يهتدوا إلى الصواب، فأبعد الله من ينتصر لهم، ويذنب عنهم، فإنهم أضلُّ من الأنعام.

وإن كان المراد: من أثبت الأسباب والحكم والعلل، وعلّق بها ما علّق الله بها من الحكم والشّرع، وأنزلها بالمحلّ الذي أنزلها الله به، ووضعها حيث وضعها، فقد لبّس عليه، فنحن ندين الله بذلك، وإن سُمّي تلييساً، كما ندين بإثبات القدر، وإن سُمّي جبراً، وندين بإثبات الصفات وحقائق الأسماء، وإن سُمّي تجسيماً، وندين بإثبات علوِّ الله على عرشه فوق سمواته، وإن سُمّي تحيزاً أو جهةً، وندين بإثبات وجهه الأعلى، ويديه المبسوطتين، وإن سُمّي تركيباً، وندين بحبِّ أصحاب رسول الله ﷺ [جميعهم] (١)، وإن سُمّي نصباً، وندين بأنّه مكلمٌ متكلمٌ حقيقةً كلاماً يسمعه من خاطبه، وأنّه يرى بالأبصار عياناً حقيقةً يوم لقائه، وإن سُمّي ذلك تشبيهاً.

ويا لله العجب! أليست الكوائن كلها متعلّقة بالأسباب؟ أليس الرّبُّ تعالى كلّ وقتٍ يسوق المقادير إلى المواقيت التي وقّتها لها، ويظهرها بأسبابها التي سبّبها لها، ويخصّصها بمحالّها من الأعيان والأمكنة والأزمنة التي عينها لها؟ أليس قد قدر الله المقادير، وسبّب الأسباب التي تظهر بها، ووقّعت المواقيت التي تنتهي إليها، ونصب العلل التي توجد لأجلها، وجعل للأسباب أسباباً آخر تعارضها وتدافعها؟ فهذه تقتضي آثارها، وهذه تمنعها اقتضاءها، وتطلب ضدّ ما تطلبه تلك.

أوليس قد ربّب الخلق والأمر على ذلك، وجعله محلّ الامتحان والابتلاء والعبوديّة؟ أوليس عمارة الدارين - أعني: الجنّة والنار - بالأسباب والعلل والحكم؟ ولا حاجة بنا أن نقول: وهو الذي خلق الأسباب ونصب العلل، فإنّ ذكر هذا من باب بيان الواضحات التي لا يجهلها إلّا أجهل خلق الله تعالى، وأقلّهم نصيباً من الإيمان والمعرفة.

أوليس القرآن من أوّله إلى آخره قد علّقت أخباره وقصصه عن الأنبياء وأمهم، وأوامره ونواهيّه وزواجره، وثوابه وعقابه: بالأسباب، والحكم والعلل؟! وعلّقت فيه المعارف بالوسائط، والقضايا بالحجج، والعقوبات والمثوبات بالجنايات والطّاعات؟

أوليس ذلك مقتضى الرّسالة، وموجب الملك الحقّ، والحكمة البالغة؟ نعم؛ مرجع ذلك كلّهُ إلى المشيئة الإلهية المقرونة بالحكمة والرّحمة والعدل، والمصلحة والإحسان، ووضع الأشياء في مواضعها، وتنزيلها في منازلها، وهو سبحانه الذي جعل لها تلك المواضع والمنازل، والصفّات والمقادير، فلا تلييس هناك بوجهٍ ما، وإنّما التلبيس في إخراج الأسباب عن مواضعها وموضوعها وإلغائها، أو في إنزالها غير منزلتها، والغيبة بها عن مسببها وواضعها، وبالله التّوفيق.

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من «غ» وساقطة من طبعة الفقي والمنار، وأثبتناها هنا لمناسبتها.

فصل

□ قال: «والتَّلْبِيسُ الثَّانِي: تَلْبِيسُ أَهْلِ الْغَيْبَةِ عَلَى الْأَوْقَاتِ بِإِخْفَائِهَا، وَعَلَى الْكِرَامَاتِ بِكَيْتْمَانِهَا».

إطلاق التَّلْبِيسِ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ أَوْلَى مِنْ إِطْلَاقِهِ عَلَى الدَّرَجَةِ الْأَوْلَى، فَإِنَّ التَّلْبِيسَ فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ رَاجِعٌ إِلَى فِعْلِ الْعَبْدِ، وَفِي الْأَوْلَى إِلَى فِعْلِ الرَّبِّ، وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ تَسْمِيَةَ الدَّرَجَةِ الْأَوْلَى تَلْبِيسًا شَنِيعًا جَدًّا، وَطَأَّ لَهُ بِذِكْرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَكَائِلَ سُورَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٠] أَي: لَا تَسْتَوْحِشْ مِنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَطْلَقَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا فِيهِ.

والمقصود: أَنَّ الْعَبْدَ يَقْوَى إِخْلَاصَهُ لِلَّهِ، وَصَدَقَهُ وَمَعَامَلَتَهُ، حَتَّى لَا يَحِبُّ أَنْ يَطَّلِعَ أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقِ عَلَى حَالِهِ مَعَ اللَّهِ وَمَقَامِهِ مَعَهُ، فَهُوَ يَخْفِي أَحْوَالَهُ غَيْرَةً عَلَيْهَا مِنْ أَنْ تَشُوْبَهَا شَائِبَةُ الْأَغْيَارِ، وَيَخْفِي أَنْفَاسَهُ خَوْفًا عَلَيْهَا مِنَ الْمَدَاخِلَةِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، وَعَجَزَ عَنْ دَفْعِهِ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَمَرَ الزُّكَّامُ! فَالصَّادِقُ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْدُ وَالْحَالُ، وَهَاجَ مِنْ قَلْبِهِ لَوَاعِجِ الشُّوقِ؛ أَخْلَدَ إِلَى السُّكُونِ مَا أَمَكَنَهُ، فَإِنْ غَلَبَ؛ أَظْهَرَ الْمَا وَوَجَعًا؛ يَسْتَرُّ بِهِ حَالَهُ مَعَ اللَّهِ، كَمَا أَظْهَرَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ ﷺ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ سَقِيمٌ، حِينَ أَرَادَ أَنْ يَفَارِقَهُمْ، وَيَرْجِعُ بِذَلِكَ الْوَارِدِ وَتِلْكَ الْحَالِ إِلَى الْأَلْهَةِ الْبَاطِلَةِ، فَيَجْعَلُهَا جَدًّا.

فَالصَّادِقُونَ يَعْمَلُونَ فِي كَيْتْمَانِ الْمَعَانِي، وَاجْتِنَابِ الدَّعَاوِي، فَظَوَاهِرُهُمْ ظَوَاهِرُ النَّاسِ، وَقُلُوبُهُمْ مَعَ الْحَقِّ تَعَالَى، لَا تَلْتَفِتُ عَنْهُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَهَمَّ فِي وَاِدِّ، وَالنَّاسُ فِي وَاِدِّ.

فقوله: «تَلْبِيسُ أَهْلِ الْغَيْبَةِ عَلَى الْأَوْقَاتِ بِإِخْفَائِهَا».

يعني: أَنَّهُمْ يَغَارُونَ عَلَى الْأَوْقَاتِ الَّتِي عَمِرَتْ لَهُمْ بِاللَّهِ، وَصَفَتْ لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُهَا لِلنَّاسِ، وَإِنْ أَطَّلَعَ غَيْرُهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِمْ لِكَشْفِهَا وَإِظْهَارِهَا؛ لَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ فِي طَرِيقِهِمْ فَلَا يَفْزَعُونَ إِلَى الْعِجْدِ وَالْإِنْكَارِ، وَشُكَايَةِ الْحَالِ، بَلْ يَسْعَهُمُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْإِظْهَارِ وَالْجَحْدُ.

قوله: «وَعَلَى الْكِرَامَاتِ بِكَيْتْمَانِهَا».

يعني: أَنَّهُمْ يَغَارُونَ عَلَى كِرَامَاتِهِمْ أَنْ يَعْلَمَ بِهَا النَّاسُ، فَهَمَّ يَخْفُونَهَا أَبَدًا غَيْرَةً عَلَيْهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي إِظْهَارِهَا مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ؛ مِنْ حُجَّةٍ أَوْ حَاجَةٍ، فَلَا يَظْهَرُونَهَا إِلَّا لِحُجَّةٍ عَلَى مَبْطَلٍ، أَوْ حَاجَةٍ تَقْتَضِي إِظْهَارَهَا.

□ قوله: «والتَّلْبِيسُ بِالمُكَّاسِبِ وَالْأَسْبَابِ وَتَعْلِيقُ الظَّوَاهِرِ بِالشَّوَاهِدِ وَالْمُكَّاسِبِ تَلْبِيسٌ عَلَى العُيُونِ الكَلِيلَةِ وَالْعُقُولِ العَلِيلَةِ».

يعني: أن التَّلْبِيسَ المذكور إنما يكون على العيون الكليلة؛ أي: أهل الإحساس الضعيف، والعقول العليلة: هي المنحرفة التي لا تدرك الحق لمرضي بها.

□ قوله: «مَعَ تَصْحِيحِ التَّحْقِيقِ عَقْدًا وَسُلُوكًا وَمُعَايَنَةً».

يعني: أن هذه الطائفة يلبسون على أهل العيون الكليلة أحوالهم وكراماتهم بسترهم لها عنهم، مع كونهم قائمين بالتحقيق اعتقادًا وسلوكًا ومعاينةً، فهم معتقدون للحق، سالكون الطريق الموصلة إلى المقصود، أهل مراقبة وشهود.

□ قوله: «وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ: رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ التَّفْرِقَةِ وَالْأَسْبَابِ فِي مُلَابَسَتِهِمْ».

وإنما كانوا رحمةً من الله عليهم من وجهين:

- أحدهما: أنهم ذاكرون الله بين الغافلين، وفي وسطهم يرحمهم الله بهم، فإنهم القوم لا يشقى

بهم جليسهم.

- الثاني: أنهم لا يتركونهم في غفلاتهم، بل يقومون فيهم بالنصيحة لهم، والأمر لهم بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة لهم إلى الله^(١)، فيرحمون بهم، وينالون بهم سعادة الدنيا والآخرة، فهم يتصرفون مع الخلق بحكم العلم والشرع، وأحوالهم ومقاماتهم بينهم وبين الله خاصةً.

□ قوله: «التَّلْبِيسُ الثَّلَاثُ: تَلْبِيسُ أَهْلِ التَّمَكِينِ عَلَى الْعَالَمِ، تَرَحُّمًا عَلَيْهِمْ بِمُلَابَسَةِ

الْأَسْبَابِ، وَتَوَسُّعًا عَلَى الْعَالَمِ لَا عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ هِيَ

لِلْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ، الصَّادِرِينَ عَنْ وَاوِي الْجَمْعِ، الْمَشِيرِينَ عَنْ عَيْنِهِ».

هذا أيضًا من النمط الأول، مما ينكر لفظه وإطلاقه غاية الإنكار، ويجب على أهل الإيمان محو هذا اللفظ القبيح، وإطلاقه في حق الأنبياء، وكيف تتسع مسامع المؤمن لسمع^(٢) أن الأنبياء لبسوا على الناس بأي اعتبار كان؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! بل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - كشفوا عن الناس التلبيس الذي^(١) لبسوه على أنفسهم، ولبسوه عليهم طواغيتهم وشياطينهم، فجاءوا

(١) في «غ»: (إلى الله خير).

(٢) كلمة (ليسمع): ساقطة من «غ» والمنار.

(١) كلمة (الذي): ساقطة من «غ» والمنار، والصحيح إثباتها.

بالبيان والبرهان [وشياطينهم] (١).

وَكَانَ النَّاسُ فِي لَبْسٍ عَظِيمٍ فَجَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ فَأَظْهَرُوهُ
وَكَانَ النَّاسُ فِي جَهْلٍ عَظِيمٍ فَجَاءُوا بِالْيَقِينِ فَأَذْهَبُوهُ
وَكَانَ النَّاسُ فِي كُفْرٍ عَظِيمٍ فَجَاءُوا بِالرَّشَادِ فَأَبْطَلُوهُ

والمصنّف (٢) من أثبت النَّاسَ قَدَمًا في مقام الإيمان بالرُّسل وتعظيمهم، وتعظيم ما جاءوا به، ولكن لبس عليه في ذلك ما لبس على غيره، والله يغفر لنا وله، ويجمع بيننا وبينه في دار كرامته، وقد صرّح بأنَّ أهل التَّمكين هم الأنبياء والأئمّة بعدهم، وجعل هذه الدَّرَجَة من التَّلبس لهم، ثم فسرها بأنّها تلبس ترخّم وتوسيع على العالم.

ومقصوده: أنّهم يأمرهم بتعاطي الأسباب رحمةً لهم، وتوسيعاً عليهم، مع علمهم بأنّها لا أثر لها في خلق ولا رزق، ولا نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، بل الله وحده هو الخالق الرّازق، الضّائر النّافع، المعطي المانع، لكن لما علموا عجز النَّاس عن إدراك ذلك والتحقّق (٣) به؛ لبسوا عليهم، وستروهم بالأسباب، رحمةً بهم وتوسيعاً عليهم (٤).

فهذه الدَّرَجَة تتضمّن الرجوع إلى الأسباب رحمةً وتوسيعاً، مع الانقطاع عن الالتفات إليها، والوقوف معها تجريدًا وتوحيدًا.

قوله: «لَا لِأَنْفُسِهِمْ».

يعني: أنّ أمرهم بالأسباب إحسانًا إليهم، وتوسيعاً عليهم، لا لحظّ الأمر، وجرّ النّفع إلى نفسه، بل لقصده (١) الإحسان إلى الخلق، وحصول النّفع لهم، وهذا قريب، مع أنّ فيه ما فيه لمن تأمله، فإنّ

(١) كلمة (وشياطينهم): غير موجودة في «غ» والمنار، والصواب حذفها لعدم مناسبتها للسياق، أو أنّ مكانها بعد قوله: (ولبس عليهم طواغيتهم).

(٢) في «غ» والمنار: (والمصنّف قدس الله روحه).

(٣) في «غ» والمنار: (والتحقّق).

(٤) وهذا قول الفلاسفة في حق الأنبياء، وهو قول ابن عربي وغيره من شيوخ الصوفية؛ لأن الرسل - عندهم - ما كانوا يعرفون الحقيقة، أو ربما عرفوها ولبسوا على العامة فلم يظهرها، لضعف قواهم عن احتمالها. (الفقي).
تعليق: رحم الله الشيخ الفقي فإنه لم يصب العدل في هذا الحكم؛ حيث جعل ما ذكره صاحب المنازل (الهروي) - من أنّ الرسل أمروا الناس بالأسباب وإن لم يكن لها تأثير كما يراه - أن هذا هو قول الفلاسفة أصحاب التخيل، وهم القائلون بأن كل ما أخبرت به الرسل من الغيوب لا حقيقة له في الواقع بل هو كله تخيل: ولو قال الشيخ الفقي أن ما ذكره الهروي عن الرسل وسماه تلبسًا بشبه قول الفلاسفة أهل التخيل كان عدلاً وصواباً.

(١) في «غ» والمنار: (بل القصد).

من أمر غيره بمصلحةٍ وقصد نفعه فبنفسه يبدأ^(١)، ولها ينفع أولاً، ومصلحتها لا بدَّ أن تكون قد حصلت قبل مصلحة المأمور، والإحسان إلى نفسه قصد بإحسانه إلى غيره، فإنه عبدٌ فقيرٌ محتاجٌ، والله وحده هو الغنيُّ بذاته، الذي يحسن إلى خلقه لا لأجل معاوضةٍ منهم، وأمَّا المخلوق فإنه يريد العوض لكن الأعواض تتفاوت، ومن يُطلب منه العوض يختلف.

والمقصود: أن قوله: «لَا لِأَنْفُسِهِمْ» ليس على إطلاقه.

وفي أثر إلهيٍّ: «ابْنَ آدَمَ، كُلُّ يُرِيدُكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنَا أُرِيدُكَ لَكَ».

قوله: «تَمَّ هِيَ لِلْأُمَّةِ الرَّبَّانِيِّينَ، الصَّادِرِينَ عَنْ وَادِي الْجَمْعِ».

يعني: الذين فنوا في الجمع، ثم حصلوا في البقاء بعد الفناء، فذلك صدورهم عن وادي الجمع.

قوله: «الْمُشِيرِينَ عَنْ عَيْنِهِ».

يعني: الذين إذا أشاروا أشاروا عن عينٍ لا عن علمٍ، فإن الإشارة تختلف باختلاف مصدرها،

فإشارة عن علم وإشارة عن كشفٍ، وإشارة عن شهودٍ، وإشارة عن عينٍ.

فصل

قد عرفت أن هذا الباب مبناه على محو الأسباب، وعدم الالتفات إليها والوقوف معها؛ ولهذا سمى المصنّف نصبها تليسياً.

ونحن نقول: إن الدين هو إثبات الأسباب، والوقوف معها، والنظر إليها، والالتفات إليها، وإنه لا دين إلا بذلك، كما لا حقيقة إلا به، فالحقيقة والشريعة مبناهما على إثباتها، لا على محوها، ولا نكر الوقوف معها، فإن الوقوف معها فرض على كل مسلمٍ، لا يتم إسلامه وإيمانه إلا بذلك، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها، بمعنى أننا نثبت الحكم إذا وجدت، ونفيه إذا عدمت، ونستدلُّ بها على حكمه الكونيِّ، فوقفنا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشريعة.

وهل يمكن حيواناً أن يعيش في هذه الدنيا إلا بوقوفه مع الأسباب؟ فينتجع مساقط غيثها ومواقع قطرها، ويرعى في خصبها دون جدبها، ويسالها ولا يحاربها، فكيف وتنفسه في الهواء بها، وتحركه بها، وسمعه وبصره بها، وغذاؤه بها، ودواؤه بها، وهداه بها، وسعادته وفلاحه بها، وضلاله وشقاؤه بالإعراض عنها والغائها؟!!

(١) في «غ» والمنار: (بدأ).

فأسعد النَّاس في الدَّارين أقومهم بالأسباب الموصلة إلى مصالِحهما، وأشقاهم في الدَّارين أشدَّهم تعطيلاً لأسبابهما، فالأسباب محلُّ الأمر والنَّهي، والثَّواب والعقاب، والنَّجاح والخسران. وبالأسباب عرف الله، وبها عبد الله، وبها أطيع الله، وبها تقرب إليه المتقرِّبون، وبها نال أولياؤه رضاه وجواره في جنته، وبها نصر حزبه ودينه، وأقاموا دعوته، وبها أرسل رسله وشرع شرائعه، وبها انقسم النَّاس إلى سعيدٍ وشقيٍّ، ومهتدٍ وغويٍّ، فالوقوف معها والالتفات إليها والنَّظر إليها هو الواجب شرعاً، كما هو الواقع قدرًا.

ولا تكن ممَّن غلظ حجابهِ، وكثف طبعه فيقول: لا نقف^(١) معها وقوف من يعتقد أنَّها مستقلةٌ بالإحداث والتأثير، وأنَّها أربابٌ من دون الله؛ فإن وجدت أحدًا يزعم ذلك، ويظنُّ أنَّها أربابٌ، وآلهةٌ مع الله مستقلةٌ بالإيجاد، أو أنَّها عونٌ لله يحتاج في فعله إليها، أو أنَّها شركاء له فشأنك به فمزق أديمه، وتقرَّب إلى الله بعداوتها ما استطعت، وإلا فما هذا النَّفي لما أثبتته الله؟ والإلغاء لما اعتبره؟ والإهدار لما حقَّقه؟ والخطُّ والوضع لما نصبه؟ والمحو لما كتبه؟ والعزل لما ولَّاه؟ فإن زعمت أنَّك تعزلها عن رتبة الإلهية فسبحان الله من ولَّاهها هذه الرُّتبة حتَّى تجعل سعيدك في عزلها عنها؟

ويا لله ما أجهل كثيرًا من أهل الكلام والتَّصوُّف! حيث لم يكن عندهم تحقيق التَّوحيد إلاَّ بإلغائها^(٢) ومحوها، وإهدارها بالكليَّة، وأنَّه لم يجعل الله في المخلوقات قوَى ولا طبائع، ولا غرائز لها تأثير موجبةٍ ما، ولا في النَّار حرارةٌ ولا إحراقه، ولا في الدَّواء قوَّةٌ مذهبةٌ للدَّاء، ولا في الخبز قوَّةٌ مشبعةٌ، ولا في الماء قوَّةٌ مرويةٌ، ولا في العين قوَّةٌ باصرةٌ، ولا في الأنف قوَّةٌ شامَّةٌ، ولا في السُّم قوَّةٌ قاتلةٌ، ولا في الحديد قوَّةٌ قاطعةٌ؟

وأنَّ الله لم يفعل شيئاً بشيءٍ، ولا فعل شيئاً لأجل شيءٍ.

فهذا غاية توحيدهم الَّذي يحومون حوله، ويبالغون في تقريره.

فلعمر الله لقد أضحكوا عليهم العقلاء، وأشمتوا بهم الأعداء، ونهجوا لأعداء الرُّسل طريق إساءة الظَّنِّ بهم، وجنوا على الإسلام والقرآن أعظم جنائيةٍ، وقالوا: نحن أنصار الله ورسوله، الموكِّلون بكسر أعداء الإسلام وأعداء الرُّسل، ولعمر الله لقد كسروا الدِّين وسلَّطوا عليه المبطلين، وقد قيل: **يَاكَ ومصاحبة الجاهل، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.**

فقف مع الأسباب؛ حيث أمرت بالوقوف معها، وفارقها حيث أمرت بمفارقتها، كما فارقها الخليل وهو في تلك السَّفرة من المنجنيق، حيث عرض له جبريل أقوى الأسباب، فقال: **«أَلَاكَ حَاجَةٌ؟»**

(١) في «غ» والمنار: (لا تقف).

(٢) في «غ» والمنار: (إلا إلغاءها).

فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا» (١).

وَدُرُّ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ، نَاطِرًا إِلَى مَنْ أَرَمَّتْهَا بِيَدَيْهِ، وَالتَّيَفَّتْ إِلَيْهَا التَّفَاتِ الْعَبْدِ الْمَأْمُورِ إِلَى تَنْفِيذِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَالتَّحْدِيقِ نَحْوَهُ، وَارْعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَلَا تَعْبُ عَنْهَا وَلَا تَفْرَنْ عَنْهَا، بَلْ انْظُرْ إِلَيْهَا وَهِيَ فِي رَتْبَتِهَا الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ إِيَّاهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ غَيْبَتِكَ بِمَسَبِّهَا عَنْهَا نَقْصٌ فِي عِبُودِيَّتِكَ، بَلْ الْكَمَالُ أَنَّ تَشْهَدَ الْمَعْبُودَ، وَتَشْهَدَ قِيَامَكَ بِعِبُودِيَّتِهِ، وَتَشْهَدَ أَنَّ قِيَامَكَ بِهِ لَا بِكَ، وَمِنْهُ لَا مِنْكَ، وَبِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَمَتَى خَرَجْتَ عَنْ ذَلِكَ وَقَعْتَ فِي انْحِرَافَيْنِ، لَا بَدَلَ لَكَ مِنْ أَحَدِهِمَا:

- إِمَّا أَنْ تَغِيبَ بِهَا عَنِ الْمَقْصُودِ لِدَاتِهِ، لَضَعْفِ نَظْرِكَ وَغَفْلَتِكَ، وَقُصُورِ عِلْمِكَ وَمَعْرِفَتِكَ.

- وَإِمَّا أَنْ تَغِيبَ بِالْمَقْصُودِ عَنْهَا، بِحَيْثُ لَا تَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

وَالْكَمَالُ: أَنْ يَسْلَمَكَ اللَّهُ مِنَ الْانْحِرَافَيْنِ، فَتَبْقَى عَبْدًا مَلَا حِظًا لِلْعِبُودِيَّةِ، نَاطِرًا إِلَى الْمَعْبُودِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ، وَعَلِيهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فصل

□ قال شيخ الإسلام: «(بَابُ الْوُجُودِ) أَطْلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ اسْمَ الْوُجُودِ عَلَى

نَفْسِهِ صَرِيحًا فِي مَوَاضِعَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَراً رَاحِمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَاحِمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤]. ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ [النور: ٣٩].

الْوُجُودُ: الظَّفَرُ بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، وَهُوَ اسْمٌ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا: وُجُودٌ عِلْمٌ لِدُنْيِيٍّ، يَقْطَعُ عُلُومَ الشَّوَاهِدِ فِي صِحَّةِ مُكَاشَفَةِ الْحَقِّ إِيَّاكَ.

وَالثَّانِي: وُجُودٌ الْحَقِّ وَجُودَ عَيْنٍ مُنْقَطِعًا عَنِ مَسَاغِ الْإِشَارَةِ.

وَالثَّلَاثُ: وُجُودٌ مَقَامِ اضْمِحْلَالِ رَسْمِ الْوُجُودِ فِيهِ بِالِاسْتِغْرَاقِ فِي الْأَوَّلِيَّةِ».

هذا الباب هو العلم الذي شمر إليه القوم، والغاية التي قصدوها، ولا ريب أنهم قصدوا معنى صحيحًا، وعبروا عنه بالوجود، واستدلوا عليه بهذه الآيات ونظيرها، ولكن ليس مقصودهم ما تضمنه الوجدان في هذه الآيات، فإنه وجدان المطلوب تعلق باسم أو صفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَاحِمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

(١) انظر: «الأحاديث الضعيفة» للألباني (٢١).

فهذا وجودٌ مقيّدٌ بظفرهم بمغفرة الله ورحمته لهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

ومعناه: أنه يجد ما ظنّه من مغفرة الله له حاصله.

وكذلك: ﴿وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩] فهذا وجدان الكافر لربه عند حسابه له على

أعماله، وليس هذا هو الوجود الذي يشير القوم إليه.

بل منه الأثر المعروف: «ابن آدم، اطلبني تجديني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء».

ومنه الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي»^(١).

ومنه الأثر الإسرائيلي: «أن موسى قال: يا رب أين أجذك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من

أجلي».

ومنه الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: عبدي، استطعمتك فلم تطعمني، قال:

يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما لو أطعمته

لوجدت ذلك عندي، عبدي استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي، عبدي مرضت فلم تعدني،

قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني

عنده»^(٢).

فتأمل قوله في الإطعام والإسقاء: «لوجدت ذلك عندي» [أي: لوجدت ثوابه وجزاءه

عندي]^(٣) وقوله في العيادة: «لوجدتني عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندي، إيداناً بقربه من

المريض، وأنه عنده، لذله وخضوعه، وانكسار قلبه، وافتقاره إلى ربه، فأوجب ذلك وجود الله عنده،

هذا وهو فوق سمواته مستوي على عرشه بائن من خلقه، وهو عند عبده، فوجود العبد ربه ظفره

بالوصول إليه.

والناس ثلاثة: سالك، وواصل، وواجد.

(١) تقدم تخريجه (٣٦/٢).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة، باب: عيادة المريض (٢٥٦٩)، وأحمد بنحوه (٤٠٤/٢).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقيه وأثبتناها من «غ» والمنار.

فإن قلت: اضرب لي مثلاً، أفهم به معنى الوصول في هذا الباب والوجود.

قلت: إذا بلغك أنّ بمكان كذا وكذا كنزاً عظيماً، من ظفر به، أو بشيء منه، استغنى غنى الدهر، وترحل عنه العدم والفقر، فتحركت نفسه للسّير إليه، فأخذ في التّأهب للمسير، فلما جدّ به السّير انتهى إلى الكنز ووصل إليه، ولكن لم يظفر بتحويله إلى داره، وحصوله عنده بعد، فهو واصل غير واجد، والذي في الطّريق سالك، والقاعد عن الطّلب منقطع، وأخذ الكنز - بحيث حصل عنده، وصار في داره - واجد، فهذا المعنى حوله حام القوم، وعليه دارت إشاراتهم فعندهم التّواجد بدايةً، والواجد (١) واسطةً، والوجود نهايةً.

ومعنى ذلك: أنّه في الابتداء يتكلّف التّواجد، فيقوى عليه حتى يصير واجداً، ثمّ يستغرق في وجده حتى يصل إلى موجوده.

ويستشكل قول أبي الحسن الثوري (٢): «أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد إذا وجدت ربّي فقدت قلبي، وإذا وجدت قلبي فقدت ربّي».

ومعنى هذا: أنّ الوجود الصّحيح يغيّب الواجد عنه، ويجرّده منه، فيفنى بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، فإذا وجد الحقيقة غاب عن قلبه وعن صفاته، وإذا غابت عنه الحقيقة بقي مع صفاته، وفي هذا المعنى قيل:

وَجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ
وَمَا فِي الْوُجُودِ مَوْجُودٌ وَلَكِنْ فَخَرْتُ بِوَجْدِ مَوْجُودِ الْوُجُودِ

وقد مثل التّواجد والوجد والوجود بمشاهدة البحر وركوبه والغرق فيه.

ف قيل: التّواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد يوجب استغراق العبد، والوجود يوجب استهلاك العبد.

وهذه عبارات واستعارات للمراتب الثلاثة، وهي البداية، والتّوسط، والنّهاية، والسّلوك والوصول عندهم قصود، ثمّ ورود، ثمّ شهود، ثمّ وجود، ثمّ خمود، فيقصد أولاً، ثمّ يرد، ثمّ يشهد، ثمّ يجد، ثمّ تخدم نفسه، وتذهب بالكلية.

(١) في «غ» والمنار: (والوجد).

(٢) في «غ» والمنار: (أبي الحسن الثوري).

والوجد: ما يرد على الناظر من الله تعالى يكسبه فرحاً أو حزناً، وهي فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات شريفة ينظر إلى الله منها.

والتواجد: استجلاب الوجد بالتذكر والتفكير، لتتسع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان، فلا وجد عندهم مع الوجدان، كما لا خبر مع العيان، والوجد عرضة للزوال، والوجود ثابت ثبوت الجبال، وقد قيل:

قَدْ كَانَ يُطْرِبُنِي وَجْدِي فَأَقْعَدَنِي عَنْ رُؤْيَاةِ الْوَجْدِ مَنْ بِالْوَجْدِ مَوْجُودٌ
وَالْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي الْوَجْدِ رَاحَتُهُ وَالْوَجْدُ عِنْدَ حُضُورِ الْحَقِّ مَقْصُودٌ

فالتواجد: استدعاء الوجد بنوع اختيار وتكلف، وليس لصاحبه كمال الوجد؛ إذ لو كان له ذلك لكان وجداً، وباب التفاعل بيني على ذلك؛ فإنَّ مبناه على إظهار الصفة، وليست كذلك، كما قال:

إِذَا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ^(١)

وقد اختلف الناس في التواجد: هل يسلم لصاحبه؟ على قولين:
فقال طائفة: لا يسلم لصاحبه، لما فيه من التكلف وإظهار ما ليس عنده.
وقوم قالوا: يسلم للصادق الذي يرصد لوجدان المعاني الصحيحة، كما قال النبي ﷺ: «ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَبَاكُوا»^(٢).

والتحقيق: أن صاحب التواجد إن تكلفه لحظ وشهوة نفس: لم يسلم له، وإن تكلفه لاستجلاب حال، أو مقام مع الله: سلم له، وهذا يعرف من حال المتواجد، وشواهد صدقه وإخلاصه.

فصل

وقد تكلم في الوجود الفلاسفة والمتكلمون والاتحادية بما هو أبعد شيء عن الصواب: هل وجود الشيء عين ماهيته، أو غير ماهيته؟ أو وجود القديم نفس ماهيته؟ أو وجود الحادث زائد على ماهيته؟ وكل هذه الأقوال خطأ، وأصحابها كخابط عشواء.

(١) هذا جزء من بيت، والخزر بالتحريك: كسر العين بصرها خلقه، وقيل: هو ضيق العين وصغرها «لسان العرب» (١١٤٧/٢)، والتخازر هنا: إظهار الخزر.

(٢) تقدم تخريجه (٢٩٤/٣).

والتحقيق: أن الوجود والماهية إن أخذنا ذهنيين فالوجود^(١) الذهني عين الماهية الذهنية، وكذلك إن أخذنا خارجيين: اتحدا أيضًا، فليس في^(٢) الخارج وجودٌ زائدٌ على الماهية الخارجية؛ بحيث يكون كالثوب المشتمل على البدن، هذا خيالٌ محضٌ، وكذلك حصول الماهية في الذهن هو عين وجودها، فليس في الذهن ماهيةٌ ووجودٌ متغايرين، بل إن أخذ أحدهما ذهنيًا والآخر خارجيًا، فأحدهما غير الآخر، وليس المقصود بحث هذه المسألة، فإنها بعيدةٌ عمَّا نحن فيه، وهي من وظائف أرباب الجدل والكلام والفلسفة، لا من وظائف أرباب القلوب والمعاملات، فهؤلاء همهم في أن يجدوا مطلوبهم، ويظفروا به، وأولئك شاؤون في وجوده: هل هو عين ماهيته، أو زائدٌ على ماهيته؟ وهل هو وجودٌ مجردٌ مطلقٌ لا يضاف إليه وصفٌ ولا اسمٌ؟ أم وجودٌ خاصٌ تضاف إليه الصفات والأسماء؟ فهؤلاء في وادٍ وهؤلاء في وادٍ.

وأعظم الخلق كفرًا وضلالًا: من زعم أن ربه^(٣) نفس وجود هذه الموجودات، وأن عين وجوده فاض عليها فاكتمت عين وجوده، فاتخذ حجابًا من أعيانها، واكتست جلبابًا من وجوده، ولبس عليهم ما لبسوه على ضعفاء العقول والبصائر من عدم التفريق بين وجود الحق سبحانه وإيجاده، وأن إيجاده هو الذي فاض عليها، وهو الذي اكتسته، وأما وجوده فمختصٌ به لا يشاركه فيه غيره، كما هو مختصٌ بماهيته وصفاته، فهو بائنٌ عن خلقه، والخلق بائون عنه، فوجود ما سواه مخلوقٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، حاصلٌ بإيجاده له، فهو الذي أعطى كل شيء خلقه، ووجوده المختصٌ به، وبان بذاته وصفاته ووجوده عن خلقه.

فصل

□ قوله: «الوجودُ: اسمٌ للظفرِ بحَقِيقَةِ الشَّيءِ».

هذا الوجود الذي هو مصدر: وجد الشيء يجده وجودًا، ووجد ضالته وجدانًا. وفي «الصَّحاح»: أوجده الله مطلوبه؛ أي: أظفره به، وأوجده أي: أغناه، [قلت: (١) أي: جعله ذا

(١) في «غ» والمنار: (فللوجود).

(٢) في «غ»: (ذا).

(٣) في «غ» والمنار: (من زعم أنه).

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي، ومثبت من «غ» والمنار.

جدة^(١)، قال الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦] ويقال: وجد فلانٌ وجدًا ووجدًا - بضم الواو وفتحها وكسرهما - إذا صار ذا جدة وثروة، ووجد الشيء فهو موجودٌ وأوجده الله، ويقال: وجد الله الشيء كذا وكذا، على غير معنى أوجده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ فالله سبحانه أوجده على علمه، بأن يكون على صفة، ثمَّ وجده بعد إيجاده على تلك الصفة التي علم أن سيكون^(٢) عليها.

وأما الواجد في أسمائه سبحانه: فهو بمعنى ذو الوجد والغنى، وهو ضدُّ الفاقِد، وهو كالמושع ذي السعة، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: ذوو سعةٍ وقدرٍ وملك، كما قال تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ قَدْرُهُ وَعَلَىٰ الْمَقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

ودخل في أسمائه سبحانه «الوَاجِدُ» دون «المُوجِدِ» فإنَّ الموجد صفة فعل، وهو معطي الوجود، كالمحيي معطي الحياة، وهذا الفعل لم يجرى إطلاقه في أفعال الله في الكتاب ولا في السنة، فلا يعرف إطلاق: أوجد الله كذا وكذا، وإنما الذي جاء: «خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَأَعْطَاهُ، خَلَقَهُ» ونحو ذلك، فلمَّا لم يكن يستعمل فعله لم يجرى اسم الفاعل منه في أسمائه الحسنی، فإنَّ الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله^(٣) على نفسه أفعالاً لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسمَّ بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسمَّ نفسه بالصَّانع والفاعل والمتقن وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كلِّ فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه^(٤) زيادةً على الألف، فسمَّاه الماكر، والمخادع، والقاتن، والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه «شيءٌ، وموجودٌ، ومدكورٌ، ومعلومٌ، ومُرادٌ»، ولا يسمَّى بذلك. فأما الواجد: فلم تجع^(١) تسميته به إلا في حديث تعداد الأسماء الحسنی^(٢).

(١) في «غ» والمنار: (أي: جعله واجداً).

(٢) في «غ» والمنار: (يكون).

(٣) لفظ الجلالة: غير موجودة في «غ» والمنار.

(٤) جملة (وبلغ بأسمائه): ساقطة من «غ».

(١) في «غ» والمنار: (يجيء).

(٢) رواه الترمذي في «الدعوات» باب (٨٣)، وقال: هذا حديث غريب، ورواه ابن ماجه في «الدعاء»، باب: أسماء الله ﷻ (٣٨٦١)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» برقم (٦٩٦).

والصحيح: أنه ليس من كلام النبي ﷺ، ومعناه صحيح، فإنه ذو الوجد^(١) والغنى، فهو أولى بأن يسمّى به من الوجود ومن الموجد، أمّا الوجود فإنه منقسم إلى كامل وناقص، وخيرٍ وشرٍّ، وما كان مسماً منقسمًا لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنی، كالشيء والمعلوم، ولذلك لم يسم بالمرید، ولا بالمتكلم، وإن كان له الإرادة والكلام، لانقسام مسمى المرید والمتكلم، وأمّا الوجد فقد سمي نفسه بأكمل أنواعه، وهو «الخالقي، الباري، المصور» فالوجد كالمحدث والفاعل والصانع. وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنی، فتأمل! وبالله التوفيق.

فصل

الظفر بحقيقة الشيء، إن كان في باب العلم والمعرفة فهو معرفة تجري فوق حدود العلم، وإن كان للمعاني كان معانية، وهي فوق المعرفة، وإن كان للطالب فهو جمعيّة له بكله على مطلوبه، وإن كان لصاحب الجمع كان جمعيّة وجوديّة، تغنيه عمّا سوى الله تعالى.

قوله: «هُوَ اسْمٌ لِثَلَاثِ مَعَانٍ، أَوْلَاهَا: وَجُودٌ عِلْمٌ لِدُنْيَا، يَقْطَعُ عُلُومَ الشَّوَاهِدِ».

العلم اللدنيّ عندهم: هو المعرفة، وسمي لدنيا؛ لأنه تعريف من تعريفات الحق، وورد على قلب العبد، يقطع الوسوس، ويزيل الشكوك، ويحل محلّ العيان، فيصير لصاحبه كالوجدانيات التي لا يمكن دفعها عن النفس، ولذلك قال: «يَقْطَعُ عُلُومَ الشَّوَاهِدِ»، فعلم الشواهد عنده هي علوم الاستدلال، وهي تنقطع بوجدان هذا العلم؛ أي: يرتقي صاحبه عنها إلى ما هو أكمل منها، لا أنها يبطل حكمها، ويزول رسمها، ولكن صاحب الوجود قد ارتقى عن العلم الحاصل بالشواهد إلى العلم المدرك بالذوق والحسّ الباطن.

قوله: «فِي صِحَّةٍ مُكَاشَفَةِ الْحَقِّ إِيَّاكَ» متعلق بقوله: «يَقْطَعُ عُلُومَ الشَّوَاهِدِ»؛ أي: يقطعها في كون الحق كشف لك كشفًا صحيحًا، قطع عنك الحاجة إلى الشواهد والأدلة.

□ قوله: «وَالثَّانِي: وَجُودُ الْحَقِّ وَجُودَ عَيْنٍ»: أي: وجود معانية لا وجود خبر، ومراده: معانية القلب له بحقيقة اليقين.

□ قوله: «مُنْقَطِعًا عَنِ مَسَاغِ الْإِشَارَةِ» لما كانت الدرجة الأولى وجود علم، وهذه وجود عيان: قام العيان فيها مقام الإشارة، فأغنى عنها، فإن العلم قد يكون ضروريًا،

(١) في «غ» والمنار: (الوجد).

وقد يكون نظرياً، والضروريُّ أبعد عن الالتفات، وعن تطرُّق الآفات، وعدم الغفلات، فصاحبه يشاهد معلومه بنور البصيرة، كما يشاهد المبصرات بنور البصر، ولما كانت مرتبة المعرفة فوق مرتبة العلم عندهم، ومرتبة الشُّهود فوق مرتبة المعرفة، والمرتبة الوجود فوق مرتبة الشُّهود، كانت العبارة في مرتبة العلم والإشارة، والمرتبة الوجود فوق مرتبة الشُّهود، فإن وصل إلى مرتبة الوجود انقطعت الإشارات، واضمحلَّت العبارات، فإنَّ صاحب الوجود في حضرة الوجود، فما له وما للإشارة؟! إذ الإشارة في هذا الباب إنَّما تكون إلى غائبٍ بوجهٍ ما.

قوله: «وَالثَّالِثُ: وَجُودٌ مَقَامٌ اِضْمِحْلَالٍ رَسْمِ الْوُجُودِ فِيهِ بِالِاسْتِغْرَاقِ فِي الْأَوَّلِيَّةِ». هذا كلامٌ فيه قلقٌ وتعقيدٌ، وهو باللُّغز أشبه منه بالبيان^(١).

وحقيقة هذه الدرِّجة: أنَّها تشغل صاحبها بموجوده عن إدراك كونه واجداً، فلم تبق فيه بقيةٌ يتفطن بها لكونه مدرِّكاً لموجوده، لاستيلائه على قلبه، فقد قهره ومحقه عن شعوره بكونه واجداً لموجوده، فهو حاضرٌ مع الحقِّ، غائبٌ عن كلِّ ما سواه.

فالدرِّجة الأولى: وجود علم، والثانية: وجود عيان، والثالثة: وجود مقام اضمحلَّ فيه ما سوى الموجود، وهذا معنى «اضمحلَّالِ رَسْمِ الْوُجُودِ فِيهِ»، ولهذا قال: «بِالِاسْتِغْرَاقِ فِي الْأَوَّلِيَّةِ»، فإنَّه إذا استغرق في شهود الأوَّلِيَّةِ اضمحلَّ في هذا الشُّهود كلِّ حادثٍ، والله أعلم.

فصل

□ قال: «بَابُ التَّجْرِيدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] التَّجْرِيدُ: انْخِلَاعٌ عَنِ

شُهُودِ الشُّوَاهِدِ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: تَجْرِيدُ عَيْنِ الْكَشْفِ عَنِ كَسْبِ الْيَقِينِ.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: تَجْرِيدُ عَيْنِ الْجَمْعِ عَنِ دَرْكِ الْعِلْمِ.

وَالدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: تَجْرِيدُ الْخَلَاصِ مِنْ شُهُودِ التَّجْرِيدِ».

وجه الإشارة بالآية - وليس هو تفسيرها ولا المراد بها-: أن الله سبحانه أمر موسى أن يخلع

نعليه عند دخوله ذلك الوادي المقدس، إمَّا لتنال إخمص قدميه بركة الوادي، وإمَّا لأنَّهما كانتا ممَّا

(١) وما مضى من الكلام فيه أيضاً قلقٌ وتعقيد.

لا يصلح أن يباشر ذلك المكان بهما، قيل: إنَّهما كانتا من جلد حمارٍ غير مذكَّي، وعلى كلِّ حالٍ فهو أمرٌ بالتَّجُرُّد من التَّعلين في ذلك المكان، وتلك الحال.

وموضع الإشارة: أنَّه أمر موسى بالتَّجُرُّد من نعليه عند دخول الوادي؛ فعلم أنَّ التَّجُرُّد شرطٌ في الدُّخول فيما لا يصلح الدُّخول فيه إلَّا بالتَّجُرُّد.

وعلى هذا، فيقال لمن أراد الوصول إلى الله ﷻ والدُّخول عليه: اخلع من قلبك ما سواه، وادخل عليه، وأوَّل قدم يدخل بها في الإسلام: أن يخلع الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، ويتجرَّد منها، فكأنَّه قيل له: اطرَح عنك ما لا يكون صالحًا للوطء به على هذا البساط، أو لأنَّ ذلك الوادي لمَّا كان من أشرف الأودية وأطهرها - ولذلك اختاره الله سبحانه على غيره من الأودية لتكليم نبيِّه وكليمه - فأمره سبحانه أن يعظَّم ذلك الوادي بالوطء فيه حافيًا، كما يوطأ بساط الملك، وصار ذلك سنَّة في بني إسرائيل في مواضع صلواتهم وكنائسهم، وشريعتنا جاءت بخلاف ذلك، فصلَّى النبيُّ ﷺ في التَّعلين، وأمر أصحابه أن يصلُّوا في نعالهم، وقال: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يُصَلُّونَ فِي نَعَالِهِمْ فَخَالِفُوهُمْ»^(١) فالسنَّة في ديننا: الصَّلَاة في النَّعال، نصَّ عليه الإمام أحمد، وقيل له: أيصلي الرجل في نعليه؟ فقال: إي والله.

فصل

□ قوله: «التَّجْرِيدُ: الْإِنْخِلَاعُ عَنِ شُهُودِ الشَّوَاهِدِ»^(٢).

والشَّواهد عنده: هي ما سوى الحقِّ سبحانه.

والانخلاع عن الشُّهود: هو غيبة الشَّاهد بمشهوده عن شهوده، وذلك يكون في مقام المعاينة:

فإنَّه لا ينخلع عن شهود الشَّواهد إلَّا إذا كان معاينًا للمشهود.

(١) نص الحديث: «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم» بدون ذكر النصارى، وقد رواه أبو داود في

الصلاة، باب: الصلاة في النعل (٦٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٦٠٧)، ورواه الحاكم في

«مستدرکه» (٢٦٠/٨)، وصححه وأقره الذهبي.

(٢) كلمة (الشواهد): ساقطة من «غ».

قوله: «الدَّرَجَةُ الْأُولَى: تَجْرِيدُ عَيْنِ الْكُشْفِ عَنِ كَسْبِ الْيَقِينِ».

أي: تجريد حقيقة الكشف عن كسب اليقين؛ أي: يعزل ما اكتسبه من اليقين العلمي بالكشف الحقيقي، فتجرّد الكشف: أن يخلّصه ويعرّيه عن الالتفات إلى اليقين، فيعزل ما اكتسبه من اليقين العلمي بالكشف الحقيقي.

فصل

□ قال: «الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: تَجْرِيدُ عَيْنِ الْجَمْعِ عَنِ دَرْكِ الْعِلْمِ».

«عَيْنُ الْجَمْعِ»: هي حقيقة الجمع، وتجريده هو ألا يشهد للعلم فيها آثاراً؛ فإنّ العلم من آثار الرسوم، وحقيقة الجمع تمحو الرسوم، فصاحب هذه الدَّرَجَةِ أَبَدًا فِي تَجْرِيدٍ وَتَجْرِيدٍ، والدَّرِكُ هو الإدراك في هذا الموضوع، ويحتمل أن يراد به أنّ درجة العلم أسفل من درجة عين الجمع، فيجرّد الجمع عن الدَّرَجَةِ الَّتِي هِيَ أَسْفَلُ مِنْهُ، وقد اعترفوا بأنّ هذا حال المولّهيّن في الاستغراق في الجمع.

ولعمرك الله إنّ ذلك ليس بكمالٍ، وهو أصلٌ من أصول الانحلال؛ فإنّه إذا تجرّد من العلم وما يوجبه فقد خرج من النور الذي يكشف له الحقائق، ويميّز له^(١) بين الحقّ والباطل، والصّحيح والفاسد، فالكشف وشهود الحقيقة إذا تجرّد عن العلم فقد ينسلخ صاحبه عن أصل الإيمان وهو لا يشعر.

وأحسن من هذا أن يقال: هو تجريد الجمع عن الوقوف مع مجرّد العلم، فلا يرضى بالعلم عن مقام جمعيّة حاله وقلبه وهمّه على الله، بل يرتقي من درجة العلم إلى درجة الجمع مصاحباً للعلم، غير مفارقٍ لأحكامه، ولا جاعلٍ له غايةً يقف عندها.

□ قوله: «الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: تَجْرِيدُ الْخَلَاصِ مِنْ شُهُودِ التَّجْرِيدِ».

يعني: ألا يشهد تجريده لمن يجرّده من صفاته وأفعاله، وصاحب هذه الدَّرَجَةِ دَائِمًا قَدْ فَنِيَ عَمَّا سِوَى الْحَقِّ تَعَالَى، فكيف يتّسع مع ذلك لشهود وصفه وفعله؟ بل أفناه تجريده عن شهود تجريده.

(١) في «غ»: (به).

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(بَابُ التَّفْرِيدِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّ اللَّهَ (١) هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] التَّفْرِيدُ: اسْمٌ لِتَخْلِيصِ الْإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِّ، ثُمَّ بِالْحَقِّ، ثُمَّ عَنِ الْحَقِّ».

الشيخ (٢) جعل التفريد عين التجريد وجعله بعده.

والفرق بينهما: أَنَّ التَّجْرِيدَ انْقِطَاعٌ عَنِ الْأَعْيَارِ، وَالتَّفْرِيدُ إِفْرَادُ الْحَقِّ بِالْإِثَارِ، فَالتَّفْرِيدُ مَتَعَلِّقٌ بِالْمَعْبُودِ، وَالتَّجْرِيدُ مَتَعَلِّقٌ بِالْعِبُودِيَّةِ، وَجَعَلَهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ: تَخْلِيصَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِّ، ثُمَّ بِهِ، ثُمَّ عَنْهُ، فَهَاهُنَا أَمْرَانِ:

- أحدهما: تخلص الإشارة.

- والثاني: متعلق الإشارة.

فأما تخلصها: فهو تجريدها مما يمازجها ويخالطها، وأما متعلقها، فثلاثة أمور: الإشارة إلى الحق، وبه، وعنه، فالإشارة إليه غاية، والإشارة به وجود، والإشارة عنه إخبار وتبليغ، فمن خلصت إشارته إلى الحق كان من المخلصين، ومن كانت إشارته به فهو من الصادقين، ومن كانت إشارته عنه فهو من المبلغين، ومن اجتمعت له الثلاثة فهو من الأئمة العارفين.

فالكمال أن تشير إليه به عنه، فتخلص الإشارة إليه هو حقيقة الإخلاص، وتخلص الإشارة به هو حقيقة الصدق، وتخلص الإشارة عنه هو حقيقة المتابعة، وذلك هو محض الصديقية، فمتى اجتمعت هذه الثلاثة في العبد، فقد خلعت عليه خلعة الصديقية، فما كل من أشار إلى الله أشار به، ولا كل من أشار به أشار عنه.

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الذين (٣) كملوا المراتب الثلاثة، فخلصت إشارتهم إلى الله وبه وعنه من كل شائبة، ثم الأمثل فالأمثل على منهاجهم.

(١) إلى هذا الموضوع انتهت نسخة «غ» وما بعده مفقود إلى آخر الكتاب، وهذا المفقود يمثل الخمس الأخير من الجزء الأخير من طبعة الفقي تقريباً.

ومن هذا الموضوع إلى آخر الكتاب تمت المقابلة بين طبعة الفقي ونسخة المنار.

(٢) في «غ» والمنار: (رحمه الله).

(٣) كلمة (الذين): غير موجودة في «غ» والمنار.

وما أكثر ما تشبّه (١) الإشارة إلى الله وبه بالإشارة إلى النفس والإشارة بها، فيشير إلى نفسه بنفسه، ظاناً أنّ إشارته بالله وإلى الله، ولا يميّز بين هذا وهذا إلاّ خواصّ العارفين، الفقهاء في معرفة الطريق والمقصود، وهاهنا انقطع من انقطع واتّصل من اتّصل.

ولا إله إلاّ الله! كم من تنوّع في الإشارة، وبالغ ودقّق، وحقّق، ولم تعد إشارته نفسه، وهو لا يعلم، أشار بنفسه وهو يظنُّ أنّه أشار بربّه، وإنّ فلتات لسانه ورائحة كلامه لتنادي عليه: أنا، وبني، وعنيّ.

فإذا خلصت الإشارة بالله وعن الله من جميع الشوائب؛ كانت متّصلةً بالله، خالصةً له، مقبولةً لديه، راضياً بها، وعلى هذا كان حرص السابّقين الأوّلين، لا على كثرة العمل، ولا على تدقيق الإشارة.

كما قال بعض الصّحابة: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ مِنِّي عَمَلًا وَاحِدًا؛ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ».

وليس هذا على معنى أنّ أعماله كانت لغير الله، أو على غير سنّة رسوله ﷺ، فشأن القوم كان أجلّ من ذلك، ولكن على تخليص الأعمال من شوائب النفوس، ومشاركات الحظوظ، فكانوا يخافون -لكمال علمهم بالله وحقوقه عليهم- أنّ أعمالهم لم تخلص من شوائب حظوظهم، ومشاركات أنفسهم (٢)، بحيث تكون متمحصّة (٣) لله وبالله، ومأخوذة عن الله.

فمن وصل له عملٌ واحدٌ على هذا الوجه؛ وصل إلى الله، والله تعالى شكورٌ، إذا رضي من العبد عملاً من أعماله نجّاه، وأسعده به، وثمّره له، وبارك له فيه، وأوصله به إليه، وأدخله به عليه، ولم يقطعه به عنه، فما أكثر المنقطعين بالإشارة عن المشار إليه، وبالعبادة عن المعبود، وبالمعرفة عن المعروف!

فتكون الإشارات والمعارف قبلة قلبه، وغاية قصده، فيتغذّي بها، ويوجد من الأنس بها والذّوق والوجد ما يسكن قلبه إليه، ويطمئنُّ به، ويظنُّ أنّه الغاية المطلوبة، فيصير قلبه محبوباً عن ربّه وهو لا يشعر، وتصير نفسه راتعةً في رياض العلوم والمعارف واجدةً لها، وهو يظنُّ أنّه قد وصل واتّصل، وعلى منزل الوجود حصل، فهو دقيق الإشارة، لطيف العبارة، ففيه في مسائل السلوك، وبينه وبين الله حجابٌ لم ينكشف عنه.

(١) المنار: (تشبّه).

(٢) في المنار: (نفوسهم).

(٣) في المنار: (متحصّة).

وإنما يرتفع هذا الحجاب بحال التجريد والتفريد، لا بمجرد علم ذلك، فبتفريد المعبود المطلوب المقصود عن غيره، وبتجريد القصد والطلب، والإرادة والمحبة، والخوف والرجاء والإنابة والتوكل عليه^(١) واللجأ إليه عن الحظوظ وإرادات النفس، فينكشف عن القلب حجاب، ويزول عنه ظلامه، ويطلع فيه فجر التوحيد، وتبزغ فيه شمس اليقين، وتستنير له الطريق الغراء، والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها.

فصل

□ قال: «فَأَمَّا تَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ إِلَى الْحَقِّ: فَعَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: تَفْرِيدُ الْقَصْدِ عَطَشًا، ثُمَّ تَفْرِيدُ الْمَحَبَّةِ تَلَقًا، ثُمَّ تَفْرِيدُ الشُّهُودِ اتِّصَالًا».

ذكر في هذه الدرجة ثلاثة أمور: تفريد القصد، والمحبة، والشهود، فالقصد بداية، والشهود نهاية، والمحبة واسطة، فيفرد قصده وحبّه وشهوده، وذلك يتضمّن أفراد مطلوبه ومحجوبه ومشهوده، فيكون فردًا لفرد^(٢)، فلا ينقسم طلبه، ولا حبه، ولا شهوده، ولا ينقسم مطلوبه ومحجوبه ومشهوده، فتفريد الطلب والمحبة والشهود صدق، وتفريد المطلوب والمحجوب والمشهود إخلاص. فالصدق والإخلاص: هو أن تبذل كلك لمحجوبك وحده، ثم تحتقر ما بذلت في جنب ما يستحقّه، ثم لا تنظر إلى ذلك.

وقيد تفريد القصد بالعطش، وتفريد المحبة بالتلف، وتفريد الشهود بالاتصال، والعطش - كما قال: - هو غلبة ولوع بمأمول؟ والتلف: هو المحبة المهلكة، والاتصال: سقوط الأغيار عن درجة الاعتبار، فهذا حكم التفريد في الدرجة الأولى.

□ قال: «وَأَمَّا تَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ بِالْحَقِّ: فَعَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ، تَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ بِالِافْتِخَارِ بَوْحًا، وَتَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ بِالسُّلُوكِ مُطَالَعَةً، وَتَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ بِالْقَبْضِ غَيْرَةً».

ذكر أيضًا في هذه الدرجة ثلاثة أمور: الافتخار، والسلوك، والقبض، فالافتخار نوعان: مذموم، ومحمود، فالمذموم: إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعًا عليهم، وهذا غير مراد، والمحمود: إظهار الأحوال السنية، والمقامات الشريفة، بوحًا بها؛ أي: تصريحًا وإعلانًا، لا على وجه الفخر، بل على

(١) كلمة (عليه): غير موجودة في المنار.

(٢) في المنار: (فرد الفرد).

وجه تعظيم النعمة، والفرح بها، وذكرها، ونشرها، والتحدث بها، والترغيب فيها وغير ذلك من المقاصد في إظهارها.

كما قال النبي ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ» (١).

وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢).

وقال أبو ذر ﷺ: «لَقَدْ أَتَى عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا وَإِنِّي لِثَالِثِ الْإِسْلَامِ» (٣).

وقال علي ﷺ: «إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» (٤).

وقال عمر ﷺ: «وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ» (٥).

وقال علي ﷺ - وأشار إلى صدره: «إِنَّ هَاهُنَا عَلِمًا جَمًّا، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً».

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً» (٦)، وَإِنَّ زَيْدًا لَيَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ».

وقال أيضًا: «مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ؟ وَمَاذَا أُرِيدَ بِهَا؟ وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبَلَّغُهُ الْإِبِلُ لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ» (٧).

وقال بعض الصحابة: «لَأَنَّ تَخْتَلِفَ فِي الْأَسِنَّةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحَدِّثَ نَفْسِي فِي الصَّلَاةِ بِغَيْرِ مَا أَنَا فِيهِ». وهذا أكثر من أن يذكر.

(١) رواه مسلم في «الفضائل»، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨)، وأبو داود في «السنن» (٤٦٧٣) بدون قوله: «ولا فخر».

(٢) رواه البخاري في «فضائل أصحاب النبي»، باب: مناقب سعد بن أبي وقاص (٣٧٢٨)، ورواه مسلم في «الزهد»، باب: في فاتحته (٢٩٦٦).

(٣) الذي قال ذلك هو سعد بن أبي وقاص ﷺ جاء ذلك عند البخاري في «فضائل أصحاب النبي ﷺ»، باب: مناقب سعد بن أبي وقاص (٣٧٢٦)، أما أبو ذر ﷺ فقد روى الطبراني عنه قوله: «لقد رأيتني ربع الإسلام...». جاء ذلك في «مجمع الزوائد» (٣٢٧/٩).

(٤) رواه مسلم في «الإيمان»، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان (٧٨)، والترمذي في «المناقب»، باب: مناقب علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) رواه البخاري في «القبلة»، باب: ما جاء في القبلة (٤٠٢)، ورواه مسلم في «فضائل الصحابة»، باب: من فضائل عمر بن الخطاب ﷺ (٢٣٩٩).

(٦) رواه البخاري في «فضائل القرآن»، باب: القراء من أصحاب رسول الله ﷺ (٥٠٠٠)، (٥٠٠٢)، ورواه مسلم في «فضائل الصحابة»، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ (٢٤٦٢)، (٢٤٦٣).

(٧) انظر الحاشية السابقة.

والصَّادِقُ تختلف عليه الأحوال، فتارةً ييوح بما أولاه ربُّه، ومنَّ به عليه، لا يطيق كتمان ذلك، وتارةً يخفيه ويكتمه، لا يطيق إظهاره، فتارةً يقبض، وتارةً ييسط وينشط، وتارةً يجد لسانًا قائلًا لا يسكت، وتارةً لا يقدر أن ينطق بكلمة، وتارةً تجده ضاحكًا مسرورًا، وتارةً باكيا حزينًا، وتارةً يجد جمعيَّةً لا سبيل للتَّفَرُّقِ عليها، وتارةً تفرقةً لا جمعيَّةَ معها، وتارةً يقول: واطرباه! وأخرى يقول: وا حرباه! (١) بخلاف من هو على لونٍ واحدٍ لا يوجد على غيره، فهذا لونٌ والصَّادِقُ لونٌ.

قوله: «وَتَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ بِالسُّلُوكِ مُطَالَعَةً»؛ أي: تجريد الإشارة إلى المطلوب بالسُّلُوكِ أَطْلَاعًا على حقائقه.

قوله: «وَتَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ بِالْقَبْضِ غَيْرَةً»؛ أي: تخليص الإشارة إلى المطلوب بالقبض غيرةً عليه. والمقصود: أنَّ تارةً يفرد إشارته بما أولاه الحقُّ، لا يكتمه ولا يخفيه، وتارةً يفرد إشارته بحقائق السُّلُوكِ أَطْلَاعًا عليها، وإطالعًا لغيره، وتارةً يشير بالقبض غيرةً وتسترًا، فيشير بالافتخار تارةً، وبالاطلاع تارةً، وبالقبض تارةً.

فافتخاره بالمنعم ونعمه، لا بنفسه وصفته، وإطاعه لغيره: تعليمٌ وإرشادٌ وتبصيرٌ (٢)، وقبضه غيرةً وتسترًا.

وحقيقة الأمر ما ذكرناه: أنَّ الصَّادِقَ بحسب دواعي صدقه وحاله مع الله، وحكم وقته وما أقيم فيه.

فصل

□ قوله: «وَأَمَّا تَفْرِيدُ الْإِشَارَةِ عَنِ الْحَقِّ: فَانْبِسَاطٌ بِبَسْطِ ظَاهِرٍ: يَتَضَمَّنُ قَبْضًا خَالِصًا، لِلْهُدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهِ».

يريد: أنَّ صاحب هذه الإشارة منبسطٌ بسطًا ظاهرًا، مع أنَّ باطنه مجموعٌ على الله، وهو القبض الخالص الذي أشار إليه، فهو في باطنه مقبوضٌ لما هو فيه من جمعيَّة على الله، وفي ظاهره مبسوطٌ مع الخلق بسطًا ظاهرًا لقوته، قصدًا لهدايتهم إلى الحقِّ سبحانه، ودعوتهم إليه.

وحاصل الأمر: أنَّه مبسوطٌ بظاهره لدعوة الخلق إلى الله، ومقبوضٌ بباطنه عمدًا سوى الله، فظاهره منبسطٌ مع الخلق، وباطنه منقبضٌ عنهم، لقوة تعلقه بالله واشتغاله به عنهم، فهو كائنٌ بائنٌ،

(١) في المنار: (وا حزناه).

(٢) في المنار: (تبصر).

داخل خارج، متصل منفصل، قال الله تعالى: ﴿وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿﴾ [التقصص: ٨٧ - ٨٨] فأمره بتجريد الدعوة إليه، وتجريد عبوديته وحده، وهذان هما أصلا الدين، وعليهما مداره، وبالله التوفيق.

فصل

□ قال: «(بَابُ الْجَمْعِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].»

قلت: اعتقد جماعة أن المراد بالآية: سلب فعل الرسول ﷺ عنه، وإضافته إلى الرب تعالى، وجعلوا ذلك أصلاً في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده، وهذا غلط منهم في فهم القرآن، فلو صحَّ ذلك لوجب طرده في جميع الأعمال، فيقال: ما صليت إذ صليت، وما صمت إذ صمت، وما ضحيت إذ ضحيت، ولا فعلت كلَّ فعل إذ فعلته، ولكنَّ الله فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في جميع أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم؛ إذ لا فرق، فإن خصَّوه بالرسول ﷺ وحده وأفعاله جميعها، أو رمية وحده؛ تناقضوا، فهو لاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية.

وبعد: فهذه الآية نزلت في شأن رمية ﷺ المشركين يوم بدرٍ بقبضةٍ من الحصباء، فلم تدع وجه أحدٍ منهم إلا أصابته (١)، ومعلومٌ أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه ﷺ مبدأ الرمي، وهو الحذف، ومن الله ﷺ نهايته، وهو الإيصال، فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته.

ونظير هذا: قوله في الآية نفسها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فأخبره أنه وحده هو الذي تفرَّد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرَّد بإيصال الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله.

ولكن وجه الإشارة بالآية: أنه سبحانه أقام أسباباً ظاهرة، كدفع المشركين، وتولي دفعهم، وإهلاكهم بأسبابٍ باطنةٍ غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافاً إليه وبه، وهو خير الناصرين.

(١) رواه ابن هشام في «سيرته» من طريق ابن إسحاق (١/ ٦٢٨)، وانظر: «السيرة» لابن كثير (٢/ ٤٣٣).

□ قال: «الْجَمْعُ: مَا أَسْقَطَ التَّفْرِقَةَ، وَقَطَعَ الْإِشَارَةَ، وَشَخَّصَ عَنِ الْمَاءِ وَالطِّينِ، بَعْدَ صِحَّةِ التَّمْكِينِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ التَّلْوِينِ، وَالْخَلَاصِ مِنْ شُهُودِ التَّنْوِيَّةِ، وَالتَّنَائِفِ مِنْ إِحْسَاسِ الْإِعْتِلَالِ، وَالتَّنَائِفِ مِنْ شُهُودِ شُهُودِهَا، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: جَمْعُ عِلْمٍ، ثُمَّ جَمْعُ وُجُودٍ، ثُمَّ جَمْعُ عَيْنٍ».

قوله: «الْجَمْعُ: مَا أَسْقَطَ التَّفْرِقَةَ» هذا حدٌ غير محصّل للفرق بين ما يحمد وما يذم من الجمع والتفرقة، فإن الجمع ينقسم إلى صحيح وباطل، والتفرقة تنقسم إلى محمود ومذموم، وكل منهما لا يحمد مطلقاً، ولا يذم مطلقاً.

فيراد بالجمع: جمع الوجود، وهو جمع الملاحظة القائلين بوحدة الوجود.

ويريدون بالتفرقة: الفرق بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق.

وأصحابه يقولون: الجمع ما أسقط هذه التفرقة، ويقولون عن أنفسهم: إنهم أصحاب جمع الوجود؛ ولهذا صرح بما ذكرنا محققو الملاحظة، فقالوا: التفرقة اعتبار الفرق بين وجود ووجود، فإذا زال الفرق في نظر المحقق حصل له حقيقة الجمع.

ويراد بالجمع: الجمع بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده.

وبالتفرقة: تفرقة الهمة والإرادة.

وهذا هو الجمع الصحيح، والتفرقة المذمومة، فحدُّ الجمع الصحيح ما أزال هذه التفرقة، وأمّا جمعٌ يزيل التفرقة بين الرّبِّ والعبد، والخالق والمخلوق، والقديم والمحدث فأبطل الباطل، وتلك التفرقة هي الحق، وأهل هذه التفرقة هم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، كما أن أهل ذلك الجمع هم أهل الإلحاد والكفر والوثنية^(١).

ويراد بالجمع: جمع الشهود، وبالتفرقة: ما ينافي ذلك، فإذا زال الفرق في نظر المشاهد، وهو مثبت للفرق؛ كان ذلك جمعاً في شهوده خاصّةً، مع تحقّقه بالفرق.

فإذا عرف هذا؛ فالجمع الصحيح: ما أسقط التفرقة الطبيعيّة النفسية، وهي التفرقة المذمومة، وأمّا التفرقة الأمرية الشرعية بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه؛ فلا يحمد جمعٌ أسقطها، بل يذم كلّ الذم، وبمثل هذه المجملات دخل على أصحاب السلوك والإرادة ما دخل.

قوله: «وَقَطَعَ الْإِشَارَةَ» هو من جنس قوله: «مَا أَسْقَطَ التَّفْرِقَةَ».

قال أهل الإلحاد: لما كانت الإشارة نسبةً بين شيئين مشير، ومشارٍ إليه كانت مستلزماً للتنوئية،

(١) كلمة (الوثنية): غير موجودة في المنار.

فإذا جاءت الوحدة جمعياً، وذهبت الثنوية؛ انقطعت الإشارة.

وقال أهل التوحيد: إنّما تنقطع الإشارة عند كمال الجمعية على الله، فلا يبقى في صاحب هذه الجمعية موضع للإشارة؛ لأنّ جمعيتها على المطلوب المراد غيبته عن الإشارة إليه، وأيضاً فإنّ جمعيتها أفتت عن نفسه وإشارته، ففي مقام الفناء تنقطع الإشارة؛ لأنّها من أحكام البشرية.

قوله: «وَشَخَّصَ عَنِ الْمَاءِ وَالطِّينِ»، هذا يحتمل معنيين:

- أحدهما: أن يريد بالماء والطين بني آدم، ونفسه من جملتهم؛ أي: شخص عن النظر إلى الناس والالتفات إليهم، وتعلّق القلب بهم بالكلية، وخصّهم بالذكر؛ لأنّ أكثر العلائق وأصعبها وأشدّها قطعاً لصاحبها هي علائقهم، فإذا شخص قلبه عنهم بالكلية، فعن غيرهم ممّن هو أبعد إليه منهم أولى وأحرى.

وفي ذكر الماء والطين تقريراً لهذا الشخوص عنهم، وتنبية على تعينه ووجوبه؛ فإنّ المخلوق من الماء والطين بشرٌ ضعيفٌ، لا يملك لنفسه ولا لمن تعلّق به جلب منفعة، ولا دفع مضرة، فإنّ الماء والطين منفعلٌ لا فاعلٌ، وعاجزٌ مهينٌ لا قويٌّ متينٌ، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَفْهِمُ أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصفات: ١١] وأخبر أنّه خلقنا ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ (١) [السجدة: ٨] فحقيقٌ بابن الماء والطين أن يشخص عنه القلب لا إليه، وأن يعوّل على خالقه وحده لا عليه، وأن يجعل رغبته كلّها فيه وفيما لديه.

- والمعنى الثاني الذي يحتمله كلامه: أن يشخص عن أحكام الطبيعة السفلية الناشئة من الماء والطين، وعن متعلقاتها إلى أحكام الأرواح العلوية.

ولمّا كان (٢) الله ﷻ بحكمته وعجيب صنعه قد جعل الإنسان مركّباً من جوهرين: جوهرٍ طبيعيٍّ كثيفٍ، وهو الجسم، وجوهرٍ روحانيٍّ لطيفٍ، وهو الرّوح، ومن شأن كلّ شكل أن يميل إلى شكله، ومن طبع كلّ مثل أن ينجذب إلى مثله؛ صار الإنسان ينجذب إلى العالم الطبيعيّ، بما فيه من الكثافة، وإلى العالم الرّوحانيّ بما فيه من اللطافة، فصار (٣) في الإنسان قوتان متضادّتان إحداهما: تجذبه سفلاً، والثانية تجذبه علوّاً، فمن شخص عن طبيعة الماء والطين إلى محلّ الأرواح العلوية، التي ليست من هذا العالم السفليّ كان من أهل هذا الجمع المحمود، الذي جمعه من متفرّقات النّفس والطّبع.

(١) المنار: (وأخبر أن خلقنا من ماء مهين).

(٢) جملة (لما كان): (غير موجودة في المنار).

(٣) في المنار: (فصارت).

قوله: «بَعْدَ صِحَّةِ التَّمَكِينِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ التَّلْوِينِ، وَالْخَلَاصِ مِنْ شُهُودِ الشَّنَوِيَّةِ».

معناه: أن العبد لا يمكنه أن يشخص عن الماء والطين إلا بعد صحّة تمكّنه في المعرفة، وبراءته من التلّوين، فشرط الشّيخ حصول التّمكين له، وانتفاء التّلوين عنه، وخلاصه من شهود الشّنويّة. فالتّلوين: تلوّنه لإجابة دواعي الطّبع والنّفس.

وشهود الشّنويّة: عبارةٌ مجمّلةٌ محتملةٌ، وقد حملها الملحد على أنه يشهد عبداً وربّاً، وقديماً وحديثاً، وخالقاً ومخلوقاً، والتّوحيد المحض: أن يتخلّص من ذلك بشهوده وحدة الوجود، ومتى شهد تعدّد الوجود كان ثنويّاً عند الملاحظة.

وأما الموحّدون: فالثنويّة التي يجب التخلّص منها: أن يتخذ إلهين اثنين، فيشهد مع الله إلهاً آخر، وأما كونه يشهد^(١) مع الله موجوداً غيره، هو موجد وخالقه وفاطره فليس بثنويّة، بل هو^(٢) توحيد خالص، ولا يتم له التّوحيد إلا بهذا الشّهود ليصحّ له نفي الإلهيّة عنه، وإلا فكيف ينفي الإلهيّة عمّا لا يشهده ويشهد نفيها عنه؟!

والمقصود: أن صاحب الجمع إذا شهد ربّاً وعبداً، وخالقاً ومخلوقاً، وأمراً وفاعلاً منفذاً، ومحركاً ومتحرّكاً، وولياً وعدواً؛ كان ذلك موجب عقد التّوحيد.

وصحّة التّمكين: هي حفظ الأصل الذي هو بقاء شهود الرّسوم في مرتبتها.

وكأنّه^(٣) نبّه بذلك على الاحتراز من القوم الذي تخطفهم لوائح شهود الجمع، وتمكّنهم ضعيفٌ، فينكرون صور الخلق، حتّى يقول أحدهم: «أنا نورٌ من نورِ ربّي»، لما يغلب على أحدهم من شهود الجمع، وعدم تمكّنه في البقاء، وهذا قد يعرض للصّادق أحياناً، فيعلم أنّه غلطٌ، فيرجع إلى الأصل، ويحكّم العلم على الحال، فإذا صحا علم أنّه غلطٌ مخطئٌ.

وفي مثل هذه الحال قال أبو يزيد: «سُبْحَانِي»، «وَمَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ»، ونحو ذلك، فأخذ قومٌ هذه الشّطحات فجعلوها غايةً يجرون إليها، ويعملون عليها، فالشّيخ شرط: أنّه لا يثبت شهود الجمع إلا لمن تمكّن في شهود طور البقاء.

قوله: «والتّنافي من الإحساس بالاعتلال».

الاعتلال عندهم: هو التّفرقة في الأسباب، والوقوف مع الرّبط الواقع بين المسبّبات وأسبابها، وذلك عقدٌ لا يحلّه إلا شهود الجمع، ولا يخفى ما في هذه العبارة من العجم والتّعقيد.

(١) في المنار: (شهد).

(٢) كلمة (هو): غير موجودة في المنار.

(٣) في «ع»: (رحمه الله).

وكذلك قوله: «والتَّنَافِي مِنْ شُهُودِ شُهُودِهَا».

ومراده: أن يتنافى عنه شهود هذه الأشياء التي ذكرها كلها، وأن يفنى عن هذا الشهود، فإنه إن لم يفن عنها كلها، وعن شهود فنائه، وإلا فهو معها؛ لأنه يحسُّ بها، ولا يقع الإحساس إلا بما هو موجودٌ عند صاحب الإحساس، فإذا غاب عن شهودها ثمَّ عن شهود الشهود؛ فقد استقرَّ قدمه في حضرة الجمع.

وقد تقدّم غير مرّة أن هذا ليس بكمالٍ، ولا مقصودٍ في نفسه، ولا يعطي كمالاً، ولا فيه معرفةٌ، ولا عبوديّةٌ، ولا دعت إليه الرُّسلُ ألبتّة، ولا أشار إليه القرآن، ولا وصفه أهل الطّريق المتقدّمون، وغايته أن يشبّه صاحبه بالغائب عن عقله وحسّه وإدراكه، وغايته: أن يكون عارضاً من عوارض الطّريق ليس بلازم، فضلاً عن أن يكون غايةً.

ولمّا جعله من جعله غايةً مطلوبةً، يشمّر إليها السّالكون دخل بسبب ذلك من الفساد على من شمّر إليه ما يعلمه الرّاسخون في العلم من أئمة هذا الشّان، والله المستعان، والعبوديّة المطلوبة من العبد بمعزلٍ عن ذلك، وبالله التّوفيق.

□ قوله: «وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: جَمْعُ عِلْمٍ، ثُمَّ جَمْعُ وُجُودٍ، ثُمَّ جَمْعُ عَيْنٍ.

فَأَمَّا جَمْعُ الْعِلْمِ: فَهُوَ تَلَاثِي عُلُومِ الشَّوَاهِدِ فِي الْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ صِرْفًا.

وَأَمَّا جَمْعُ الْوُجُودِ: فَهُوَ تَلَاثِي نَهَايَةِ الْإِتِّصَالِ فِي عَيْنِ الْوُجُودِ مَحَقًّا.

وَأَمَّا جَمْعُ الْعَيْنِ: فَهُوَ تَلَاثِي كُلِّ مَا تُقْلَهُ الْإِشَارَةُ فِي ذَاتِ الْحَقِّ حَقًّا».

علوم الشّواهد: هي ما حصلت من الاستدلال بالأثر على المؤثر، وبالمصنوع على الصّانع، فالمصنوعات شواهد وأدلةٌ وآثارٌ، وعلوم الشّواهد: هي المستندة إلى الشّواهد الحاصلة عنها.

والعلم اللدنيّ: هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سببٍ من العبد، ولا استدلالٍ؛ ولهذا سمّي لدنيّاً، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [الكهف: ٦٥]. والله تعالى هو الذي علّم العباد ما لا يعلمون، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿٥٥﴾ [العلق: ٥٥].

ولكنّ هذا العلم أخصّ من غيره، ولذلك أضافه إليه سبحانه، كيبته وناقته وبلده وعبده، ونحو ذلك، فتضمحلّ العلوم المستندة إلى الأدلّة والشّواهد في العلم اللدنيّ، الحاصل بلا سببٍ ولا استدلالٍ، هذا مضمون كلامه.

ونحن نقول: إنّ العلم الحاصل بالشّواهد والأدلّة هو العلم الحقيقيّ، وأمّا ما يدعى حصوله بغير شاهدٍ ولا دليلٍ فلا وثوق به، وليس بعلمٍ، نعم قد يقوى العلم الحاصل بالشّواهد ويتزايد، بحيث يصير المعلوم كالمشهود، والغائب كالمعائن، وعلم اليقين كعين اليقين، فيكون الأمر شعوراً أوّلاً، ثمَّ

تجويزًا، ثم ظنًا، ثم علمًا، ثم معرفةً، ثم علم يقين، ثم حق يقين، ثم عين يقين^(١)، ثم تضمحل كل مرتبة في التي فوقها، بحيث يصير الحكم لها دونها، فهذا حق.

وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال: فليس بصحيح، فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدلُّه عليه، وقد أيد الله سبحانه رسله بأنواع الأدلة والبراهين التي دلَّتهم على أن ما جاءهم هو من عند الله^(٢)، ودلَّت أممهم على ذلك، وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين على أن ما جاءهم هو من عند الله، وكانت براهينهم أدلة وشواهد لهم وللأمم، فالأدلة والشواهد التي كانت لهم، ومعهم أعظم الشواهد والأدلة، والله تعالى شهد بتصديقهم بما أقام عليه من الشواهد، فكل علم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علمًا، فضلًا عن أن يكون لدنياً.

فالعلم اللدني: ما قام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله على لسان رسله، وما عداه فلدني من لدن نفس الإنسان، منه بدأ وإليه يعود.

وقد انبثق سد العلم اللدني، ورخص سعره، حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدني، وصار من تكلم في حقائق الإيمان والسلوك وباب الأسماء والصفات بما يسنح له، ويلقيه شيطانه في قلبه يزعم أن علمه لدني، فملاحدة الاتحادية، وزنادقة المتسمين إلى السلوك يقولون: إن علمهم لدني. وقد صنّف في العلم اللدني متهوكو المتكلمين، وزنادقة المتصوفين، وجهلة المتفلسفين، وكل يزعم أن علمه لدني.

وصدقوا وكذبوا فإن اللدني منسوب إلى «اللدن» بمعنى عند، فكأنهم قالوا: العلم العندي، ولكن الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لدنه، وقد ذم الله تعالى بأبلغ الذم من ينسب إليه ما ليس من عنده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿قَوْلِ الَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فكل من قال: هذا العلم من عند الله وهو كاذب في هذه النسبة فله نصيب وافر من هذا الذم،

(١) هكذا في ط. المنار، والفقهي: (علم يقين ثم حق يقين ثم عين يقين).

والصحيح: ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة اليقين أنه على ثلاث درجات الأولى: علم اليقين، وفوقها: عين اليقين، وفوقها حق اليقين.

(٢) في المنار: هو من عنده.

وهذا في القرآن كثير، يذمُّ الله سبحانه (١) من أضاف إليه ما لا علم له به، ومن قال عليه ما لا يعلم، ولهذا رتَّب سبحانه المحرَّمات أربع مراتب، وجعل أشدَّها: القول عليه بلا علم، فجعله آخر مراتب المحرَّمات التي لا تباح بحال، بل هي محرَّمة في كلِّ ملَّة، وعلى لسان كلِّ رسولٍ، فالقائل: إنَّ هذا علمٌ لدنِّي، لما لا يعلم أنَّه من عند الله، ولا قام عليه برهانٌ من الله أنَّه من عنده كاذبٌ مفترٍ على الله، وهو من أظلم الظَّالمين، وأكذب الكاذبين.

قوله: «وَأَمَّا جَمْعُ الْوُجُودِ: فَهُوَ تَلَاشِي نَهَايَةِ الْإِتِّصَالِ فِي عَيْنِ الْوُجُودِ مَحَقًّا».

تلاشي نهاية الاتِّصال: هو فناء العبد في الشُّهود.

ونهاية الاتِّصال: هو ما ذكره في الدَّرَجَة الثَّالِثَة من باب الاتِّصال: «أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ مِنْهُ نَعْتٌ وَلَا مِقْدَارٌ إِلَّا اسْمٌ مُعَارٍ، وَلَمَحٌّ إِلَيْهِ مُشَارٌ».

فحقيقة الجمع في هذه الدَّرَجَة: تلاشي ذلك في عين الوجود؛ أي: في حقيقته، ويريد بالوجود: ما أشار إليه في الدَّرَجَة الثَّانِيَة من باب الوجود، وهو قوله: «وُجُودُ الْحَقِّ: وَجُودُ عَيْنٍ، مُنْقَطِعًا عَنِ مَسَاغِ الْإِشَارَةِ، فَتَضْمَحَلُّ نَهَايَةُ الْإِتِّصَالِ فِي هَذَا الْوُجُودِ مَحَقًّا»؛ أي: ذوبانًا وفناءً.

□ قوله: «وَأَمَّا جَمْعُ الْعَيْنِ: فَهُوَ تَلَاشِي كُلِّ مَا تُقْلُهُ الْإِشَارَةُ فِي ذَاتِ الْحَقِّ حَقًّا».

«تُقْلُهُ الْإِشَارَةُ»؛ أي: تحمله وتقوم به، والإشارة تارة تكون باليد والرأس فتكون إيماءً، وتارة تكون بالعين فتكون رمزًا، وتارة تكون باللفظ فيسمَّى تعريضًا، وتارة تكون بالذهن والعقل، فتضمحلُّ كلُّ هذه الأنواع، وتبطل عند شهود العين في حضرة الجمع، وظهور جلال الذَّاتِ المقدَّسة، والذَّات: هي الحاملة للصفات والأفعال.

فعرفت من هذا: أنَّه في الدَّرَجَة الأولى يغيب عن جميع العلوم المتعلقة بالأدلة والشواهد بالعلم اللدني، وفي الدَّرَجَة الثَّانِيَة، يغيب عن اتِّصاله وشهود اتِّصاله بالوجود، فإنَّ الوجود فوق الاتِّصال كما تقدَّم، وهذا كما يغيب الواجد الذي قد ظفر بموجوده عن شهود وصوله إليه واتِّصاله به، فتغيب عين وجوده عن شهود نفسه وصفاتها، وفي الدَّرَجَة الثَّالِثَة، يضمحلُّ كلُّ ما تحمله الإشارة - إلى ذاتٍ، أو إلى صفةٍ، أو حالٍ، أو مقامٍ - في ذات الحقِّ سبحانه، فلا يبقى هناك ما يشار إليه سواه.

□ قوله: «وَالْجَمْعُ: غَايَةُ مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ، وَهُوَ طَرْفُ بَحْرِ التَّوْحِيدِ».

وجه ذلك: أنَّ السَّالِك ما دام في سلوكه فهو في تفرقة الاستدلال، وطلب الشواهد، فإذا وصل إلى مقام المعرفة، وصار همُّه همًّا واحدًا - لله، وفي الله، وباللَّهِ - ينزل في منزلة الجمع ويشمِّر لركوب

(١) جملة (الله سبحانه): غير موجودة في المنار.

بحر التوحيد الذي يتلاشى فيه كل ما سوى الواحد القهار، فالجمع عنده نهاية سفر السالكين إلى الله. وهذا موضع غير مسلم له على إطلاقه، وإنما غاية مقام السالكين التوبة التي هي بدايات منازلهم.

ولعل سمعك ينفر من هذا غاية النفور، وتقول: هذا كلام من لم يعرف شيئاً من طريق القوم، ولا نزل في منازل الطريق، ولعمر الله إن كثيراً من الناس ليوافقك على هذا، ويقول: أين كنا؟ وأين صرنا؟ نحن قد قطعنا منزلة التوبة وبيننا وبينها مائة مقام، فنرجع من مائة مقام إليها، ونجعلها غاية مقام السالكين؟

فاسمع الآن وعه، ولا تعجل بالإنكار، ولا تبادر بالرد، وافتح ذهنك لمعرفة نفسك، وحقوق ربك، وما ينبغي له منك، وما له من الحق عليك، ثم انسب أعمالك وأحوالك وتلك المنازل التي نزلتها والمقامات التي قمت فيها - الله وبالله - إلى عظيم جلاله، وما يستحقه وما هو له أهل، فإن رأيته وافيةً بذلك مكافئةً له فلا حاجة حينئذٍ إلى التوبة، والرُّجوع إليها رجوعاً عن المقامات العلية، وانحطاطاً من علو إلى سفلى، ورجوعاً من غاية إلى بداية، وما ذلك ببعيد من كثير من المتسبين إلى هذا الشأن، المغرورين بأحوالهم ومعارفهم وإشاراتهم، وإن رأيت أن أضعافاً أضعافاً ما قمت به - من صدق وإخلاص، وإنابة، وتوكل، وزهد وعبادة - لا يفي^(١) بأيسر حق له عليك، ولا يكافئ نعمة من نعمه عندك، وأن ما يستحقه لجلاله وعظمته أعظم وأجل وأكبر مما يقوم به الخلق.

فاعلم الآن: أن التوبة نهاية كل عارف، وغاية كل سالك، وكما أنها بداية فهي نهاية، والحاجة إليها في النهاية أشد من الحاجة إليها في البداية، بل هي في النهاية في محل الضرورة.

فاسمع الآن ما خاطب الله به رسوله في آخر الأمر عند النهاية، وكيف كان رسول الله ﷺ في آخر حياته أشد ما كان استغفاراً وأكثره، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] وهذا أنزله الله سبحانه بعد غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات التي غزاها ﷺ بنفسه، فجعل الله سبحانه التوبة عليهم شكراناً لما تقدم من تلك الأعمال، وذلك الجهاد.

وقال تعالى في آخر ما أنزل على رسوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [١] وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر: ١-٣].

وفي الصحيح: أنه ﷺ ما صلى صلاةً بعدما نزلت عليه هذه السورة إلا قال فيها: «سُبْحَانَكَ

(١) في المنار: لا تفي.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١)؛ وذلك في نهاية أمره صلوات الله وسلامه عليه. ولهذا فهم منها علماء الصحابة - كعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما -: أنه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلمه الله إياه، فأمره سبحانه بالاستغفار في نهاية أحواله، وآخر أمره، على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم مقامًا وحالًا.

وآخر ما سمع من كلامه عند قدومه على ربّه: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَالْحَقِيقِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(٢). وكان صلى الله عليه وسلم يختم كل عمل صالح بالاستغفار، كالصوم، والصلاة، والحج، والجهاد؛ فإنه كان إذا فرغ منه، وأشرف على المدينة، قال: «أَيُّبُونَ، تَأَيُّبُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(٣). وشرع أن يختم المجلس بالاستغفار^(٤)، وإن كان مجلس خير وطاعة. وشرع أن يختم العبد عمل يومه بالاستغفار، فيقول عند النوم: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»^(٥). وأن ينام على سيّد الاستغفار^(٦).

والعارف بالله وأسمائه وصفاته وحقوقه يعلم أن العبد أحوج ما يكون إلى التوبة في نهايته، وأنه أحوج إلى التوبة من الفناء والاتصال، وجمع الشواهد، وجمع الوجود، وجمع العين، وكيف يكون ذلك أعلى مقامات السالكين، وغاية مطلب المقربين، ولم يأت له ذكر في القرآن، ولا في السنة، ولا يعرفه إلا النادر من الناس، ولا يتصوره أكثرهم إلا بصعوبة ومشقة، ولو سمعه أكثر الخلق لما فهموه، ولا عرفوا المراد منه إلا بترجمة! فأين في كتاب الله، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو كلام الصحابة - الذين نسبة معارف من بعدهم إلى معارفهم كنسبة فضلهم ودينهم وجهادهم إليهم - ما يدل على ذلك، أو يشير إليه؟! فصار المتأخرون - أرباب هذه الاصطلاحات الحادثة بالألفاظ المجملة، والمعاني المتشابهة -: أعرف بمقامات السالكين ومنازل السائرين، وغاياتها من أعلم الخلق بالله بعد رسوله! هذا من أعظم الباطل.

(١) تقدم تخريجه (١/١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في «المغازي»، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته برقم (٤٤٤٠)، بدون قوله «اللهم اغفر لي»، مسلم في «السلام»، باب: استحباب رقية المريض (٢٤٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الجهاد»، باب: ما يقول إذا رجع من الغزو برقم (١٧٩٧)، ومسلم في «الحج»، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (١٣٤٢).

(٤) كما جاء عند أبي داود في الأدب، باب: في كفارة المجلس (٤٨٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٦٨)، وراه أحمد (٤/٤٢٠، ٤٢٥).

(٥) أخرجه الترمذي في «الدعوات»، باب: عند النوم، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٧٤)، وراه أحمد (١٠/٣).

(٦) تقدم تخريجه (١/١٥٠).

وهؤلاء في باب الإرادة والطلب والسلوك نظير أرباب الكلام من المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم في باب العلم والخبر عن الله وأسمائه وصفاته، فالطائفتان - بل وكثير من المصنِّفين في الفقه - من المتكلمين أشدَّ التكلُّف، وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) [ص: ٨٦].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَبْرَهُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَبَهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، فَأَعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَيَّ الْهُدَى الْمُسْتَقِيمَ». فلا تجد هذا التكلُّف الشديد والتعقيد في الألفاظ والمعاني عند الصحابة أصلًا.

وإنما يوجد عند من عدل عن طريقهم، وإذا تأمله العارف وجده كلحم جمل غث، على رأس جبل وعري، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فيثقل^(١)، فيطول عليك الطريق، ويوسع لك العبارة، ويأتي بكل لفظ غريب ومعنى أغرب من اللفظ، فإذا وصلت لم تجد معك حاصلًا طائلاً، ولكن تسمع جعجعة ولا ترى طحناً، فالمتكلمون في جعاجع الجواهر والأعراض والأكوان والألوان، والجواهر الفرد، والأحوال والحركة والسكون، والوجود والماهية والانحياز، والجهات والنسب والإضافات، والغيرين والخلافيين، والضدين والتقيضين، والتماثل والاختلاف، والعرض هل يبقى زمانين؟ وما هو الزمان والمكان؟ ويموت أحدهم ولم يعرف الزمان والمكان، ويعترف بأنه لم يعرف الوجود: هل هو ماهية الشيء، أو زائدٌ عليها؟ ويعترف أنه شكٌّ في وجود الربِّ: هل هو وجودٌ محض، أو وجودٌ مقارنٌ للماهية؟ ويقول: الحقُّ عندي الوقف في هذه المسألة.

ويقول أفضلهم - عند نفسه - عند الموت: أخرج من الدنيا وما عرفت إلا مسألة واحدة، وهي أن الممكن يفتقر إلى واجب، ثم قال: الافتقار أمرٌ عديمي، فأموت ولم أعرف شيئاً، وهذا أكثر من أن يذكر.

كما قال بعض السلف: «أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَرْبَابُ الْكَلَامِ». وآخرون أعظم تكلفاً من هؤلاء، وأبعد شيء عن العلم النافع، وهم أرباب الهيولى والصورة والأصطقصات^(٢)، والأركان والعلل الأربعة، والجواهر العقلية، والمفارقات، والمجردات،

(١) جزء من حديث أم زرع المشهور، وقد رواه البخاري في «النكاح»، باب: في حسن العشرة مع الأهل (٥١٨٩).
(٢) هذه المصطلحات هي من المكصطلحات أهل منطق اليونان؛ والأصطقصات: ضببت بعدة طرق أشهرها الأسطقسات وهي معربة عن لفظ يوناني بمعنى الأصل، وهي العناصر الأربعة: - الماء، والتراب، والهواء، والنار، وهي عندهم أصول المركبات الموجودة. انظر: «التعريفات» للجرحاني (ص ٣٩).

والمقولات العشر، والكليات الخمس، والمختلطات والموجّهات، والقضايا المسوّرات، والقضايا المهملات، فهم أعظم الطوائف تكلفًا، وأقلهم تحصيلًا للعلم النافع والعمل الصالح. وكذلك المتكلفون من أصحاب الإرادة والسُّلوك، وأرباب الحال والمقام، والوقت والمكان، والبادي والباذه، والوارد والخاطر، والواقع والقادح والألامع، والغيبة والحضور، والمحقّ والحقّ، والشكر، واللوائح والطّوالع، والعطش والدّهش، والتلبّيس، والتّمكين والتّلوين، والاسم والرّسم، والجمع وجمع الجمع، وجمع الشّواهد وجمع الوجود، والأثر، والكون، والبون، والاتّصال والانفصال، والمسامرة والمشاهدة، والمعاناة، والتّجلي، والتّخلي، وأنا بلا أنا، وأنت بلا أنت، ونحن بلا نحن، وهو بلا هو، وكلُّ ذلك أدنى إشارة إلى تكلف هؤلاء الطوائف وتنطّعهم، وكذلك كثير من المتسبين إلى الفقه لهم مثل هذا التّكلف وأعظم منه.

فكلُّ هؤلاء محجوبون بما لديهم، موقوفون على ما عندهم، خاضوا - بزعمهم - بحار العلم وما ابتلت أقدامهم، وكذّوا أفكارهم وأذهانهم وخواطرم وما استنارت بالعلم الموروث عن الرّسل قلوبهم وأفهامهم، فرحين بما عندهم من العلوم راضين بما قيّدوا به من الرّسوم، فهم في وادٍ ورسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم في وادٍ، والله يعلم أنّا لم نتجاوز فيهم القول، بل قصّرنا فيما ينبغي لنا أن نقوله، فذكرنا غيضًا من فيض، وقليلًا من كثير (١).

وهؤلاء كلهم داخلون تحت الرّأي الذي اتّفق السلف على ذمّه وذمّ أهله. فهم أهل الرّأي حقًا الذين قال فيهم عمر بن الخطّاب رضوان الله عليهم: «إيّاكم وأصحاب الرّأي، فإنّهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقَالُوا بِالرّأي فَضَلُّوا وَأَصَلُّوا» (٢). وقال أيضًا: «أصحاب الرّأي أعداء السنن، أعيتهم أن يعوها، وتفلّنت عليهم أن يزووها، فاشتغلوا عنها بالرّأي» (٣).

وقال أبو بكر الصّدّيق رضوان الله عليه: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم!» (٤).

وقال عمر رضوان الله عليه: «يا أيّها النّاس، إن الرّأي كان من رسول الله ﷺ مُصِيبًا؛ لأنّ الله عزّ وجلّ كان يرّيه، وإنّما هو منّا الظنّ والتّكلف» (٥).

(١) رحم الإمام الرباني ابن القيم فلقّد أجاد وأفاد في وصف القوم، ويا ليت أن هذا الكلام النفيس كان في أول الكتاب.

(٢) انظر: «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/٩٠). نشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة. ت: الوكيل.

(٣) المصدر السابق: (١/٩٠).

(٤) المصدر السابق: (١/٨٩).

(٥) المصدر السابق: (١/٩٠).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ أَحَدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَدْرِ» (١) مَا هُوَ عَلَى مَا هُوَ مِنْهُ إِذَا لَقِيَ اللَّهَ ﻋِزَّ وَجَلَّ».

وقال عمر رضي الله عنه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى الدِّينِ، فَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِي، أَجْتَهَدُ، وَاللَّهِ مَا أَلُو ذَلِكَ يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَالكِتَابِ يَكْتُبُ، فَقَالُوا: تَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَرَضِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَيْتُ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُ، تَرَانِي قَدْ رَضَيْتُ وَتَأْبَى؟» (٢).

وقال رضي الله عنه في الحديث الذي روَّيناه من طريق مسددٍ حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريح أخبرني سليمان بن عتيق عن طلق بن حبيب عن الأحنف بن قيس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ!» (٣).

فإن لم تكن هذه الألفاظ والمعاني التي نجدناها في كثيرٍ من كلام هؤلاء تنطعاً فليس للتنطع حقيقةً، والله ﷻ أعلم.

فصل

فإن لم يسمح قلبك بكون التوبة غاية مقامات السالكين، ولم تصغ إلى شيء مما ذكرنا، وأبيت إلا أن يكون تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود محققاً، وتلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفاً، وجمع الوجود وجمع العين هو نهاية مقامات السالكين إلى الله، بحيث يدخل في ذلك كل سالكٍ.

فاعلم أن هذا الجمع المذكور بمجرد لا يعطي عبوديةً ولا إيماناً، فضلاً عن أن يكون غاية كل نبيٍّ ووليٍّ وعارفٍ، فإن هذا الجمع يحصل للصدِّيق والزنديق، وللملاحدة والاتحادية منه حظٌّ كبيرٌ، وحوله يدندنون، وهو عندهم نهاية التحقيق.

فأين تحقيق العبودية، والقيام بأعبائها، واحتمال فرائضها وسننها وأدائها، والجهاد لأعداء الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمل الأذى في الله في هذا الجمع؟!!

وأين معرفة الأسماء والصفات فيه مفصلاً؟!!

وأين معرفة ما يحبه الربُّ تعالى ويكرهه مفصلاً؟!!

(١) في حاشية المنار: (لم يدر)؛ ولعلها هي الصواب. وانظر: «أعلام الموقعين» (١/٩٤).

(٢) انظر: البخاري في «الجزية والموادعة» باب (١٨) (٣٨١)، ومسلم في «الجهاد والسير»، باب: صلح الحديبية (١٧٨٥).

(٣) تقدم تخريجه (٣/٢٠٨).

وأين معرفة خير الخيرين وشرِّ الشَّرِّين فيه؟!

وأين العلم بمراتب العبودية ومنازلها فيه؟!

فالحقُّ: أنَّ نهاية السَّالِكين تكميل مرتبة العبودية صرفاً، وهذا ممَّا لا سبيل إليه لبني الطَّبيعة، وإنَّما خُصَّ بذلك الخليان عليهما الصَّلَاة والسَّلَام من بين سائر الخلق، أمَّا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه فإنَّ الله ﷻ شهد له بأنَّه وفِّي، وأمَّا سيِّد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه فإنَّه كَمَّل مرتبة العبودية، فاستحقَّ التَّقديم على سائر الخلائق، فكان صاحب الوسيلة والشفاعة التي يتأخَّر عنها جميع الرُّسل، ويقول هو: «أنا لها»^(١)، ولهذا ذكره الله ﷻ بالعبودية في أعلى مقاماته، وأشرف أحواله، كقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ بَلَّغَ قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وقوله: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

ولهذا يقول المسيح، حين يرغب إليه في الشفاعة: «أذهبوا إليَّ مُحَمَّدٍ، عَبْدٌ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»، فاستحقَّ تلك الرتبة العليا بتكميل عبوديته لله، وبكمال مغفرة الله له.

فرجع الأمر إلى أنَّ غاية المقامات ونهايتها: هو التَّوْبَة والعبودية المحضة، لا جمع العين، ولا جمع الوجود، ولا تلاشي الاتِّصال.

فإن قلت: فهذا الجمع إنَّما يحصل لمن قام بحقيقة التَّوْبَة والعبودية.

قيل: ليس كذلك، بل الجمع الذي يحصل لمن قام بذلك: هو جمع الرُّسل وخلفائهم، وهو جمع الهمة على الله سبحانه؛ محبةً وإنايةً وتوكلًا، وخوفًا ورجاءً ومراقبةً، وجمع الهمة على تنفيذ أوامر الله في الخلق دعوةً وجهادًا، فهما جمعان: جمع القلب على المعبود وحده، وجمع الهمم له على محض عبوديته.

فإن قلت: فأين شاهد هذين الجمعين؟

قلت: في القرآن كلُّه، فخذ من فاتحة الكتاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وتأمل ما في قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾: [من] ^(٢) التَّخْصِيص لذاته المقدَّسة بالعبادة والاستعانة، وما في قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل؛ أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، باب: قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ (٣٣٤٠)، ومسلم في «الإيمان»، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤).

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة في المنار وساقط من ط. الفقي، وأثبتناها هنا في الأصل لمناسبتها.

الَّذِي هُوَ لِلْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَلِلْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مِنْ اسْتِيفَاءِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، حَالًا وَاسْتِقْبَالًا، قَوْلًا وَعَمَلًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالِاسْتِعَانَةَ عَلَى ذَلِكَ بِهِ لَا بغيره، وَلِهَذَا كَانَتْ الطَّرِيقُ كُلُّهَا فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَهِيَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: «الطَّرِيقُ فِي: إِيَّاكَ أُرِيدُ بِمَا تُرِيدُ»، فَجَمَعَ الْمُرَادَ فِي وَاحِدٍ، وَالِإِرَادَةَ فِي مُرَادِهِ الَّذِي يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَإِلَى هَذَا دَعَتِ الرُّسُلُ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَإِلَيْهِ شَخْصَ الْعَامِلُونَ، وَتَوَجَّهَ الْمُتَوَجِّهُونَ، وَكُلُّ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ مِنْ أَوْلِهَا إِلَى آخِرِهَا مَنْدَرَجَةٌ فِي ضَمَنِ ذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ وَمَوْجِبَاتِهِ.

فَالْعِبُودِيَّةُ تَجْمَعُ كِمَالَ الْحَبِّ فِي كِمَالِ الدُّلِّ، وَكِمَالَ الْإِنْقِيَادِ لِمَرَضِي الْمَحْبُوبِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِيقَتِهَا كَمَا يَجِبُ (١) سَبِيلًا، فَالتَّوْبَةُ هِيَ الْمَعْوَلُ وَالْآخِيَّةُ، وَقَدْ عَرَفْتَ بِهَذَا وَبغيره أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي الْبَدَايَةِ، وَلَوْلَا تَسُّمُ رُوحِهَا لِلْحَالِ الْيَأْسِ بَيْنَ ابْنِ الْمَاءِ وَالطِّينِ وَبَيْنَ الْوَصُولِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا لَوْ قَامَ بِمَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ لَسَيِّدُهُ مِنْ حَقُوقِهِ، فَكَيْفَ وَالْغَفْلَةَ وَالتَّقْصِيرَ وَالتَّفْرِيطَ وَالتَّهَوَانَ، وَإِثَارَ حُظُوظِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ عَلَى حَقُوقِ رَبِّهِ لَا يَكَادُ يَتَخَلَّصُ مِنْهَا، وَلَا سَيِّمًا السَّالِكِ عَلَى دَرَبِ الْفَنَاءِ وَالْجَمْعِ؟ لِأَنَّ رَبَّهُ يَطَالِبُهُ بِالْعِبُودِيَّةِ، وَنَفْسُهُ تَطَالِبُهُ بِالْجَمْعِ وَالْفَنَاءِ، وَلَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ مَعَ نَفْسِهِ وَحَاسَبَهَا حَسَابًا صَحِيحًا لَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ حَظَّهُ يَرِيدُ، وَلذَّته يَطْلُبُ، نَعَمَ كُلُّ أَحَدٍ يَطْلُبُ ذَلِكَ، لَكِنَّ الشَّأْنَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ صَارَ حَظُّهُ نَفْسَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَحَابَّهِ، أَحَبَّتْ ذَلِكَ نَفْسُهُ أَوْ كَرِهَتْهُ، وَبَيْنَ مَنْ حَظُّهُ مَا يَرِيدُ مِنْ رَبِّهِ، فَالْأَوَّلُ: حَظُّهُ مُرَادُ رَبِّهِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ مِنْهُ، وَهَذَا حَظُّهُ مُرَادُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا الْبَابُ مُسَلَّمٌ لِأَهْلِ الدُّوْقِ، وَأَنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِلِسَانِ الْعِلْمِ لَا بِلِسَانِ الدُّوْقِ، وَالدَّائِقُ وَاجِدٌ، وَالْوَاجِدُ لَا يُمْكِنُهُ إِنْكَارُ مَوْجُودِهِ، فَلَا (٢) يَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِ الْعِلْمِ، بَلْ يَدْعُوهُ إِلَى ذُوقِ مَا ذَاقَهُ، وَيَقُولُ:

أَقُولُ لِللَّائِمِ الْمُهْدِي مَلَامَتَهُ ذُقِ الْهَوَىٰ وَإِنْ اسْطَعْتَ الْمَلَامَ لَمْ

قِيلَ: لَمْ يَنْصَفْ مِنْ أَحَالِ عَلَى الدُّوْقِ، فَإِنَّهَا حَوَالَةُ عَلَى مَحْكُومٍ عَلَيْهِ لَا عَلَى حَاكِمٍ، وَعَلَى مَشْهُودٍ لَهُ لَا عَلَى شَاهِدٍ، وَعَلَى مُوزُونٍ لَا عَلَى مِيزَانٍ.

وَيَا سَبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ يَدُلُّ مُجَرَّدُ ذُوقِ الشَّيْءِ عَلَى حُكْمِهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ؟ وَهَلْ جَعَلَ اللَّهُ

(١) فِي الْمَنَارِ: (يَحِبُّ).

(٢) فِي الْمَنَارِ: (فَلَمْ).

ورسوله الأذواق والمواجيد حججاً وأدلةً، يميّز بها بين ما يحبه ويرضاه، وبين ما يكرهه ويسخطه؟ ولو كان ذلك كذلك لاحتج كل مبطل على باطله بالذوق والوجد، كما تجده في كثير من أهل الباطل والإلحاد، فهؤلاء الاتّحادية - وهم أكفر الخلق - يحتجّون بالذوق والوجد على كفرهم وإلحادهم حتّى ليقول (١) قائلهم:

يَا صَاحِبِي أَنْتَ تَنْهَانِي وَتَأْمُرُنِي وَالْوَجْدُ أَصْدَقُ نَهَاءٍ وَأَمَارِ
فَإِنْ أُطِعَكَ وَأَعَصِ الْوَجْدَ رُحْتُ عَمٍ عَنِ الْيَقِينِ إِلَى أَوْهَامِ أَخْبَارِ
وَعَيْنُ مَا أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَيْهِ إِذَا حَقَّقْتُهُ بَدَلِ الْمُنْهَيِّ بِأَجَارِ

ويقول هذا القائل: ثبت عندنا بالكشف والذوق ما يناقض صريح العقل، وكلُّ معتقدٍ لأمرٍ جازمٍ به مستحسنٍ له يذوق طعمه، فالملحد يذوق طعم الاتّحاد والانحلال من الدين، والرّافضي يذوق طعم الرّفص ومعاداة خيار الخلق، والقدريّ يذوق طعم إنكار القدر، ويعجب ممّن يشبهه، والجبريّ عكسه، والمشرك يذوق طعم الشّرك، حتّى إنّه ليستبشر إذا ذكر إلهه ومعبوده من دون الله، ويشمئزُّ قلبه إذا ذكر الله وحده.

وهذا الاحتجاج قد سلّكه أرباب السّماع المحدث الشّيطانيّ، الذي هو محض شهوة النّفس وهواها، واحتجّوا على إباحة هذا السّماع بما فيه من الذّوق والوجد واللذّة، وأنت تجد النّصرانيّ له في تثليثه ذوق، ووجدٌ وحينئذٍ؛ بحيث لو عرض عليه أشدُّ العذاب لاختاره، دون أن يفارق تثليثه، لما له فيه من الذّوق.

وحينئذٍ فيقال: هب أن الأمر كما تقول، وأن المتكلّم المنكر لم يتكلّم بلسان الذّوق، فهل يصحُّ أن يكون ذوق الدّائق لذلك حجّةً صحيحةً نافعةً له بينه وبين الله؟ ولو فرضنا أن هذا المنكر قال: نعم، أنا محجوبٌ عن الوصول إلى ما أنكرته، غير ذائقٍ له، وأنت ذائقٌ وأصلٌ، فما علامة ما ذقته، ووصلت إليه؟ وما الدّليل عليه؟ وأنا لا أنكر ذوقك له ووجدك به، ولكنّ الشّأن في المدّوق لا في الذّوق، وإذا ذاق المحبُّ العاشق طعم محبّته وعشقه لمحبوته، ما كان غاية ذلك إلا أن يدلّ على وجود محبّته وعشقه، لا على كون ذلك نافعاً له أو ضاراً، أو موجباً لكماله أو نقصه، وبالله التّوفيق.

(١) في المنار: (يقول).

فصل

□ قال صاحب «المنازل»: «(باب التَّوْحِيدِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] التَّوْحِيدُ: تَنْزِيهِ اللَّهِ عِبَادَتَهُ عَنِ الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا نَطَقَ الْعُلَمَاءُ بِمَا نَطَقُوا بِهِ، وَأَشَارَ الْمُحَقِّقُونَ بِمَا أَشَارُوا بِهِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لِقَصْدِ تَصْحِيحِ التَّوْحِيدِ، وَمَا سِوَاهُ مِنْ حَالٍ أَوْ مَقَامٍ؛ فَكُلُّهُ مَصْحُوبٌ بِالْعِلَلِ».

قلت: التَّوْحِيدُ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرَّسْلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْعَلُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال هودٌ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال صالحٌ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال شعيبٌ لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالتَّوْحِيدُ: مِفْتَاحُ دَعْوَةِ الرَّسْلِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَسُولِهِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ...» وذكر الحديث (١).

وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُفَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» (٢).

ولهذا كَانَ الصَّحِيحُ: أَنْ أَوَّلُ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمَكَلَّفِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا النَّظْرَ، وَلَا الْقَصْدَ إِلَى النَّظْرِ، وَلَا الشُّكَّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ.

فالتَّوْحِيدُ: أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٠).

(٢) رواه البخاري في «الإيمان»، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (٢٥)، ومسلم في «الإيمان»، باب: الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (٢٢).

«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، فهو أوَّل واجبٍ، وآخر واجبٍ، فالتَّوْحِيدُ أوَّل الأمرِ وآخره.

قوله: «التَّوْحِيدُ: تَنْزِيهُهُ اللَّهُ عَنِ الْحَدَثِ».

هذا الحدُّ لا يدلُّ على التَّوْحِيدِ الَّذِي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وينجو به العبد من النَّارِ، ويدخل به الجنَّة، ويخرج من الشُّركِ، فإنَّه مشتركٌ بين جميع الفرق، وكلُّ من أقرَّ بوجود الخالق سبحانه أقرَّ به، فعباد الأصنام، والمجوس، والنَّصارى، واليهود، والمشركون - على اختلاف نحلهم - كلُّهم ينزّهون الله عن الحدث، ويثبتون قدمه.

حتَّى أعظم الطَّوائف على الإطلاق شركًا، وكفرًا وإلحادًا، وهم طائفة الاتِّحاديَّة، فإنَّهم^(٢) يقولون: هو الوجود المطلق، وهو قديمٌ لم يزل، وهو منزَّهٌ عن الحدث، ولم تزل المحدثات تكتسي وجوده، تلبسه وتخلعه.

والفلاسفة الَّذين هم أبعد الخلق عن الشُّرائع وما جاءت به الأنبياء يثبتون واجب الوجود قديمًا منزَّهًا عن الحدث.

والمشركون عبَاد الأصنام الَّذين^(٣) يعبدون معه آلهةً أخرى يثبتون^(٤) قديمًا منزَّهًا عن الحدث.

فالتَّنْزِيهِ عَنِ الْحَدَثِ حَقٌّ، ولكن لا يعطي إسلامًا ولا إيمانًا، ولا يدخل في شرائع الأنبياء، ولا يخرج من نحل أهل الكفر ومللهم ألبتَّة، وهذا القدر لا يخفى على شيخ الإسلام، ومحلُّه من العلم والمعرفة محلُّه.

ومع هذا فقد سئل سيِّد الطَّائفة الجنيد عن التَّوْحِيدِ؟ فقال: «هُوَ إِفْرَادُ الْقَدِيمِ عَنِ الْمُحْدَثِ». والجنيد^(٥) أشار إلى أنَّه لا تصحُّ دعوى التَّوْحِيدِ، ولا مقامه ولا حاله، ولا يكون العبد موحدًا إلا إذا أفرَد القديم عن المحدث، فإنَّ كثيرًا ممَّن ادَّعى التَّوْحِيدَ لم يفرده سبحانه من المحدثات، فإنَّ من نفى مباينته لخلقه فوق سمواته على عرشه، وجعله في كلِّ مكانٍ بذاته^(٦)، لم يفرده عن المحدث،

(١) تقدم تخريجه (١/٣٦٨).

(٢) كلمة (فإنهم): غير موجودة في المنار.

(٣) كلمة (الذين): ساقطة المنار.

(٤) في المنار: (ويثبتون).

(٥) في المنار: (والجنيد رحمه الله).

(٦) هو دين الصوفية أهل وحده أهل وحدة الوجود؛ فعقيدتهم: أن ربهم كل شيء، وكل شيء هو، وعليه جمهور الجاهليين، يقولون: إن ربهم في كل مكان. (الفقي).

بل جعله حالاً في المحدثات [مخالطاً] (١) لها، موجوداً فيها بذاته، وصوفيّة هؤلاء وعبادهم هم الحلوليّة، الذين يقولون: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يحلُّ بذاته في المخلوقات، وهم طائفتان: طائفةٌ تعممُ الموجودات بحلوله فيها، وطائفةٌ تخصُّ به بعضها دون بعضٍ.

قال الأشعريُّ في كتاب «المَقَالَاتِ»: «هَذِهِ حِكَايَةُ قَوْلِ قَوْمٍ مِنَ النَّسَّاكِ، وَفِي الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ النَّسْكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ جَائِزٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْحُلُولُ فِي الْأَجْسَامِ، وَإِذَا رَأَوْا شَيْئًا يَسْتَحْسِنُونَهُ قَالُوا: لَا نَدْرِي! لَعَلَّهُ رَبُّنَا».

قلت: وهذه الفرقة طائفتان.

إحدهما: تزعم أنَّه سبحانه يحلُّ في الصُّورة الجميلة المستحسنة.
والثانية: تزعم أنَّه سبحانه يحلُّ في الكَمَل من النَّاس، وهم الذين تجرَّدت نفوسهم عن الشَّهوات، وأنصفوا بالفضائل، وتنزهوا عن الرَّذائل.
والنصارى تزعم أنَّه حلٌّ في بدن المسيح وتدَّرع به، والاتِّحاديَّة تزعم أنَّه وجودٌ مطلقٌ اكتسته الماهيَّات، فهو عين وجودها.
فكلُّ هؤلاء لم يفرِّدوا القديم عن المحدث.

فصلٌ

* وهذا الإفراد -الذي أشار إليه الجنيد- نوعان:

كـ أحدهما: إفرادٌ في الاعتقاد والخبر، وذلك نوعان أيضاً:

- أحدهما: إثبات مباينة الرَّبِّ تعالى للمخلوقات، وعلوُّه فوق عرشه من فوق سبع سمواتٍ، كما نطقت به الكتب الإلهيَّة من أولِّها إلى آخرها، وأخبرت به جميع الرُّسل من أولِّهم إلى آخرهم.
- والثَّاني: إفراده سبحانه بصفات كماله، وإثباتها له على وجه التَّفصيل، كما أثبتنا لنفسه، وأثبتها (٢) له رسله، منزَّهة عن التَّعطيل والتَّحريف والتَّمثيل، والتَّكليف والتَّشبيه (٣)، بل تثبت له سبحانه حقائق الأسماء والصفات، وتنفي عنه فيها مماثلة المخلوقات، إثبات بلا تمثيلٍ، وتنزيه بلا تحريفٍ ولا تعطيلٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

(١) ما بين المعكوفتين مصحح من «المنار»، وفي طبعة الفقي (مخالطاً)، وهو خطأ كما يظهر.

(٢) في المنار: (وأثبتها).

(٣) كلمة (والتشبيه): غير موجودة في المنار.

وفي هذا النوع يكون إفراده سبحانه بعموم قضائه وقدره لجميع المخلوقات -أعيانها وصفاتها وأفعالها-، وأنها كلها واقعةٌ بمشيئته وقدرته، وعلمه وحكمته، فيباين صاحب هذا الأفراد سائر فرق أهل الباطل: من الاتِّحادية، والحلولية، والجهمية الفرعونية الذين يقولون: ليس فوق السموات ربُّ يعبد، ولا على العرش إلهٌ يصلَّى له ويُسجد، والقدرية الذين يقولون: إنَّ الله لا يقدر على أفعال العباد، من الملائكة والإنس والجنِّ، ولا على أفعال سائر الحيوانات؛ بل يقع في ملكه ما لا يريد، ويريد ما لا يكون، فيريد شيئاً لا يكون، ويكون شيءٌ بغير إرادته ومشيئته، والله سبحانه أعلم.

فصل

كـ والنوع الثاني من الأفراد: أفراد القديم عن المحدث بالعبادة؛ من التَّألُّه، والحبِّ، والخوف، والرَّجاء والتَّعظيم، والإنابة والتَّوَكُّل، والاستعانة وابتغاء الوسيلة إليه، فهذا الأفراد، وذلك الأفراد بهما بعثت الرُّسل، وأنزلت الكتب، وشرَّعت الشَّرَائِع، ولأجل ذلك خُلقت السموات والأرض، والجنَّة والنَّار، وقام سوق^(١) الثَّواب والعقاب، فتفريد القديم سبحانه عن المحدث، في ذاته وصفاته وأفعاله، وفي إرادته وحده، ومحَبَّته وخوفه ورجائه، والتَّوَكُّل عليه، والاستعانة والحلف به، والنَّذر له، والتَّوْبَة إليه، والسُّجود له، والتَّعظيم والإجلال، وتوابع ذلك، ولذلك كانت عبارة الجنيد عن التَّوحيد عبارةً سادَّةً مسدَّدةً.

فشيخ الإسلام: إن أراد ما أراد أبو القاسم، فلا إشكال، وإن أراد أن ينزه الله سبحانه عن قيام الأفعال الاختيارية به، التي يسمِّيها نفاة أفعاله حلول الحوادث، ويجعلون تنزيه الرَّبِّ تعالى عنها من كمال التَّوحيد، بل هو أصل التَّوحيد عندهم، فكأنَّه قال: التَّوحيد تنزيه الرَّبِّ تعالى عن حلول الحوادث.

وحقيقة ذلك: أن التَّوحيد عندهم^(٢) تعطيله عن أفعاله ونفيها بالكلية، وأنَّه لا يفعل شيئاً ألبتَّة، فإنَّ إثبات فاعل من غير فعل يقوم به^(٣) ألبتَّة محالٌّ في العقول والفطر ولغات الأمم، ولا يثبت كونه سبحانه ربًّا للعالم مع نفي ذلك أبداً، فإنَّ قيام الأفعال به هو معنى الربوبية وحقيقتها، ونافي هذه المسألة نافٍ لأصل الربوبية، وجاحدٌ لها رأساً.

(١) كلمة (سوق): غير موجودة في المنار.

(٢) كلمة (عندهم): غير موجودة في المنار.

(٣) كلمة (به): غير موجودة في المنار.

وإن أراد تنزيه الرَّبِّ تعالى عن سمات المحدثين، وخصائص المخلوقين فهو حقٌّ، ولكنّه تقصيرٌ في التعبير عن التَّوْحِيدِ؛ فإنَّ إثبات صفات الكمال أصل التَّوْحِيدِ، ومن تمام هذا الإثبات: تنزيهه سبحانه عن سمات المحدثين، وخصائص المخلوقين، وقد استدرك عليه الاتِّحَادِيُّ في هذا الحدِّ، فقال: شهود التَّوْحِيدِ يرفع الحدوث أصلاً ورأساً، فلا يكون هناك وجودان قديمٌ ومحدثٌ فالتَّوْحِيدُ: هو ألا يرى مع الوجود المطلق سواه، والله سبحانه أعلم.

فصل

* وقد تقسّمت الطوائف التَّوْحِيدِ، وسمّي كلُّ طائفةٍ باطلهم توحيداً: فأتباع أرسطو وابن سينا والنَّصِير^(١) الطُّوسِيّ، عندهم التَّوْحِيدُ: إثبات وجودٍ مجردٍ عن الماهية والصفة، بل هو وجودٌ مطلقٌ، لا يعرض لشيءٍ من الماهيات، ولا يقوم به وصفٌ، ولا يتخصَّصُ بنعتٍ، بل صفاته كلّها سلوبٌ وإضافاتٌ، فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد والجحد والكفر. وفروع هذا التَّوْحِيدِ: إنكار ذات الرَّبِّ، والقول بقدوم الأفلاك، وأنَّ الله لا يبعث من في القبور، وأنَّ النبوة مكتسبةٌ، وأنها حرفَةٌ من الحرف، كالولاية والسياسة، وأنَّ الله لا يعلم عدد الأفلاك ولا الكواكب، ولا يعلم شيئاً من الموجودات المعينة ألبتة، وأنَّه لا يقدر على قلب شيءٍ من أعيان العالم ولا شقَّ الأفلاك ولا خرقها، وأنَّه لا حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، ولا جنَّة ولا نار، فهذا توحيد هؤلاء. وأما الاتِّحَادِيَّةُ، فالتَّوْحِيدُ عندهم: أنَّ الحقَّ المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنَّه سبحانه هو عين وجود كلِّ موجودٍ، وحقيقته وماهيته، وأنَّه آية كلِّ شيءٍ، وله فيه آيةٌ تدلُّ على أنَّه عينه، وهذا عند محقِّقهم من خطأ التعبير، بل هو نفس الآية، ونفس الدليل، ونفس المستدلِّ، ونفس المستدلَّ عليه، فالتَّعدُّد بوجود اعتباراتٍ وهميةٍ، لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عين النَّاكح وعين المنكوح، وعين الذَّابح وعين المذبوح، وعين الأكل وعين المأكول، وهذا عندهم، هو السِّرُّ الَّذِي رمزت إليه هوامس الدهور الأوَّلية، ورامت إفادته الهداية النَّبَوِيَّةُ، كما قاله محقِّقهم وعارفهم ابن سبعين. ومن فروع هذا التَّوْحِيدِ: أنَّ فرعون وقومه مؤمنون كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة، ومن فروع: أنَّ عبَاد الأصنام على الحقِّ والصَّواب، وأنَّهم إنَّما عبدوا عين الله سبحانه لا غيره، ومن فروع: أنَّ الحقَّ أن لا فرق في التَّحريم والتَّحليل بين الأمِّ والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزَّنا والنِّكاح، الكلُّ من عينٍ واحدةٍ، بل هو العين الواحدة، وإنَّما المحجوبون عن هذا السِّرِّ

(١) كلمة (النصير): غير موجودة في المنار.

قالوا: هذا حرامٌ وهذا حلالٌ، نعم هو حرامٌ عليكم؛ لأنكم في حجابٍ عن حقيقة هذا التوحيد. ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس، وبعُدوا عليهم المقصود، والأمر وراء ما جاءوا به، ودعوا إليه.

وأما الجهميَّة، فالتوحيد عندهم: إنكار علوِّ الله على خلقه بذاته، واستوائه على عرشه، وإنكار سمعه وبصره، وقوته وحياته، وكلامه وصفاته وأفعاله ومحَبَّته، ومحَبَّة العباد له، فالتوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

وأما القدرية، فالتوحيد عندهم: هو إنكار قدر الله، وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها، ومتأخروهم ضمُّوا إلى ذلك توحيد الجهميَّة، فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنَى والصفات العلى، وربما سمَّوا إنكار القدر والكفر بقضاء الرّبِّ وقدره عدلاً، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد.

وأما الجبرية، فالتوحيد عندهم: هو تفرد الرّبِّ تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وأن الرّبَّ تعالى لم يفعل لحكمةٍ ولا غايةٍ تطلب بالفعل، وليس في المخلوقات قوَى وطبائع وغرائز وأسباب، بل ما ثمَّ إلا مشيئةٌ محضةٌ ترجح مثلاً على مثلٍ بغير مرجحٍ ولا حكمةٍ ولا سببٍ ألبتة.

وأما صاحب «المنازل»^(١) - ومن سلك سبيله - فالتوحيد عندهم نوعان:

- أحدهما: غير موجودٍ ولا ممكنٍ، وهو توحيد العبد ربّه، فعندهم:

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدُ مِنْ وَاحِدٍ إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَا حِدٌ

- والثاني: توحيدٌ صحيحٌ، وهو توحيد الرّبِّ لنفسه، وكلُّ من ينعتة سواه فهو ملحدٌ، فهذا

توحيد الطوائف، ومن الناس إلا أولئك؟ والله سبحانه أعلم.

فصل

وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه فوراء ذلك كله وهو نوعان:

- توحيدٌ في المعرفة والإثبات.

- وتوحيدٌ في المطلب^(٢) والقصد.

(١) في المنار: زيادة: (رحمه الله).

(٢) في المنار: (الطلب).

فالأول: هو حقيقة ذات الربّ تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سمواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح.

كما في أوّل سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأوّل سورة «تَنْزِيلِ» السّجدة، وأوّل سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمّنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية، وأوّل سورة «تَنْزِيلِ الْكِتَابِ» وآخرها، وأوّل سورة يونس ووسطها وآخرها، وأوّل سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن، بل كلّ سورة في القرآن فهي متضمّنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولاً كلياً: إنّ كلّ آية في القرآن فهي متضمّنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإنّ القرآن: إمّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلميّ الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإراديّ الطلبي، وإمّا أمرٌ ونهي، وإلزامٌ بطاعته في نبيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمّا خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإمّا خبرٌ عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في العقاب، فهو خبرٌ عمّن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كلّ في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيدٌ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ توحيدٌ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣﴾ توحيدٌ: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ توحيدٌ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿٥﴾ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٦﴾ توحيدٌ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ توحيدٌ متضمّنٌ لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ الذين فارقوا التوحيد.

ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته، وأنبياؤه ورسله، قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِالْقَسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿ [آل عمران: ١٨، ١٩].

فتضمّنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرّدّ على جميع هذه الطوائف، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم، وهذا إنّما يتبيّن بعد فهم الآية ببيان ما تضمّنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية.

فتضمّنت هذه الآية: أجلّ شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجلّ شاهد، بأجلّ مشهود به (١).

وعبارات السلف في ﴿شَهِدَ﴾ تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان، والإخبار.

قال مجاهد: «حَكَمَ، وَقَضَى».

وقال الزجاج: «بَيَّنَّ».

وقالت طائفة: «أَعْلَمَ وَأَخْبَرَ».

وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها؛ فإنّ الشَّهادة تتضمّن كلام الشَّاهد وخبره وقوله،

وتتضمّن إعلامه وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب:

- فأوّل مراتبها: علمٌ، ومعرفةٌ، واعتقادٌ لصحّة المشهود به، وثبوته.

- وثانيها: تكلمه بذلك، ونطقه به، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق

بها أو يكتبها.

- وثالثها: أن يُعلم غيره بما شهد به، ويخبره به، ويبينه له.

- ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانيّة، والقيام بالقسط: تضمّنت هذه المراتب الأربعة: علم الله

سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم ولإلزامهم به.

أمّا مرتبة العلم: فإنّ الشَّهادة بالحقّ تتضمّن ضرورةً، وإلّا كان الشَّاهد شاهداً بما لا علم له به،

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) [الزخرف: ٨٦].

وقال النبي ﷺ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ» (٢) وأشار إلى الشمس.

وأمّا مرتبة التكلّم والخبر: فمن تكلم بشيءٍ وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشَّهادة، قال

تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْكُمْ شَهِدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ أَنْثَىٰ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْنَبُ شَهَدَتُهُمْ

وَيَسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]. فجعل ذلك منهم شهادةً، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشَّهادة، ولم يؤدّوها عند

غيرهم.

(١) كلمة (به): غير موجودة في المنار

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١٩٩٧٤)، وصححه الحاكم (٩٨-٩٩) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال

الذهبي: «واه فالحديث ضعيف».

قال النَّبِيُّ ﷺ: «عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ»^(١)، وشهادة الزُّور هي قول الزُّور، كما قال تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿٣٠﴾ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ^٤ ﴿الحج: ٣٠﴾، وعند نزول هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ» فسمي قول الزُّور شهادةً. وسمي الله تعالى إقرار العبد على نفسه شهادةً، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُؤُوبًا قَوْمِينَ يَلْقَسُطُ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿النساء: ١٣٥﴾.

فشهادة المرء على نفسه: هي إقراره على نفسه.

وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز الأسلمي: «فَلَمَّا شَهِدَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ رَجَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٢). وقال تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَيَّ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿الأنعام: ١٣٠﴾.

وهذا وأضعافه يدل على أن الشاهد عند الحاكم وغيره لا يُشترط في قبول شهادته أن يتلفظ بلفظ الشهادة، كما هو مذهب مالك، وأهل المدينة، وظاهر كلام أحمد، ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط ذلك.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «شَهِدَ عِنْدِي رَجُلٌ مَرَضِيُونَ - وَأَرَضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ»^(٣). ومعلوم أنهم لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، والعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجَنَّةِ، لم يتلفظ في شهادته لهم بلفظ الشهادة، بل قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ...»^(٤) الحديث.

وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة، وأنه قد دخل في قوله: «حَتَّى

(١) رواه أبو داود في «الأقضية»، باب: في شهادة الزور (٣٥٩٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٧٧٣)، كما رواه الترمذي في «الشهادات»، باب: ما جاء في شهادة الزور رقمقال: «هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد ولا نعرفه لأيمان بن خريم سماعاً عن النبي ﷺ، ثم رواه من طريق سفيان بن زياد العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك الأسجدي، رفعه... ثم قال: هذا عندي أصح، وخريم بن فاتك له صحبة».

(٢) لقصة ماعز روايات كثيرة منها ما رواه البخاري في «الحدود»، باب: الرجم في المصلح (٦٨٢٠)، ومسلم في الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنا (١٦٩٥)، وروايات أخرى انظر: «جامع الأصول» (٥١٥-٥٣١).

(٣) رواه البخاري في «المواقيت»، باب: الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس (٥٨١)، ومسلم في «صلاة المسافرين»، باب: الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها (٨٢٦).

(٤) رواه أبو داود في «السنن»، باب: في الخلفاء (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)، والترمذي في «المناقب»، باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٨٧، ٣٨٨٦).

يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١) وفي لفظٍ آخر: «حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢) فدَلَّ على أَنَّ مجرد قولهم «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» شهادةٌ منهم.

وهذا أكثر من أن تذكر شواهد من الكتاب والسنة، فليس مع من اشترط لفظ الشهادة دليلٌ يُعتمد عليه، والله أعلم.

فصل

وأما مرتبة الإعلام والإخبار، فنوعان:

- إعلامٌ بالقول.

- وإعلامٌ بالفعل.

وهذا شأن كلِّ معلمٍ لغيره بأمرٍ: تارةً يعلمه بقوله، وتارةً بفعله؛ ولهذا كان من جعل داراً مسجداً، وفتح بابها لكلِّ من دخل إليها، وأذن بالصلاة فيها معلماً أنها وقفٌ، وإن لم يتلفظ به، وكذلك من وجد متقرباً إلى غيره بأنواع المسار معلماً له ولغيره أنه يحبه، وإن لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس، وكذلك شهادة الربِّ ﷻ وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارةً وبفعله تارةً أخرى، فالقول: هو ما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، ومما قد علم بالاضطرار أن جميع الرُّسل أخبروا عن الله: أنه شهد لنفسه بأنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، وأخبر بذلك، وأمر عباده أن يشهدوا به، وشهادته سبحانه «أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» معلومةٌ من جهة كلِّ من بلغ عنه كلامه.

وأما بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمَّنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل والفطرة، وهذا أيضاً يستعمل فيه لفظ الشهادة، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة والإرشاد والبيان؛ فإنَّ الدليل يبيِّن المدلول عليه ويظهره، كما بيَّنه^(٣) الشاهد والمخبر، بل قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ، وقد يسمَّى شاهد الحال نطقاً وقولاً وكلاماً، لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه، كما قيل:

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمِعًا وَطَاعَةً
وَحَدَّرَتَا بِالذَّرِّ لَمَّا يُنْقَبِ

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٣١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٣١).

(٣) في المنار: (بينه).

وقال الآخر:

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُورَ الشَّرَى صَبْرًا جُمْلِي فَكِلَانَا مُبْتَلَى

وقال الآخر:

امْتَلَأَ الْحَوْضَ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي

ويسمى هذا شهادةً أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧]؛ فهذه شهادةٌ منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله، فهي شهادةٌ بكفرهم، وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت به (١).

والمقصود: أن الله سبحانه (٢) يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالةً عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتتطابق شهادة القول وشهادة الفعل.

كما قال تعالى: ﴿ سَرَّيْهِمْ أَئِنَّا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ أي: أن القرآن حق، فأخبر أنه يدلُّ بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية، وهذه الشهادة الفعلية قد ذكرها غير واحدٍ من أئمة العربية والتفسير.

قال ابن كيسان: «شهد الله بتدبيره العجيب وأمره المحكم عند خلقه أنه «لا إله إلا هو».

فصل

وأما المرتبة الرابعة: وهي الأمر بذلك والإلزام به: وإن كان مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدلُّ عليه وتتضمنه؛ فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به، كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْإِنْسَانَ اتِّخَانًا إِنَّما هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [القصص: ٨٨].

(١) كلمة (به): ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (أنه سبحانه).

والقرآن كله شاهدٌ بذلك.

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، فقد أخبر وبيّن وأعلم، وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحقُّ العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتّخاذ وحده إلهًا، والنهي عن اتّخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلًا يستفتي أو يستشهد، أو يستطبُّ من ليس أهلاً لذلك، ويدع من هو أهل له (١)، فتقول (٢): هذا ليس بمفتٍ ولا شاهدٍ ولا طبيبٍ، المفتي فلانٌ، والشاهد فلانٌ، والطبيب فلانٌ، فإن هذا أمرٌ منك (٣) ونهي.

وأيضًا: فإن الأدلة (٤) قد دلّت على أنه سبحانه وحده المستحقُّ للعبادة، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحقُّ للعبادة، تضمّن هذا الإخبار أمر العباد والزامهم بأداء ما يستحقُّه الربُّ تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم، فإذا شهد سبحانه أنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» تضمّن شهادته الأمر والإلزام بتوحيده.

وأيضًا: فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية، فيقال للجمل الخبرية قضيةً وحكمٌ، وقد حكم فيها بكيت وكيت، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهَمَ لَيَقُولُونَ ﴿١٥٣﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٤﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٤] فجعل هذا الإخبار المجرد منهم حكمًا.

وقال في موضع آخر: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [القلم: ٣٥]، لكن هذا حكمٌ لا إلزام معه، والحكم والقضاء بأنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» متضمّن للإلزام، والله سبحانه أعلم.

فصل

وقوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ القسط: هو العدل؛ فشهد الله سبحانه: أنه قائمٌ بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال؛ فإن التوحيد يتضمّن تفرّده سبحانه بالكمال والجلال والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحدٍ سواه، والعدل يتضمّن وقوع أفعاله كلها على

(١) لفظة (له): ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (فيقول).

(٣) في المنار: (منه).

(٤) في المنار: (فإن الآية).

السَّداد والصَّواب وموافقة الحكمة.

فهذا توحيد الرُّسل وعدلهم: إثبات الصِّفات، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإثبات القدر، والحكم والغايات المطلوبة المحمودة بفعله وأمره، لا توحيد الجهمية والمعتزلة والقدرية، الذي هو إنكار الصِّفات وحقائق الأسماء الحسنی، وعدلهم، الذي هو التَّكذيب بالقدر، أو نفي الحكم والغايات والعواقب الحميدة التي يفعل الله (١) لأجلها ويأمر.

قيامه سبحانه بالقسط في شهادته يتضمَّن أمورًا:

- أحدها: أنه قائمٌ بالقسط في هذه الشَّهادة التي هي أعدل شهادةٍ على الإطلاق، وإنكارها وجحودها أعظم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من التَّوحيد ولا أظلم من الشُّرك، فهو سبحانه قائمٌ بالعدل في هذه الشَّهادة قولاً وفعلاً؛ حيث شهد بها، وأخبر وأعلم عباده، وبيَّن لهم تحقيقها وصحَّتها، وألزمهم بمقتضاها، وحكم به، وجعل الثَّواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها، فالدين كله من حقوقها، والثَّواب كله عليها، والعقاب كله على تركها.

وهذا هو العدل الذي قام به الرُّبُّ تعالى في هذه الشَّهادة، فأوامره كلها تكميلٌ لها، وأمرٌ بأداء حقوقها، ونواهيها كلها صيانةٌ لها عما يهضمها ويضادُّها، وثوابه كله عليها، وعقابه كله على تركها، وترك حقوقها، وخلقه السَّموات والأرض وما بينهما كان بها ولأجلها، وهي الحقُّ الذي خلقت به، وضدُّها هو الباطل والعبث الذي نزه نفسه عنه، وأخبر أنه لم يخلق به السَّموات والأرض، قال تعالى رداً على المشركين المنكرين لهذه الشَّهادة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ الَّذِي كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾ [ص: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿حَمَّ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴿[الأحقاف: ١-٣].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ [الروم: ٨].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادِكُمْ﴾ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿[الدخان: ٣٨، ٣٩].

وهذا كثيرٌ في القرآن.

والحقُّ الذي خلقت به السَّموات والأرض ولأجله هو التَّوحيد وحقوقه؛ من الأمر والنهي،

(١) لفظ الجلالة: غير موجودة في المنار.

والتَّوَابِ والعَقَابِ، فالشَّرْعُ والقَدْرُ، والخلقُ والأمرُ، والثَّوَابُ والعَقَابُ، قائمٌ بالعدلِ والتَّوْحِيدِ صادراً عنهما، وهذا هو الصُّرَاطُ المستقيم الذي عليه الرَّبُّ ﷻ، قال تعالى حكايةً عن نبيِّه هودٍ (١): ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦] فهو سبحانه على صراطٍ مستقيمٍ في قوله وفعله، فهو يقول الحقَّ، ويفعل العدل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤].

فالصُّرَاطُ المستقيم الذي عليه ربُّنا تبارك وتعالى هو مقتضى التَّوْحِيدِ والعدلِ، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ثَلَاثِينَ رَجُلًا أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٧٦] فهذا مثلٌ ضربه الله لنفسه وللصَّنمِ، فهو سبحانه الذي يأمر بالعدلِ، وهو على صراطٍ مستقيمٍ، والصَّنمِ مثل العبد الذي هو كَلٌّ على مولاه، أينما يوجِّهه لا يأت بخيرٍ.

والمقصود: أَنَّ قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ هو كقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦]. وقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ نصب على الحال، وفيه وجهان:

- أحدهما: أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ فِي: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ والعامل فيها الفعل، والمعنى على هذا: شهد الله حال قيامه بالقسط: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

- والثَّانِي: أَنَّهُ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿هُوَ﴾ والعامل فيها معنى النَّفْيِ؛ أَي: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حال كونه قائماً بالقسط.

وبين التَّقْدِيرَيْنِ فرقٌ ظاهرٌ، فَإِنَّ التَّقْدِيرَ الْأَوَّلَ: يَتَضَمَّنُ أَنَّ الْمَعْنَى: شَهِدَ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا بِالْعَدْلِ، مخبراً به، أمراً به، فاعلاً له، مجازياً به - أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَإِنَّ الْعَدْلَ يَكُونُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْمَقْسُطُ هُوَ الْعَادِلُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، فَشَهِدَ اللَّهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ قَوْلًا وَفِعْلًا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَفِي ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِكَوْنِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ شَهَادَةً عَدْلٍ وَقِسْطٍ، وَهِيَ أَعْدَلُ شَهَادَةٍ، كَمَا أَنَّ الْمَشْهُودَ بِهِ أَعْدَلُ شَيْءٍ وَأَصْحَهُ وَأَحَقُّهُ.

وذكر ابن السَّائِبِ وغيره في سبب نزول الآية ما يشهد بذلك، وهو: أَنَّ حَبْرَيْنِ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ قَدِمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَبْصَرَا الْمَدِينَةَ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِمَدِينَةِ النَّبِيِّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَا لَهُ: أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، وَأَحْمَدُ (٢)؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَا: نَسَأَلُكَ عَنْ شَهَادَةٍ، فَإِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا آمَنَّا بِكَ، قَالَ: «سَلَانِي»، قَالَا: أَخْبَرْنَا عَنْ أَعْظَمِ شَهَادَةٍ

(١) في المنار: حكاية عن نبيِّه هود أنه قال...

(٢) في المنار: قالا: (وأحمد).

في كتاب الله؛ فنزلت: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية.

وإذا كان القيام بالقسط يكون في القول والفعل كان المعنى: أنه كان سبحانه يشهد وهو قائم بالعدل عالم به، لا بالظلم، فإن هذه الشهادة تضمنت قولاً وعملاً؛ فإنها تضمنت أنه هو الذي يستحق العبادة وحده دون غيره، وأن الذين عبدوه وحده هم المفلحون السعداء، وأن الذين أشركوا به غيره هم الضالون الأشقياء، فإذا شهد قائماً بالعدل المتضمن جزاء المخلصين بالجنة، وجزاء المشركين بالنار كان هذا من تمام موجب الشهادة وتحقيقها، وكان قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ تنبيهاً على جزاء الشاهد بها والجاحد لها، والله أعلم.

فصل

وأما التّقدير الثاني - وهو أن يكون قوله: ﴿قَائِمًا﴾ حالاً ممّا بعد «إِلَّا» - فالمعنى: أنه لا إله إلا هو قائماً بالعدل، فهو وحده المستحق الإلهية، مع كونه قائماً بالقسط. قال شيخنا: «وهذا التّقدير أَرْجَحُ، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّ^(١) الْمَلَائِكَةَ وَأُولِي الْعِلْمِ يَشْهَدُونَ لَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ».

قلت: مراده أنه إذا كان قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ حالاً من المشهود به، فهو كالصفة له، فإن الحال صفة في المعنى لصاحبها^(٢)، فإذا وقعت الشهادة على ذلك الحال وصاحبها كان كلاهما مشهوداً به، فيكون الملائكة وأولو العلم قد شهدوا بأنه قائم بالقسط، كما شهدوا بأنه لا إله إلا هو، والتّقدير الأول لا يتضمن ذلك، فإنه إذا كان التّقدير: شهد الله قائماً بالقسط أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم يشهدون أنه لا إله إلا هو؛ كان القيام بالقسط حالاً من اسم الله وحده.

وأيضاً: فكونه قائماً بالقسط فيما شهد به أبلغ من كونه حالاً من مجرد الشهادة.

فإن قيل: فإذا كان حالاً من: ﴿هُوَ﴾ فهلاً اقترن به؟ ولم فصل بين صاحب الحال وبينها بالمعطوف، فجاء متوسّطاً بين صاحب الحال وبينها^(٣)؟

قلت: فائدته ظاهرة، فإنه لو قال: شهد الله أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط والملائكة وأولو العلم؛ لأوهم عطف الملائكة وأولو العلم على الضمير في قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، ولا يحسن العطف

(١) لفظة (أن): ساقطة من المنار.

(٢) كلمة (لصاحبها): ساقطة من المنار.

(٣) في المنار: (وبينهما).

لأجل الفصل، وليس المعنى على ذلك قطعاً، وإنما المعنى على خلافه، وهو أن قيامه بالقسط مختص به، كما أنه مختص بالإلهية، فهو وحده الإله المعبود المستحق للعبادة، وهو وحده المجازي المثلث المعاقب بالعدل.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ذكر محمد بن جعفر أنه قال: «الأولى وَصْفٌ وَتَوْحِيدٌ، وَالثَّانِيَةُ رَسْمٌ وَتَعْلِيمٌ، أَي قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

ومعنى هذا: أن الأولى تضمنت أن الله سبحانه شهد بها وأخبر بها، والثاني للقرآن إنما يخبر [عن شهادة الله لا عن^(١) شهادته هو، وليس في ذلك شهادة من التالي نفسه، فأعاد سبحانه ذكرها مجردة ليقولها التالي، فيكون شاهداً هو] [بها]^(٢) أيضاً.

وأيضاً: فالأولى خبر عن الشهادة بالتوحيد، والثانية خبر عن نفس التوحيد.

وختم بقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ فتضمنت الآية توحيداً وعدله، وعزته وحكمته.

فالتوحيد: يتضمن ثبوت صفات كماله، ونعوت جلاله، وعدم المماثل له فيها وعبادته وحده لا شريك له.

والعدل: يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئاً منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقاً.

والعزة: تتضمن كمال قدرته وقوته وقهره.

والحكمة: تتضمن كمال علمه، وخبرته، وأنه أمر ونهى، وخلق وقدر، لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد.

فاسمه العزيز يتضمن الملك، واسمه الحكيم يتضمن الحمد، وأول الآية يتضمن التوحيد، وذلك حقيقة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَكَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وذلك أفضل ما قاله رسول الله ﷺ والنبيون من قبله^(٣).

والحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسناً في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان قبيحاً في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقاً، وإذا فعل فعلاً كان صواباً، وإذا أراد شيئاً كان أولى بالإرادة من غيره، وهذا

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناه هنا من نسخة المنار.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) لقوله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له...». رواه مالك في «الموطأ» (١/٢١٤)،

(٢١٥)، والترمذي في «الدعوات»، باب: في دعاء يوم عرفة، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٣٧).

الوصف على الكمال لا يكون إلا الله وحده.

فتضمّنت هذه الآية وهذه الشهادة: الدلالة على^(١) وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة والعلم والحكمة؛ ولهذا كانت أعظم شهادة.

ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها.

فالفلاسفة: أشدّ النَّاس إنكارًا وجحودًا لمضمونها، من أولها إلى آخرها.

وطوائف الاتحادية: هم أبعد خلق الله عنها^(٢) من كل وجه.

وطائفة الجهمية تنكر حقيقتها من وجوه:

- منها: أنّ الإله هو الذي تأله القلوب، محبة له، واشتياقًا إليه، وإنابةً، وعندهم: أنّ الله لا يُحِبُّ ولا يحبُّ.

- ومنها: أنّ الشهادة كلامه وخبره عمّا شهد به، وهو عندهم لا يقول ولا يتكلّم، ولا يشهد ولا يخبر.

- ومنها: أنّها تتضمن مبايئته لخلقه بذاته وصفاته، وعند فرعونيين: أنّه لا يبين الخلق ولا يحايتهم، وليس فوق العرش إله يعبد، ولا ربُّ يصلّي له ويسجد.

وعند حلوليين: أنّه حالٌ في كلّ مكانٍ بذاته، حتّى في الأمكنة التي يستحيا من ذكرها، فهؤلاء مثبتة الجهمية، وأولئك نفاتهم.

- ومنها: أنّ قيامه بالقسط في أفعاله وأقواله، وعندهم: أنّه لم يقم ولا يقوم^(٣) به فعلٌ ولا قولٌ ألبتة، وأنّ قوله مخلوقٌ من بعض المخلوقات، وفعله هو المفعول المنفصل، وأمّا أن يكون له فعلٌ يكون به فاعلاً حقيقةً؛ فلا.

- ومنها: أنّ القسط عندهم لا حقيقة له، بل كلّ ممكنٍ فهو قسطٌ، وليس في مقدوره ما يكون ظلمًا وقسطًا، بل الظلم عندهم هو المحال الممتنع لذاته، والقسط هو الممكن، فنزه الله سبحانه نفسه - على قولهم - عن المحال الممتنع لذاته الذي لا يدخل تحت القدرة.

- ومنها: أنّ العزة هي القوّة والقدرة، وعندهم لا يقوم به صفةٌ، ولا له صفةٌ وقدرةٌ تسمّى قدرةً وقوّةً.

(١) جملة (الدلالة على): ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (منها).

(٣) جملة (ولا يقوم): ساقطة من المنار.

- ومنها: أنَّ الحكمة هي الغاية التي يُفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها، وهذا عندهم ممتنعٌ في حقِّه سبحانه، فلا يفعل لحكمةٍ ولا غايةٍ، بل لا غاية لفعله ولا أمره، وما ثمَّ إلا محض المشيئة المجردة عن الحكمة والتعليل.

- ومنها: أنَّ الإله^(١) هو الذي له الأسماء الحسنَى والصفات العلى، وهو الذي يفعل بقدرته ومشيئته وحكمته، وهو الموصوف بالصفات والأفعال، المسمَى بالأسماء التي قامت بها حقائقها ومعانيها، وهذا لا يشبهه على الحقيقة إلا أتباع الرُّسل، وهم أهل العدل والتَّوحيد.

فصل

فالجهميَّة والمعتزلة: تزعم أنَّ ذاته لا تحبُّ، ووجهه لا يرى^(٢)، ولا يلتذُّ بالنظر إليه، ولا تشتاق القلوب إليه، فهم في الحقيقة منكرون الإلهية.

والقدرية: تنكر دخول أفعال الملائكة والجنِّ والإنس وسائر الحيوان تحت قدرته ومشيئته وخلقه، فهم منكرون في الحقيقة لكمال عزِّته وملكه.

والجبرية: تنكر حكمته، وأن يكون له في أفعاله وأوامره غايةٌ يفعل ويأمر لأجلها، فهم منكرون في الحقيقة لحكمته وحمده.

وأتباع ابن سينا، والنصير الطوسيِّ وفروخهما: ينكرون أن يكون ماهيةً غير الوجود المطلق، وأن يكون له وصفٌ ثبوتيٌّ زائدٌ على ماهية الوجود، فهم في الحقيقة منكرون لذاته وصفاته وأفعاله، لا يتحاشون من ذلك.

والأتحادية: أدهى وأمرُّ، فإنَّهم رفعوا القواعد من الأصل، وقالوا: ما ثمَّ وجودٌ خالقٌ ووجودٌ مخلوقٌ، بل الخلق المشبه هو عين الحقِّ المنزه، كلُّ ذلك من عينٍ واحدةٍ^(٣)، بل هو العين الواحدة^(٤).

فهذه الشَّهادة العظيمة: كلُّ هؤلاء هم بها غير قائمين، وهي متضمَّنةٌ لإبطال ما هم عليه وردِّه، كما تضمَّنت إبطال ما عليه المشركون وردِّه، وهي مبطلَةٌ لقول طائفتي الشُّرك والتَّعطيل، ولا يقوم بهذه

(١) «الإله» هي المألوه بغاية الحب وغاية التعظيم، و«الرب» هو الذي له الأسماء الحسنَى (الفاقي).

(٢) في المنار: (لا يراد).

(٣) في المنار: (واحد).

(٤) في المنار: (الواحد).

الشَّهَادَةُ إِلَّا أَهْلَ الْإِثْبَاتِ (١) الَّذِينَ يَثْبُتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مِمَّا ثَلَمَتِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا.

فصل

وإذا كانت شهادته سبحانه تتضمن بيانه للعباد، ودلالاتهم وتعريفهم بما شهد به، وإلا فلو شهد شهادة لم يتمكنوا من العلم بها؛ لم ينتفعوا، ولم يقيم عليهم بها الحجّة، كما أنّ الشاهد من العباد إذا كانت عنده شهادة ولم يبينها، بل كتمها، لم ينتفع بها أحدٌ، ولم تقم بها حجّةٌ، وإذا كان لا ينتفع بها إلاّ ببيانها، فهو سبحانه قد بيّنها غاية البيان بطرق ثلاثة: السَّمْعُ، والبصر، والعقل.

أَمَّا السَّمْعُ: فبسمع (٢) آياته المتلوّة القوليّة المتضمّنة لإثبات صفات كماله ونعوت جلاله، وعلوّه على عرشه فوق سبع سمواته، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده تكلمًا وتكليمًا، حقيقةً لا مجازًا.

وفي هذا إبطال لقول من قال: إنّه لم يرد من عباده ما دلّت عليه آياته السَّمعيّة من إثبات معانيها وحقائقها التي وضعت لها ألفاظها؛ فإنّ هذا ضدّ البيان والإعلام، ويعود على مقصود الشَّهادة بالإبطال والكتمان، وقد ذمّ الله من كتم شهادة عنده من الله، وأخبر أنّه من أظلم الظالمين.

فإذا كانت عند العبد شهادة من الله تحقّق ما جاء به رسوله من أعلام نبوته، وتوحيد الرُّسل، وأنّ إبراهيم وأهل بيته كانوا على الإسلام كلّهم، وكتم هذه الشَّهادة؛ كان من أظلم الظالمين، كما فعله أعداء رسول الله ﷺ من اليهود، الذين كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

فكيف يظنّ بالله سبحانه أنّه كتم شهادة الحقّ التي يشهد بها الجهميّة والمعتزلة والمعطلّة، ولا يشهد بها لنفسه، ثمّ يشهد لنفسه بما يضاؤها ويناقضها، ولا يجامعها بوجهٍ ما؟! سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ!

فإنّ الله سبحانه شهد لنفسه بأنّه استوى على العرش، وبأنّه القاهر فوق عباده، وبأنّ ملائكته يخافونه من فوقهم، وأنّ الملائكة تعرج إليه بالأمر، وتنزل من عنده به، وأنّ العمل الصّالح يصعد إليه، وأنّه يأتي ويجيء، ويتكلم، ويرضى ويغضب، ويحبُّ ويكره (٣)، ويتأدّى (٤)، ويفرح ويضحك، وأنّه

(١) في المنار: (إلا أهل التوحيد الأثبات).

(٢) في المنار: (فيسمع).

(٣) كلمة (ويكره): ساقطة من المنار، وموجودة بدلاً منها: (وينادي).

(٤) كلمة (ويتأدّى): ساقطة من المنار.

يسمع ويبصر، وأنه يراه المؤمنون بأبصارهم يوم لقائه، إلى غير ذلك مما شهد به لنفسه، وشهد له به رسله، وشهدت له الجهمية بضد ذلك، وقالوا: شهادتنا أصح وأعدل من شهادة النصوص، فإن النصوص تضمنت كتمان الحق وإظهار خلافه.

فشهادة الربّ تعالى تكذب هؤلاء أشدّ التّكذيب، وتتضمّن أنّ الذي شهد به قد (١) بيّنه وأوضحه وأظهره، حتّى جعله في أعلى مراتب الظهور والبيان، وأنه لو كان الحقّ فيما يقوله المعطّلة والجهمية لم يكن العباد قد انتفعوا بما شهد به سبحانه، فإنّ الحقّ في نفس الأمر (٢) - عندهم - لم يشهد به لنفسه، والذي شهد به لنفسه (٣) وأظهره وأوضحه؛ فليس بحقّ، ولا يجوز أن يستفاد منه الحقّ واليقين.

وأما آياته العيانية الخلقية، والنظر فيها والاستدلال بها: فإنّها تدلّ على ما تدلّ عليه آياته القولية السّمعية، وآيات الربّ: هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه (٤) العباد، وبها (٥) يعرفون أسماء وصفاته، وتوحيده، وأمره ونهيه.

فالرّسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به، وهو آياته القولية، ويستدلّون على ذلك بمفعولاته التي تشهد على صحّة ذلك، وهي آياته العيانية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحّة ما جاءت به الرّسل، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة، وهو سبحانه - لكمال عدله ورحمته، وإحسانه وحكمته، ومحبّته للعدر، وإقامته للحجّة - لم يبعث نبيّاً من الأنبياء إلّا ومعه آية تدلّ على صدقه فيما أخبر به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٨٧] فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٣، ١٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤].

(١) لفظ (قد): ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: فإنّ الحقّ الذي في نفس الأمر.

(٣) جملة: (والذي شهد به لنفسه) ساقطة من المنار.

(٤) في المنار: (تعرفه).

(٥) لفظة (بها) ساقطة من المنار.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ

الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ [فاطر: ٢٥].

حتى إن من أخفى آيات الرُّسل آيات هودٍ ﷺ حتى قال له قومه: ﴿يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ

[هود: ٥٣]، ومع هذا فبيئته من أظهر البيِّنات، وقد أشار إليها بقوله: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

فهذا من أعظم الآيات: أن رجلاً واحداً يخاطب أمةً عظيمةً بهذا الخطاب، غير جزع ولا فزع،

ولا خوَارٍ، بل واثقٍ ممَّا قاله جازم به، قد أشهد الله أولاً على براءته من دينهم، وممَّا هم عليه إلهاد

وإثاق به، معتمدٍ عليه، معلمٍ لقومه أنه وليُّه وناصره، وأنه غير مسلَّطهم عليه.

ثمَّ أشهدهم إلهاد مجاهرٍ لهم بالمخالفة: أنه بريءٌ من دينهم وآلهتهم، التي يوالون عليها

ويعادون، ويبدلون دماءهم وأموالهم في نصرتها.

ثمَّ أكَّد عليهم ذلك بالاستهانة بهم، واحتقارهم وازدراؤهم، وأنهم لو يجتمعون كلُّهم على

كيد، وشفاء غيظهم منه، ثمَّ يعاجلونه ولا يمهلون، وفي ضمن ذلك أنهم أضعف وأعجز وأقلُّ من

ذلك، وأنكم لو رمتموه لانقلبتم بغيظكم مكبوتين مخذولين.

ثمَّ قرَّر دعوته أحسن تقرير، وبين أن ربه تعالى وربهم، الذي نواصيهم بيده هو وليُّه ووكيله، القائم

بنصره وتأييده، وأنه على صراطٍ مستقيم، فلا يخذل من توكلَّ عليه وآمن به، ولا يُشمت به أعداءه،

ولا يكون معهم عليه، فإنَّ صراطه المستقيم الذي هو عليه في قوله وفعله يمنع ذلك ويأباه.

وتحت هذا الخطاب: أن من صراطه المستقيم أن ينتقم ممن خرج عنه وعمل بخلافه، وينزل به

بأسه، فإنَّ الصُّراط المستقيم هو العدل الذي عليه الرُّبُّ تعالى، ومنه انتقامه من أهل الشُّرك والإجرام،

ونصره أوليائه ورسله على أعدائهم، وأنه يذهب بهم، ويستخلف قوماً غيرهم، ولا يضرُّه ذلك شيئاً،

وأنه القائم سبحانه على كلِّ شيءٍ حفظاً ورعايةً وتديباً وإحصاءً.

فأيُّ آية وبرهانٍ ودليل أحسن من آيات الأنبياء وبراهينهم وأدلتهم؟ وهي شهادة من الله سبحانه

لهم، بيئتها لعباده غاية البيان، وأظهرها لهم غاية الإظهار بقوله وفعله.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَىٰ مِثْلِهِ

الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيته وَحِيًّا أَوْ حَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

(١) أخرجه البخاري في «فضائل القرآن»، باب: كيف نزول الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨١)، ومسلم في «الإيمان»، باب:

وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٥٢).

ومن أسمائه تعالى «المؤمن» وهو في أحد التفسيرين: المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم قضاءً وخلقا، فإنه سبحانه أخبر - وخبره الصديق، وقوله الحق - أنه لا بد أن يرى العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق، فقال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [فصلت: ٥٤]، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فشهد سبحانه لرسوله بقوله: أن ما جاء به حق، ووعده أن يري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضا، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيء، فإن من أسمائه «الشهيد» الذي لا يغيب عنه (١) شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء (٢)، بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله، وهذا استدلال بأسمائه وصفاته، والأول استدلال بقوله وكلماته، والاستدلال بالآيات الأفقية والنفسية استدلال بأفعاله ومخلوقاته.

فإن قلت: قد فهمت الاستدلال بكلماته والاستدلال بمخلوقاته، فبين لي كيفية الاستدلال بأسمائه وصفاته؛ فإن ذلك أمر لا عهد لنا به في تخاطبنا وكتبنا. قلت: أجل! هو لعمر الله كما ذكرت، وشأنه أجل وأعلى، فإن الرب تعالى هو المدلول عليه، وآياته هي الدليل والبرهان.

فاعلم أن الله سبحانه في الحقيقة هو الدال على نفسه بآياته، فهو الدليل لعباده في الحقيقة بما نصبه لهم من الدلالات والآيات، وقد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود: أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، فالكمال كله، والجمال (٣) والجلال والبهاء، والعزة والعظمة والكبرياء كله من لوازم ذاته، يستحيل أن يكون على غير ذلك، فالحياة كلها له، والعلم كله له، والقدرة كلها له، والسمع والبصر، والإرادة والمشية، والرحمة والغنى، والجود والإحسان والبر، كله خاص له قائم به، وما خفي على الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه، بل لا نسبة لما عرفوه من ذلك إلى ما لم يعرفوه.

ومن كماله المقدس: اطلاعه على كل شيء، وشهادته عليه؛ بحيث لا يغيب عنه وجه من وجوه

(١) في المنار: (عليه).

(٢) جملة (مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء): ساقطة من المنار.

(٣) كلمة (الجمال) ساقطة من المنار.

تفاصيله، ولا ذرّة من ذرّاته، باطنًا وظاهرًا، ومن هذا شأنه: كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا معه غيره، وأن يجعلوا معه إلهاً آخر؟ وكيف يليق بكماله أن يقرّ من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثمّ ينصره على ذلك ويؤيّده، ويعلي كلمته، ويرفع شأنه، ويجيب دعوته، ويهلك عدوّه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين والأدلة ما تعجز^(١) عن مثله قوى البشر، وهو - مع ذلك - كاذبٌ عليه مفتر، ساع في الأرض بالفساد!

ومعلومٌ أنّ شهادته سبحانه على كلّ شيء، وقدرته على كلّ شيء، وحكمته وعزّته وكماله المقدّس يأبى ذلك كلّ الإباء، ومن ظنّ ذلك به وجوّزه عليه؛ فهو من أبعد الخلق من معرفته، وإن عرف منه بعض صفاته، كصفة القدرة وصفة المشيئة.

والقرآن مملوءٌ من هذه الطّريق، وهي طريق الخاصّة، بل خاصّة الخاصّة هم الذين يستدلّون بالله على أفعاله، وما يليق به أن يفعله وما لا يفعله.

وإذا تدبّرت القرآن رأيت ينادي على ذلك، فيبيده ويعيده لمن له فهمٌ وقلبٌ واع عن الله. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، أفلا تراه كيف يخبر سبحانه أنّ كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقرّ من تقوّل عليه بعض الأقاويل؟ بل لا بدّ أن يجعله عبرةً لعباده، كما جرت بذلك سنّته في المتقولين عليه.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذبًا فإن يشر الله بخبر على قَلْبِكَ﴾ هاهنا انتهى جواب الشرط، ثمّ أخبر خبراً جازماً غير معلّق أنّه ﴿يُمح الله البطل ويحق الحق﴾ [الشورى: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، فأخبر أنّ من نفى عنه الإرسال والكلام لم يقدره حقّ قدره، ولا عرفه كما ينبغي، ولا عظّمه كما يستحقّ، فكيف من ظنّ أنّه ينصر الكاذب المفترى عليه ويؤيّده؟ ويظهر على يديه الآيات والأدلة؟!

وهذا في القرآن كثيرٌ جدًّا، يستدلّ بكماله المقدّس، وأوصافه وجلاله على صدق رسله، وعلى وعده ووعدته، ويدعو عباده إلى ذلك، كما يستدلّ بأسمائه وصفاته على وحدانيّته، وعلى بطلان الشّرك، كما في قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٣]، وأضعاف أضعاف ذلك في القرآن.

ويستدلّ سبحانه بأسمائه وصفاته على بطلان ما نسب إليه من الأحكام والشّرائع الباطلة، وأنّ

(١) في المنار: (ما يعجز).

كماله المقدس يمنع من شرعها، كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقوله عقيب ما نهى عنه وحرّمه من الشرك والظلم والفواحش والقول عليه بلا علم: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨]، فأعلمك أنّ ما كان سيئاً في نفسه فهو يكرهه، وكماله يأبى أن يجعله شرعاً له وديناً، فهو سبحانه يدلّ عباده بأسمائه وصفاته على ما يفعله ويأمر به، وما يحبه (١) ويبغضه، ويثيب عليه ويعاقب عليه.

ولكنّ هذه الطريق لا يصل إليها إلا خاصّة الخاصّة، فلذلك كانت طريقة الجمهور الدلالات بالآيات المشاهدة، فإنّها أوسع وأسهل تناولاً، والله سبحانه يفضّل بعض خلقه على بعض، ويرفع درجات من يشاء، وهو العليم الحكيم.

فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنّه هو الدعوة والحجّة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو الشاهد والمشهود له، وهو الحكم والدليل، وهو الدعوى والبيّنة، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧] أي: من ربّه، وهو القرآن.

وقال تعالى لمن طلب آية تدلّ على صدق رسوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [العنكبوت: ٥١، ٥٢]، فأخبر سبحانه أنّ الكتاب الذي أنزله على رسوله يكفي عن كلّ آية، ففيه الحجّة والدلالة على أنّه من الله، وأنّ الله سبحانه أرسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن أتبعه السعادة، وينجيّه من العذاب.

ثمّ قال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾، فإذا كان الله سبحانه عالماً بجميع الأشياء؛ كانت شهادته أصدق شهادة وأعدلها، فإنّها شهادة بعلم تامّ، محيط بالمشهود به، فيكون الشاهد به أعدل الشّهداء وأصدقهم، وهو سبحانه يذكر علمه عند شهادته، وقدرته ومملكه عند مجازاته، وحكمته عند خلقه وأمره، ورحمته عند ذكر إرسال رسوله، وحلمه عند ذكر ذنوب عباده ومعاصيهم، وسمعه عند ذكر دعائهم، ومسألته وعزّته وعلمه عند قضائه وقدره.

فتأمّل ورود أسمائه الحسنی في كتابه، وارتباطها بالخلق والأمر، والثواب والعقاب.

(١) في المنار: (ويحبه).

(٢) في المنار: (من).

فصل

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]. فاستشهد على رسالته بشهادة الله له، ولا بد أن تعلم هذه الشهادة، وتقوم بها الحجّة على المكذّبين له.

وكذلك قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. وكذلك قوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿[النساء: ١٦٦].

وكذلك قوله: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ أَنْزَلْنَا بِالْحِكْمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣]. وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ١].

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذا كلّ شهادة منه لرسوله، قد أظهرها وبينها، وبين صحّتها غاية البيان؛ بحيث قطع العذر بينه وبين عباده، وأقام الحجّة عليهم، فكونه سبحانه شاهداً لرسوله معلومٌ بسائر أنواع الأدلّة عقليّتها ونقلّيها وفطريّتها وضروريّتها ونظريّتها.

ومن نظر في ذلك وتأمله؛ علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشّهادة، وأعدلها وأظهرها، وصدّقه بسائر أنواع التّصديق بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه، وبفعله وإقراره، وبما فطر عليه عباده؛ من الإقرار بكماله، وتنزيهه عن القبائح، وعمّا لا يليق به، وفي (١) كلّ وقت يحدث من الآيات الدلّالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجّة، ويزيل به العذر، ويحكم له ولأتباعه بما وعدهم به؛ من العزّ والنّجاة والظّفر والتأييد، ويحكم على أعدائه ومكذّبيه بما توعدّهم (٢) به؛ من الخزي والنكال والعقوبات المعجّلة، الدلّالة على تحقيق العقوبات المؤجّلة (٣).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]

(١) لفظة (في) ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (أو عدّهم).

(٣) قال في حاشية المنار: «لا ينقض هذا وما قبله بضعف دول المسلمين واستيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم استيلاء تامّاً وعلى البعض الآخر استيلاء ناقصاً؛ فإن هذه الدول ليست قائمة بدين الله الحق ولا مقيمة لشريعته العدل.

فيظهره ظهورين: ظهورًا بالحجة والبيان والدلالة، وظهورًا بالنصر والظفر والغلبة والتأييد، حتى يظهره على مخالففيه ويكون منصورًا.

وقوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦] فما فيه من الخبر عن علم الله الذي لا يعمله غيره من أعظم الشهادة بأنه هو الذي أنزله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظُلْمًا مِمَّا أَنْزَلْنَا لَهُمْ أَنْزَلْنَاهُ أَنْزَلَهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) [هود: ١٣، ١٤]. وليس المراد مجرد الإخبار بأنه أنزله وهو معلوم له، كما يعلم سائر الأشياء، فإن كل شيء معلوم له من حق وباطل، وإنما المعنى: أنزله مشتملاً على علمه، فنزوله مشتملاً على علمه هو آية كونه من عنده، وأنه حق وصدق.

ونظير هذا قوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]، ذكر ذلك سبحانه تكذيباً ورداً على من قال: ﴿افْتَرَاهُ﴾.

فصل

ومن شهادته أيضًا ما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت، والطمأنينة بكلامه ووحيه؛ فإن العادة تحيل حصول ذلك بما هو من أعظم الكذب والافتراء على رب العالمين، والإخبار عنه بخلاف ما هو عليه من أسمائه وصفاته، بل ذلك يوقع أعظم الريب والشك، وتدفعه الفطر والعقول السليمة، كما تدفع الفطر - التي فطر عليها الحيوان - الأغذية الخبيثة الضارة التي لا تغذي، كالأبوال والأنثان.

فإن الله سبحانه فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له، والطمأنينة به، والسكون إليه ومحبته، وفطرها على بغض الكذب والباطل، والثفور عنه، والريبة به، وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفطر على حالها لما آثرت على الحق سواه، ولما سكنت إلا إليه، ولا اطمأنت إلا به، ولا أحببت غيره.

ولهذا؛ ندب الله ﷻ عباده إلى تدبر القرآن، فإن كل من تدبره أوجب له تدبره علمًا ضروريًا ويقينًا جازمًا أنه حق وصدق، بل أحق كل حق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله، وأبرهم، وأكملهم علمًا وعملاً ومعرفةً، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

فلو رفعت الأقفال عن القلوب لباشرت حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان، وعلمت علمًا ضروريًا يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية - من الفرح، والألم، والحب، والخوف - أنه من عند الله، تكلم به حقًا، وبلغه (١) رسوله جبريل عنه إلى رسوله محمد.

فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد، وبه احتج هرقل على أبي سفيان حيث قال له: «فَهَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ، بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ: وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَتْ حَلَاوَتُهُ بِشَاشَةِ الْقُلُوبِ لَا يَسْخِطُهُ أَحَدٌ» (٢).

وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾

[العنكبوت: ٤٩].

وقوله: ﴿وَلِعَلَّمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [الحج: ٥٤].

وقوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦].

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

أَنَابَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الرعد: ٢٧] يعني: أن الآية التي يقترحونها لا توجب هداية، بل الله هو الذي يهدي ويضل، ثم

نَبَّهَهُمْ عَلَىٰ أَعْظَمِ آيَةٍ وَأَجْلَهَا، وهي طمأنينة قلوب المؤمنين بذكره الذي أنزله، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: بكتابه وكلامه: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]

فطمأنينة القلوب الصحيحة، والفطر السليمة به، وسكونها إليه من أعظم الآيات؛ إذ يستحيل في العادة

أن تطمئن القلوب وتسكن إلى الكذب والافتراء والباطل.

فإن قيل: فلم لم يذكر الله سبحانه شهادة رسله مع الملائكة، فيقول: شهد الله أنه لا إله إلا هو

والملائكة والرسل، وهم أعظم شهادة من أولي العلم؟

قيل: في ذلك عدة فوائد:

- إحداها: أن أولي العلم أعم من الرسل والأنبياء فيدخلونهم وأتباعهم.

- وثانيها: أن في ذكر أولي العلم في هذه الشهادة، وتعليقها بهم ما يدل على أنها من موجبات

العلم ومقتضياته، وأن من كان من أولي العلم فإنه يشهد بهذه الشهادة، كما يقال: إذا طلع الهلال

(١) في المنار: (وبلغ به).

(٢) تقدم تخريجه (٣/٣١٣).

وَأَتَّصَح، فَإِنَّ (١) كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ يَرَاهُ، وَإِذَا فَاحَتْ رَائِحَةٌ ظَاهِرَةٌ فَكُلُّ (٢) مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّمِّ يَشْمُ هَذِهِ الرَّائِحَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦] أَي: كُلُّ مَنْ لَهُ رُؤْيَةٌ يَرَاهَا حَيْثُذُ عِيَانًا.

ففي هذا بيانٌ أنَّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْجَهَّالِ، وَإِنْ عِلْمٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا لَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ، فَهُوَ مِنْ أَوْلِيِ الْجَهْلِ، لَا مِنْ أَوْلِيِ الْعِلْمِ، وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ وَيُؤَدِّيهِا عَلَيَّ وَجْهًا إِلَّا أَتْبَاعَ الرَّسْلِ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ، فَهُمْ أَوْلُو الْعِلْمِ، وَسَائِرُ مَنْ عَدَاهُمْ أَوْلُو الْجَهْلِ، وَإِنْ وَسَّعُوا الْقَوْلَ وَأَكْثَرُوا الْجِدَالَ.

ومنها: الشَّهَادَةُ مِنْ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَهْلِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ أَنَّهُمْ أَوْلُو الْعِلْمِ، فَشَهَادَتُهُ لَهُمْ أَعْدَلُ وَأَصْدَقُ مِنْ شَهَادَةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْطَلَةِ وَالْفِرْعَوْنِيَّةِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ جَهَّالٌ، وَأَنَّهُمْ حَشَوِيَّةٌ، وَأَنَّهُمْ مَشْبُهَةٌ، وَأَنَّهُمْ مَجْسَمَةٌ وَنَوَابِتٌ وَنَوَاصِبٌ، فَكَفَاهُمْ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَوْلِيِ الْعِلْمِ؛ إِذْ شَهِدُوا لَهُ بِحَقِيقَةِ مَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَثْبَتُوا لَهُ حَقِيقَةَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ وَمُضْمُونَهَا، وَخَصُومَهُمْ نَفَوْا عَنْهُ حَقَائِقَهَا، وَأَثْبَتُوا لَهُ أَلْفَاظَهَا وَمَجَازَاتَهَا.

فصل

وفي ضمن هذه الشَّهَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ الثَّنَاءَ عَلَيَّ أَهْلِ الْعِلْمِ الشَّاهِدِينَ بِهَا وَتَعْدِيلَهُمْ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَرَنَ شَهَادَتَهُمْ بِشَهَادَتِهِ وَشَهَادَةَ مَلَائِكَتِهِ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِمْ جَلَّ وَعَلَا عَلَيَّ أَجَلٌ مَشْهُودٌ بِهِ، وَجَعَلَهُمْ حِجَّةً عَلَيَّ مَنْ أَنْكَرَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ، كَمَا يَحْتَجُّ بِالْبَيْتَةِ عَلَيَّ مَنْ أَنْكَرَ الْحَقَّ، فَالْحِجَّةُ قَامَتْ بِالرُّسْلِ عَلَيَّ الْخَلْقِ، وَهَؤُلَاءِ نَوَابِ الرُّسْلِ وَخَلْفَاؤُهُمْ فِي إِقَامَةِ حُجَجِ اللهِ عَلَيَّ الْعِبَادِ.

فصل

وقد فسَّرت شهادة أولي العلم بالإقرار، وفسَّرت بالتبيين والإظهار، والصَّحِيح: أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ الْأَمْرَيْنِ، فَشَهَادَتُهُمْ إِقْرَارٌ، وَإِظْهَارٌ، وَإِعْلَامٌ، وَهُمْ شُهَدَاءُ اللهِ عَلَيَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

(١) لفظة (فإن) ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (كل).

وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا (١) لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

فأخبر أنه جعلهم عدولاً خياراً، ونوّه بذكرهم قبل أن يوجد لهم، لما سبق في علمه من اتّخاذه لهم شهداء يشهدون على الأمم يوم القيامة، فمن لم يقيم بهذه الشهادة -علماً وعملاً، ومعرفة وإقراراً، ودعوة وتعليماً وإرشاداً- فليس من شهداء الله، والله المستعان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩] اختلف المفسرون: هل هو كلامٌ مستأنفٌ، أو داخلٌ في مضمون هذه الشهادة؟ فهو بعض المشهود به.

وهذا الاختلاف مبنيٌّ على القراءتين في كسر «إِنَّ» وفتحها، فالأكثر على كسرها على الاستئناف، وفتحها الكسائي وحده، والوجه: هو الكسر؛ لأنّ الكلام الذي قبله قد تمّ، فالجملة الثانية مقرّرة مؤكّدة لمضمون ما قبلها، وهذا أبلغ في التّقرير، وأذهب في المدح والثناء، ولهذا كان كسر: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] أحسن من الفتح، وكان الكسر في قول الملبّي: ﴿لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ﴾ أحسن من الفتح.

وقد ذكر في توجيه قراءة الكسائي ثلاثة أوجه:

- أحدها: أن تكون الشهادة واقعةً على الجملتين، فهي واقعةٌ على: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ وهو المشهود به، ويكون فتح «أَنَّهُ» من قوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ على إسقاط حرف الجرّ؛ أي: بأنّه لا إله إلا هو، وهذا توجيه الفراء.

وهو ضعيفٌ جدّاً، فإنّ المعنى على خلافه، وأنّ المشهود به هو نفس قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فالمشهود به «أَنَّ» وما في حيّزها، والعناية إلى هذا صرفت، وبه حصلت، ولكن لهذا القول -مع ضعفه- وجهٌ، وهو: أن يكون المعنى: شهد الله بتوحيده أنّ الدّين عند الله الإسلام، والإسلام هو توحيدُه سبحانه، فتضمّنت الشهادة توحيدَه، وتحقيق دينه أنّه الإسلام لا غيره.

- الوجه الثّاني: أن تكون الشهادة واقعةً على الجملتين معاً، كلاهما مشهودٌ به على تقدير حذف الواو وإرادتها، والتّقدير: وأنّ الدّين عند الله الإسلام، فتكون جملةً استغني فيها عن حرف العطف بما تضمّنت من ذكر المعطوف عليه، كما وقع الاستغناء عنها في قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُتِبَتْ لَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتِبَتْ لَهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، فيحسن ذكر الواو وحذفها، كما حذف هنا، وذكرت في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَتَأْمُنُهُمْ كُتِبَتْ لَهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

- الوجه الثّالث - وهو مذهب البصريين -: أن يجعل «أَنَّ» الثّانية بدلاً من الأولى، والتّقدير:

(١) أي: سماكم المسلمين فيما أنزل على الرسل من قبل وفي هذا القرآن الذي أنزل على رسولكم. (الفقي).

شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، وقوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ توطئةٌ للثانية وتمهيدٌ، ويكون هذا من البديل الذي الثاني فيه نفس الأول، فإن الدين الذي هو نفس الإسلام عند الله هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها، ولك أن تجعله على هذا الوجه من باب بدل الاشتمال؛ لأن الإسلام يشتمل على التوحيد.

فإن قيل: فكان ينبغي على هذه القراءة أن يقول: إن الدين عند الله الإسلام؛ لأن المعنى: شهد الله أن الدين عنده الإسلام، فلم عدل إلى لفظ الظاهر؟
قيل: هذا يرجح قراءة الجمهور، وأنها أفصح وأحسن، ولكن يجوز إقامة الظاهر مقام المضمرة، وقد ورد في القرآن وكلام العرب كثيرًا، فإن الله تعالى قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقال (١): ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «افْتَحَرَ الْمُشْرِكُونَ بِآبَائِهِمْ، فَقَالَ كُلُّ فَرِيقٍ: لَا دِينَ إِلَّا دِينُ آبَائِنَا وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾». يعني: الذي جاء به محمدٌ، وهو [دين] (٢) الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس له دينٌ سواه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد دلّ قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دينٌ سواه، قال أول الرُّسُلِ نوحٌ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].
﴿وَوَضَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال يعقوب لبنيه عند الموت: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. (٣)

وقال موسى لقومه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

(١) في المنار: (وقوله).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناه هنا من نسخة المنار.

(٣) قال في حاشية المنار: في نسخة (ب) ذكرت جميع الآية.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ مَنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقالت ملكة سبأ: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].
فالإسلام دين أهل السموات ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان، فدين الرحمن هو الإسلام، والتي للشيطان: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين.

فهذا بعض ما تضمنته هذه الآية العظيمة من أسرار التوحيد والمعارف، ولا تستطل الكلام فيها، فإنه أهم من الكلام على كلام صاحب «المنازل»، فلنرجع إلى شرح كلامه وبيان ما فيه.
□ قال: «وإِنَّمَا نَطَقَ الْعُلَمَاءُ بِمَا نَطَقُوا بِهِ، وَأَشَارَ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى مَا أَشَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ لِقَصْدِ تَصْحِيحِ التَّوْحِيدِ، وَمَا سِوَاهُ مِنْ حَالٍ أَوْ مَقَامٍ فَكُلُّهُ مَصْحُوبُ الْعَلَلِ».

يريد: أن التوحيد هو الغاية المطلوبة من جميع المقامات والأعمال والأحوال، فغايتها كلها التوحيد، وإنما كلام العلماء والمحققين من أهل السلوك كله لقصد تصحيحه، وهذا بين من أول المقامات إلى آخرها، فإنها تشير إلى تصحيحه وتجريده.

وقوله: «وَمَا سِوَاهُ مِنْ حَالٍ أَوْ مَقَامٍ فَكُلُّهُ مَصْحُوبُ الْعَلَلِ».

يريد: أن تجريد التوحيد لا علة معه؛ إذ لو كان معه علة تصحبه لم يجرد، فتجرده ينفي عنه العلة بالكلية، بخلاف ما سواه من المقامات والأحوال، فإن العلة تصحبها، وعندهم: أن علة المقامات لا تزول بتجريد التوحيد.

مثاله: أن علة مقام التوكل أن يشهد متوكلاً ومتوكلاً^(١) عليه، ومتوكلاً فيه، ويشهد نفس توكله، وهذا كله علة في مقام التوكل، فإنه لا يصح له مقامه إلا بالآ يشهد مع الوكيل الحق الذي يتوكل عليه غيره، ولا يرى توكله عليه سبباً لحصول المطلوب، ولا وسيلة إليه.

وفيه علة أخرى أدق من هذه عند أرباب الفناء، وهي: أن المتوكل قد وكل أمره إلى مولاه، والتجأ إلى كفايته وتدبيره له، والقيام بمصالحه، قالوا: وهذا في طريق الخاصة عمى عن التوحيد، ورجوع إلى الأسباب؛ لأن الموحد قد رفض الأسباب، ووقف مع المسبب وحده، والمتوكل وإن رفض الأسباب فإنه واقف مع توكله، فصار توكله بدلاً من تلك الأسباب التي رفضها، فهو متعلق بما رفضه.

(١) في المنار: (أن يشهد متوكلاً ومتوكلاً فيه ومتوكلاً عليه).

وتجريد التَّوَكُّلِ عندهم وحقيقته: هو تخليص القلب من علة التَّوَكُّلِ، وهو أن يعلم أن الله سبحانه فرغ من الأسباب وقدَّرها، وهو سبحانه يسوق المقادير إلى المواقيت، فالتَّوَكُّلُ حقيقةٌ - عندهم - هو من أراح نفسه من كد النَّظَرِ، ومطالعة السَّبَبِ، سكوناً إلى ما سبق له من القَسَمِ، مع استواء الحالين عنده، وهو أن يعلم أن الطَّلَبَ لا يَنفَعُ، والتَّوَكُّلَ لا يَجْمَعُ، ومتى طالع بتوَكُّله عرضاً (١) كان توَكُّله مدخولاً، وقصده معلولاً، فإذا خلص من رقِّ هذه الأسباب، ومطالعة العوارض (٢)، ولم يلاحظ في توَكُّله سوى خالص حقِّ الرَّبِّ سبحانه؛ كفاه تعالى كلَّ مهمٍّ، كما أوحى الله تعالى إلى موسى: «كُنْ لِي كَمَا أُرِيدُ، أَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدُ».

وهذا الكلام وأمثاله بعضه صوابٌ، وبعضه خطأ، وبعضه محتملٌ.

- فقوله: «إِنَّ التَّوَكُّلَ فِي طَرِيقِ الْخَاصَّةِ عَمَى عَنِ التَّوْحِيدِ، وَرُجُوعٌ إِلَى الْأَسْبَابِ» خطأٌ محضٌ، بل التَّوَكُّلُ حقيقة التَّوْحِيدِ، ولا يتمُّ التَّوْحِيدُ إلَّا به، وقد تقدَّم في باب التَّوَكُّلِ بيان ذلك، وأنه من مقامات الرُّسُلِ، وهم خاصَّةُ الخاصَّةِ، وإنَّما المتحدلقون المتنتطعون جعلوه من مقامات العامَّةِ، ولا أخصَّ ممَّن أرسل الله واصطفى، ولا أعلى من مقاماتهم.

- وقوله: «إِنَّهُ رُجُوعٌ إِلَى الْأَسْبَابِ».

يقال: بل هو قيامٌ بحقِّ الأمر؛ فإنَّ الله سبحانه اقتضت حكمته ربط المسبِّبات بأسبابها، وجعل التَّوَكُّلَ والدُّعاء من أقرب الأسباب التي تحضِّل المقصود، فالتَّوَكُّلُ امتثالٌ لأمر الله، وموافقةٌ لحكمته، وعبوديَّة القلب له، فكيف يكون مصحوب العلل؟ وكيف يكون من مقامات العامَّة؟!

- وقوله: «لِأَنَّ الْمُؤَحَّدَ قَدْ رَفَضَ الْأَسْبَابَ كُلَّهَا».

يقال له: هذا الرَّفْضُ لا يخرج عن الكفر تارةً، والفسق تارةً، والتَّقْصِيرُ تارةً؛ فإنَّ الله أمر بالقيام بالأسباب، فمن رفض ما أمره الله أن يقوم به فقد ضادَّ الله في أمره، وكيف يحلُّ لمسلم أن يرفض الأسباب كلَّها؟

فإن قلت: ليس المراد رفض القيام بها، وإنَّما المراد: رفض الوقوف معها.

قلت: وهذا أيضاً غير مستقيم، فإنَّ الوقوف مع الأسباب قسمان:

وقوفٌ مأمورٌ به مطلوبٌ: وهو أن يقف معها حيث أوقفه الله ورسوله، فلا يتعدَّى حدودها،

ولا يقصر عنها، فيقف معها (٣) مراعاةً لحدودها وأوقاتها وشرائطها، وهذا الوقوف لا تتمُّ العبوديَّةُ إلَّا به.

(١) في المنار: (عوضاً).

(٢) في المنار: (العوض).

(٣) في المنار: (مع).

ووقوفٌ معها: بحيث يعتقد أنها هي الفاعلة المؤثرة بنفسها، وأنها تنفع وتضر بذاتها، فهذا لا يعتقدُه موحدٌ، ولا يحتاج أن يحترز منه من يتكلم في المعرفة والسلوك.

نعم؛ لا ينقطع بها عن رؤية المسبب، ويعتقدها هي الغاية المطلوبة منه، بل هي وسيلة توصل إلى الغاية، ولا تصل إلى الغاية المطلوبة بدونها، فهذا حقٌ، لكن لا يجمع رفضها والإعراض عنها، بل يقوم بها، معتقداً أنها وسيلة موصلة إلى الغاية، فهي كالطريق الحسي الذي يقطعه المسافر إلى مقصده، فإن قيل له: ارفض الطريق، ولا تلتفت إليها؛ انقطع عن المسير بالكلية، وإن جعلها غايتها، ولم يقصد بالسير فيها وصوله إلى مقصدٍ معينٍ؛ كان معرضاً عن الغاية، مشغلاً بالطريق، وإن قيل له: التفت إلى طريقك ومنازل سيرك، وراعها، وسر فيها ناظرًا إلى المقصود، عاملاً على الوصول إليه، فهذا هو الحق.

- وقوله: «الْمُتَوَكِّلُ وَإِنْ رَفَضَ الْأَسْبَابَ وَاقِفٌ مَعَ تَوَكُّلِهِ».

فيقال: إن وقف مع توكله امتثالاً لأمر الله، وأداءً لحق عبوديته، معتقداً أن الله هو الذي من عليه بالتوكل، وأقامه فيه، وجعله سبباً موصلاً له إلى مطلوبه، فنعم الوقوف ووقف، وما أحسنه من وقوف! وإن وقف معه اعتقاداً أن بنفس توكله وعمله يصل، مع قطع النظر عن فضل ربه وإعانتة، ومنه عليه بالتوكل؛ فهو وقوف منقطع عن الله.

- وقوله: «إِنَّ التَّوَكُّلَ بَدَلٌ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي رَفَضَهَا، فَالْمُتَوَكِّلُ مُتَنَقِّلٌ مِنْ سَبَبٍ إِلَى سَبَبٍ».

يقال له: إن كانت الأسباب التي رفضها غير مأمور بها، فالتوكل المجرد خيرٌ منها، وإن كانت مأموراً بها، فرفضه لها إلى التوكل معصيةٌ وخروجٌ عن الأمر.

نعم؛ للتوكل ثلاث علل:

- إحداها^(١): أن يترك ما أمر به من الأسباب، استغناءً بالتوكل عنها، فهذا توكل عجزٍ وتفريطٍ وإضاعةٍ، لا توكل عبوديةٍ وتوحيدٍ، كمن يترك الأعمال التي هي سبب النجاة، ويتوكل في حصولها ويترك القيام بأسباب الرزق؛ من العمل والحراثة والتجارة ونحوها، ويتوكل في حصوله، ويترك طلب العلم، ويتوكل في حصوله، فهذا توكله عجزٌ وتفريطٌ.

كما قال بعض السلف: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَجْعَلُ تَوَكُّلَهُ عَجْزًا، وَعَجْزَهُ تَوَكُّلًا».

العلة الثانية: أن يتوكل في حظوظه وشهوته دون حقوق ربه، كمن يتوكل في حصول مالٍ أو زوجةٍ أو رياضيةٍ، وأما التوكل في نصره دين الله، وإعلاء كلمته وإظهار سنة رسوله ﷺ، وجهاد أعدائه فليس فيه علةٌ، بل هو مزيلٌ للعلل.

(١) في المنار: (أحدها).

العلة الثالثة: أن يرى توكله منه، ويغيب بذلك عن مطالعة المنة وشهود الفضل، وإقامة الله له في مقام التوكل، وليس مجرد رؤية التوكل علة، كما يظنه كثير من الناس، بل رؤية التوكل، وأنه من عين الجود، ومحض المنة، ومجرد التوفيق عبودية، وهي أكمل من كونه يغيب عنه ولا يراه، فالأكمل ألا يغيب بفضل ربه عنه، ولا به عن شهود فضله، كما تقدّم بيانه.

فهذه العلة الثلاث هي التي تعرض في مقام التوكل وغيره من المقامات، وهي التي يعمل العارفون بالله وأمره على قطعها، وهكذا الكلام في سائر علل المقامات، وإنما ذكرنا هذا مثالاً لما يذكر من عللها، وقد أفرد لها صاحب «المنازل» مصنفًا لطيفًا، وجعل غالبها معلولاً.

والصواب: أن عللها هذه الثلاثة المذكورة، أن يترك بها ما هو أعلى منها، وأن يعلّقها بحظّه، والانقطاع بها عن المقصود، وألا يراها من عين المنة ومحض الجود، وبالله التوفيق.

□ قوله: «والتوحيد على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: توحيد العامة، الذي يصح بالشواهد.

والوجه الثاني: توحيد الخاصة، وهو الذي يتبّت بالحقائق.

والوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة».

فيقال: لا ريب أن أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم - علمًا ومعرفةً وحالًا - تفاوتًا لا يحصيه إلا الله، فأكمل الناس توحيدًا: الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيدًا، وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، [وعيسى^(١)]، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأكملهم توحيدًا: الخليان محمد وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علمًا ومعرفةً وحالًا، ودعوةً للخلق وجهادًا.

فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يقتدي بهم فيه، كما قال سبحانه - بعد ذكر إبراهيم ومناظرته أباه وقومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد، وذكر الأنبياء من ذريته - ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَفْرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠] فلا أكمل من توحيد من أمر رسول الله ﷺ أن يقتدي بهم.

ولما قاموا بحقيقته علمًا وعملاً ودعوةً وجهادًا جعلهم الله أئمةً للخلائق، يهدون بأمره، ويدعون إليه، وجعل الخلائق تبعًا لهم، ياتّمون بأمرهم، ويتنهون إلى ما وقفوا بهم عنده، وخصّ

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وهي موجودة في المنار.

بالسعادة والفلاح والهدى أتباعهم، وبالشقاء والضلال مخالفيهم، وقال لإمامهم وشيخهم إبراهيم خليله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: لا ينال عهدي بالإمامة مشرك، ولهذا أوصى نبيه محمدًا ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم، وكان يعلم أصحابه، إذا أصبحوا أن يقولوا: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة آبينا إبراهيم، حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين»^(١)، فملة إبراهيم: التوحيد، ودين محمد: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وفطرة الإسلام: هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبوديةً وذلاً، وانقياداً وإنابةً.

فهذا هو توحيد خاصة الخاصة الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفها.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥، ١٢٦] ﴿

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥، ١٢٦].

فقسم سبحانه الخلائق قسمين: سفيهاً لا أسفه منه، ورشيداً، فالسفيه: من رغب عن ملته إلى الشرك^(٢)، والرشيد: من تبرأ من الشرك قولاً وعملاً وحالاً، فكان قوله توحيداً، وعمله توحيداً، وحاله توحيداً، ودعوته إلى التوحيد، وبهذا أمر الله سبحانه جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَجِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾﴾

[الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

[الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢١ - ٢٤] أي: هذا الكتاب الذي أنزل علي، وهذه كتب الأنبياء كلهم، هل وجدتم في شيء منها اتخذ آلهة مع الله؟ أم كلها ناطقة بالتوحيد آمرة به؟

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

(١) رواه أحمد (٤٠٦/٣، ٤٠٧)، والدارمي (٢/٢٦٢)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١٦/١٠)، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) في المنار: (من رغب عنه إلى الشرك).

والطَّاعُوتِ اسْمٌ لِكُلِّ مَا عَبَدُوهُ (١) مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَكُلُّ مُشْرِكٍ إِلَيْهِ طَاعُوتُهُ.

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية على ما ذكره صاحب «المنازل» في التوحيد فقال بعد أن حكى كلامه إلى آخره: «أَمَّا التَّوْحِيدُ الْأَوَّلُ، الَّذِي ذَكَرَهُ: فَهُوَ التَّوْحِيدُ (٢) الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ كُلُّهَا، وَبِهِ أَمَرَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»، وذكر الآيات الواردة بذلك. ثم قال: «وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ رَسُولٍ مِنَ الرَّسُلِ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وَهَذِهِ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرَّسُلِ وَآخِرُهَا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» (٣).
وقال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٤).

والقرآن مملوءٌ من هذا التوحيد، والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الآخرة به، وحقيقته: إخلاص الدين كله لله، والفناء في هذا التوحيد مقرونٌ بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء، وحقيقته: أن تفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبمحبتته عن محبة ما سواه، وبخشيتيه عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وكذلك بموالاته وسؤاله، والاستغناء به، والتوكل عليه، ورجائه ودعائه، والتفويض إليه، والتحاكم إليه، واللجأ إليه، والرغبة فيما عنده (٥)، قال تعالى: ﴿قُلْ غَيْرَ اللَّهِ أَنَا خَائِدٌ وَإِنِّي فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ غَيْرَ اللَّهِ أَنبِئُ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٦٤) ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ

أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) [الزمر: ٦٤ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٦)

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦) ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣] الآية.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ (٦٦) [الشعراء: ٢١٣].

(١) في المنار: (ما عبد).

(٢) في المنار: (التوحيد الأول).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٣١).

(٤) رواه مسلم في «الإيمان»، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٢٦)، ورواه أحمد (١/ ٦٥).

(٥) في المنار: (والرغبة فيه).

وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخَذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿الإسراء: ٢٢﴾. (١)
 وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ﴿القصص: ٨٨﴾.
 وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿الزمر: ٣٨﴾.
 وقال: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ ﴿يونس: ١٠٧﴾.
 وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿الزمر: ٢٤﴾.
 وقال عن أصحاب الكهف: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ ﴿١٤﴾ ﴿الكهف: ١٤﴾.

وقال عن صاحب يس: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿آتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِيدَنَّ الرِّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تَجْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿يس: ٢٢، ٢٣﴾.
 وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ ﴿الشورى: ٩﴾.
 وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿الزمر: ٤٣، ٤٤﴾.
 وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَكُرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿الحج: ٧٣، ٧٤﴾.
 وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿النساء: ٣٦﴾.
 وهذا في القرآن كثير، بل هو أكثر (٢) من أن يذكر، وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وذروة سنامه، وقطب رحاه.

وأمرنا تعالى أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ ﴿الممتحنة: ٤﴾.
 وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿الزخرف: ٤٦، ٤٧﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُهَا

(١) في المنار: زيادة: (وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا﴾ ﴿الإسراء: ٣٩﴾).

(٢) في المنار: (وهو أكثر).

عَكَفِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴿[الشعراء: ٦٩ - ٨٢].

وإذا تدبرت القرآن - من أوله إلى آخره - رأيتَه يدور على هذا التوحيد، وتقديره وحقوقه.
قال شيخنا: «وَالْخَلِيلَانِ هُمُ^(١) أَكْمَلُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ تَوْحِيدًا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَكْمَلُ تَوْحِيدًا مِنْ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَنِ الرَّسُلِ، فَضْلًا عَنِ أَوْلِي الْعِزْمِ، فَضْلًا عَنِ الْخَلِيلَيْنِ، وَكَمَالِ هَذَا التَّوْحِيدِ هُوَ الْأَلَّا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ لِعَبِيرِ اللَّهِ أَصْلًا، بَلْ يَبْقَى الْعَبْدُ مُوَالِيًا لِرَبِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، (يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ وَمَا أَحَبَّ، وَيُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَ وَمَا أَبْغَضَ)^(٢)، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِي، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِي، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ.

فصل

قَوْلُهُ: «وَهَذَا تَوْحِيدُ الْعَامَّةِ، الَّذِي يَصِحُّ بِالشَّوَاهِدِ». قد تبين أن هذا توحيد خاصة الخاصة، الذي لا شيء فوقه، ولا أخص منه، وأن الخليلين أكمل الناس فيه توحيدًا، فليهن العامة نصيبهم منه.
قوله: «يَصِحُّ بِالشَّوَاهِدِ»؛ أي: بالأدلة والآيات والبراهين، وهذا مما يدل على كماله وشرفه أن قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات والبراهين، وما عداه فدعاوى مجردة، لا يقوم عليها دليل، ولا تصح بشاهد، فكل توحيد لا يصح بشاهد فليس بتوحيد، فلا يجوز أن يكون توحيد أكمل من التوحيد الذي يصح بالشواهد والآيات، وتوحيد القرآن من أوله إلى آخره كذلك.
قوله: «هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الظَّاهِرُ الجَلِيُّ، الَّذِي نَفَى الشَّرْكَ الْأَعْظَمَ». فنعم لعمر الله! ولظهوره وجلائه أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأمر الله به الأولين والآخرين من عباده، وأما الرمز والإشارة والتعقيد، الذي لا يكاد أن يفهمه أحد من الناس إلا بجهد وكلفة فليس مما جاءت به الرسل، ولا دعوا إليه، فظهور هذا التوحيد وانجلاؤه ووضوحه، وشهادة الفطر والعقول به من أعظم الأدلة أنه أعلى مراتب التوحيد، وذروة سنامه، ولذلك قوي على نفي الشرك الأعظم؛ فإن الشيء كلما عظم لا يدفعه

(١) في المنار: هما، وهو الصواب.

(٢) في المنار: (يحب ما أحب ويبغض ما أبغض).

إِلَّا الْعَظِيمِ، فلو كان شيءٌ أعظم من هذا التَّوْحِيدِ لدفع الله به الشُّرْكَ الأَعْظَمَ، ولعظمته وشرفه؛ نصبت عليه القبلة وأسست عليه الملة، ووجبت به الدِّمَّةُ، [وحققت به الدِّمَاءُ] (١)، وانفصلت به دار الكفر من دار الإسلام، وانقسم به النَّاسُ إلى سعيدٍ وشقيٍّ، ومعتدٍ وغويٍّ، ونادت عليه الكتب والرُّسل.

قوله: «وَإِنْ لَمْ يَقُومُوا بِحُسْنِ الاسْتِدْلَالِ». يعني: هو مستترٌ في قلوب أهلها، وإن كان أكثرهم لا يحسن الاستدلال عليه تقريرًا وإيضاحًا، وجوابًا عن المعارض، ودفعًا لشبه المعاند.

ولا ريب أن أكثر النَّاسِ لا يحسنون ذلك، وهذا قدرٌ زائدٌ على وجود التَّوْحِيدِ في قلوبهم، فما كلُّ مَنْ وجد شيئًا وعلمه وتيقنه أحسن أن يستدلَّ عليه، ويقرِّره، ويدفع الشُّبه القاذحة فيه، فهذا لو نُ ووجوده لو نُ، ولكن لا بدَّ - مع ذلك - من نوع استدلالٍ قام عنده، وإن لم يكن على شروط الأدلَّة التي ينظّمها أهل الكلام وغيرهم وترتيبها، فهذه ليست شرطًا في التَّوْحِيدِ، لا في معرفته والعلم به، ولا في القيام به عملاً وحالًا، فاستدلال كلِّ أحدٍ بحسبه، ولا يحصي أنواع الاستدلال ووجوه ومراتبه إلا الله، فكلُّ قومٍ هادٍ، ولكلِّ علمٍ صحيحٍ ويقينٍ دليلٌ يوجبُه، وشاهدٌ يصحُّ به، وقد لا يمكن صاحبه التَّعبير عنه عجزًا وعيًا، وإن عبَّر عنه فقد لا يمكنه التَّعبير عنه باصطلاح أهل العلم وألفاظهم، وكثيرًا ما يكون الدليل الذي عرف به الحقُّ أصحَّ من كثيرٍ من أدلَّة المتكلِّمين ومقدّماتها، وأبعد عن الشُّبه، وأقرب تحصيلًا للمقصود، وإيضاحًا إلى المدلول عليه.

بل من استقرأ أحوال النَّاسِ رأى أن كثيرًا من أهل الإسلام - أو أكثرهم - أعظم توحيدًا، وأكثر معرفةً، وأرسخ إيمانًا من أكثر المتكلِّمين، وأرباب النَّظر والجدال، ويجد عندهم من أنواع الأدلَّة والآيات التي يصحُّ بها إيمانهم ما هو أظهر وأوضح وأصحُّ ممَّا عند المتكلِّمين.

وهذه الآيات التي ندب الله عباده إلى النَّظر فيها، والاستدلال بها على توحيده، وثبوت صفاته وأفعاله، وصدق رسله هي آياتٌ مشهودةٌ بالحسِّ، معلومةٌ بالعقل، مستقرَّةٌ في الفطر، لا يحتاج الناظر فيها إلى أوضاع أهل الكلام والجدل، واصطلاحهم، وطرقهم ألبتَّة، وكلُّ مَنْ له حسٌّ سليمٌ، وعقلٌ يميِّز به يعرفها ويقرُّ بها، وينتقل من العلم بها إلى العلم بالمدلول، وفي القرآن ما يزيد على عشرات ألوفٍ من هذه الآيات البيِّنات، ومن لم يحفظ القرآن فإنه إذا سمعها وفهمها وعقلها انتقل ذهنه منها إلى المدلول أسرع انتقالٍ وأقربه.

وبالجملة: فما كلُّ مَنْ علم شيئًا أمكنه أن يستدلَّ عليه، ولا كلُّ مَنْ أمكنه الاستدلال عليه (٢)

يحسن ترتيب الدليل وتقريره، والجواب عن المعارض.

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناه من نسخة المنار.

(٢) كلمة (عليه): غير موجودة في المنار.

والشواهد التي ذكرها: هي الأدلة، كالاستدلال بالمصنوع على الصانع، والمخلوق على الخالق، وهذه طريقة القرآن الذي لا توحيد أكمل من توحيده.

قوله: «بَعْدَ أَنْ يَسْأَلُوا مِنَ الشُّبْهَةِ، وَالْحَيْرَةِ، وَالرَّيْبَةِ». الشُّبْهَةُ: الشُّكُوكُ الَّتِي تَوَقَّعُ فِي اشْتِبَاهِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، فَيَتَوَلَّدُ عَنْهَا الْحَيْرَةُ وَالرَّيْبَةُ، وَهَذَا حَقٌّ؛ فَإِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ لَا يَنْفَعُ إِنْ لَمْ يَسْلَمْ قَلْبُ صَاحِبِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي لَا يَفْلَحُ إِلَّا مِنْ أَتَى اللَّهَ بِهِ، فَيَسْلَمْ مِنَ الشُّبْهِهِ الْمَعَارِضَةِ لِحَبْرِهِ، وَالْإِرَادَاتِ الْمَعَارِضَةِ لِأَمْرِهِ، بَلْ يَنْقَادُ لِلْحَبْرِ تَصَدِيقًا وَاسْتِيقَانًا، وَلِلطَّلَبِ إِذْعَانًا وَامْتِثَالًا.

قوله: «بِصِدْقِ شَهَادَةِ صَحَّحَهَا قَبُولُ الْقَلْبِ». أي: سلموا من الشُّبْهَةِ وَالْحَيْرَةِ وَالرَّيْبَةِ: بِصِدْقِ شَهَادَةِ تَوَاطَأَ عَلَيْهَا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، فَصَحَّتْ شَهَادَتُهُمْ بِقَبُولِ قُلُوبِهِمْ لَهَا، وَاعْتِقَادِهِمْ صَحَّتْهَا، وَالْجَزْمُ بِهَا، بِخِلَافِ شَهَادَةِ الْمُنَافِقِ الَّتِي لَمْ يَقْبَلْهَا قَلْبُهُ، وَلَمْ يُوَاطِئْ عَلَيْهَا لِسَانُهُ.

قوله: «وَهُوَ تَوْحِيدُ الْعَامَّةِ الَّذِي يَصِحُّ بِالشُّوَاهِدِ».

قد عرفت أن هذا هو التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَأَتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ، ثُمَّ بَيَّنَّ مَرَادَهُ بِالشُّوَاهِدِ أَنَّهَا الرُّسَالَةُ وَالصَّنَائِعُ، فَقَالَ: «وَالشُّوَاهِدُ: الْأَدِلَّةُ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالرُّسَالَةُ أَرْشَدَتْ إِلَيْهَا، وَعُرِفَتْ بِهَا».

ومقصوده: أن الشواهد نوعان: آيات متلوَّة، وهي الرُّسَالَةُ، وآيات مرئيَّة، وهي الصَّنَائِعُ.

□ قوله: «وَيَجِبُ بِالسَّمْعِ، وَيُوجَدُ بِالنَّبْصِ الْحَقِّ، وَيَنْمُو عَلَى مَشَاهِدِ الشُّوَاهِدِ».

هذه ثلاث مسائل:

- إحداهما: ما يجب به.

- والثانية: ما يوجد به.

- والثالثة: ما ينمو به.

﴿ فَأَمَّا الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى فَاخْتَلَفَ فِيهَا النَّاسُ:

- فقالت طائفة: يجب بالعقل، ويعاقب على تركه، والسَّمْعُ مَقْرَّرٌ لِمَا وَجِبَ بِالْعَقْلِ مُؤَكَّدٌ لَهُ،

فجعلوا وجوبه والعقاب على تركه ثابتين بالعقل، والسَّمْعُ مَبِينٌ وَمَقْرَّرٌ لِلْوَجُوبِ وَالْعِقَابِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأُمَّةِ فِي مَسْأَلَةِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ.

- وقالت طائفة: لا يثبت بالعقل، لا هذا ولا هذا، بل لا يجب بالعقل فيها^(١) شيء، وإنما

الوجوب بالشَّرْعِ، ولذلك لا يستحقُّ العقاب على تركه، وهذا قول الأشعريَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى نَفْيِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ، وَالْقَوْلَانِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ.

(١) في المنار: (فيهما).

- والحقُّ: أنَّ وجوبه ثابتٌ بالعقل والسمع، والقرآن على هذا يدلُّ، فإنَّه يذكر الأدلَّة والبراهين العقلية على التوحيد، ويبيِّن حسنه وقبح الشُّرك عقلاً وفطرةً، ويأمر بالتوحيد وينهى عن الشُّرك، ولهذا ضرب الله سبحانه الأمثال، وهي الأدلَّة العقلية، وخاطب العباد بذلك خطاب من استقرَّ في عقولهم وفطرهم حسن التوحيد ووجوبه، وقبح الشُّرك وذمُّه، والقرآن مملوءٌ بالبراهين العقلية الدالَّة على ذلك، كقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٩) ﴿[الزمر: ٤٩].

وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَاهُ حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَانِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦) ﴿[النحل: ٧٥، ٧٦].

وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (٧٣) ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤) ﴿[الحج: ٧٣، ٧٤].

إلى أضعاف ذلك من براهين التوحيد العقلية التي أرشد إليها القرآن ونبه عليها. ولكن هاهنا أمر آخر: وهو أن العقاب على ترك هذا الواجب يتأخر إلى حين ورود الشرع، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مَعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿[الإسراء: ١٥].

وقوله: ﴿كَلِمَاتٍ لَّتِي فِيهَا فَوْجٌ سَاهَمَ خَزَنَتُهَا أَلْرِيَاءُ كُرْنَذِيرٌ﴾ (٨) ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَمِسُوا عَلَيْهِمْ ۗ أَيْنِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩) ﴿[القصص: ٥٩].

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (١٣١) ﴿[الأنعام: ١٣١].

فهذا يدلُّ على أنَّهم ظالمون قبل إرسال الرُّسل، وأنَّه لا يهلكهم بهذا الظلم قبل إقامة الحجَّة عليهم، فالآية ردُّ على الطائفتين معًا، من يقول: إنَّه لا يثبت الظلم والقبح إلا بالسمع، ومن يقول: إنَّهم معذبون على ظلمهم بدون السمع، فالقرآن يبطل قول هؤلاء وقول هؤلاء، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) ﴿[القصص: ٤٧]. فأخبر أن ما قدَّمت أيديهم قبل إرسال الرُّسل سببٌ لإصابتهم بالمصيبة، ولكن لم يفعل سبحانه ذلك قبل إرسال الرسول الذي يقيم به حجَّته عليهم، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ

الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥ - ١٥٧].

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦-٥٩].

وهذا في القرآن كثير، يخبر أن الحجّة إنّما قامت عليهم بكتابه ورسوله، كما نبّههم بما في عقولهم وفطرتهم؛ من حسن التوحيد والشكر، وقبح الشرك والكفر.

وقد ذكرنا هذه المسألة مستوفاةً من كتاب «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» وذكرنا هناك نحوًا من ستين وجهًا، تبطل قول من نفى القبح العقلي، وزعم أنه ليس في الأفعال ما يقتضي حسنها ولا قبحها^(١)، وأنه يجوز أن يأمر الله بعين ما نهى عنه، وينهى عن عين ما أمر به، وأن ذلك جائز عليه، وإنّما الفرق^(٢) بين المأمور والمنهى بمجرد الأمر والنهي، لا بحسن هذا وقبح هذا، وأنه لو نهى عن التوحيد والإيمان والشكر لكان قبيحًا، ولو أمر بالشرك والكفر والظلم والفواحش لكان حسنًا، وبيّن أنّ هذا القول مخالفٌ للعقول والفطر، والقرآن والسنة.

والمقصود: الكلام على قول الشيخ: «وَيَجِبُ بِالسَّمْعِ»، وأنّ الصواب وجوبه بالسَّمْعِ والعقل، وإن اختلفت جهة الإيجاب، فالعقل يوجبه: بمعنى اقتضائه لفعله، وذمّه على تركه، وتقبيحه لضده، والسَّمْعُ يوجبه بهذا المعنى، ويزيد إثبات العقاب على تركه، والإخبار عن مقت الرّبّ تعالى لتاركه، وبغضه له، وهذا قد يعلم بالعقل، فإنّه إذا تقرّر قبح الشيء وفحشه بالعقل، وعلم ثبوت كمال الرّبّ ﷻ بالعقل أيضًا؛ اقتضى ثبوت هذين الأمرين: علم العقل بمقت الرّبّ تعالى لمركبه، وأمّا تفاصيل العقاب، وما يوجبه مقت الرّبّ منه فإنّما يُعلم بالسَّمْعِ.

واعلم أنّه إن لم يكن حسن التوحيد وقبح الشرك معلومًا بالعقل، مستقرًا في الفطر، فلا وثوق بشيء من قضايا العقل، فإنّ هذه القضية من أجلّ القضايا البديهيات، وأوضح ما ركّب الله في العقول والفطر؛ ولهذا يقول سبحانه عقيب تقرير ذلك أفلا تعقلون أفلا تذكرون وينفي العقل عن أهل الشرك، ويخبر عنهم بأنّهم يعترفون في النار: أنّهم لم يكونوا يسمعون ولا يعقلون، وأنّهم خرجوا عن موجب السَّمْعِ والعقل، وأخبر عنهم أنّهم: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَعُمِّي لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١]، وأخبر عنهم أنّ

(١) في المنار: (حسنها وقبحها).

(٢) في المنار: (وإنّما فرق).

سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم لم تغن عنهم شيئاً^(١)، وهذا إنَّما يكون في حق من خرج عن^(٢) موجب العقل الصريح والفترة الصحيحة، ولو لم يكن في صريح العقل ما يدلُّ على ذلك لم يكن في قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا﴾ و﴿اعْتَبِرُوا﴾ و﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ فائدة، فإنهم يقولون: عقولنا لا تدلُّ على ذلك، وإنَّما هو مجرد إخبارك، فما هذا النظر والتفكير والاعتبار والسير في الأرض؟ وما هذه الأمثال المضروبة، والأقيسة العقلية والشواهد العيانية^(٣)؟ أليس في ذلك أظهر دليل على حسن التوحيد والشكر؟! وقبح الشرك والكفر مستقرُّ في العقول والفتور، معلومٌ لمن كان له قلبٌ حيٌّ، وعقلٌ سليمٌ، وفترةٌ صحيحةٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

[يونس: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

ومن بعض الأدلة العقلية: ما أبقاه الله تعالى من آثار عقوبات أهل الشرك وآثار ديارهم، وما حلَّ بهم، وما أبقاه من نصر أهل التوحيد وإعزازهم، وجعل العاقبة لهم، قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقال في ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [٥١] فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [٥٢]

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [٥٣] [النمل: ٥٢، ٥٣].

وقال في قوم لوط: ﴿إِنَّا مَنَّرْلُوكَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [٣٤]

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٣٥] [العنكبوت: ٣٤، ٣٥].

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا غَفَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْعِدْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] الآية.

(٢) في المنار: (من).

(٣) في المنار: (المعانية).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّتَعَمِّرٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَامَامٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾ [الحجر: ٧٥ - ٧٩]. وقال تعالى في قوم لوط: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنُورُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْحِحِينَ ﴿١٧٦﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

وهو سبحانه يذكر في سورة الشعراء ما أوقع بالمشركين من أنواع العقوبات، ويذكر إنجاءه لأهل التوحيد، ثم يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٨، ٩] فيذكر شرك هؤلاء الذين استحقوا به الهلاك، وتوحيد هؤلاء الذين استحقوا به النجاة، ثم يخبر أن في ذلك آية وبرهاناً للمؤمنين^(١)، ثم يذكر مصدر ذلك كله، وأنه عن أسمائه وصفاته، فصدور هذا الإهلاك عن عزته، وذلك الإنجاء عن رحمته، ثم يقرر^(٢) في آخر السورة نبوة رسوله بالأدلة العقلية أحسن تقرير، ويجب عن شبه المكذبين له أحسن جواب، وكذلك تقريره للمعاد بالأدلة العقلية والحسية، فضرب الأمثال والأقيسة، فدلالة القرآن سمعية عقلية.

فصل

المسألة الثانية

قوله: «وَيُوجَدُ بِتَبْصِيرِ الْحَقِّ». وجوب الشيء شرعاً لا يستلزم وجوده حساً، فلذلك ذكر ما يوجد به بعد ذكر ما يجب به، وهو تبصير الحق تعالى، ومراده التبصير التام الذي لا تختلف عنه الهداية، وإلا فقد يبصر العبد الحق ولا توجد منه الهداية، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا أَعْمَى عَلَى الْمُدَى ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧] فهو سبحانه بصرهم فأثروا الضلال على الهدى.

وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ (٣) [العنكبوت: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

(١) كلمة (للمؤمنين) ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (قرر).

(٣) قال مجاهد: «وكانوا مستبصرين في الضلالة»، وقال قتادة: «مستبصرين في ضلالهم معجبين بها»، واختاره ابن جرير، وزاد عليه: «يحسون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال». والأصل في «الاستبصار»: طلب البصر أو البصيرة ولاحجة فيه على اجتماع الضلال مع تبصير الله، بفرض نقص البصيرة؛ وإنما كمال الدين بالبصيرة، قال الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسِعَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨٨﴾﴾ [يوسف: ١٨٨] (عن حاشية المنار).

وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].
 فهذا التبصير لم يوجب وجود الهداية؛ لأنه سبحانه لم يرد وجودها وإنما أراد وجود مجرد
 البصيرة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.
 وأما التبصير التام؛ فإنه يستلزم وجود الهداية، وهو الذي أمرنا أن نسأله إياه في كل صلاة؛ وقال
 فيه أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].
 وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٥] [يونس: ٢٥].
 فعمد بدعوته البيان والدلالة، وخص بهدايته التوفيق والإلهام، فلو قال الشيخ: ويوجد بتوفيق الله
 بعد تبصيره، لكان (١) أحسن، ولعله هو مراده، والله أعلم.

فصل المسألة الثالثة

قوله: «وَيَنُمُو عَلَى مُشَاهَدَةِ الشَّوَاهِدِ». وهذا أيضًا يحتاج إلى أمرٍ آخر، وهو الإجابة لداعي
 الحق، فلا يكفي مجرد مشاهدة الشواهد في نموه: ﴿وَكَايُنَ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [١٥] [يوسف: ١٥]، يمر عليها العبد ولا ينمو بها ولا يزيد، بل ينقص إيمانه
 وتوحيده (٢)، فإذا أجاب الداعي وتبصر في الشواهد نما توحيده، وقوي إيمانه، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
 أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [١٧] [محمد: ١٧].
 وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].
 وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤].
 وقد تضمن كلام الشيخ ما دلّت عليه النصوص، واتفق عليه الصحابة والتابعون أن الإيمان
 والتوحيد ينموان ويتزايدان (٣)، وهذا من أعظم أصول أهل السنة الذي فارقوا به الجهمية والمرجئة.

(١) في المنار: (كان).

(٢) في المنار: (يزيد وينقص إيمانه وتوحيده)، والصواب ما هو مثبت في طبعة الفقي.

(٣) في المنار: (ينمو ويتزايد).

فصل

□ قال: «وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الثَّانِي، الَّذِي يَثْبُتُ بِالْحَقَائِقِ: فَهُوَ تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ، وَهُوَ إِسْقَاطُ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، وَالصُّعُودُ عَنِ مُنَازَعَاتِ الْعُقُولِ، وَعَنِ التَّعَلُّقِ بِالشَّوَاهِدِ، وَهُوَ أَلَّا يَشْهَدَ فِي التَّوْحِيدِ دَلِيلًا، وَلَا فِي التَّوَكُّلِ سَبَبًا، وَلَا فِي النَّجَاةِ وَسِيلَةً، فَيَكُونُ مُشَاهِدًا سَبْقَ الْحَقِّ بِحُكْمِهِ وَعِلْمِهِ، وَوَضْعَهُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا وَتَعْلِيْقَهُ إِيَّاهَا بِأَحَابِيْبِهَا، وَإِخْفَانَهُ إِيَّاهَا فِي رُسُومِهَا، وَتَحَقُّقِ مَعْرِفَةِ الْعِلَلِ، وَيَسْتَلْكَ سَبِيلَ إِسْقَاطِ الْحَدَثِ، هَذَا تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ، الَّذِي يَصِحُّ بِعِلْمِ الْفَنَاءِ، وَيَصْفُو فِي عِلْمِ الْجَمْعِ، وَيَجْدِبُ إِلَى تَوْحِيدِ (١) أَرْبَابِ الْجَمْعِ».

قوله: «يَثْبُتُ بِالْحَقَائِقِ» وقال في التَّوْحِيدِ الْأَوَّلِ: «يَصِحُّ بِالشَّوَاهِدِ» فَإِنَّ الثُّبُوتَ أبلغ من الصِّحَّةِ، والحقائق أبلغ من الشَّوَاهِدِ، ويريد بالحقائق: المكاشفة والمشاهدة، والمعانيته، والاتِّصَالَ والانفصال، والحياة، والقبض والبسط، وما ذكره من قسم الحقائق من كتابه.

وبالأدلة والشَّوَاهِدِ يَصِحُّ التَّوْحِيدُ الْعَامُّ، وبالحقائق يثبت التَّوْحِيدُ الْخَاصُّ.

قوله: «وَهُوَ إِسْقَاطُ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ».

- يحتمل أن يريد بها: الأسباب المشاهدة التي تظهر لنا (٢)، وإسقاطها: هو أَلَّا يرى لها تأثيرًا

ألبتة، ولا تغييرًا، وإن باشرها بحكم الارتباط العادي، فمباشرتها لا تنافي إسقاطها.

- ويحتمل أن يريد بالأسباب الظاهرة: الحركات والأعمال، وإسقاطها: عزلها عن اقتضائها

السَّعَادَةِ والنَّجَاةِ، لا إهمالها وتعطيلها، فَإِنَّ ذَلِكَ كَفْرٌ، وانسلاخٌ من الإسلام بالكليَّةِ، ولكن يقوم بها وقد عزلها عن ولاية النَّجَاحِ والنَّجَاةِ، كما قال ﷺ: «اعْمَلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يُنْجِيَهُ عَمَلُهُ» (٣).

واحترز بالأسباب الظاهرة من الأسباب الباطنة، كالإيمان، والتَّصَدِيقِ، ومحبة الله ورسوله؛ فَإِنَّ النَّجَاةَ

والسَّعَادَةَ معلقةٌ بها، بل التَّوْحِيدُ نفسه من الأسباب، بل هو أعظم الأسباب الباطنة، فلا يجوز إسقاطه.

(١) كلمة (توحيد) ساقطة من المنار.

(٢) كلمة (لنا) ساقطة من المنار.

(٣) رواه البخاري (٣٩) (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

وعلى التقديرين؛ فهو غير مخلص، فإذا أريد بالإسقاط التّعطيل والإهمال فمن أبطل الباطل، وإن أريد العزل عن ولاية الاقتضاء، وإسناد الحكم إلى مشيئة الربّ وحده؛ فلا فرق بين الأسباب الظاهرة والباطنة، وإن أريد الأسباب التي لم يؤمر بها العبد، فليس إسقاطها من توحيد الله في شيء، ولا القيام بها مبطلاً له ولا منقّصاً.

وبالجملة: فليس إسقاط الأسباب من التّوحيد، بل القيام بها واعتبارها وإنزالها في منازلها التي أنزلها الله فيها هو محض التّوحيد والعبوديّة، والقول بإسقاط الأسباب هو توحيد القدريّة الجبريّة، أتباع جهنم بن صفوان في الجبر، فإنّه كان غالياً فيه، وعندهم أنّ الله لم يخلق شيئاً بسبب، ولا جعل في الأسباب قوًى وطبائع تؤثّر، فليس في النّار قوّة الإحراق، ولا في السّم قوّة الإهلاك، ولا في الماء والخبز قوّة الرّيّ والتّغذيّ به، ولا في العين قوّة الإبصار، ولا في الأذن والأنف قوّة السّمع والسّم، بل الله سبحانه يحدث هذه الآثار عند ملاقة هذه الأجسام، لا بها، فليس الشّع بالأكل، ولا الرّيّ بالشّرب، ولا العلم بالاستدلال، ولا الانكسار بالكسر، ولا الإزهاق بالدّبح، ولا الطّاعات والتّوحيد سبباً لدخول الجنّة والنّجاة من النّار، ولا الشّرك والكفر والمعاصي سبباً لدخول النّار، بل يدخل هؤلاء الجنّة بمحض مشيئته من غير سببٍ ولا حكمه أصلاً، ويدخل هؤلاء النّار بمحض مشيئته من غير سببٍ ولا حكمه.

ولهذا قال صاحب «المنازل»: «وَهُوَ أَلَا يَشْهَدُ فِي التَّوْحِيدِ دَلِيلًا، وَلَا فِي التَّوَكُّلِ سَبَبًا، وَلَا فِي النَّجَاةِ وَسَيْلَةً»، بل عندهم صدور الكائنات والأوامر والنّواهي عن محض المشيئة الواحدة التي رجّحت مثلاً على مثل بغير مرجّح، فعنها يصدر كلُّ حادثٍ، ويصدر مع الحادث حادثٌ آخر مقترناً به اقتراناً عادياً، لا أنّ أحدهما سببٌ الآخر، ولا مرتبّ به، فأحدهما مجرد علامة وأمارة على وجود الآخر، فإذا وجد أحد المقترنين وجد الآخر معه، بطريق الاقتران العاديّ فقط، لا بطريق التّسبّب والاقتضاء، وهذا عندهم هو نهاية التّوحيد وغاية المعرفة.

وطرد هذا المذهب مفسدٌ للدّنيا والدّين، بل ولسائر أديان الرّسل؛ ولهذا لما طرده قومٌ أسقطوا الأسباب الدّنيويّة وعطلوها، وجعلوا وجودها كعدمها، ولم يمكنهم ذلك؛ فإنّهم لا بدّ أن يأكلوا ويشربوا، ويباشروا من الأسباب ما يدفع عنهم الحرّ والبرد والألم.

فإن قيل لهم: هل أسقطتم ذلك؟ قالوا: لأجل الاقتران العاديّ.

فإن قيل لهم: هل أقمتم بما أسقطتموه من الأسباب لأجل الاقتران العاديّ أيضاً، فهذا المذهب

قد فطر الله سبحانه الحيوان ناطقه وأعجمه على خلافه.

وقومٌ طردوه، فتركوا له الأسباب الأخرويّة، وقالوا: سبق العلم والحكم بالسّعادة والشّقاوة لا

يتغيّر ألبتّة، فسواءً علينا الفعل والتّرك، فإن سبق العلم والحكم بالشّقاوة فنحن أشقياء، عملنا أو لم

نعمل، وإن سبق بالسعادة فنحن سعداء، عملنا أو لم نعمل.

ومنهم من يترك الدعاء جملةً، بناءً على هذا الأصل، ويقول: المدعوُّ به إن سبق العلم والحكم بحصوله حصل، دعونا أو لم ندع، وإن سبق بعدم حصوله لم يحصل وإن دعونا. قال شيخنا^(١): «وهذا الأصل الفاسد مخالفٌ للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين، بل ومخالفٌ لصريح العقل والحس والمشاهدة، وقد سئل النبي ﷺ عن إسقاط الأسباب نظرًا إلى القدر؟ فردَّ ذلك، وألزم القيام بالأسباب كما في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَقْعُدُهُ مِنَ الْحَنَةِ، وَمَقْعُدُهُ مِنَ النَّارِ» قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٢).

وفي الصحيح عنه أيضًا: أنه قيل له: يا رسول الله، أرأيت ما يكدر الناس فيه اليوم ويعملون أمرًا قضي عليهم ومضى، أم فيما يستقبلون مما آتاهم فيه الحجة؟ فقال: «بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ». قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟ قال: «لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٣).

وفي السنن عنه ﷺ: أنه قيل له: أرأيت أدوية تداوى بها، ورقى نسترقى بها، وتقاة نتقى بها، هل تردُّ من قدر الله شيئًا؟ فقال: «هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»^(٤).

وكذلك قول عمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما، وقد قال أبو عبيدة لعمر: أنفر من قدر الله؟ - يعني: من الطاعون- قال: «أَفِرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ»^(٥).

وقد قال الله تعالى في السحاب: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣] [الأعراف: ٤٣].

و﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [٢١] [الأعراف: ٣٩].

(١) يقصد شيخه الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) رواه البخاري في «تفسيره» سورة الليل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْتَنُّ﴾ [١٣٦٢]، ورواه مسلم في «القدر»، باب: كيفية خلق آدمي في بطن أمه (٢٦٤٧).

(٣) رواه مسلم في «القدر»، باب: كيفية خلق آدمي في بطن أمه (٢٦٥٠)، وليس فيه «قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل...»، وهي جزء من الحديث السابق، ورواه أحمد (٤/٤٣٨).

(٤) تقدم تخريجه (١/٢٥٥).

(٥) رواه البخاري في «الطب»، باب: ما يذكر في الطاعون (٦٩٧٣)، ورواه مسلم في «السلام»، باب: الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها (٢١١٩).

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ٧٨٢].

والقرآن مملوءٌ من ترتيب الأحكام الكونية والشريعة والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة، فيأتي ببناء السببية تارة، وباللأم تارة، وب«أن تارة»، وب«كي» تارة، ويذكر^(١) الوصف المقتضي تارة، ويذكر^(٢) صريح التعليل تارة، كقوله: ذلك بأنهم فعلوا كذا، وقالوا كذا، ويذكر^(٣) الجزاء تارة، كقوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

وقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].^(٤)

وقوله: ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبا: ١٧].

ويذكر المقتضي للحكم والمانع منه، كقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا

الْأُولُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وعند منكري الأسباب والحكم، لم يمنعه إلا محض مشيئته ليس إلا.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

وقال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقال: ﴿وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [٥]﴾ [الطلاق: ٥].

وقال: ﴿تَتَقَوُّوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿فِي ظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتِ أُحُلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [١٦٦]

وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وبالجملة: فالقرآن من أوله إلى آخره يبطل هذا المذهب ويردُّه، كما تبطله العقول والفطر

والحسُّ.

وقد قال بعض أهل العلم: الالتفات إلى الأسباب شركٌ في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون

أسبابًا تغييرٌ في وجه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكليَّة قدحٌ في الشرع، والتوكل معنًى يلتمس من

معنًى التوحيد والعقل والشرع.

(١) في المنار: (ويذكر).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) جملة (وقوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾) ساقطة من المنار.

وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وتقييد، فالالتفات إلى الأسباب ضربان، أحدهما: شرك، والآخر: عبودية وتوحيد، فالشرك: أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن السبب لها، ويجعل نظره والتفاتة مقصوراً عليها، وأما إن التفت إليها التفت امتثال وقيام بها وأداء لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها فهذا الالتفات عبودية وتوحيد؛ إذ لم يشغله عن الالتفات إلى المسبب، وأما محوها أن تكون أسباباً فقدح في العقل والحس والفطرة، فإن أعرض عنها بالكيفية كان ذلك قدحاً في الشرع، وإبطالاً له.

وحقيقة التوكل: القيام^(١) بالأسباب، والاعتماد بالقلب على المسبب، واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لصد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه.

فالموحد المتوكل: لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها ولا يخافها، فلا يركن إليها، ولا يلتفت إليها، بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها، بل يكون قائماً بها، ملتفتاً إليها، ناظراً إلى مسببها سبحانه ومجريها، فلا يصح التوكل شرعاً وعقلاً إلاً عليه سبحانه وحده، فإنه ليس في الوجود سبب تام موجب إلاً مشيئته وحده، فهو الذي سبب الأسباب، وجعل فيها القوى والاقضاء لآثارها، ولم يجعل منها سبباً يقتضي وحده أثره، بل لا بد معه من سبب يشاركه، وجعل لها أسباباً تضادها وتمانعها، بخلاف مشيئته سبحانه، فإنها لا تحتاج إلى أمرٍ آخر، ولا في الأسباب الحادثة ما يبطلها ويضادها، وإن كان الله سبحانه قد يبطل حكم مشيئته بمشيئته، فيشاء الأمر ثم يشاء ما يضادّه ويمنع حصوله، والجميع بمشيئته واختياره، فلا يصح التوكل إلاً عليه، ولا الالتجاء إلاً إليه، ولا الخوف إلاً منه، ولا الرجاء إلاً له^(٢)، ولا الطمع إلاً في رحمته، كما قال أعرف الخلق به ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمَعَاذِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»^(٣). وقال: «لَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»^(٤).

فإذا جمعت بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب: استقام قلبك على السير إلى الله، ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وبالله التوفيق.

وما سبق به علم الله وحكمه حق، وهو لا ينافي إثبات الأسباب، ولا يقتضي إسقاطها فإنه

(١) كلمة (القيام) ساقطة من المنار، والصواب إثباتها.

(٢) في المنار: (إلاً لديه).

(٣) تقدم تخريجه (٢٥١/١).

(٤) تقدم تخريجه (٢١٦/٢).

سبحانه قد علم وحكم؛ أن كذا وكذا يحدث بسبب كذا وكذا، فسبق العلم والحكم بحصوله عن سببه، فإسقاط الأسباب خلاف موجب علمه وحكمه، فمن نظر إلى الحدوث بغير الأسباب لم يكن نظره وشهوده مطابقاً للحق، بل كان شهوده غيبيةً، ونظره عمى، فإذا كان علم الله قد سبق بحدوث الأشياء بأسبابها، فكيف يشهد العبد الأمور بخلاف ما هي عليه في علمه وحكمه وخلقه وأمره؟

والعلل التي تنقي في الأسباب نوعان:

- أحدهما: الاعتماد عليها، والتوكل عليها، والثقة بها، ورجاؤها وخوفها، فهذا شركٌ يرقُ ويغلظ، وبين ذلك.

- الثاني: ترك ما أمر الله به من الأسباب، وهذا أيضاً قد يكون كفراً وظلماً، وبين ذلك، بل على العبد أن يفعل ما أمره الله به من الأمر، ويتوكل على الله توكل من يعتقد أن الأمر كله بمشيئة الله، سبق به علمه وحكمه، وأن السبب لا يضُرُّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم، فيأتي بالأسباب إتيان من لا يرى النجاة والفلاح والوصول إلا بها، ويتوكل على الله توكل من يرى أنها لا تنجيه، ولا تحصل له فلاحاً، ولا توصله إلى المقصود، فيجرد عزمه للقيام بها حرصاً واجتهاداً، ويفرغ قلبه من الاعتماد عليها، والركون إليها، تجريداً للتوكل، واعتماداً على الله وحده.

وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح، حيث يقول: «أخْرِصْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ»^(١) فأمره بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن العجز، وهو نوعان: تقصير في الأسباب، وعدم الحرص عليها، وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها، فالدين كله - ظاهره وباطنه، شرائعه وحقايقه - تحت هذه الكلمات النبوية، والله أعلم.

فصل

قوله: «وَالصُّعُودُ عَنْ مُنَازَعَاتِ الْعُقُولِ» هذا حق، ولا يتم التوحيد والإيمان إلا به، فما أفسد أديان الرسل إلا أرباب منازعات العقول، الذين ينازعون بمعقولهم^(٢) في التصديق بما جاءت به، وإثبات ما أثبتوه، ونفي ما نفوه، فنازعت عقولهم ذلك، وتركوا لتلك المنازعات ما جاءت به الرسل،

(١) رواه مسلم في «القدر»، باب: الأمر بالقوة وترك العجز (٢٦٦٤)، ورواه ابن ماجه في «المقدمة»، باب: في القدر (٧٩).

(٢) في المنار: (التي ينازعهم معقولهم).

ثم عارضوهم بتلك المعقولات، وقدّموها على ما جاءوا به، وقالوا: إذا تعارضت عقولنا وما جاءت به الرُّسل قدّمنا ما حكمت به عقولنا على ما جاءوا به، وقد هلك بهؤلاء طوائف لا يحصيهم إلا الله، وانحلوا بسببهم من أديان جميع الرُّسل.

قوله: «وَمِنَ التَّعَلُّقِ بِالشَّوَاهِدِ» كلامٌ فيه إجمالٌ، فالشواهد: هي الأدلّة والآيات، فترك التعلُّق بها انسلاخٌ عن العلم والإيمان بالكليّة، والتعلُّق بها وحدها دون من نصّبها شواهد وأدلّة انقطاعٌ عن الله، وشركٌ في التّوحيد، والتعلُّق بها استدلالاً، ونظراً في آيات الرّبِّ، ليصل بها إلى الله هو التّوحيد والإيمان. وأحسن ما يحمل عليه كلامه: أنّه يصعد عن الوقوف معها، فإنّها وسائل إلى المقصود، فلا ينقطع بالوسيلة عن المقصود، وهذا حقٌّ، لكنّ قوله: «وَهُوَ أَلَّا يَشْهَدَ فِي التَّوْحِيدِ دَلِيلًا» يكدّر هذا المعنى ويشوّشه، وليس بصحيح، بل الواجب: أن يشهد الأمر كما أشهده الله إياه^(١)، فإنّ الله سبحانه نصب الأدلّة على التّوحيد، وأقام البراهين وأظهر الآيات، وأمرنا أن نشهد الأدلّة والآيات، وننظر فيها ونستدلّ بها، ولا يجتمع هذا الإثبات وذلك النفي ألبتّة، والمخلوقات كلّها آياتٌ للتّوحيد، وكذلك الآيات المتلوّة أدلّة على التّوحيد، فكيف لا يشهدا دليلاً عليه؟ هذا من أبطل الباطل، بل التّوحيد كلّ التّوحيد أن يشهد كلّ شيءٍ دليلاً عليه، مرشداً إليه، ومعلومٌ أنّ الرُّسل أدلّةٌ للتّوحيد، فكيف لا يشهدهم كذلك؟! وكيف يجتمع الإيمان بهم وعدم شهودهم أدلّةً للتّوحيد!؟

فانظر ماذا أدّى إليه إنكار الأسباب، والسُّلوك على درب الفناء في توحيد الأفعال، فهذا هو مقتضاه وطرده، وإلا تناقض أصحابه، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧] والهادي: هو الدليل الذي يدلُّ بهم في الطّريق إلى الله، والدّار الآخرة.

ولا يناقض هذا قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨]، فإنّ الله سبحانه تكلم بهذا وهذا، فرسله الهداة هداية الدلالة والبيان، وهو الهادي هداية التّوفيق والإلهام، فالرُّسل هم الأدلّة حقّاً، والله سبحانه هو الموقِّع الملهم، الخالق للهدى في القلوب.

قوله: «وَلَا فِي التَّوَكُّلِ سَبَبًا». يريد: أنّك تجرّد التّوكل عن الأسباب، فإن أراد تجريده عن القيام بها: فباطلٌ، كما تقدّم، وإن أراد تجريده عن الرُّكون إليها، والوقوف معها، والثوق بها فهو حقٌّ، وإن

(١) كلمة (إياه) ساقطة من المنار.

أراد تجريده عن شهودها فشهودها على ما هي عليه أكمل، ولا يقدر في التوحيد بوجه ما. وكذلك قوله: «وَلَا فِي النَّجَاةِ وَسِيْلَةٌ» إِنَّمَا يَصْحُحُّ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ، وهو أن يشهد حصول النجاة بمجرد الوسائل من الأعمال والأسباب، وأما إلغاء كونها وسائل فباطل يخالف الشرع والعقل، وأما عدم شهودها وسائل، مع اعتقاد كونها وسائل فليس بكمال، وشهودها وسائل كما جعلها الله سبحانه أكمل مشهدًا، وأصح طريقة^(١)، وبالله التوفيق.

وقد بينا - فيما تقدم - أن الكمال أن تشهد العبودية وقيامك بها، وتشهد أنها من عين المنة والفضل، وتشهد المعبود، فلا تغيب بشهوده عن شهود أمره، ولا تغيب بشهود أمره عن شهوده، ولا تغيب بشهوده وشهود أمره عن شهود فضله ومنته وتوفيقه، وشهود فقرك وفاقتك، وأنتك به لا بك.

وقد خرج النبي ﷺ يومًا على حلقة من أصحابه، وهم يتذاكرون، فقال: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جلسنا نذكر ما من الله به علينا وهدانا بك إلى الإسلام، فقال: «اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟» قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذلك، فقال: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَشْخَلِكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»^(٢). ولم يقل لهم: لا تشهدوا في التوحيد دليلًا، ولا في النجاة وسيلة، بل كان من أسباب مباهاة الله بهم الملائكة: شهودهم سبب التوحيد، ووسيلة النجاة، وأنها من من الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فكيف يكون كمالهم في ألا يشهدوا الدليل الذي يزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم؟ ويسقطونه من الشهود والسببية؟

قوله: «فَيَكُونُ شَاهِدًا سَبَقَ الْحَقُّ بِعِلْمِهِ وَحُكْمِهِ، وَوَضَعَهُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، وَتَعَلَّقَ بِهَا بِأَحَابِيثِهَا، وَإِخْفَائِهَا فِي رُسُومِهَا». ليس الشهود هاهنا متعلقًا بمجرد أولية الرب تعالى، وتقدمه على كل شيء فقط، بل متعلق بسبق العلم والتقدير، فيرى الأشياء بعين سوابقها، وقد تقررت هناك في علم الرب وتقديره، فينظر إليها هناك إذا نظر الناس إليها هنا، فيتجاوز نظره نظرهم، فيغلب شهود السوابق على ملاحظة اللواحق، فيشهد تفرد الرب وحده؛ حيث لا موجود سواه، وقد علم الكائنات^(٣) وقدّر مقاديرها، ووقت مواعيدها، وقررها على مقتضى علمه وحكمته، وقد سبق العلم المعلوم، والقدر المقدر والإرادة المراد، فيرى الأشياء كلها ثابتة في علم الله سبحانه وحكمته قبل وجود العوالم، فأى وسيلة يشهد هناك؟ وأي سبب! وأي دليل هذا الذي يدندن الشيخ حوله! وقد

(١) في المنار: (طريقًا).

(٢) تقدم تخريجه (١٤٦/٣).

(٣) في المنار: (الكوائن).

عرفت أن العلم والحكم سبق بوجود المسببات عن أسبابها وارتباطها بوسائلها وأدلتها، كما سبق العلم والحكم بوجود الولد عن أبويه، والمطر عن السحاب، والنبات عن الماء، والإزهاق عن القتل، وأسباب الموت، فهذه هي المشاهدة الصَّحِيَّة، لا إسقاط الأسباب والوسائل والأدلة.

قوله: «وَوَضَعَ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، وَتَعَلَّقَهَا بِأَحْيَانِهَا، وَإِخْفَانَهَا فِي رُسُومِهَا»، هذه ثلاثة أشياء - المكان، والزمان، والمادة - التي لا بدَّ لكلِّ مخلوقٍ منها؛ فإنَّ المخلوق لا بدَّ له من زمانٍ يوجد فيه، ومكانٍ يستقرُّ فيه، ومادَّةٍ يوجد بها، فأشار إلى الثلاثة، فالمواضع: الأمكنة، والأحيان: الأزمنة، والرُّسوم: الموادُّ الحاملة لها، والرُّسوم: هي الصُّورة الخلقية.

وكانَّ شيخ الإسلام أراد بها هنا الأسباب، وأنَّ الله سبحانه غطَّى حقائق الأشياء عن أبصار الخلق بما يشاهدونه من تعلُّق المسبِّبات بأسبابها، فنسبها إليها، فصاحب هذه الدَّرَجَة يشهد كيف أظهر الرَّبُّ سبحانه الأشياء في موادِّها وصورها وأظهرها بأسبابها، وأخفى علمه وحكمه فيما أظهره من ذلك، فالظُّهور: للأسباب المشاهدة، والحقيقة المخفية^(١) للعلم والحكم السَّابقين.

قوله: «وَتَحَقَّقَ مَعْرِفَةَ الْعِلَلِ».

يريد: أنَّ هذا التَّوْحِيدَ يَحَقِّقُ لِمُصَاحِبِهِ مَعْرِفَةَ عِلَلِ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وهي عبارة عن عوائق السَّالِكِ؛ من نظره إلى السَّوْءِ، والتفاتِهِ إليه، فهذه الدَّرَجَة من التَّوْحِيدِ عِنْدَهُ تَحَقَّقَ هَذِهِ الْعِلَلِ.

ويحتمل أن يريد بالعلل الأسباب التي ربطت بها الأحكام، فصاحب هذه الدَّرَجَة يعرف حقيقتها ومرتبها كما هي عليه؛ لأنَّه قد صعد منها إلى مسببها وواضعها.

قوله: «وَيَسْلُكُ سَبِيلَ إِسْقَاطِ الْحَدَثِ».

يريد: أنَّه في هذا الشُّهُودِ، وهذه الملاحظة المذكورة سالكٌ سبيل الذين شهدوا عين الأزل، فنفى عنهم شهود الحدث، وذلك بالفناء في حضرة الجمع، فإنَّها هي التي يفنى فيها من لم يكن، ويبقى فيها من لم يزل.

فإن أراد بإسقاط الحدث أنَّه يعتقد نفي حدوث شيء، فهذا مكابرةٌ للحسِّ والشُّهُودِ.

وإن أراد إسقاط الحدث من قلبه، فلا يشهد حادثاً ومحدثاً^(٢)، وهذا مراده، فهذا خلاف ما أمر الله ورسوله به، وخلاف الحقِّ، فإنَّ العبد مأمورٌ أن يشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويشهد أنَّ الجنةَ حقٌّ، والنَّارَ حقٌّ، والسَّاعَةَ حقٌّ، والنبِيَّينَ حقٌّ، ويشهد حدوث المحدثات بإحداث

(١) كلمة (المخفية) ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (فلا يشهد محدثاً).

الرَّبُّ تعالى لها بمشيئته وقدرته، وبما خلقه من الأسباب، ولما خلقه من الحكم، ولم يأمر العبد، بل لم يرد منه - ألا يشهد حادثًا ولا حدوث شيء.

وهذا لا كمال فيه، ولا معرفة، فضلًا عن أن يكون^(١) غاية العارف، وأن يكون توحيد الخاصّة، والقرآن من أوّله إلى آخره صريحٌ في خلافه، فإنّه أمر بشهود الحوادث والكائنات، والنظر فيها، والاعتبار بها، والاستدلال بها على وحدانيّة الله سبحانه، وعلى أسمائه وصفاته، فأعرف النَّاسَ به، وبأسمائه وصفاته أعظمهم شهودًا لها، ونظرًا فيها، واعتبارًا بها، فكيف يكون لبُّ التَّوْحِيدِ وقلبه وسرّه إسقاطها من الشُّهُودِ.

فإن قلت: إنّما يريد إسقاطها من التفات القلب إليها، والوقوف معها.

قلت: هذا قد تقدّم في أوّل الدَّرَجَةِ في قوله: «وَهُوَ إِسْقَاطُ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ»، وقد عرفت ما فيه.

وبالجملة: فالإسقاط إمّا لعين الوجود، أو لعين الشُّهُودِ، أو لعين المقصود، فالأوّل: محالٌّ،

والثاني: نقصٌ، والثالث: حقٌّ، لكنّه ليس^(٢) مراد الشَّيْخِ؛ فتأمّله!

وقوله: «وَفَنِي مَنْ لَمْ يَكُنْ، وَبَقِيَ مَنْ لَمْ يَزَلْ».

- إن أراد^(٣) به فناء الوجود^(٤) الخارجيّ؛ فهذا مكابرةٌ.

- وإن أراد^(٥) به أنّه فني من الشُّهُودِ، فهذا نقصٌ في الإيمان والتَّوْحِيدِ؛ كما تقرّر.

- وإن أراد^(٦) به أن يفنى في القصد والإرادة والمحبة، فهذا هو الحقُّ، وهو الفناء عن إرادة

السُّوئِ وقصده ومحبّته.

قوله: «هَذَا تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ، الَّذِي يَصِحُّ بِعِلْمِ^(٧) الْفَنَاءِ، وَيَصْنُفُو فِي عِلْمِ الْجَمْعِ، وَيَجْذِبُ إِلَى

تَوْحِيدِ أَرْبَابِ الْجَمْعِ».

يعني: توحيد المتوسّطين الذين ارتفعوا عن العامّة، ولم يصلوا إلى منزلة خاصّة الخاصّة.

قوله: «يَصِحُّ بِعِلْمِ الْفَنَاءِ» ولم يقل: بحقيقة الفناء؛ لأنّ درجة العلم في هذا السُّلُوكِ قبل درجة

الحال والمعرفة، وهذه درجة متوسّطٍ لم يبلغ الغاية، وحال الفناء لصاحب الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ.

(١) جملة (أن يكون) ساقطة من المنار.

(٢) كلمة (ليس) ساقطة من المنار.

(٣) في المنار: (أرادوا).

(٤) في المنار: (فني في الوجود).

(٥) في المنار: (أرادوا).

(٦) انظر الحاشية السابقة.

(٧) في المنار: (في) بدل (بالعلم).

وكذلك قوله: «وَيَصْفُو فِي عِلْمِ الْجَمْعِ» فَإِنَّ عِلْمَ الْجَمْعِ قَبْلَ حَالِ الْجَمْعِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَابِهِ.

قوله: «وَيَجْذِبُ إِلَى تَوْحِيدِ أَرْبَابِ الْجَمْعِ».

يريد: أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ يَجْذِبُ أَهْلَهُ إِلَى تَوْحِيدِ الْفَرِيقِ الثَّانِي الَّذِي هُمْ (١) فَوْقَهُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ

الْجَمْعِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْجَمْعِ وَلَمْ يَحْصَلْ بِهِ الشُّفَاءُ.

ونحن الآن ذاكرون حقيقته وأقسامه، والصحيح منه والمعلول، والله المستعان.

الجمع في اللغة الضمُّ: والاجتماع الانضمام، والتفريق: ضده.

وأما في اصطلاح القوم: فهو شخوص البصيرة إلى من صدرت عنه المتفرقات كلها، وهو ثلاثة

أنواع:

- جمع وجود، وهو جمع الزنادقة من أهل الاتحاد.

- وجمع شهود.

- وجمع قصود.

- فإذا تحررت (٢) هذه الأقسام تحرر الجمع الصحيح من الفاسد.

وكذلك ينقسم الفرق إلى صحيح وفساد، أعني إلى مطلوب في السلوك وقاطع عن السلوك،

فالفرق ثلاثة أنواع، فرق طبيعي حيواني، وقرق إسلامي، وقرق إيماني، هذه ستة أقسام للجمع وللفرق.

* فنذكر أنواع الفرق أولاً، إذ بها تعرف أنواع الجمع:

فأما الفرق الطبيعي والحيواني: فهو التفريق بمجرد الطبع والميل، فيفرق بين ما يفعله وما لا

يفعله بطبعه وهواه، وهذا فرق الحيوانات وأشباهاها من بني آدم، فالمعيار ميل طبعه، ونفرة طبعه،

والمشركون والكفار وأهل الظلم والعدوان واقفون مع هذا الفرق.

وأما الفرق الإسلامي: فهو الفرق بين ما شرعه الله وأمر به وأحبه ورضيه، وبين ما نهى عنه

وكرهه ومقت فاعله، وهذا الفرق من لم يكن من أهله لم يشم رائحة الإسلام ألبتة، وقد حكى الله

سبحانه عن أهل الفرق الطبيعي: أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا هَذَا الْفَرْقَ، فَشَهِدُوا الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَحْظُورِ إِذْ

قالوا (٣): ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] لا فرق بينهما، وقالوا: الميتة مثل المذكاة، لا فرق بينهما،

وقالوا: الحلال والحرام شيء واحد، فهذا جمعهم وذاك فرقهم، فهذا فرق يتعلّق بالأعمال.

(١) كلمة (هم) ساقطة من المنار.

(٢) في المنار: (تجردت).

(٣) في المنار: (فقالوا) بدلاً من: (إذ قالوا).

فصل

وأما الفرق الإيماني الذي يتعلّق بمسائل القضاء والقدر:

فهو التّمييز الإيماني بين فعل الحقّ سبحانه وأفعال العباد، فيؤمن بأنّ الله وحده خالق كلّ شيء، وليس في الكون إلّا ما هو واقع بمشيئته وقدرته وخلقته، ومع ذلك يؤمن بأنّ العبد فاعل لأفعاله حقيقةً، وهي صادرة عن قدرته ومشيئته، قائمةً به، وهو فاعل لها على الحقيقة، فيشهد تفرد الرّب سبحانه بالخلق والتّقدير، ووقوع أفعال العباد منهم بقدرتهم ومشيئتهم، والله الخالق لذلك كلّ.

وهنا انقسم أصحاب هذا الفرق ثلاثة أقسام:

- قسمٌ: غابوا بأفعالهم وحركاتهم عن فعل الرّب تعالى وقضائه، مع إيمانهم به.
- وقسمٌ: غابوا بفعل الرّب وتفردّه بالحكم والمشيئة عن أفعالهم وحركاتهم.
- وقسمٌ: أعطوا المراتب حقّها، فأمنوا بفعل الرّب وقدرته^(١) ومشيئته وتفردّه بالحكم والقضاء، وشهدوا وقوع الأفعال من فاعليها، واستحقاقهم عليها المدح والذّم والثواب والعقاب.

الفريق الأوّل: يغلب عليهم الفرق الطّبيعيّ، ولم يصعدوا إلى مشاهدة الحكم. والفريق الثّاني: يغلب عليهم حال الجمع، وهو شهود قدر الرّب تعالى ومشيئته وتدييره لخلقته، فتجتمع قلوبهم على شهود أفعاله، بعد أن كانت متفرّقة في رؤية أفعال الخلق، وتغيب بفعله عن أفعالهم، وربّما غلب عليها شهود ذلك حتّى أسقطت عنهم المدح والذّم بالكلّيّة، فكلاهما منحرفٌ في شهوده.

والفريق الثّالث: يشهد الحكم والتّدبير العامّ لكلّ موجود، ويشهد أفعال العباد ووقوعها بإرادتهم ودواعيهم، فيكون صاحب جمع وفرق، فيجمع الأشياء في الحكم الكونيّ القدريّ، ويفرق بينها بالحكم الكونيّ أيضًا، كما فرق الله بينها بالحكم الدّينيّ الشرعيّ؛ فإنّ الله سبحانه فرق بينها خلقًا وأمرًا وقدراً وشرعًا، وكونًا، ودينًا.

فالشّهود الصّحيح المطابق: أن يشهدا كذلك، فيكون صاحب جمع في فرق، وفرق في جمع، جمع بينها في الخلق والتّكوين، وشمول المشيئة لها وفرق بينها بالأمر والنّهي، والحبّ والبغض، فشهدا وهي منقسمة إلى مأمورٍ ومحظورٍ، ومحبوبٍ ومكروهٍ، كما فرق خالقها بينها، ويشهد الفرق بينها أيضًا قدرًا؛ فإنّه كما فرق بينها أمره، فرق بينها قدره، فقدّر المحبوب محبوبًا، والمسخوط

(١) في المنار: (وقدره).

مسخوطاً، والخير على ما هو عليه، والشَّرُّ على ما هو عليه، فافترت في قدره كما افترت في شرعه، فجمعتها مشيئته وقدره، وفرقت بينها مشيئته وقدره، فشاء سبحانه كلاً منها أن يكون على ما هو عليه، ذاتاً وقدرًا وصفةً، وأن يكون محبوبًا أو مسخوطاً، وأشهدا أهل البصائر من خلقه، كما هي عليه.

فهؤلاء أصحُّ النَّاسِ شهودًا، بخلاف من شهد المخلوق قديمًا، والوجود المخلوق هو عين وجود الخالق، والمأمور والمحظور سواءً، والمقدور كَلَّهُ محبوبًا مرضيًا له، أو أن بعض الحادثات خارجٌ عن مشيئته وخلقته وتكوينه، أو أن أفعال عبادته خارجة عن إرادتهم ومشيتهم وقدرتهم، وليسوا هم الفاعلين لها، فإنَّ هذا الشُّهود كَلَّهُ عمى، وأصحابه قد جمعوا بين ما فرَّق الله بينه، وفرَّقوا بين ما جمع الله بينه، ولم يهتدوا إلى الشُّهود الصَّحيح، الَّذِي يميِّز به صاحبه بين وجود الخالق ووجود المخلوق وبين المأمور والمحظور، وبين فعل الرَّبِّ، وفعل العبد، وبين ما يحبُّه ويغضه.

وصاحب هذا الشُّهود: لا يغيب بأفعال العباد عن فعل الرَّبِّ وقضائه وقدره، ولا يغيب بقضائه وقدره عن أمره ونهيه ومحبته لبعثها وكراهته لبعثها، ولا يغيب بوجود الخالق عن وجود المخلوق، ولا برؤية الخلق عن ملاحظة الخالق، بل يضع الأمور مواضعها، فيشهد القدر العامَّ السَّابق الَّذِي لا خروج لمخلوقٍ عنه، كما لا خروج له عن أن يكون مربوبًا فقيرًا بذاته، ويذمُّ العباد ويمدحهم بما حرَّكهم به القدر من المعاصي والطَّاعات، بخلاف صاحب الجمع بلا فرق، فإنَّه ربَّما عذر أصحاب الشُّرك والمعاصي، لاستيلاء شهود الجمع على قلبه، ويقول: العارف لا ينكر منكرًا لاستبصاره بسرِّ الله في القدر، فشهوده^(١) من الخلق موافقتهم لما شاء الله منهم.

فالشَّاهد المبصر المتمكِّن يشهد القيوميَّة والقدر السَّابق الشَّامل المحيط، ويشهد اكتساب العباد وما جرى به عليهم القدر من الطَّاعات والمعاصي، ويشهد حكمة الرَّبِّ تعالى وأمره ونهيه وحبه وكراهيته.

فصل

إذا عرفت هذه المقدمات^(٢): فالجمع الصَّحيح الَّذِي عليه أهل الاستقامة هو جمع توحيد الرُّبوبيَّة وجمع توحيد الإلهيَّة.

(١) في المنار: (ولشهوده).

(٢) في المنار: (المقامات).

فيشهد صاحبه قِيُومِيَّةَ الرَّبِّ تعالى فوق عرشه، يدبّر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطي ولا مانع، ولا مميت ولا محيي، ولا مدبّر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرّك ذرّةٌ إلّا بإذنه، ولا يجري حادثٌ إلّا بمشيئته ولا تسقط ورقةٌ إلّا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرّةٍ في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته، فهذا جمع توحيد الرّبوبيّة.

وأما جمع توحيد الإلهيّة، فهو: أن يجمع قلبه وهمّه وعزمه على الله، وإرادته، وحركاته على أداء حقّه تعالى، والقيام بعبوديته سبحانه، فتجتمع شئون إرادته على مراده الدّينيّ الشرعيّ.

وهذان الجمعان هما حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنّ العبد يشهد من قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ الذّات الجامعة لجميع صفات الكمال، التي لها كلّ الأسماء الحسنی، ثمّ يشهد من قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ جميع أنواع العبادة ظاهراً وباطناً، قصداً وقولاً وعملاً وحالاً واستقبالاً، ثمّ يشهد من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جميع أنواع الاستعانة، والتّوكّل والتّفويض، فيشهد منه جمع الرّبوبيّة، ويشهد من: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ جمع الإلهيّة، ويشهد من: ﴿إِيَّاكَ﴾ الذّات الجامعة لكلّ الأسماء الحسنی والصفّات العلی.

ثمّ يشهد من: ﴿أَهْدِنَا﴾ عشر مراتب، إذا اجتمعت حصلت له الهداية:

- المرتبة الأولى: هداية العلم والبيان، فيجعله عالماً بالحقّ مدرّكاً له.
- الثّانية: أن يقدره عليه، وإلّا فهو غير قادرٍ بنفسه.
- الثّالثة: أن يجعله مريداً له.
- الرّابعة: أن يجعله فاعلاً له.
- الخامسة: أن يثبته على ذلك، ويستمرّ به عليه.
- السّادسة: أن يصرف عنه الموانع والعوارض المضادّة له.
- السّابعة: أن يهديه في الطّريق نفسها هدايةً خاصّةً أخصّص من الأولى؛ فإنّ الأولى هدايةً إلى الطّريق إجمالاً، وهذه هدايةً فيها وفي منازلها تفصيلاً.
- الثّامنة: أن يشهده المقصود في الطّريق، وينبّهه عليه، فيكون مطالعاً له في سيره، ملتفتاً إليه، غير محتجّب بالوسيلة عنه.
- التّاسعة: أن يشهده فقره وضرورته إلى هذه الهداية فوق كلّ ضرورة.
- العاشرة: أن يشهده الطّريقين المنحرفين عن طريقها، وهما طريق أهل الغضب، الّذين عدلوا

عن أتباع الحقّ قصدًا وعنادًا، وطريق أهل الضلال الذين عدلوا عنها جهلاً وضلالاً، ثمّ يشهد جمع الصّراط المستقيم في طريق واحدٍ عليه جميع أنبياء الله ورسله، وأتباعهم من الصّديقين والشّهداء والصّالحين.

فهذا هو الجمع الذي عليه رسل الله وأتباعهم، فمن حصل له هذا الجمع، فقد [هدى] (١)

الصّراط المستقيم، والله أعلم.

فصل

□ قال الشّيخ: «وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الثَّلَاثُ: فَهُوَ تَوْحِيدُ اخْتِصَافِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ، وَاسْتَحْقَافَهُ لِقَدْرِهِ، وَأَلَاخَ مِنْهُ لِأَنِّهَا إِلَى أَسْرَارِ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ صِفَوْتِهِ، وَأَخْرَسَهُمْ [هدى إلى] (٢) عَنْ نَعْتِهِ، وَأَعْجَزَهُمْ عَنْ بَيْتِهِ».

فيقال: إمّا أن يريد بهذا التّوحيد: توحيد العبد لربّه، وهو ما قام بالعبد من التّوحيد، لا يريد به توحيد الرّبّ لنفسه، وهو ما قام به من صفاته وكماله (٣)، فإذا أراد به توحيد الرّبّ لنفسه بنفسه، وهو علمه وكلامه، وخبره الذي يخبر به عن نفسه وصفاته، كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢] ونحو ذلك.

فذلك هو صفة الرّبّ القائمة به، كما يقوم به سائر صفاته: من حياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وسمعه وبصره، وذلك لا يفارق ذات الرّبّ، ولا ينتقل إلى غيره، بل صفات المخلوق لا تفارقه، ولا تنتقل إلى غيره، فكيف صفات الخالق جلّ وعلا؟ ولكنه ﷻ يدلّ على ذلك بآياته القوليّة والفعلية، فيعلم عباده ما قام به من التّوحيد لنفسه، بما دلّهم عليه من قوله وفعله.

فإذا شهد عبده له بما شهد به لنفسه، قيل: هذه الشّهادة هي شهادة الرّبّ، بمعنى أنّها مطابقة لها

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي وأثبتناه من نسخة المنار، وهو الصواب.

(٢) جملة (هدى إلى): غير موجودة في المنار، ولعل الصواب إسقاطها بحيث يكون السياق: (وأخرسهم عن نعتة).

(٣) في المنار: (وكلامه).

موافقة لها، لا بمعنى أنها عينها، وأنَّ الشَّهادتين واحدةٌ بالعين، فما قام بقلب العبد إلا صفته وكلامه وخبره وإرادته، وهو غير ما قام بذات الرَّبِّ من صفته وكلامه، وخبره، وإن طابقه ووافقته، وعلى هذا فقوله: «اخْتَصَّصَهُ الْحَقُّ لِنَفْسِهِ»؛ أي: لا يوحِّده به غيره، «وَاسْتَحَقَّهُ لِقَدْرِهِ»؛ أي: استحقَّه بقدر كنهه الَّذي لا يبلغه غيره.

قوله: «وَأَلَّاحَ مِنْهُ لِإِحْصَا إِيَّائِي أَسْرَارِ طَائِفَةٍ مِنْ صِفَوْتِهِ»؛ أي: أظهر منه شيئاً سبباً، أسره إلى طائفةٍ قليلةٍ من الخلق، وهم أهل صفوته.
وقوله: «أَخْرَسَهُمْ عَنْ نَعْتِهِ».

يحتمل أن يريد به: أنه لا يقبل نعت المخلوقين كما لا يقبل لسان الأخرس الكلام، وعلى هذا فيكون نعته غير ممكن.

ويحتمل أن يريد به: أنه حال بينهم وبين نعته، لعجز السامع عن فهمه، فيكون نعته ممكناً، لكنَّ الحقَّ أسكتهم عنه، غيراً عليه وصيانةً له.

قوله: «وَأَعْجَزَهُمْ عَنْ بَيْتِهِ»؛ أي: لم يقدرهم على الإخبار عنه.

فيقال: أفضل صفة الرَّبِّ تعالى: الأنبياء، وأفضلهم: الرُّسل، وأفضلهم: أولو العزم، وأفضلهم: الخليان عليهما الصَّلَاة والسَّلَام، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، والَّذي أحاه الله إلى أسرارهم من ذلك هو أكمل توحيد عرفه العباد، ولا أكمل منه، وليس وراءه إلا الشَّطح والدَّعاوي والوساوس، وهم صلوات الله وسلامه عليهم قد تكلموا بالتوحيد، وبعثوه وبيَّنوه، وأوضحوه وقرَّروه؛ بحيث صار في حيزِ التَّجَلِّي والظُّهور والبيان، فعقلته القلوب، وحصلته الأفتدة، ونطقت به الألسنة، وأوضحته الشُّواهد، وقامت عليه البراهين، ونادت عليه الدلائل، ولا يمكن أحداً أن ينقل عن نبيٍّ من الأنبياء، ولا وارث نبيٍّ داعٍ إلى ما دعا إليه أنه يعلم توحيداً لا يمكنه النُّطق به، وأنَّ (١) الله سبحانه أخرسه عن نطقه وأعجزه عن بَيْتِهِ، بل كلُّ ما علمه القلب أمكن اللسان التَّعبير عنه، وإن اختلفت العبارة ظهوراً وخفاءً، وبين ذلك، وقد لا يفهمه إلا بعض النَّاس، فالنَّاس [كلُّهم] (٢) لم تتفق أفهامهم لما جاءت به الرُّسل.

(١) كلمة (أن) ساقطة من المنار.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي ومثبت من نسخة المنار.

وكيف يقال: إنَّ أعرف الخلق، وأفصحهم وأنصحهم عاجزٌ أن يبيِّن ما عرّفه الله من توحيدِهِ، وأنّه عاجزٌ عن بثِّه؟ فما هذا التّوحيد الَّذي عجزت الأنبياء والرُّسل عن بثِّه، ومنعوا من النُّطق به، وعرفه غيرهم؟ هذا كلّهُ إن أريد به [كلُّهم] (١) التّوحيد القائم بذات الحقِّ تعالى لنفسه.

فأمّا إن أريد به التّوحيد، الَّذي هو صفة العبد وفعله فلم يطابق قوله: «اخْتَصَّهُ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ، وَاسْتَحَقَّهُ لِقَدْرِهِ»، ولا يطابق القوافي الثلاثة الَّتِي أجاب بها الشَّيخ عنه، وأنَّ توحيدَهُ نفسه: هو التّوحيد لا غيره.

وأيضًا: فصفة العبد وفعله لا يعجز عن بثِّها، ولا يخرس عن النُّطق بها، وكلُّ ما قام بالعبد فإنّه يمكنه التّعبير عنه وكشفه وبيانه.

فإن قيل: المراد بذلك: أن الرَّبَّ تعالى هو الموحِّد لنفسه في قلوب صفوته، لا أنّهم هم الموحِّدون له، ولهذا قال الشَّيخ: «وَالَّذِي يُشَارُ إِلَيْهِ عَلَى الْأُسْنِ الْمُسِيرِينَ: أَنَّهُ إِسْقَاطُ الْحَدِيثِ، وَإِبْتِاطُ الْقَدَمِ» وعليه أنشد هذه القوافي الثلاثة وهي:

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ	إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدٌ
تَوْحِيدٌ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ	عَارِيَةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ
تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ	وَنَعْتُ مَنْ يَنْعُتُهُ لِاحِدٌ (٢)

قوله: «مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ».

يعني: ما وحدَّ الله ﷻ أحدٌ سواه، وكلُّ من وحدَّ الله فهو جاحدٌ لحقيقة توحيدِهِ، فإنَّ توحيدَهُ يتضمَّن شهود ذات [الموحِّد وفعله وما قام به من التّوحيد وشهود ذات] (٣) الواحد وانفراده، وتلك اثنيّية ظاهرة، بخلاف توحيدِهِ لنفسه، فإنّه يكون هو الموحِّد والموحِّد، والتّوحيد صفته وكلامه القائم به، فما ثمَّ غيرٌ، فلا اثنيّية ولا تعدُّد.

وأيضًا: فمن وحدَّه من الخلق فلا بدَّ أن يصفه بصفة، وذلك يتضمَّن جحد حقِّه الَّذي هو عدم انحصاره تحت الأوصاف، فمن وصفه فقد جحد إطلاقه عن قيود الصِّفات.

(١) كلمة (كلُّهم): غير موجودة في المنار والصواب حذفها، والله أعلم.

(٢) سيأتي نقض الإمام ابن القيم لهذه الشطحات بعد صفحة من هذا الموضوع.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي، وأثبتناه من نسخة المنار.

وقوله: «تَوْحِيدٌ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ عَارِيَةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ».

يعني: توحيد الناطقين عنه، عاريةً أبطلها الواحد، يعني: عاريةً مردودةً، كما تُستردُّ العواري، إشارةً إلى أنَّ توحيدهم عاريةً لا ملكٌ لهم، بل الحقُّ أعارهم إيَّاه، كما يعير المعير متاعه لغيره ينتفع به، ويكون ملكاً للمعير لا للمستعير.

وقوله: «أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ»؛ أي: الواحد المطلق من كلِّ الوجوه، وحدته تبطل هذه العارية، وتردُّها إلى مالِكها الحقِّ، فإنَّ الوحدة المطلقة من جميع الوجوه تنافي ملك الغير لشيءٍ من الأشياء، بل المالك لتلك العارية هو الواحد فقط، فلذلك أبطلت الوحدة هذه العارية.

وقوله: «تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ»؛ أي: توحيد الحقيقِي: هو توحيد نفسه بنفسه من غير أثرٍ للسوى بوجه، بل لا سوى هناك.

وقوله: «وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لِاحِدٌ»؛ أي: نعت النَّاعت له إلحادٌ، وهو عدولٌ عمَّا يستحقُّه من كمال التَّوحيد، فإنَّه أسند إلى نزاهة الحقِّ ما لا يليق به إسناده، فإنَّ عين الأوليَّة تأبى نطق الحدث، ومحض التَّوحيد يأبى أن يكون للسوى أثرٌ ألبتة.

فيقال -وبالله التَّوفيق-: في هذا الكلام من الإجمال والحقُّ والإلحاد ما لا يخفى.

فأما قوله: «إِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى هُوَ الْمُوَحَّدُ لِنَفْسِهِ فِي قُلُوبِ صَفْوَتِهِ، لَا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُوَحَّدُونَ لَهُ» (١) إن أريد به ظاهره، وأنَّ الموحد لله هو الله لا غيره، وأنَّ الله سبحانه حلَّ في صفوته، حتَّى وحَّد نفسه، فيكون هو الموحد لنفسه في قلوب أوليائه، لا تحادهم وحلوله فيهم فهذا قول النَّصارى بعينه، بل هو شرٌّ منه؛ لأنَّهم خصَّوه بالمسيح، وهؤلاء عمَّوا به كلَّ موحدٍ، بل عند الاتِّحادية الموحد والموحد واحدٌ، وما ثمَّ تعدُّدٌ في الحقيقة.

وإن أريد به: هو الَّذي وفَّقهم لتوحيدهم، وألهمهم إيَّاه، وجعلهم يوحدونه، فهو الموحد لنفسه بما عرفهم به من توحيدهم، وبما ألقاه في قلوبهم وأجراه على ألسنتهم، فهذا المعنى صحيحٌ، ولكن لا يصحُّ نفي أفعالهم عنه، فلا يقال: إنَّ الله هو الموحد لنفسه، لا أنَّ عبده يوحدُه، هذا باطلٌ شرعاً وعقلاً وحسّاً بل الحقُّ أنَّ الله سبحانه وحَّد نفسه بتوحيد قام به، ووحد عبده بتوحيد قام بهم بإذنه ومشيئته وتوفيقه، فهو الموحد لنفسه بنفسه، وهم الموحدون له بتوفيقه ومعونته وإذنه، فالَّذي قام بهم ليس هو

(١) كلمة (له) ساقطة من المنار.

الَّذِي قَامَ بِالرَّبِّ تَعَالَى وَلَا وَصْفَهُ، بَلِ الْعِلْمُ بِهِ وَمَحَبَّتُهُ وَتَوْحِيدُهُ، وَيَسْمَى ذَلِكَ الشَّاهِدَ وَالْمَثَلَ الْأَعْلَى،
فَهِىَ الشُّوَاهِدُ وَالْأَمْثَلَةُ الْعَلِيَّةُ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [الرؤم: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وكثيراً ما يقول الرَّجُلُ لغيره: أنت في قلبي وفي فؤادي، والمراد: هذا، لا ذاته ونفسه.

وقوله: «وَالَّذِي يُشَارُ إِلَيْهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الْمُشِيرِينَ: أَنَّهُ إِسْقَاطُ الْحَدَثِ، وَإِثْبَاتُ الْقَدَمِ».

فإن أريد: إسقاطه من الوجود؛ فمكابرةً للعيان.

وإن أريد: إسقاطه من الشُّهُودِ؛ فليس ذلك بمأمورٍ به، ولا هو كمالٌ، فضلاً عن أن يكون هو

توحيد خاصّة الخاصّة، فما هذا الإسقاط للحدث الذي هو نهاية التَّوْحِيدِ، وأعلى مقاماته؟!!

وهل الكمال إلا أن يشهد الأشياء على ما هي عليه، كما هي في شهادة الحق سبحانه؟

فإسقاط الحدث كلامٌ لا حاصل له؛ إذ لا كمال فيه، بل إنما ينفع إسقاط الحدث عند درجة

القصْدِ والتَّأَلُّهِ، فإسقاط الحدث كما تقدّم ثلاث مراتب:

- إسقاطه عن الوجود، وهو مكابرةٌ.

- وإسقاطه عن الشُّهُودِ، وهو نقصٌ.

- وإسقاطه عن القصد، وهو كمالٌ.

ولهذا قال الملحد: إسقاط الحدث وإثبات القدم الصَّحِيحُ.

ونظر الوارد على هذه الحضرة لضعفه، فإذا تمكّن عرف أنّ الحدث (١) لم يزل ساقطاً، فلا

معنى لقوله: «إِسْقَاطُ الْحَدَثِ» (٢) ولا معنى لقوله: «إِثْبَاتُ الْقَدَمِ» فإنّ القديم لم يزل ثابتاً، فهذا الكلام

لا يرضى به الموحّد، ولا الملحد، ولا أشار إليه القرآن الذي تضمّن أعلى مراتب التَّوْحِيدِ، بل القرآن

من أوّله إلى آخره يدلُّ على خلافه.

قال الملحد: وأيضاً فالتَّوْحِيدُ يستغرق القول في الطَّمْسِ، فإن كان هناك نطقٌ فليس هناك شهودٌ.

(١) في المنار: (الحدوث).

(٢) في المنار: (الحدوث).

كما قال في «المواقف»: «أنا أقرب إلى اللسان من نطقه إذا نطق، فمن شهدني لم يذكر، ومن ذكرني لم يشهد».

قال: فقوله: «من ذكرني لم يشهد» هو نفس قول صاحب «المنازل»، على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها.

وحقيقة ذلك: أنه لا يصح التوحيد إلا بإسقاط التوحيد؛ لأن ذلك الرمز والإشارة والخبر هو عن نفس التوحيد، فهو توحيداً نطقياً خبرياً مطابقاً للتوحيد المعلوم المخبر عنه، فإذا لم يصح التوحيد إلا بإسقاط ذلك كانت حقيقة الأمر أنه لا يصح التوحيد إلا بإسقاط التوحيد.

□ ثم قال: «هَذَا قُطِبَ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنِ عُلَمَاءِ هَذَا الطَّرِيقِ، وَإِنْ زَخَرَفُوا لَهُ نُعُوتًا، وَفَصَّلُوهُ فُصُولًا».

يعني: أن قولهم التوحيد هو إسقاط الحدث وإثبات القدم هو قطب مدارات الإشارات إلى التوحيد عند هذه الطائفة، ومع هذا فلا يصح التوحيد إلا بإسقاط ما قالوه، ولذلك قال: «فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً، والصفة نفوراً، والبسط صعوبةً».

فإنه إذا لم يصح إلا بإسقاط الإشارة والصفة والبسط؛ كانت العبارة عنه لا تزيده إلا خفاءً، ولا الصفة إلا نفاراً؛ أي: هروباً وذهاباً، والبسط والإيضاح لا يزيده إلا صعوبةً؛ لكثرة الإشارات والعبارات.

□ قوله: «وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة، وأرباب الأحوال»؛ أي: تطلعت قلوبهم «وإليه قصد أهل التعظيم، وإيأه عن المتكلمون في عين الجمع، وعليه تصطلح الإشارات»، ثم لم ينطق عنه لسان، ولم تُشر إليه عبارةً.

فيقال: يا لله العجب! ما هذا السر الذي ما تكلم الله به، ولا أشار إليه رسوله، ولا نالته إشارة، ولا قامت به عبارة، ولا أشار إليه مكوّن، ولا تعاطاه حين، ولا أقله سبب؟! فهذه العقول حاضرة، وهذه المعارف، وهذا كلام الله ورسوله، بل سائر كتب الله، وكلام سادات العارفين من الأمة، فما هذا الحق المحال به؟ وعلى من وقعت هذه الحوالة؟ فإنكم أحلتم بما لا ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة، ولا تعاطاه حين، ولا أقله سبب، فعلى من أحلتم بهذا الحق المجهول الذي لا سبيل إلى العلم به، ولا التعبير عنه، ولا الإشارة إليه؟!

وأين قوله: «مَا وَحَدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ» من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]؟ فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحدونه، وأن أولي العلم

يُوْحِدُونَهُ، وكذلك إخباره عن أنبيائه ورسله وأتباعهم أنهم وَّحَدُوهُ، ولم يشركوا به شيئاً، كما أخبر عن نوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وعن جميع الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، بل أخبر سبحانه عن السَّمَوَاتِ السَّبْعِ والأَرْضِ وما فِيهِنَّ أَنَّهَا تَسْبِحُ بحمده توحيداً ومعرفةً.

فهل يصحُّ أن يقال: ما وَّحَدَهُ أَحَدٌ مِنَ الرُّسُلِ والأنبياء والمؤمنين؟ ولا سَبَّحَ بحمده سماءٌ ولا أَرْضٌ ولا شيءٌ؟! وأبطل الباطل أن يقال: كُلُّ مَنْ وَّحَدَ اللهُ مِنَ الأوَّلِينَ والآخرين جاحداً له ولتوحيده، لا موحد له على الحقيقة؟ وأنَّ نعت جميع الرُّسُلِ والأنبياء وأتباعهم له إلحادٌ، وكُلُّ مَنْ نَعَتَهُ مِنَ الأوَّلِينَ والآخرين فهو لاحدٌ، فلا معنى صحيحٌ، ولا لفظٌ مليحٌ، بل المعنى أبطل من اللفظ، واللفظ أقيح من المعنى! ثمَّ يقال: فهذا الَّذي ذكرته في هذه الدرِّجَة هل هو توحيدٌ، ووصفٌ للتَّوْحِيدِ، أم ليس بتوحيدٍ؟ فإن لم يكن توحيداً فهو باطلٌ، وإن كان توحيداً فقد وَّحَدَتِ الواحد.

وأيضاً: فإذا كان توحيده لنفسه هو التَّوْحِيدِ، وما عداه فليس بتوحيدٍ فمعلومٌ أن توحيده لنفسه هو الَّذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه وأخبر به عن نفسه في القرآن من أوَّله إلى آخره، وهذا عندك هو توحيد العامة، فأين هذا التَّوْحِيدِ الَّذي وَّحَدَ بِهِ نَفْسَهُ ولم ينطق به لسانٌ ولم تعبر عنه عبارةٌ ولم يقله سببٌ؟

فإن قلت: هو التَّوْحِيدِ القائم به فذلك هو وصفه وكلامه وعلمه بنفسه، وليس ذلك من فعل العبد ولا صفته حتَّى يكون هو الدرِّجَة الثَّالِثَة من توحيد العبد لرَّبِّه، كما أن سائر صفاته لا تدخل في درجات السُّلُوكِ، فإنَّ تلك الدرِّجَاتِ هي منازل العبوديَّة.

وأيضاً: فإنَّ هذا الكلام الَّذي اشتملت عليه هذه الأبيات لا يستقيم على مذهب الملحدين ولا على مذهب الموحِّدين.

أمَّا الموحِّدون فهم يقولون: إنَّ الرُّسُلَ والأنبياء والملائكة والمؤمنين يوحدون الله حقَّ توحيده الَّذي يقدرون عليه، وأمَّا الملحدون فيقولون: ما ثمَّ غيرٌ في الحقيقة، فالله عندهم هو الوجود المطلق السَّارِي في الموجودات، فهو الموحِّد والموحَّد، وكُلُّ ما يقال فيه فهو عندهم حقٌّ وتوحيدٌ، كما قال عارف القوم ابن عربي:

سِرِّ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّ اللَّهَ تَمَّ وَقُلَّ مَا شِئْتَ فِيهِ فَإِنَّ الْوَاسِعَ اللَّهُ

وقال أيضاً:

عَقَدَ الْحَلَائِقُ فِي الْإِلَهِ عَقَائِدًا وَأَنَا عَقَقْتُ جَمِيعَ مَا عَقَقَدُوهُ

ومذهب القوم: أَنَّ عِبَادَ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَ الصُّلْبَانِ وَعِبَادَ النَّيِّرَانِ وَعِبَادَ الْكَوَاكِبِ كُلَّهُمْ مَوْحِدُونَ، فَإِنَّهُ مَا عُبِدَ غَيْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ عِنْدَهُمْ، وَمَنْ خَرَّ لِلْأَحْجَارِ فِي الْبَيْدِ، وَمَنْ عَبْدَ النَّارِ وَالصَّلِيبِ فَهُوَ مَوْحِدٌ عَابِدٌ لِلَّهِ، وَالشِّرْكَ عِنْدَهُمْ إِثْبَاتٌ وَجُودٌ قَدِيمٌ وَحَادِثٌ وَخَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ وَرَبٌّ وَعَبْدٌ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ عَارِفِيهِمْ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ يَبْطُلُ قَوْلَكُمْ، فَقَالَ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ وَالتَّوْحِيدُ هُوَ مَا نَقُولُهُ.

وإن كانت هذه القوافي الثلاثة أوَّلًا مذهب هؤلاء ونحلتهم، ولهذا تلقَّاهَا بالقبول عارفوهم وبالغوا في استحسانها، وقالوا: هي ترجمة مذهب أهل التَّحْقِيقِ، وكُلُّ مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ فَهُوَ جَاهِدٌ لِإِطْلَاقِهِ، فَإِنَّهُ يَصِفُهُ فَيَحْصِرُهُ تَحْتَ الْأَوْصَافِ، وَحْصَرَهُ تَحْتَهَا جِهْدٌ لِإِطْلَاقِهِ عَنِ قِيُودِ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ؛ وَلِهَذَا كَانَ تَوْحِيدُ الْوَاصِفِ النَّاعَتِ لَهُ عَارِيَّةً اسْتَعَارَهَا حَتَّى قَامَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ وَصْفٌ وَمَوْصُوفٌ وَمَوْحِدٌ وَمَوْحَدٌ، وَالْوَحْدَةُ الْمَطْلُوقَةُ تَبْطُلُ هَذِهِ الْعَارِيَّةُ، وَتَرُدُّ الْمَسْتَعَارَ إِلَى الْمَوْجُودِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي لَا يَتَقَيَّدُ بِوَصْفٍ وَلَا يَتَخَصَّصُ بِنَعْتٍ.

ثُمَّ كَشَفَ الْغَطَاءَ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: «تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ»؛ أَي: هُوَ الْمَوْحِدُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، لَا أَنَّ غَيْرَهُ يَوْحِدُهُ؛ إِذْ لَيْسَ ثَمَّ غَيْرٌ^(١).

وَزَادَ إِضْاحَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَنَعْتُ مَنْ يَنْعُهُ لِأَحَدٍ»، وَالْإِلْحَادُ: هُوَ الْمَيْلُ عَنِ الصَّوَابِ، وَالنَّعْتُ: تَقْيِيدٌ وَتَخْصِيسٌ لِمَنْ لَا يَتَقَيَّدُ وَلَا يَتَخَصَّصُ، فَهُوَ الْإِلْحَادُ.

وَأَحْسَنُ مَا يَحْمَلُ عَلَيْهِ كَلَامُهُ: أَنَّ الْفَنَاءَ فِي شَهْوَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْحَكْمَ يَمْحُو شَهْوَةَ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ، فَضْلًا عَنِ شَهْوَةِ غَيْرِهِ، فَلَا يَشْهَدُ مَوْجِدًا فَاعِلًا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَفِي هَذَا الشُّهُودِ تَفْنَى الرُّسُومُ كُلُّهَا، فَلَا يَبْقَى هَذَا الشُّهُودِ وَالْفَنَاءُ رَسْمًا أَبْتَةً، فَيَمْحُو هَذَا الشُّهُودِ مِنَ الْقَلْبِ كُلَّ مَا سِوَى الْحَقِّ، لَا أَنَّهُ يَمْحَقُهُ مِنَ الْوُجُودِ، وَحِينَئِذٍ فَيَشْهَدُ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْحَقِيقِيَّ - غَيْرَ الْمَسْتَعَارِ - هُوَ تَوْحِيدُ الرَّبِّ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَتَوْحِيدُ غَيْرِهِ لَهُ عَارِيَّةٌ مَحْضَةٌ، أَعَارَهُ إِيَّاهَا مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَالْعَوَارِي مَرْدُودَةٌ إِلَى مَنْ تَرُدُّ إِلَيْهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

فَالْوَحْدُ الْقَهَّارُ سَبْحَانَهُ أَبْطَلَ تِلْكَ الْعَارِيَّةَ أَنْ تَكُونَ مَلَكًا لِلْمَعَارِ، كَمَا يَبَيِّنُ الْمَعْيَرُ لِلْمَسْتَعْيَرِ إِذَا

(١) فِي الْمَنَارِ: (غَيْرُهُ).

استردَّ العين المعارة وقد ظنَّ المستعير أنَّ المعار ملكه أنَّ الأمر ليس كذلك، وأنَّه عاريةٌ محضَةٌ في يده، والمعير وإنَّ أبطل ظنَّ المستعير من العارية، لم يبطل أصل العارية، ولهذا صرَّح بإثباتها في أوَّل البيت، وإنَّما ضاق به (١) الوزن عن تمام المعنى وإيضاحه، وهذا المعنى حقٌّ، وهو أولىُّ بهذا الإمام العظيم القدر ممَّا يظنُّه به طائفة الاتِّحاديَّة والحلوليَّة، وإنَّ كانت كلماته المجملَّة شبيهةً لهم، فسنته المفصَّلة مبطلَّةٌ لظنِّهم.

ولكلامه محمَلٌ آخر أيضًا، وهو أنَّه ما وحَّد الله حقَّ توحيدِه الَّذي [ينبغي له] (٢) ويستحقُّه لذاته سواه، كما قال أعظم النَّاس توحيدًا ﷺ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» (٣).

وفي مثل هذا يصحُّ النَّفي العامُّ، كما يقال: ما عرف الله إلاَّ الله، ولا أثنى عليه سواه، والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحقِّ، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه وينظر عليه.

وقد كان شيخ الإسلام قدَّس الله روحه راسخًا في إثبات الصِّفات، ونفي التَّعطيل، ومعاداة أهله، وله في ذلك كتبٌ مثل: كتاب [«الفاروق»] وكتاب [«ذمَّ الكلام»] وغير ذلك ممَّا يخالف طريقة المعطلَّة والحلوليَّة والاتِّحاديَّة.

ثمَّ صرَّح بهذا المعنى الَّذي ذكرناه بقوله: «تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ»؛ أي: توحيدِه لنفسه: هو التَّوحيد الكامل التَّامُّ، الَّذي لا سبيل للعبارة والإشارة إليه، وفوق ما تعرفه العقول وتصفه الألسن.

وهذا حقٌّ، لكن جفت عبارته بعد بقوله: «وَوَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لِأَحَدٍ» ومحملها كما عرفت: أنَّ نعت الخلق له دون ما هو عليه سبحانه، وما هو عليه من الأوصاف والنُّعوت أجَلُّ وأعظم من أنَّ يحيط به العلم المخلوق، أو تنطق به الألسنة، والإلحاد الميل، وهو لم يرد أنَّ نعت النَّاعتين له إلحادٌ وكفرٌ، فإنَّه هو قد نعته في هذا الكتاب وفي كتبه، ولم يكن ملحدًا بذلك، فنعت المخلوق له مائلٌ عن نعته لنفسه.

(١) في المنار: (له).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي ومثبت في نسخة المنار.

(٣) تقدم تخريجه (٢٥١/١).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقط من طبعة الفقي ومثبت في نسخة المنار.

على أنه لو أراد الإلحاد، الذي هو باطلٌ وضلالٌ لكان له وجهٌ صحيحٌ، وهو أن نعت المخلوقين له من عند أنفسهم إلحادٌ، والتَّوْحِيدُ الحَقُّ هو ما نعت الله به نفسه على السنة رسله، فهم لم ينعتوه من تلقاء أنفسهم، وإنما نعتوه بما أذن لهم في نعته به، وقد صرَّح سبحانه بهذا المعنى في قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٦٠) [الصافات: ١٥٩، ١٦٠] فنزَّه نفسه عمَّا يصفه به العباد إلا المرسلين، فإنهم لم يصفوه من عند أنفسهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

فنختم الكتاب بهذه الآية حامدين لله مثنين عليه بما هو أهله، وبما أتى به (١) على نفسه. والحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله غير مكفِّي ولا مكفورٍ ولا مودَّع ولا مستغنى عنه ربُّنا. ونسأله أن يُوزِّعنا شكر نعمته، وأن يوفِّقنا لأداء حقِّه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي غيره خالصاً لوجهه الكريم ونصيحةً لعباده. فيا أيُّها القارئ له، لك غنمه وعلى مؤلِّفه غرمه، لك ثمرته وعليه تبعته، فما وجدت فيه من صوابٍ وحقٍّ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال. وقد ذمَّ الله تعالى من يردُّ الحقَّ إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه، فهذا خلق الأُمَّة الغضبيَّة.

قال بعض الصَّحابة: «أقبل الحقَّ ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطلُ على من قاله وإن كان حبيباً». وما وجدت فيه من خطأ فإنَّ قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفردَّ بالكمال كما قيل:

وَالنَّقْصُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ فَبَنُو الطَّبِيعَةِ نَقْصُهُمْ لَا يُجْحَدُ

وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عدت غلطاته أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته.

وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولإخوانه المسلمين، وإن جعل الحقَّ تبعاً للهوى فسد القلب والعمل والحال والطريق.

(١) لفظة (به) غير موجودة المنار.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].
وقال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» (١).

فالعلم والعدل: أصل كل خير، والظلم والجهل أصل كل شر، والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وأمره أن يعدل بين الطوائف ولا يتبع هوى أحد منهم، فقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعِ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمد، وعلى آله أجمعين.



[تم بحمد الله تعالى الانتهاء من مقابلة ط. (الفتحي)، ونسخة المنار، ونسخة «غ» في يوم الثلاثاء ٢٥/١٢/١٤٢١هـ، في الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة.
وبذلك يتم بعون الله تعالى تحقيق كتاب (مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين) جميعه.

أسأله سبحانه الإخلاص والصواب في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا].

عبد العزيز بن ناصر الجليل



(١) رواه البيهقي في «شرح السنة» (١/٢١٢)، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/٢٨٩): «رجاله ثقات، وقد صححه النووي من آخر الأربعين».

فهرس الموضوعات

- ٥..... فصلٌ: باب النَّفْس ودرجاته.....
- ٦..... الأولى: نَفْسٌ في حين استتار مملوء من الكظم
- ٦..... الأسف الحزن لفوت المحبوب
- ٩..... الثانية: مقام المعاينة والتجلي
- ١١..... الثالثة: نفس مُطَهَّر بماء القدس (مرتبة العارف).....
- ١٢..... فصلٌ في منزلة الغربة والأحاديث النبوية فيها
- ١٤..... أنواع الغربة، الأولى: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله ﷺ
- ١٨..... فصلٌ: النوع الثاني: في غربة أهل الباطل
- ١٨..... فصلٌ: النوع الثالث: في غربة مشتركة، لا تحمد ولا تدمُّ
- ١٩..... فصلٌ في معنى الاغتراب ودرجاته.....
- ١٩..... الأولى: الغربة عن الأوطان
- ٢٠..... الثانية: غربة الحال
- ٢١..... الثالثة: غربة الهمة
- ٢٣..... فصلٌ في باب الغرق.....
- ٢٤..... درجات الغرق: الأولى: استغراق العلم في عين الحال
- ٢٥..... الثانية: استغراق الإشارة في الكشف
- ٢٦..... الثالثة: استغراق الواهد في الجمع
- ٢٧..... فصلٌ في باب الغيبة ودرجاتها
- ٢٨..... الأولى: غيبة المرید
- ٢٨..... الثانية: غيبة السالك عن العلم المجرد عن الحال
- ٢٩..... الثالثة: غيبة العارف.....
- ٣١..... باب التمكن وتعريفه
- ٣٢..... درجات التمكن، الأولى: تمكن المرید

- الثانية: تمكن السالك..... ٣٤
- الثالثة: تمكن السالك ٣٤
- باب المكاشفة وتعريفها ٣٦
- درجاتها، الأولى: مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ٣٧
- الحجب التي تحجب القلب عن الرب، وهي عشرة ٣٨
- الثانية: مكاشفة مستديمة ٤١
- الثالثة: مكاشفة عين لا مكاشفة علم ٤١
- النور الحسي، والأنوار المعنوية ٤٣
- مكاشفة الحال ٤٤
- باب المشاهدة وتعريفها ٤٥
- ولاية النعوت والصفات مشهد الجهمية ٤٧
- فصل: درجات المشاهدة، الأولى المعرفة تجري فوق حدود العلم ٥٠
- فصل: الثانية مشاهدة معاينة حبال الشواهد ٥١
- فصل: الثالثة: مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع ٥٣
- الجادب إلى عين الجمع ومراتب الجمع ٥٥
- باب المعاينة ٥٦
- فصل في أنواع المعاينة معاينة الإبصار والقلب والروح ٥٧
- الأولى معاينة البصيرة تمثيل إدراكها للحس وتوهم مشاهدة الرب ٥٧
- شواهد السائرين إلى الله تعالى ٦١
- مشهد الجنة ونعيمها ويوم المزيد ٦٢
- وقوع العيان والكشف والمشاهدة في الدنيا على الشواهد والأمثلة العلمية ٦٤
- الثانية: معاينة عين القلب ٦٦
- الثالثة: معاينة عين القلب ومعاينة عين الروح ٦٦
- باب الحياة ٦٨
- فصل في مراتب الحياة العشر ٧٠
- الأولى: حياة الأرض بالنبات ٧٠
- الثانية: حياة النمو والاعتداء ٧٠
- الثالثة: حياة الحيوان المغتذي ٧١

- ٧١ الرابعة: حياة الحيوان الذي لا يتغذى
- ٧١ الخامسة: حياة العلم من الجهل
- ٧٣ السادسة فصل: حياة الإرادة والهمة
- ٧٥ السابعة فصل: حياة الأخلاق
- ٧٦ الثامنة فصل: حياة الفرح والسرور بالله تعالى
- ٧٩ حديث الولي
- ٧٩ سر السلوك وحقيقة العبودية
- ٨٣ التاسعة فصل: حياة الأرواح بعد مفارقتها الأبدان
- ٨٤ نعيم الآخرة وفضلها على الدنيا
- ٨٥ الرد على من زعم تساوي الموتى
- ٨٦ النظر إلى الأشياء والنظر في الأشياء
- ٨٨ حيرة الزنادقة ويقين المؤمنين
- ٩٠ فصل في حياة الشهداء
- ٩٠ العاشرة: الحياة الدائمة الباقية
- ٩٢ اقتباس الحياة الآخرة من الدنيا
- ٩٥ فصل: الحياة الثانية: حياة الجمع من موت التفرقة ولها ثلاثة أنفس
- ٩٦، ٩٥ نفس الاضطرار، ونفس الافتقار، ونفس الافتخار
- ٩٧ فصل: الحياة الثالثة: حياة الوجود ولها ثلاثة أنفس
- ٩٧ نفس الهيبة، ونفس الوجود، ونفس الانفراد
- ٩٩ باب القبض، قبض الله تعالى الظل
- ١٠١ تعريف القبض
- ١٠٢ قبض الجمع وقبض التفرقة وتفسير (واصطنعتك لنفسي)
- ١٠٣ فرق الضنائن الثلاث
- ١٠٥ باب البسط
- ١٠٦ تعريفه، وطوائفه الثلاث
- ١٠٧ الأولى: طائفة بسطت رحمة للخلق
- ١٠٨ الثانية: طائفة لا تخالج الشواهد مشهودهم
- ١٠٩ الثالثة: طائفة بسطت أعلامًا على الطريق

- ١١٠ باب السكر وتعريفه
- ١١١ أسباب السكر من غير الخمر
- ١١٣ فصلٌ: جُبُّ الصور من أباب السكر
- ١١٤ فصلٌ: من أسبابه سماع الأصوات المطربة
- ١١٦ فصلٌ في علامات السكر الثلاث
- ١١٧ شواهد من الشعر في لذة العشق
- ١١٩ باب الصحو وتعريفه
- ١٢١ استمرار السير إلى الله حتى الموت
- ١٢٤ باب الاتصال، تفسير (ثم دنا فتدلى)
- ١٢٧ درجات الاتصال، الأولى اتصال الاعتصام
- ١٢٩ الثانية: اتصال الشهود
- ١٣٠ الثالثة: اتصال الوجود
- ١٣١ باب الانفصال ودرجاته
- ١٣٣ الأولى: انفصال هو شرط الانفصال
- ١٣٤ الثانية: انفصال عن رؤية الانفصال
- ١٣٦ الثالثة: انفصال عن الاتصال
- ١٣٧ باب المعرفة، والآيات فيها
- ١٣٨ فصل: الفرق بين العلم والمعرفة لفظاً ومعنى
- ١٤٠ حقيقة المعرفة بالله تعالى
- ١٤٢ علامات العارف
- ١٤٤ أحوال العارف والمعرفة
- ١٤٦ درجة المعرفة، الأولى: معرفة الصفات والنعوت
- ١٤٨ فصلٌ في حقيقة دعوة الرسل
- ١٥٠ جحد المعطلة والجهمية الإيمان بالصفات
- ١٥٣ طريق إثبات الصفات
- ١٥٦ دلالة المخلوقات على الذات والصفات الدالة على الأفعال والأحكام
- ١٥٧ يأس العقل من معرفة ذات الله وصفاته تعالى
- ١٥٩ الثانية: معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات

- ١٦٠..... ثبوت معرفة الذات وصفاتها
- ١٦٢..... شواهد الصفات من الكتاب السنة
- ١٦٢..... الوسائط والمدارج
- ١٦٤..... الثالثة: معرفة التعريف الإلهي
- ١٦٥..... باب الفناء، تعريفه
- ١٦٨..... درجات الفناء، الأولي: فناء المعرفة في المعروف
- ١٦٩..... مثالان لفناء الخوف وفناء الحب
- ١٧٢..... الثانية: فناء شهود الطلب والعلم والعيان
- ١٧٢..... الثالثة: الفناء عن شهود الفناء
- ١٧٣..... فصل: لفظة «الفناء» لا تقبل بإطلاق ولا ترد بإطلاق
- ١٧٥..... الشعور بمشهد القيومية
- ١٧٥..... علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين
- ١٧٧..... مثال لحقيقة الفناء الصحيح نور الجلال ونور ذي الجلال
- ١٧٨..... باب البقاء
- ١٧٩..... فصل: تعريفه
- ١٧٩..... درجاته، الأولي بقاء المعلوم بعد سقوط العلم
- ١٨٠..... الثانية: بقاء المشهود بعد سقوط الشهود
- ١٨١..... الثالثة: بقاء في مرتبة الوجود
- ١٨٢..... باب التحقيق، تعريفه
- ١٨٣..... العوارض والمحن كالحر والبرد
- ١٨٥، ١٨٤..... درجاته الثلاث
- ١٨٦..... باب التلبس، تعريفه
- ١٨٧..... فصل في معنى التلبس
- ١٨٨..... المعنى الأول: تلبس الحق بالكون على أهل التفرقة
- ١٩١..... التلبس على «الهروي» وحقيقة الربوبية، والألوهية
- ١٩٢..... الأسباب والوسائط والعلل
- ١٩٣..... الرد على من جعل الأسباب تلبسًا
- ١٩٥..... عقيدة أهل السلف: إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه

- ١٩٦ فصلٌ: المعنى الثاني تلبس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها
- ١٩٧ المعنى الثالث: تلبس أهل التمكين
- ١٩٩ إثبات الأسباب هو حقيقة الدين
- ٢٠١ باب الوجود، استعماله في القرآن
- ٢٠٣ مراتب التواجد والوجد والوجود
- ٢٠٤ فصلٌ في تحقيق معنى الوجود والماهية
- ٢٠٥ فصلٌ في الوجود والوجدان
- ٢٠٦ بحث فيما يسمي الله تعالى به من الأسماء
- ٢٠٧ فصلٌ: معاني الوجود الثلاثة
- ٢٠٨ باب التجريد، معناه
- ٢٠٨ درجاته، الأولى: تجريد عين الكشف عن كسب اليقين
- ٢١٠ الثانية: تجريد الخلاص من شهود التجريد
- ٢١٠ الثالثة: تجريد الخلاص من شهود التجريد
- ٢١١ باب التفريد، ومعناه
- ٢١٣ درجات التفريد
- ٢١٣ الأولى: تفريد الإشارة إلى الحق
- ٢١٣ الثانية: تفريد الإشارة بالحق
- ٢١٥ الثالثة: تفريد الإشارة عن الحق
- ٢١٦ باب الجمع، تفسير ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾
- ٢١٧ تعريف الجمع
- ٢٢٠ درجات الجمع: جمع علم، جمع وجود، جمع عين
- ٢٢٢ التوبة آخر مقام السالكين
- ٢٢٤ تخبط في الاصطلاحات والأسماء التي لا مسميات لها
- ٢٢٧ فصلٌ: عود إلى بيان أن التوبة آخر مقامات السالكين
- ٢٢٩ دلالة الذوق غير صحيحة
- ٢٣١ باب التوحيد تعريفه وبيان معناه الحقيقي
- ٢٣٣ فصلٌ: إثبات ما أثبت الله لنفسه وما أثبت له رسله
- ٢٣٤ فصلٌ: أفراد الله تعالى بالعبودية

- ٢٣٥ فصلٌ في افتراق الطوائف في التوحيد
- ٢٣٦ فصلٌ: التوحيد الذي دعت إليه الرسل
- ٢٣٨ مراتب الشهادة أربع
- ٢٤٠ فصلٌ في مرتبة الإعلام والإخبار
- ٢٤١ فصلٌ: تضمين الشهادة الأمر والإلزام بالتوحيد
- ٢٤٢ فصلٌ: القيام بالقسط يقتضي الثواب والعقاب
- ٢٤٥ فصلٌ: الملائكة وأولوا العلم يشهدون بوحدانيته وقيامه بالقسط
- ٢٤٨ فصلٌ: الرد على مزاعم الجهمية والمعتزلة
- ٢٤٩ فصلٌ: شهادة الله لنفسه تنافي شهادة المعتزلة له
- ٢٥١ معنى كونه تعالى على صراط مستقيم
- ٢٥٢ معنى اسمه المؤمن
- ٢٥٢ الدلالة بالآيات القولية والفعلية على إلهيته تعالى
- ٢٥٣ الاستدلال بالأسماء والصفات على بطلان الأحكام القبيحة والسيئة
- ٢٥٥ فصلٌ: الاستشهاد على رسالة الرسل بشهادة الله لهم
- ٢٥٦ فصلٌ: شهادة الله تعالى للقرآن بجعله موافقاً للعقل والفطرة
- ٢٥٨ فصلٌ: الاستشهاد بأهل العلم
- ٢٥٩ فصل: لا دين سوى الإسلام
- ٢٦٠ الإسلام دين جميع الرسل
- ٢٦١ التوحيد هو الغاية المطلوبة من جميع المقامات
- ٢٦١ تجريد التوكل وعالله، والوقوف مع الأسباب
- تفاوت أهل التوحيد، الوجه الأول: توحيد العامة، الثاني: توحيد الخاصة، الثالث: توحيد خاصة الخاصة
- ٢٦٤ خاصة الخاصة
- ٢٦٨ الخليلان أكمل الناس توحيداً
- ٢٦٨ فصلٌ: أعلى مراتب التوحيد
- ٢٧٠ الأول: دلالة القرآن على التوحيد سمعية وعقلية
- ٢٧٤ الثانية: البصيرة التامة تستلزم وجود الهداية
- ٢٧٥ الثالثة: التبصرة في الشواهد تقوي الإيمان
- ٢٧٦ فصلٌ: توحيد الخاصة الذي يثبت بالحقائق

- ٢٧٦..... إسقاط الأسباب ليس من التوكل
- ٢٧٧..... الكسب والدعاء وسبق العلم والحكم بالقدر
- ٢٧٨..... التوكل والقدر وآيات الأسباب
- ٢٧٩..... إسقاط الأسباب والحرص والتوكل مع مراعاتها
- ٢٨١..... فصل: كمال التوحيد بالصعود عن منازعات العقول
- ٢٨٣..... شهود التوحيد مع الدليل والتوكل
- ٢٨٣..... سبق العلم والحكم للخلق
- ٢٨٤..... علل الأسباب والأحوال والمقامات والأعمال
- ٢٨٧..... فصل: الفرق الإيماني
- ٢٨٨..... فصل: الجمع الصحيح: هو شهود توحيد الربوبية والألوهية
- ٢٨٩..... مراتب من (اهدنا)
- ٢٩٠..... فصل: توحيد اختصاصه الحق لنفسه
- ٢٩١..... عجز صفوة الخلق عن بث ما ألاح الحق لهم منه
- ٢٩٣..... الإشارة إلى توحيد نفسه بإسقاط الحدث وإثبات القدم
- ٢٩٥..... توحيد الحق نفسه في نظر المؤمن والملحد
- ٢٩٦..... تحقيق: أنه لا توحيد إلا توحيد الحق نفسه
- ٢٩٧..... اعتذار ابن القيم عن الهروي في شطحته
- ٢٩٩..... خاتمة الكتاب للمصنف رَحِمَهُ اللهُ
- ٣٠١..... فهرس موضوعات المجلد الرابع
- ٣١١..... فهرس الآيات القرآنية لكل الكتاب
- ٣٨١..... فهرس الأحاديث وبعض الآثار في كل الكتاب

الفهارس العامة

- ١- فهرس الآيات.
- ٢- فهرس الأحاديث.

فهرس الآيات القرآنية

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفاتحة		
٢٣٧/٤	٢	﴿رَبِّ الْمَلِئِكَةِ﴾
٥٦/١	٣،٤	﴿رَبِّ الْمَلِئِكَةِ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
٢٣٧/٤	٣	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
٢٣٧/٤، ٣٠/١	٤	﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾
١/١٧٥، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ١٢٣، ١٢٨، ١١٨، ١٥٣، ١٧٣، ١٧٨، ٢٠٦، ٢٦٥، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٤، ٤٩، ٧١، ٧٧، ٨٢، ٨٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٣٨، ١٢١، ١١٦، ١٢٨، ١٩٩، ١٩٤، ١٥٦، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٤، ١٩٢، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٨، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٠٣/٣، ٢٥٥، ٣٧، ٦١، ٧٤، ٨٤، ٨٧، ٩١، ٩٥، ١٥٥، ١٢٢، ١٤١، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٤، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٦٥، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٩٢، ٣٠٧، ٢٣٧/٤، ٢٨٩	٥	﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
٨٥/١	٦، ٥	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٢٣٧/٤، ١٩٥، ١٨٤، ١٩٢، ١٧٦، ٣١/١	٦	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٢٣٧/٤	٧	﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
٣٥/١	٧	﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾
٣٥/١	٧	﴿أَنَّمَتَ عَلَيْهِمْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٩٣ / ١	٧	﴿ صرط الذين أنعمت عليهم ﴾
سورة البقرة		
١٢٢ / ٣	٥، ٤	﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾
٣٨، ٣٦ / ١	٥	﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾
٣٦ / ١	٧	﴿ حتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾
٣٣٢ / ١	٨	﴿ ءامنآ بالله وبآلآئور الآخر ﴾
٣٤٤ / ٣	٩	﴿ يخادعون الله والذين ءامنوا ﴾
٣٣٢ / ١	٩ - ١٦	﴿ يخادعون الله والذين ءامنوا ﴾
٣٣٢ / ١	١٠	﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾
٣٣٢ / ١	١٢، ١١	﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا ﴾
٣٣١ / ١	١٢	﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾
٣٣٢، ٤٨ / ١	١٣	﴿ وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس ﴾
٣٣٣ / ١	١٤	﴿ وإذا لقوا الذين ءامنوا ﴾
٣٣٣ / ١	١٥	﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم ﴾
٣٣٣ / ١	١٦	﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة ﴾
٣٣٣ / ١	١٧	﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾
٣٣٣ / ١	١٨	﴿ صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾
٣٣٣ / ١	١٩	﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ﴾
٣٣٤ / ١	٢٠	﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾
٢٢٨ / ٤، ٢٥٦ / ٣، ١١٩ / ١	٢٣	﴿ وإن كنتم في ريب ﴾
٣٧٤ / ٣	٢٥	﴿ ويبئرا الذين ءامنوا ﴾
٣٤٠ / ١	٢٧، ٢٦	﴿ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧١/٢، ٣٨٠/١	٣٠	﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾
٧٢/٢	٣٨	﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
٧٧/٢، ١٢٧، ٩٦/١	٤٠	﴿وَأَيُّنَ فَآرَهُبُونَ﴾
٩٦/١	٤١	﴿وَأَيُّنَ فَآتَقُونَ﴾
١٨٧/٤	٤٢	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾
٥١/٣، ٢٣٠/٢	٤٥	﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾
١٨٢/٤	٤٦	﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾
٣٢٨/١	٥٨	﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾
٤٠/٢	٦٣	﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾
٣٩/٢	٦٧	﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾
٣٥٥/١	٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾
١٣٦/١	٧٩	﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
٢٢١/٤	٧٩	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ﴾
٣٢٢/١	٨٩	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾
١٣٩/٤	٨٩	﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ﴾
٣٣/١	٩٠	﴿يَسْمَأُ أَشْرَوْا بِهِءَ أَنفُسَهُمْ﴾
٩١/٤	٩٣	﴿قُلْ يَسْمَأُ يَا مُرْكُم بِهِءَ﴾
١٢/٣	٩٤	﴿فَتَمَنَّاؤُا الْمَوْتَ﴾
٣٤٠/١	٩٩	﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾
٣٠٠/٢	١٢٣	﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾
٢٦٥/٤	١٢٤	﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾
٢٦٠/٤، ١٩٤/٤	١٢٨	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٦٥/٤	١٣٠، ١٣١	﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾
٢٦٠/٤	١٣٢	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ ﴾
٢٦٠/٤	١٣٣	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾
٢٥٨/٤	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾
١٣٩، ١٣٨، ١٣٧/٤، ٣٢٢/١	١٤٦	﴿ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾
١٢٧/١	١٥٠	﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾
١٩١، ٥٠/٣	١٥١	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾
٣١٠/٢	١٥٢	﴿ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴾
٨٢/٤، ١٥٩، ١٤٤/٣	١٥٢	﴿ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ ﴾
٢٣٠/٢	١٥٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا ﴾
٣٣٣/٢	١٥٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِرِينَ ﴾
٩٠/٤	١٥٤	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٢٣١/٢	١٥٥	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾
٣٤٣/١	١٦٠، ١٥٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا ﴾
٧/٢	١٦٠	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾
٢٧٨/٤	١٦٤	﴿ فَأَخْبَاهُ بِهَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾
٢٤٧/٣	١٦٥	﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
٢٤٧/٣، ٣٢٥/١	١٦٥	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾
٢٧٢/٤، ١٣١/٣	١٧١	﴿ ضَمُّكُمْ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٣٤٨/١	١٧٣	﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾
٧/٢	١٧٧	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾
٦/٣	١٧٧	﴿ وَلَكِنَّ الْآبِرَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٣١/٢	١٧٧	﴿وَالصَّٰدِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾
٣٦١/١	١٨٤، ١٨٣	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
١٤٤/٣	١٨٥	﴿وَلِيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾
٣٢٥، ١٢٩/٣، ٣٣٤/٢	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾
٣٤/١	١٨٧	﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾
١١٤/٢	١٨٧	﴿بِتِلْكَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾
٨٢/٣	١٨٩	﴿وَأَتُوا الْأَبْيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾
٣٤٦/١	١٩٤	﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدِدُوا عَلَيْهِ﴾
٢٦٠/٤	١٩٦	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا﴾
١٨٣/١	١٩٩، ١٩٨	﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ﴾
٢٩٥/١	١٩٩	﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
١٤٤/٣	٢٠٠	﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾
٣٣٤/١	٢٠٤	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ﴾
٣٣٤/١	٢٠٥	﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾
٣٣٤، ٢٥١، ٢٤٩/١	٢٠٥	﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾
٦٩/٢	٢١٣	﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
١٨١، ١١٣/١	٢١٣	﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
٢٧٧/٢	٢١٦	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾
٢٨٦/٢	٢١٦	﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾
١٢١/٢	٢١٨	﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾
٣٨/٣	٢١٩	﴿وَسَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾
١٥٦/٤	٢٢٠، ٢١٩	﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥١، ١٣٦ / ٣	٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾
٣٧٦ / ٣	٢٢٣	﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾
١٣٧ / ٤	٢٢٣	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا﴾
١٨٢ / ٤	٢٢٣	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْفِقُونَ﴾
١١٤ / ٢	٢٢٩	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾
٣٩٥ / ٣	٢٣١	﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾
١٤٧ / ٢	٢٣٥	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾
٢٠٦ / ٤	٢٣٦	﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ التَّوْبَةِ قَدْرَهُ﴾
٢١٣ / ٣	٢٤٨	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ﴾
٢٣١ / ٢	٢٤٩	﴿وَاللَّهِ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
١٨٢ / ٤	٢٤٩	﴿الَّذِينَ يَطُؤُونَ أَنَّهُمْ مُلْفِقُوا اللَّهَ﴾
٧٨ / ١	٢٥١	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾
٢٥٢ / ٤	٢٥٢	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾
٥١ / ١	٢٥٥	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾
٣٢٥ / ١	٢٥٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
٣٧٧ / ٣	٢٥٧	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٤١ / ٢	٢٦٠	﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾
٢٧١، ٢٤٠ / ١	٢٦٤	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلِقُونَ فَتَعْلَمُونَ﴾
٢٤٠ / ١	٢٦٥	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾
١٤ / ٢	٢٦٥	﴿فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾
٢٧٣ / ٤	٢٦٦	﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾
٨٣ / ٢، ٢٤٠ / ١	٢٦٦	﴿يُودُّ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٦٨ ، ٦٧ / ١	٢٦٨	﴿ السَّيِّطُنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾
١٢ / ٢	٢٦٩	﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾
١٨٩ / ٣	٢٦٩	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾
٣٠٠ / ٢	٢٧٣	﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ ﴾
١٥٥ / ٣	٢٧٣	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا ﴾
٢٨٦ / ٤ ، ٦١ / ٢	٢٧٥	﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾
١٧٣ / ٣	٢٧٩	﴿ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَكَيْفَ لَهُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾
١٧٣ / ٣	٢٨٠ ، ٢٧٩	﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
١٧٣ / ٣	٢٨٠	﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾
٣٤٢ ، ٣٤٠ / ١	٢٨٢	﴿ وَإِنْ تَعَلُّوا فَإِنَّهُ فَسَوْفَ يَكْتُمُ ﴾
٢٥٥ / ٣	٢٨٦	﴿ وَلَا تُحْسِنُوا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾
٣٨٠ / ٣	٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾
سورة آل عمران		
١٩١ / ١	١٤	﴿ ذُنُوبَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾
١٥٩ / ٢	١٦	﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُبِينٍ ﴾
١٨٣ / ١	١٧	﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾
٢٣٠ / ٢	١٧	﴿ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾
٢٤٥ / ٤	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٢٤٦ / ٤	١٨	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٢٤٧ / ٤	١٨	﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
٢٥٩ / ٤	١٨	﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٢٦٠ / ٤	١٨	﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩٥، ٢٩٠، ٢٣١، ١٣٧ / ٤، ٣٩٥ / ١	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا يَلْفُظُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
٢٣٧ / ٤	١٩، ١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٢٦٠، ٢٥٩ / ٤	١٩	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
٣٨٧ / ٣	٢٤	﴿ وَعَرِّمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴾
١٣١ / ٤	٢٨	﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾
٢٤٨، ٢٣٧ / ٣، ١١٦ / ١	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾
٢٦٤ / ٣	٣١	﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾
١٨٩ / ٣	٤٨	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾
٢٦١ / ٤	٥٢	﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ ﴾
٢٥٢ / ٣	٥٧	﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾
٢٣٧ / ٤	٦٤	﴿ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ ﴾
٢٢١ / ٤	٧٨	﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
٢٥١ / ٣	٧٦	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾
٢٦٠ / ٤	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾
١٢٧ / ٤، ١٨٨ / ١	١٠١	﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ ﴾
١٢٧ / ٤، ٣٠ / ٢	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
٣١٢ / ٣	١٠٦	﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾
٣٣٧ / ١	١٢٠	﴿ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً ﴾
٢٧٩ / ٤	١٢٠	﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا ﴾
٢٣١ / ٢	١٢٥	﴿ بَلَىٰ إِنَّ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا ﴾
١٩١ / ٢	١٢٨	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٨٦/٢	١٢٨	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
٢٥١/٣	١٣٤	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٧٣/١	١٣٥	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً﴾
٢٣٠، ٧٢/٢	١٣٩	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾
٣١٠/٢	١٤٤	﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾
٢٥١/٣، ٢٣١/٢	١٤٦	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
٢٩٨/١	١٤٧	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾
١٦٤/٢	١٥٢	﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾
٣٣٠/٣	١٥٤	﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾
١٩٣/٢، ١٤٧/١	١٥٩	﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
١٠٧/٤	١٥٩	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾
٢٨٣/٤، ١٨١/١	١٦٤	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٩٩/٢، ٣٩٤/١	١٦٥	﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾
٢٧٤/١	١٦٧	﴿هُمُ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ﴾
٩٠/٤، ٢٣٧/٣	١٧٠، ١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قِيلُوا﴾
٣٧٢/٣	١٧٠	﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾
٣٧٥/٣	١٧٠	﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
١٩٣/٢	١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾
٧٧/٢، ١٢٧/١	١٧٥	﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾
٣١٢/٣	١٨١	﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾
٢٥٠/٤	١٨٤، ١٨٣	﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ﴾
١٦٥/٤	١٨٥	﴿كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٠٣ / ١	١٨٨	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾
١٥٩ / ٢	١٩٥ - ١٩٥	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١٤٥ / ٣	١٩١، ١٩٥	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتَلِفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ ﴾
١١٥ / ١	١٩١	﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١٣٢ / ٢، ٣٨٠ / ١	١٩١	﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴾
١٥٥ / ٤، ٢٩٦ / ٣	١٩١	﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ ﴾
٢٩٨ / ١	١٩٣	﴿ رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾
١٥٩ / ٢	١٩٥، ١٩٥	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٢٣٧، ٢٣٥ / ٢	٢٥٥	﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضِعُوا ﴾
سورة النساء		
٣٢٦ / ٢	١	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾
٣٥٧ / ١	٢	﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾
١٦٣ / ٤	٦	﴿ فَإِنِ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ ﴾
٣٦٩ / ١	١٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ﴾
٥٧ / ١	١٢	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾
١٠٨ / ٣	١٢	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾
٣٦٩ / ١	١٤	﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾
٣٩ / ٢	١٧	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾
٢٧٦ / ١	١٨، ١٧	﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾
٢٧٧ / ٢	١٩	﴿ فَإِنِ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾
٣٥٥ / ١	٢٢	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٤ / ١	٢٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾
٣٥ / ١	٢٣	﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾
٣٤ / ١	٢٤	﴿ وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾
٢٣١ / ٢	٢٥	﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾
٥٧ / ١	٢٦	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾
٣٠٧ ، ٣٠١ ، ٢٩٨ / ١	٣١	﴿ إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾
٣٢٦ / ٣	٣٢	﴿ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
٢٥٢ / ٣	٣٦	﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا ﴾
٢٦٧ / ٤	٣٦	﴿ وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾
١٩٢ / ٣ ، ٢٧٣ / ١	٤٠	﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾
١١١ ، ١١٠ / ٤	٤٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾
٤٩ / ٢	٤٦	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾
٣٨٢ / ٣	٩٣	﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾
٣٦٨ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٨ / ١	٤٨	﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَعْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾
٦٧ / ٣	٤٨	﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَعْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾
٣٣٥ / ١	٦١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا ﴾
٣٣٥ / ١	٦٢	﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ ﴾
٣٣٥ / ١	٦٣	﴿ أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ﴾
٢٠١ / ٤	٦٤	﴿ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَجِعُوا ﴾
٢٠١ / ٤	٦٤	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾
٢٦٧ ، ٢٢٤ / ٢ ، ٣٣٥ / ١	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
٦ / ٣ ، ٢٠٨ / ٢ ، ٤٣ / ١	٦٩	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٠٠/٢	٧٧	﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾
٣٩٤/١	٧٩	﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾
١٩٢/٢	٨١	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
٢٥٦/٤	٨٢	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ﴾
١١٢/٢	٨٨	﴿وَاللَّهُ أَرَاكُنُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾
٣٧٠، ٣٦٧، ٢٥١/١	٩٣	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾
٢٢٨/١	١٠٠	﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٤٤/٣	١٠٣	﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ الصَّلَاةُ﴾
٢٥٠/١	١٠٨	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾
٣١٥/٣	١١٠	﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾
٢٠١/٤	١١٠	﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَ رَاحِمًا﴾
٢٠٢/٤	١١٠	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾
١٩١، ١٨٩/٣	١١٣	﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
٦٨/١	١٢٠	﴿يُعِدُّهُمْ وَيُؤَمِّنُهُمْ﴾
١٧٠، ١٠٢/١	١٢٥	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ﴾
٢٣٩/٤	١٣٥	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾
٣٣٤/١	١٤١	﴿الَّذِينَ يَرْتَضُونَ يَكُمُ﴾
٣٣٤/١	١٤٢	﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾
٣٣٤/١	١٤٣	﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾
٣٤٣/١	١٤٦، ١٤٥	﴿إِنَّ التَّنْفِيقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾
١٢٧/٤	١٤٦	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾
٣٣٢/٣	١٤٧	﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٥٧ / ١	١٤٩	﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾
١٠٩ / ٣	١٤٩	﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾
٦٣ / ١	١٥٥	﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾
٣٥٥ / ١	١٥٧	﴿مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ﴾
٢٧٩ / ٤	١٦١، ١٦٥	﴿يَظُنُّونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾
١٥٣ / ٤، ٦٥ / ١	١٦٣	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا﴾
٥٨ / ١	١٦٤	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾
٢٧١ / ٤، ٢٣٣ / ١	١٦٥	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾
٥١ / ١	١٦٦	﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾
٢٥٥ / ٤	١٦٦	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾
٢٥٦ / ٤	١٦٦	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾
١١٨ / ١	١٧٢	﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾
٣٧٧ / ٣	١٧٤	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ﴾
سورة المائدة		
٣٤٧ / ١	٢	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾
٣٤ / ١	٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾
٣٤٩ / ١	٣	﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾
١١٢ / ٢	١٣	﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِآيَاتِهِمْ﴾
٣٧٧ / ٣	١٦، ١٥	﴿قَدْ جَاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾
٢٧٨ / ٤	١٦	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٠٩، ١٩٢/٢	٢٣	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
٢٧٩/٤	٢٩	﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾
٣٤٥/١	٣٣	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾
٣٤٦/١	٣٣	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾
٣٨٢/٣	٤١	﴿سَمِعْتُمْ للكَذِبِ﴾
٥٢/٢	٤٢	﴿سَمِعْتُمْ للكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾
٣١٩/١	٤٤	﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾
٧٧/٢	٤٤	﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ﴾
٢٩/٣	٤٥	﴿وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ﴾
٦٢/٣	٥٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرَدٍ مِنْكُمْ﴾
٢٣٧/٣	٥٤	﴿إِذْ لَوْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٣٧/٣	٥٤	﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٣٩٠/٣	٥٤	﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
٣٩١/٣	٥٤	﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾
٣٤/١	٦٠	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ﴾
٢٤٥/١	٦٠	﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾
٣٠١/١	٦٧	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾
٢٠٧/٣، ٣٤/١	٧٧	﴿قُلْ يَا هَلْ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾
١٣٨/٤	٨٣، ٨٢	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِيَةً وَرُهْبَانًا﴾
١٣٧/٤، ٤٩/٢	٨٣	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾
١٣٩/٤	٩٨	﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
١٧/٤	١٠٥	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٤٩/٢	١٠٨	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا﴾
١٨٤/٤	١٠٩	﴿مَاذَا أُحْجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾
٦٦/١	١١١	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّتِنَ﴾
١٠٧/٣	١١٦	﴿تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي﴾
١٠٧/٣	١١٦	﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾
١٠٧/٣	١١٦	﴿وَإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾
١٠٨/٣	١١٦	﴿وَإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾
١٠٧/٣	١١٦	﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾
١٠٧/٣	١١٧	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾
١٠٧/٣	١١٧	﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾
١٠٨/٣	١١٧	﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
١٠٨/٣	١١٨	﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾
١٠٨/٣	١١٨	﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٣٩٠، ٥٧/١	١١٨	﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾
٢٦٢/٢	١١٩	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ﴾
٦/٣	١١٩	﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ﴾
سورة الأنعام		
٢٤٨/٣، ٣٢٥/١	١	﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾
١٨٦/٤، ٢٤٤/١	٨	﴿وَلَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مَلَكًا﴾
٢٤٤/١	٨	﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾
١٨٦/٤	٨	﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٩٦، ١٨٦ / ٤، ٤٤٣، ٤٩ / ١	٩	﴿وَلَلْبَسَاتِ عَلَيْهِمْ مَا بَلِيَّسُونَ﴾
١٨٧ / ٤، ٤٤٤ / ١	٩	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾
٢٦٦ / ٤، ٢٦١ / ٢	١٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخْتَذُ وَلِيًّا﴾
٢٥٧ / ٢	١٤	﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَخْتَذُ وَلِيًّا﴾
٢٥٥ / ٤	١٩	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾
٣٥٢ / ١	٢١	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
١٣٨ / ٤	٢٠	﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾
٣٢١ / ١	٣٣	﴿فَاتَّبَعْتَهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾
٣٧٥ / ١	٣٨	﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَلِيلَ﴾
٣٩ / ١	٣٩	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾
٣٨٧ / ٣، ١٩١ / ١	٤٣	﴿وَوَزَيْنَ لَهُمُ اللَّحْمَ طِينُ﴾
٣٣١ / ٣	٤٤	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾
٣٧٢، ٣٣١ / ٣	٤٤	﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾
٣٧٥ / ٣	٤٤	﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾
١٦٣ / ٤	٤٦	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾
٣٣٨، ٣٢٠، ٤٤٩، ٩٥ / ٣	٥٢	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٣٨٨ / ٣	٥٢	﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾
١٥١ / ٤، ٣٨٤، ٤٨٧ / ٣، ١٤٢ / ١	٥٣	﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ﴾
١٩٢ / ٣	٥٣	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾
٣٨٤ / ٣	٥٣	﴿أَهْتُولَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾
٢٨٧ / ٣	٧٦	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾
١٧٧ / ١	٧٩، ٧٨	﴿يَقُولُونَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٣١/٣	٨٠	﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾
٣٦/١	٨٢	﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
٢٠٦/٢	٨٩	﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾
٢٦٤/٤	٩٠، ٨٩	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾
٢٥٣/٤، ٣٨٩/١	٩١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
٢٢١/٤، ٣٥٢/١	٩٣	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾
٤٣/٤	١٠٣	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾
٣٨/١	١٠٨	﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾
١٩١/١	١٠٨	﴿كَذَلِكَ رَسَّلْنَا كُلَّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾
٦٣/١	١١٠	﴿وَنَقَلِبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ﴾
٣٣١/١	١١٢	﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾
٢٦٧/٤، ٢٦١، ٢٥٧/٢	١١٤	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكَمًا﴾
١٣٧/٤	١١٤	﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾
٢٤٤/٤، ٤٤٢/١	١١٥	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾
١٤/٤	١١٦	﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾
٧٢/٤، ٦٨/٤، ٣٧٧، ١٩٨/٣	١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
١٥١/٤	١٢٤	﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾
٢٣٣/١	١٣٠	﴿بِمَعَشَرِ الْإِنِّ وَالْإِنِّسِ﴾
٢٣٩/٤	١٣٠	﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾
٢٧١/٤، ٢٣٣، ٢٢١/١	١٣١	﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾
٣٢/٤	١٣٥	﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾
١٩١/١	١٣٧	﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٦٦/٢	١٤٨	﴿سَبِّحُوا لِلَّذِينَ أُسْرُوا وَمَا لَنَا بِأَن نَّسُبَهُمْ لَمَا بِهِمْ عَلَمٌ﴾
٢٥٥، ١٨١/١	١٤٩	﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾
٢٣٨/٤	١٥٠	﴿قُلْ هَلْ هُمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾
٣٥٠، ٣٧، ٣٣/١	١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾
٢٧٢/٤	١٥٥ - ١٥٧	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾
١٥٣/٤	١٥٨	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾
٢٦٧/٤	١٦١ - ١٦٣	﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي﴾
١٧٠/٢	١٦٢، ١٦٣	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾
٢٦١، ٢٥٧/٢	١٦٤	﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَيْدِي رَبِّا﴾
سورة الأعراف		
١١١/١	٩، ٨	﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾
٢٧٢/١	٩، ٨	﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾
٢٩٠/١	١٨	﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾
١٥٢، ١٥٩/٣	٢٣	﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾
١٥٦/٤	٢٦	﴿يَبْنَیْ-ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾
٢٥٤/٤، ١٧٢/١	٢٨	﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَجْشَةً﴾
٢٣٤/١	٢٨ - ٣٣	﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَجْشَةً﴾
١١٢/٣	٣١	﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾
٢٦٥/٣، ٣٥١/١	٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾
٢٧٨/٤	٣٩	﴿بِمَا كَسَبَتْ تَكْسِبُونَ﴾
٦٢/٤	٤١	﴿هُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾
١١٠/١	٤٣	﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١١٣ / ١	٤٣	﴿يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٢٧٨ / ٤	٤٣	﴿يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
١٧٤ / ٢	٤٣	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾
٢٧٥ / ٤	٤٣	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾
٣٧٩ / ١	٥٤	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾
١٤٦ / ٤	٥٤	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
٣٢٦ / ٣	٥٥	﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾
٣٢٦ / ٣	٥٦	﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾
٢٧٨ / ٤	٥٧	﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾
١٤٩ ، ١١٨ / ١	٥٩	﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٢٣١ / ٤	٥٩	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾
٢٣١ / ٤	٦٥	﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٣٩٥ / ٣	٦٩	﴿فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾
٢٣١ / ٤	٧٣	﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٢٣١ / ٤	٨٥	﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٣٣١ / ٣	٨٩ ، ٨٨	﴿لَخُرِجَكَ بِشَعِيبٍ﴾
٣٣١ / ٣	٩٩	﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾
٢٠٦ / ٤	١٠٢	﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾
١٥٨ / ٢	١١٣-١١٤	﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾
٣٢٣ / ٣	١٤٣	﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾
١١٤ ، ١١٠ / ٤	١٤٣	﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾
٣٠٤ / ٣	١٤٣	﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٥٩ / ١	١٤٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾
٣٢٣ / ٣	١٤٣	﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾
٥ / ٤	١٤٣	﴿فَلَمَّا آفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾
١٥٣ / ٤، ٥١ / ١	١٤٤	﴿وَإِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾
٥٩ / ١	١٤٤	﴿يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾
٤٠ / ٢	١٤٥	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾
٤٧ / ١	١٤٨	﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾
٨٧ / ٣	١٥٥	﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾
٨٧ / ٣	١٥٥	﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾
٥٥ / ١	١٥٦	﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾
٣٧٧ / ٣	١٥٧	﴿فَالذَّيْبُ أَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾
٣٦٠ / ٤	١٧٠	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾
١٣١ / ٣	١٧٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾
٥٠ / ١	١٨٠	﴿وَوَدُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾
٥٢ / ١	١٨٠	﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾
٥٤ / ١	١٨٠	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾
١٣٤ / ٢، ٣٩٠ / ١	١٨٠	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾
١٣٢ / ٣	١٩٨	﴿وَتَرَنَّهُمْ يُطْرُونَ إِلَيْكَ﴾
٣٨، ٣٧ / ٣	١٩٩	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾
٣١٤ / ٣	٢٠١	﴿بَنَدُّكُمْ وَأَفَادَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾
٤٩ / ٢	٢٠٤	﴿وَلِذَا قُرِئَتْ الْقُرْءَانُ﴾
١٤٣ / ٣	٢٠٥	﴿وَأَذْكُرْتِكَ فِي نَفْسِكَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٥١، ١٤٣ / ٣	٢٥٥	﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾
١٢٤، ١١٨ / ١	٢٥٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
سورة الأنفال		
٣٥٩، ١٩٣ / ٢	٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾
٦٧ / ١	١٢	﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾
٢٣٥ / ٢	١٥	﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾
٢١٦ / ٤	١٧	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنكَرَبَ اللَّهُ رَحْمَىٰ﴾
٣٨٢ / ٣، ٦٤، ٥١، ٤٩ / ١	٢٣	﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾
٣٤٦ / ٣	٢٤	﴿يُحَوَّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾
٢٧٩ / ٤	٢٩	﴿إِن تَنفَرُوا اللَّهُ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾
٢٩٥ / ١	٣٣	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾
٢٩٥ / ١	٣٣	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾
٢١٣ / ١	٤٢	﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيْتِنَا﴾
١٤٣ / ٣	٤٥	﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾
١٤٥ / ٣	٤٥	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُضِيَتْ وَثَقَةٌ﴾
٢٣١ / ٢	٤٦	﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
٢٧٩ / ٤	٥١	﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾
١٣٨ / ٤	٦٥	﴿وَأُخْرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُهُمْ﴾
١٨٨ / ٣	٦٢	﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بَصِيرَةً﴾
٢٦٥ / ٤	٦٩	﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
سورة التوبة		
٢٤١ / ٤	١٧	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١١٦/١	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾
٢١٣/٣	٢٦	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾
٣٥٦/٣	٣٢	﴿وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَآنَ بَيْتِهِ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
٧٢/٢	٤٠	﴿لَا تَحْزَنْ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ مَعَنَا﴾
٢١٣/٣	٤٠	﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾
٣٩/١	٤٥	﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدُونَ﴾
٣٣٧، ١٥٨/١	٤٦	﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا﴾
٣٧٦/٣، ٢١٩/٢	٤٦	﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾
٢٧٤/٢	٤٧، ٤٦	﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدَّةٌ﴾
٣٣٧/١	٤٧	﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾
٣٨٢/٣، ٥١/٢	٤٧	﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾
٣٣٦/١	٥١، ٥٠	﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
٣٣٦/١	٥٦	﴿وَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ﴾
١٥٦/٣	٦٠	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾
٢٠٠/١	٦٧	﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾
٣٣٥/١	٦٧	﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ﴾
٣١٨/٣، ١٥٨/٢	٧٢	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
٢٨٧/٢، ١٦٢/٢	٧٢	﴿وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾
٣٣٦/١	٧٣	﴿وَيَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾
٣٤٠/١	٧٧ - ٧٥	﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾
٣٦٤/١	٩١	﴿مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ﴾
٧٢/٢	٩٢	﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٣ / ١	٩٧	﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِقَافًا﴾
١٩٣ / ١	١١٠	﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾
٢٣٧ / ٣	١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٩٤ / ١	١١٢	﴿الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّيِّحُونَ﴾
٢٧٤ / ٤ ، ٦٣ / ١	١١٥	﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ﴾
٥٥ / ١	١١٧	﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
٢٢٣ / ٤ ، ١٤٨ / ١	١١٧	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾
٢٩٩ / ١	١١٨ ، ١١٧	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾
٦ / ٣ ، ١٢٧ / ١	١١٩	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
٢٢٨ / ١	١٢٠	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾
٣٧٣ / ٣	١٢٤	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾
٢٧٥ / ٤	١٢٤	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾
سورة يونس		
٧ / ٣	٢	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٢٤٣ / ٤	٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾
٢٧٩ / ٤	٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
١٦٣ / ٤	١٦	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾
١٩٤ / ٤	٢٢	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
٣٤٩ / ٣	٢٤	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ﴾
٨٧ / ٤ ، ٣٤٩ / ٣ ، ١٣٠ / ٢	٢٤	﴿وَإِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
٢٧٥ / ٤ ، ١٦١ / ٢	٢٥	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾
٩٣ / ٤ ، ١٥٨ / ٢	٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١١٩/٤	٣٠	﴿هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ﴾
٢٩٧/٤	٣٠	﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقَّ﴾
٢٢٢/١	٣٣	﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتُ رَبِّكَ﴾
١٣٩/٤، ٨٤/٤، ٢١/٢	٤٥	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا﴾
٣٧٢/٣	٥٧	﴿وَيَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ﴾
٣٧١، ٣٢٥، ٣١١/٣	٥٨	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾
٣٧٥/٣	٥٨	﴿فِيذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾
٣٧٤/٣	٦٤	﴿أَهْمُ الْبَشَرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
٤٩/١	٦٨	﴿قَالُوا أَتَّخَذَ اللَّهُ وِلْدَانًا﴾
٢٦٠/٤	٧٢	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْنَاكُمْ﴾
٢٦٠/٤، ١٣٧/١	٨٤	﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنُمْ بِاللَّهِ﴾
٢٩/٢	٨٥، ٨٤	﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنُمْ﴾
٣١٣/١	٩٠	﴿إِن آمَنْتُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي﴾
٣١٣/١	٩١	﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾
٢٧٣/٤، ٢٩٦/٣	١٠١	﴿أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٦٧، ٢٦٥/٤، ٣٣٠/٣	١٠٧	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾
سورة هود		
٢٩٥/١	٣	﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾
٢٩٦/١	٣	﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾
٦٩/٤، ٣٩٣/١	٣	﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾
٣٨/١	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾
٣٧٥، ٣٧٢/٣	١٠	﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٦ / ٤	١٤ ، ١٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ﴾
١٣٩ ، ١٣٧ / ٤ ، ٥١ / ١	١٤	﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾
٢٥٤ / ٤	١٧	﴿أَمَّن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾
٩٤ / ٢	٢٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
٣٨٤ / ٣	٣١	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾
٣٨٤ / ٣	٣١	﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾
٢٠٤ / ١	٤١	﴿أَرْكَبُوا فِيهَا﴾
٢٥٥ / ١	٤٤	﴿وَقِيلَ لِمَ تَدْعُوا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
٢٩٥ / ١	٥٢	﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾
٢٥١ / ٤	٥٣	﴿يَكْفُرُوا بِمَا جَاءَنَا بَيِّنَاتٍ﴾
٢٥١ / ٤	٥٤ - ٥٦	﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾
٢٤٤ / ٤ ، ٤١ / ١	٥٦	﴿مِمَّا يَنْبَغِي إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيئَتِهَا﴾
٢٤٤ / ٤ ، ٤٢ / ١	٥٦	﴿إِنِّي رَجِي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
٢٤٤ / ٤ ، ٤٢ / ١	٥٦	﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾
٢٩٥ / ١	٦١	﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾
٥ / ٢	٧٥	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾
٣٨٥ ، ٩٤ / ١	٨٨	﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾
١٧ / ٢	٨٨	﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾
٢٩٥ / ١	٩٠	﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾
١٨ / ٢ ، ١٥٨ / ١	١٠٣	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾
٣٩ / ١	١١٠	﴿وَأَتَتْهُمْ لَيْلِي سَكِينٌ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾
١٨٥ / ٢	١١٢	﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧٠ / ١	١١٤	﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾
١٢ / ٤	١١٦	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾
٢٣٧ ، ١١٧ / ١	١١٧	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾
٩٧ / ٣	١٢٠	﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾
٩٥ / ١	١٢٣	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
سورة يوسف		
٢٤ / ٣	٣	﴿تَحَنَّنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾
١٩٧ / ٣	٢١	﴿أَكْرَمِي مَتُونَهُ﴾
٢٨٣ / ٢	٢٤	﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾
٣٠٧ / ١	٢٨	﴿إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ﴾
٢٥٤ / ٣	٣٠	﴿فَدَشَعَهَا حَبًّا﴾
٢٧ / ٤ ، ٣٠٠ / ٣	٣١	﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾
١٨٥ / ١	٣٣	﴿وَأَلَّا نَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾
٣٩ / ٢	٣٣	﴿وَأَلَّا نَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾
٧٥ / ٣	٣٦	﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ﴾
٢٢٣ / ١	٥٣	﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾
٣١٢ / ٣	٥٥	﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾
١٣٨ / ٤	٥٨	﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾
١٣٩ / ٤	٥٨	﴿وَجَاءَهُ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾
٧٥ / ٣	٦٢	﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾
٢٦٣ / ١	٧٦	﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾
٧٣ / ٢	٨٤	﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧، ٦ / ٤	٨٤	﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ ﴾
٢٣٩ / ٢	٨٦	﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحُزْنٍ إِلَى اللَّهِ ﴾
١٨٥ / ١	٩٢	﴿ لَا تَتْرِبِ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ ﴾
١٠٩ / ٣	١٠٠	﴿ هَذَا آتَاوِيلُ رُءْيَايَ ﴾
١٠٩ / ٣	١٠٠	﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾
١٠٩ / ٣	١٠٠	﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ ﴾
٢٧٥ / ٤	١٠٥	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ ﴾
٢٧٤، ١٧١ / ١	١٠٦	﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ ﴾
١٩٣ / ٣	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾
١٩ / ٢	١١١	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾
سورة الرعد		
١٤١ / ١	٥	﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْمُهُمْ آءِ ذَا كُنَّا تَرْبًا أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾
٨٨ / ٤	٥	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾
٢٨٢ / ٤	٧	﴿ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
١١٧، ١١٦ / ٢	١٤	﴿ لَهُ، دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾
١٢٤ / ١	١٥	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾
٣٨٤ / ١	١٦	﴿ أُمَّ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾
١٦٠ / ٤	١٦	﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
١٢ / ٢	١٩	﴿ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾
٢٥٧، ١٣٧ / ٤، ٣٦٨ / ٣، ٢٢٨ / ٢	١٩	﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾
٢٣٢ / ٢	٢٤، ٢٣	﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٧ / ٤	٢٧	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
٢٢٣ / ٣	٢٨	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ﴾
٢٥٧ / ٤	٢٨	﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾
٩٥ / ١	٣٠	﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٣٩٥ / ١	٣٣	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾
٣٧٣ / ٣	٣٦	﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ ﴾
٢٥٥ / ٤	٤٣	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾
سورة إبراهيم		
٢٧٩ / ٤	١	﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾
٨ / ٣ ، ٦٤ / ١	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ ﴾
١٩ / ٢	٥	﴿ أَوْرَسَلْنَا مُوسَىٰ ﴾
٢٣٢ / ٢	٥	﴿ أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ﴾
٣١٠ / ٢	٥	﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
٣١٠ / ٢	٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
٣١٤ / ٢	٧	﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
٨٤ / ٣ ، ٨١ / ١	١٠	﴿ أَفَى اللَّهِ شَكٌّ ﴾
٨١ / ١	١٠	﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٣٢٢ / ١	١٠	﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾
١٣٠ / ٤ ، ٨٢ / ٣	١٠	﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١٩٢ / ٢	١٢	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾
١٢٢ / ٣ ، ٢٠٨ ، ١٩٣ / ٢	١٢	﴿ وَمَا نَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ ﴾
١٥٨ / ١	١٤	﴿ وَلِنَسْكَنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧٣ / ٤	٢٥	﴿ وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالَ لِلنَّاسِ ﴾
٣٥ / ١	٣٤	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾
٣٢٠ ، ٥٨ / ١	٣٦ ، ٣٥	﴿ وَأَحْسِبْنِي وَبِعَى أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾
١٩٤ / ٤	٤٠	﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾
سورة الحجر		
٢٤٤ / ١	٦	﴿ وَقَالُوا بَيِّنَاتٍ الَّتِي نُنزِلُ عَلَيْهَا الذِّكْرُ ﴾
٢٤٤ / ١	٨	﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
١٢٣ ، ٣٩ / ١	٤٠ ، ٣٩	﴿ وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
٣٩ ، ٣٧ / ١	٤١	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾
٢٥ / ٤ ، ١٢٣ ، ١٢٠ / ١	٤٢	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾
١١١ / ٤	٧٢	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾
٢٧٤ / ٤	٧٥ - ٧٩	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾
١٩٢ / ٤ ، ١٩٥ ، ١٩٤ / ٣ ، ١٤٤ / ١	٧٥	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾
١١٥ / ١	٨٥	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
١٢١ / ٤ ، ٢٤٦ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٢٠ / ١	٩٩	﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾
سورة النحل		
١٠٠ / ٤	١	﴿ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ ﴾
٦٨ / ٤	٢	﴿ يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ ﴾
٣٨ / ١	٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾
٣٨٤ ، ٨٧ / ١	١٧	﴿ أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾
٣٨٤ / ١	٢٠	﴿ وَالذِّبْرِ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
٦٧ / ٣	٢٩	﴿ فَأَذْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلْدِيَّتٍ فِيهَا ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٦٩ / ٤	٣٠	﴿وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾
١١٢، ١١٠ / ١	٣٢	﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٢٥٤ / ٢، ١٥٥ / ١	٣٢	﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾
٢٦٦ / ٢، ١٧٢ / ١	٣٥	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾
٢٦٥، ٢٣١ / ٤، ١١٨ / ١	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾
٦٤ / ١	٣٧	﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾
١١٦ / ٣	٤٣	﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾
٢٥٠ / ٤	٤٤، ٤٣	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾
٢٩٦ / ٣	٤٤	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾
١٢٤ / ١	٤٩	﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾
٢٤١ / ٤	٥١	﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا لِلْهَيْبِ﴾
٣٣٠ / ٣، ٣٥٠ / ١	٥٣	﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾
٢٩٤ / ٤	٦٠	﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾
٧٠ / ٤	٦٥	﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾
٦٦ / ١	٦٨	﴿وَأَوْحَىٰ رُوحَهُ إِلَى النَّعْلِ﴾
٢٧١ / ٤	٧٦، ٧٥	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾
٢٤٤ / ٤، ٤٤٨، ٤٤١ / ١	٧٦	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾
١٣١ / ٣، ٣١٠ / ٢	٧٨	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾
١٣٩ / ٤	٨٣	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تُرِيدُكَرُونَهَا﴾
٢٣٦ / ١	٩٠	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾
٧ / ٢	٩١	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾
٣٤ / ٤	٩٤	﴿فَإِنَّ قَدَمَ بَعْدَ نَبْوَتِهَا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٩٩/٢	٩٦	﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾
٢٣١/٢	٩٦	﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ ﴾
٦٩/٤، ٣٩٢/١	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ ﴾
١٢٠/١	١٠٠، ٩٩	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٨/٣	١٠٣	﴿ لَيْسَاتُ الَّتِي يُلْحِدُونَ ﴾
٣١٢/٣	١١٢	﴿ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ ﴾
٣١٠/٢	١١٤	﴿ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾
٣٥١/١	١١٦	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ﴾
٣١٠/٢	١٢١، ١٢٠	﴿ إِنَّ إِيْرَاهِمَ كَانَتْ أُمَّةً ﴾
١٦/٢	١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾
١٧٣/٣	١٢٦	﴿ وَإِن عَاقَبْتُمْ ﴾
١٧٣/٣، ٢٣١/٢	١٢٦	﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ ﴾
٧٢/٢	١٢٧	﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾
٢٣٥، ٢٣٠/٢	١٢٧	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾
٣٣٣/٢	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾
سورة الإسراء		
٢٢٨/٤، ٢٥٦/٣، ١١٩/١	١	﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾
٣١٠/٢	٣	﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾
٣٩٥/١	٥	﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَاسٍ شِدِيدٍ ﴾
٢٧١/٤، ٢٣٣، ٢٢٠/١	١٥	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾
١٦٣/٢	١٩	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾
٢٦٧، ٢٤١/٤، ٢٤٨/٢	٢٢	﴿ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٤١، ٥٥ / ٤	٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا﴾
٣٠٧ / ١	٣١	﴿إِنَّ قَلْبَهُمُ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾
٧ / ٢	٣٤	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾
٢٥٤ / ٤، ٢٥١، ٢٤٩ / ١	٣٨	﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾
٢٦٧ / ٤	٣٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفَلِقَ﴾
٢٧٢ / ٣	٤٤	﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾
١٣٢ / ٤، ٢٦٥ / ٣	٤٥	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾
١٢٦ / ٢	٥٧، ٥٦	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِي﴾
٣٥١، ٢٤٩ / ٣، ١٢٦ / ٢	٥٧	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾
٢٧٩ / ٤	٥٩	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾
١٦٨ / ١	٦٠	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيحَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾
١٣٦ / ١	٦٤	﴿وَأَجَلِبَ عَلَيْهِم بِخَلْقِكَ وَرَجَلِكَ﴾
١٢٣ / ١	٦٥	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾
١٧٤ / ٢، ١٨٥ / ١	٧٤	﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ﴾
٣١٧ / ١	٧٥، ٧٤	﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَفَدَاكِتَ تَرَكْنَا﴾
١٨٧ / ٣	٨٠	﴿وَأَجْعَلِ لِي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾
٣٤٥، ٧ / ٣	٨٠	﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾
١٠٠ / ٣	٨٤	﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِرَتِهِ﴾
١٦٢ / ٤	٨٧، ٨٦	﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ﴾
٣٤٦ / ٣	١٠٨، ١٠٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
٢٠١ / ١	١١١	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الكهف		
١١٩/١	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾
١٠٠/٢	٨، ٧	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً﴾
٧٥/٣	١٣	﴿لِيَتَذَكَّرَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِرَبِّهِمْ﴾
٢٩٢/٣	١٤	﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾
٢٦٧/٤	١٤	﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٣٣/٤	١٦	﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِهِمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾
٣٢٦/١، ٤٩/١	١٧	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾
١٣٩/٣	١٨	﴿وَيَحْسَبُهُمْ آتِفًا ظَالِمًا هُمْ رُفُودٌ﴾
٢٥٩/٤	٢٢	﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُفِبَهُمْ﴾
٢٥٩/٤	٢٢	﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَتَأْمِنُهُمْ كُفِبَهُمْ﴾
١٤٩/٣	٢٤	﴿وَأَذَكَّرْنَا لَكَ إِذَا نَسِيتَ﴾
٢٤٣/٢	٢٨	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٦٢/٤	٢٩	﴿يُغَاوَرُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾
٨٧/٤	٤٥	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
١٠٠/٢	٤٦، ٤٥	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
١٩٩/١	٥٠	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾
١٣٢/٤، ٣٤٢/١	٥٠	﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾
٦١/٤	٥٣	﴿وَرِءَا الْمَجْرُمُونَ النَّارَ﴾
١٥٤/١	٥٧	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾
١٨٧/٣	٦٥	﴿إِنَّ إِلَهَهُ رَحِيمٌ مِّنْ عِنْدِنَا﴾
٢٢٠/٤	٦٥	﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٠٩ / ٣ ، ٣٤ / ١	٧٩	﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾
١٠٩ / ٣ ، ٣٤ / ١	٨٢	﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾
٣٤ / ١	٨٢	﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ﴾
١٧٠ ، ١٣٦ ، ١٢١ / ٢ ، ١٢٢ / ١	١١٠	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾
سورة مريم		
٤٠ / ٢	١٢	﴿ رَبِّ يَخِيقُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾
٢٠٦ / ٣	٢٤	﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِّيًّا ﴾
١٧٥ / ١	٣١ ، ٣٠	﴿ وَإِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾
٤٧ / ١	٤٢	﴿ رَبَّنَا بَتِلْمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾
٨ / ٣	٥٠	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾
١٢٤ / ١	٥٨	﴿ إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمُ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا ﴾
٣٠٤ / ١	٦٢	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾
٤٨ / ٤	٦٥	﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾
٢٧٥ / ٤	٧٦	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدُوا هُدًى ﴾
٢٨ / ٢	٨٢ ، ٨١	﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً ﴾
٣١ / ٤	٩٠	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴾
١٢٢ / ١	٩٣ - ٨٨	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾
١٢٣ / ١	٩٣	﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
سورة طه		
٥٥ / ١	٥	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
١٦٧ / ٢ ، ٥٦ / ١	٥	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
٣٠٧ / ٣	١٠ ، ٩	﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٦٣ / ٤	١٠	﴿إِنِّي ءَأَسْتُ نَارًا﴾
٢٠٨ / ٤	١٢	﴿فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ﴾
١٤٥ / ٣ ، ٣٥٧ / ١	١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾
٢٩٠ / ٤	١٤	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾
١٦٨ / ٣	٢٥	﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾
٣٤٦ / ٣	٤٠	﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِي﴾
١٠٢ / ٤	٤١	﴿وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾
١٦٧ / ٢	٤٦	﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾
١٠٠ / ٣	٦١	﴿وَقَدْ خَابَ مِن قَفَرِي﴾
١٧٨ / ٤	٧٣	﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾
٣٦ / ٤	٧٨	﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ﴾
٣٦٨ / ١	٨٢	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ﴾
٢٨٤ ، ٢٨٠ / ٣	٨٤	﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾
٤٨ / ١	٨٩ ، ٨٨	﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾
٣٤٢ / ١	٩٢	﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾
٢١ / ٢	١٠٤ ، ١٠٣	﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾
٨٥ / ٢	١٠٨	﴿وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾
١٤٠ / ٤	١١٠	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾
١٣١ / ٤	١١١	﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾
٢٣٦ / ١	١١٢	﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾
١٣٧ / ٤ ، ١٨٤ / ٣	١١٤	﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾
٢٨٦ / ١	١١٥	﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزًّا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٤٢ / ١	١٢١	﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾
٣٦ / ١	١٢٣	﴿فَأَمَّا يَا بِنْتَكُم مَّتَىٰ هُدَىٰ﴾
٣٦ / ١	١٢٤-١٢٦	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾
٢٢٤ / ٣، ٣٩٣ / ١	١٢٤	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾
٢٢٤ / ٣	١٢٦، ١٢٥	﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾
١٠٠ / ٢	١٣١	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾
سورة الأنبياء		
٦٥ / ١	٣، ٢	﴿مَا يَا بَنِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مَن رَّبَّهُمْ﴾
١١٨ / ١	١٩	﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾
١١٩ / ١	١٩	﴿وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ﴾
١١٨ / ١	١٩-٢٠	﴿وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
٧١ / ٤	٢٠	﴿يَسْتَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾
٢٦٥ / ٤	٢١ - ٢٤	﴿أَمْرًا اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ﴾
٣٨٢ / ١	٢٣	﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
٢٦٥ / ٤، ١١٨ / ١	٢٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾
٣٢٥ / ١	٢٨	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾
٧٠ / ٤	٣٠	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾
٨٧ / ٣	٣٥	﴿وَتَبَلَّوْكُمْ بِاللَّسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾
٨٢ / ٢	٤٩	﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾
٧٥ / ٣	٦٠	﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ يُرَازِقُهُمْ﴾
٦٢ / ١	٧٩، ٧٨	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ﴾
١٠٩ / ٣، ٢٣٩ / ٢	٨٣	﴿أَنِّي مَسَّيْتُ الضُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٨ / ٢	٩٠، ٨٩	﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾
١٣٨ / ٢	٩٠	﴿وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا﴾
٣٢٥ / ٣ ، ٢٤٤ / ١	١٠١	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾
سورة الحج		
١١٢ ، ١١٠ / ٤	٢	﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾
١٢٤ / ١	١٨	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾
٣٠٠ / ١	٢٤	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾
١٥٦ / ٢	٣٠	﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَةَ اللَّهِ﴾
٢٣٩ / ٤	٣١، ٣٠	﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾
٩٤ / ٢	٣٤	﴿وَيَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٩٤ / ٢	٣٥	﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾
١٧٢ / ٢	٣٧	﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾
٥٨ / ٤ ، ٣٤٨ / ١	٤٦	﴿فَاتَّبَعَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾
٢٩٥ ، ٢٧٣ ، ١٣١ / ٣ ، ٤٩ / ٢	٤٦	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٥٧ / ٤	٥٤	﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
٢٧١ ، ٢٦٧ / ٤	٧٤ ، ٧٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ﴾
١٢٧ / ٤ ، ٣٠ / ٢ ، ١٨٨ / ١	٧٨	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾
١٧٤ / ٣	٧٨	﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾
٣٣٩ / ٣	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٩ / ٤	٧٨	﴿ هُوَ سَمَنَكُمُ الْمَسْلُوبِينَ مِنْ قَبْلِ ﴾
سورة المؤمنون		
٨٥ / ٢	٢٤١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
٣٤٧ / ١	٧ - ٥	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَقٌّ لَوْ ظَنُّوا ﴾
٣٢١ / ١	٤٧	﴿ أَنْزِلُنَا لِشَرِّينَ وَمِثْلِنَا ﴾
٧٨ / ٢	٥١	﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾
٢٦٥ / ٤ ، ١١٨ / ١	٥٢ ، ٥١	﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾
٣٣١ / ١	٥٣	﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾
٣٩ / ١	٥٤	﴿ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾
٧٧ / ٢	٦١ - ٥٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ ﴾
٥٩ / ٣ ، ٧٧ / ٢	٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾
١١٥ / ٣	٧٤ - ٦٣	﴿ قُلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرٍوٍ مِنْ هَذَا ﴾
٢٩٥ / ٣ ، ٢٢ / ٢	٦٨	﴿ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ ﴾
٣٠٠ / ٤	٧١	﴿ وَكَلِمَاتٍ الْحَقُّ أَهْوَاءُهُمْ ﴾
٣٨٣ / ١ ، ٩٤ / ١	٨٥ ، ٨٤	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾
٦٥ / ٤ ، ١٧١ / ١	٨٩ - ٨٤	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾
٣٨٣ / ١	٨٨ - ٨٦	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ﴾
٨٨ / ٤	٨٨	﴿ قُلْ مَنْ مَوْلَىٰ رَبِّيَءَ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾
٨٤ / ٤	١١٢ - ١١٤	﴿ قُلْ كَمْ لِيئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾
٢١ / ٢	١١٤ ، ١١٣	﴿ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسْتَلِ الْعَادِينَ ﴾
٢٣٧ ، ١١٥ / ١	١١٥	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾
٣٨٩ / ١	١١٦ ، ١١٥	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النور		
٣٤٤ / ١	١٣	﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ﴾
٣٠٧ / ١	١٦	﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾
٣٣٠ / ٣ ، ١٧٤ / ٢ ، ٢٢٣ / ١	٢١	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾
٢١١ / ٤	٢٥	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾
٢٩٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٦ / ١	٣١	﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾
٣٢٢ / ٣	٣٥	﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾
٣٧٧ / ٣	٣٥	﴿كَيْشْكُوفَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾
٤٣ / ٤	٣٥	﴿مِثْلُ نُورٍ كَيْشْكُوفَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾
٣٨٨ / ٣	٣٧ ، ٣٦	﴿فِي بُيُوتٍ أُذُنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾
٣٣٩ ، ١٧٢ / ١	٣٩	﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾
٣٤٨ / ١	٣٩	﴿حَقِّقَ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾
٣٦١ / ٣ ، ٦٣ / ٢	٣٩	﴿كِرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾
٣١٥ / ٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ / ٤	٣٩	﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾
٢٦٠ ، ٢٢٦ ، ٤٤ / ١	٤٠	﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾
٣٧٨ / ٣	٤٠	﴿فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾
٦٧ / ٤	٤٣	﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِيهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾
٧٥ / ١	٥٠ - ٤٨	﴿وَإِذَا دُعِيَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾
٥١ / ٢	٥١	﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾
١٨٠ / ٣	٥٤	﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾
١١٦ / ٣	٦٢	﴿وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
١١٦ / ٣	٦٣	﴿لَا يَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفرقان		
٢٢٨ / ٤ ، ١١٩ / ١	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾
٨٩ / ٤	٢	﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٣٨٤ / ١	٣	﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾
٢٥٦ / ٤	٤	﴿ أَقْرَبَهُ ﴾
٢٥٦ / ٤	٦	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ ﴾
١٢٢ / ١	١٧	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾
١٢٣ / ١	١٧	﴿ أَنْتُمْ أَصْلَافٌ عِصَادِي هَتُّوَلَاءِ ﴾
١٧٠ ، ٨٣ / ٢	٢٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾
٢٥ / ٢	٢٧ - ٢٩	﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾
٣٣١ / ١	٣٠	﴿ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾
١٣٢ / ٣	٤٤	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾
٥٧ ، ٥٥ / ٤	٤٥	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾
٩٩ / ٤	٤٥ ، ٤٦	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾
٩٩ / ٤	٤٦	﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَى نَاقِضَاتٍ يَسِيرًا ﴾
٧٠ / ٤	٤٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾
١٩٣ / ٢	٥٨	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾
٥٥ / ١	٥٩	﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾
٢٥ / ٤ ، ٦١ / ٣ ، ١٢٢ ، ١١٩ / ١	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾
٣٨ / ٣	٦٣	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾
٢٥٤ / ٣	٦٥	﴿ وَإِنْ عَذَابُهَا كَانَ عَرَامًا ﴾
١٥٨ / ٢	٦٥ ، ٦٦	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٧ / ١	٦٨	﴿وَلَا يَفْقَهُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
٣٦٧، ٣٠٦ / ١	٦٨	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٣٦٧ / ١	٧٠ - ٦٨	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ﴾
٧ / ٢، ٢٩١ / ١	٧٠	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ﴾
٢٩٢ / ١	٧٠	﴿يُبدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾
٣٠١ / ١	٧١	﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾
٥٤ / ٢	٧٢	﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾
٣٢٦ / ٣	٧٧	﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾
سورة الشعراء		
٢٧٤ / ٤، ٢٧١ / ٢	٩، ٨	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾
٥٧ / ١	٩	﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
٤٨ / ٤	٢٣	﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
٢٦٧ / ٤	٨٢ - ٦٩	﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾
١٠٩ / ٣	٨٠ - ٧٨	﴿الَّذِي خَلَقْنِي فَهُوَ يُهْدِينِ﴾
١٥٩ / ٢	٨٩ - ٨٢	﴿وَالَّذِي أَطْعَمُنِي أَنْ يَقْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾
٧ / ٣	٨٤	﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾
٢٤٨ / ٣، ٣٢٥، ٣٢٣ / ١	٩٨، ٩٧	﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
٢٧١ / ٢	١٤٠، ١٣٩	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
٢١ / ٢	٢٠٧ - ٢٠٥	﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَنَّعْنَاهُمْ سِينِينَ﴾
١٣٧ / ٣	٢١١، ٢١٠	﴿وَمَا نَزَّلْنَا بِهَذَا الشَّيْطَانِ﴾
٢٦٧ / ٤	٢١٣	﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
١٠٠ / ٣	٢٢٧	﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النمل		
١٦٣ / ٤	٧	﴿إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا﴾
٢٧٥ / ٤ ، ٣٢١ / ١	١٤	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾
١٣٥ / ٢	٢٢	﴿أَحْطَتْ بِمَا أَلَمَ تُحِطُّ بِهِ﴾
١٣٧ / ٤	٤٠	﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾
٢٦١ / ٤	٤٤	﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾
٢٩٥ / ١	٤٦	﴿لَوْلَا سَتَعْفُورَاتُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
٢٧٣ / ٤	٥٣ ، ٥٢	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾
٣٨٤ / ١	٦٠ ، ٥٩	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾
٨٨ / ٤	٦١	﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ﴾
٣٩٣ / ١	٧٢ ، ٧١	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾
٣٧٢ / ١	٧٨	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾
١٢٢ / ٣ ، ٢٠٧ ، ١٩٢ / ٢ ، ٣٩٩ / ١	٧٩	﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾
٧٢ ، ٦٨ / ٤	٨٠	﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ﴾
١٣٩ / ٣	٨٨	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَاوِدَةً﴾
١١٠ ، ٣٢ / ١	٩٠	﴿هَلْ تُجَدُّونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
سورة القصص		
٦٦ / ١	٧	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾
٢٢١ / ٢	٧	﴿فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ﴾
١٩٧ / ٣	٩	﴿فَرَّتْ عَيْنٌ لِي وَكَ﴾
١٠٩ / ٣	٢٤	﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾
١٩٧ / ٣	٢٦	﴿أَسْتَجِرُّهُ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٥٠ / ٣	٢٩	﴿لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾
١٦٣ / ٤	٢٩	﴿إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا﴾
١٩٤ / ٤	٤١	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾
٢٧١ / ٤ ، ٢٣٣ / ١	٤٧	﴿وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً﴾
٥٤ / ٢	٥٥	﴿وَإِذَا سَكَعُوا اللَّغْوَ عَرَضُوا عَلَيْهِ﴾
٢٨٢ / ٤ ، ٦٤ / ١	٥٦	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾
٢٧١ / ٤	٥٩	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾
٣٧٦ / ٣	٦١	﴿أَمِنَ وَعَدَنَهُ وَعَدَّ احْسَنًا﴾
٣٦٩ / ٣	٦٥	﴿مَاذَا أَجْمَعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾
٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٣١ / ٣	٧٦	﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾
٢٣٢ / ٢	٨٠	﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾
١٣٧ / ٤	٨٠	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ﴾
٣٧١ ، ٣٣٠ ، ١٦٨ / ٣	٨٦	﴿وَمَا كُنتُمْ تَرْجُوا أَن يُلَاقِيَكَ بِكِتَابٍ﴾
٢١٦ / ٤	٨٨ - ٨٧	﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
٢٦٧ ، ٢٤١ ، ١٦٦ ، ١٦٥ / ٤	٨٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾
سورة العنكبوت		
٢٨٠ ، ٢٧٧ / ٣ ، ١٣٦ ، ١٢١ / ٢	٥	﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾
٣١٠ / ٢	١٧	﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾
٢٦ / ٢	٢٥	﴿إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾
٢٧٣ / ٤	٣٥ ، ٣٤	﴿إِنَّا مُنذِرُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾
٢٧٣ / ٤	٣٨	﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾
٢٧٤ / ٤	٣٨	﴿وَزَيْنَبَ لَهَا الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٢٦/١	٤١	﴿كَمْثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا﴾
٢٧٣ /٤، ١٣٧ /١	٤٣	﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ لِيَكْفُرُوا بِهَا لَكُفْرًا وَلِيُضِلُّوا بِهَا سَبِيلًا﴾
١٤٤ /٣	٤٥	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾
٢٥٧ /٤	٤٩	﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
٢٥٤ /٤	٥٢، ٥١	﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾
١٦٥ /١	٦١	﴿وَلِيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾
٩١ /٤	٦٤	﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾
٧٦ /٢	٦٩	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾
٣٣٣ /٢	٦٩	﴿وَإِنَّ لِلَّهِ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
سورة الروم		
٢٤٣ /٤، ٢٩٦ /٣	٨	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾
٥٦ /٢	١٥	﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾
١٥٦ /٤	٢١	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَخْلُقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾
٨ /٣	٢٢	﴿وَأَخْيَلِفُ الْمَسَانِدِ كُمْ وَالْوَنِيكُ﴾
١٢٣ /١	٢٦	﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٩٤ /٤	٢٧	﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٢٣٩ /١	٢٨	﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾
٥ /٢	٣٠	﴿فَأَقْصَىٰ وُجُوهَكُمْ﴾
٥ /٢	٣٠	﴿فَطَرَّ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾
٥ /٢	٣١	﴿مُنْبِيِّينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾
٦ /٢	٣٣	﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾
٦ /٢	٣٤، ٣٣	﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحِمَهُ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٥١/٢	٥٢	﴿فَأَنكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾
٨٤/٤	٥٥	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾
١٣٧/٤	٥٦	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
٣١/٤	٦٠	﴿وَلَا يَسْتَخْفِنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾
٣١/٤	٦٠	﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾
سورة لقمان		
٣٨٤/١	١١	﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾
٣٢٠/٢	١٢	﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾
٣٠٧/١	١٣	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
٥٦/٣	١٧	﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾
٢٥١/٣	١٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾
٥٦/٢	١٩	﴿وَإِن أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾
٣٨/١	٢٣	﴿وَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾
٩٤/١	٢٥	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾
سورة السجدة		
٢١٨/٤	٨	﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾
١٤١/١	١٠	﴿أَوَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
٨٨/٤	١٢ - ١٠	﴿وَقَالُوا أَوَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
٣٤٠/١	٢٠	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ﴾
١٩٤، ١٠٩/٤، ١٢٢/٣، ٢٣٩، ٢٣٢/٢	٢٤	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَّهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الأحزاب		
٢٤٤/٤	٤	﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾
٢٩٤/٣	٦	﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَتَمَّهُمْ﴾
١٢٦/٢	٢١	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾
٦/٣	٢٤	﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾
٢٥٠، ٩٥/٣، ١٦٣/٢	٢٩	﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
١٤٥/٤، ٣١٧/١	٣٠	﴿وَبِنِسَاءِ النَّبِيِّ مَن بَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَنَحِشَتْهُ﴾
١٤٣/٣	٣٥	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾
٢٦٤/٢	٣٦	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾
١٤٣/٣	٤١ - ٤٣	﴿وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾
٥٥/١	٤٣	﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾
١٤٧/٢	٥٢	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾
٣٠٧/١	٥٣	﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾
١٩٨/١	٧٢	﴿وَإِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
١٤٨/١	٧٣، ٧٢	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ﴾
سورة سبأ		
٢٥٧/٤، ٣٦٨/٣، ٢٢٨، ١٤/٢	٦	﴿وَبِرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
٣١١/٢، ١٥١/١	١٣	﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾
٢٧٩/٤	١٧	﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾
٢٣٢/٢	١٩	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ﴾
٣٢٦/١	٢٣، ٢٢	﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾
١١٩/٤	٢٣	﴿حَقَّ إِنَّا فَرَعْنَا عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٩ / ١	٢٤	﴿وَيَا أُولِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى﴾
١٥٤ / ١	٤٦	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَجْدٍ﴾
٢٧٦ / ٣	٥٢	﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُوسُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾
٧ / ٤	٥٤	﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾
سورة فاطر		
٦٥ / ٤	٣، ٢	﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾
٣٩٥ / ٣	٣	﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾
٢٥٠ / ٤	٤	﴿وَإِن يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ﴾
٨٧ / ٤، ٣٧٦ / ٣	٥	﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾
٢٧٠ / ٢	٦	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾
٢٨٢ / ٤	٨	﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾
٥٠ / ١	١٠	﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾
٢٣٧ / ٣	١٠	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾
١٩٨ / ١	١٥	﴿وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾
١٥٦ / ٣	١٥	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾
٦٥ / ١	٢٣-١٩	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾
٧٢ / ٤، ٥١ / ٢	٢٢	﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾
٢٥١ / ٤	٢٥	﴿وَإِن يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾
١٤١ / ٤، ٧٧ / ٢، ١٥١ / ١	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
٧٢ / ٢	٣٤	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾
٣٣٢ / ٣	٣٤	﴿وَإِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٦٢/٤	٣٧، ٣٦	﴿لَا يُضْنَى عَلَيْهِمْ فِيمَا نُؤُوا﴾
سورة يس		
٢٥٥/٤	٣ - ١	﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾
١١٢/٣	٤ - ١	﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾
٢٦٧/٤	٢٣، ٢٢	﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾
٦٣/٤	٥٨	﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾
٢٢٢/١	٧٠ - ٦٩	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾
٧٢/٤	٧٠، ٦٩	﴿وَإِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾
٢٨/٢	٧٥، ٧٤	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾
سورة الصفات		
١٠٦/٤	٧-٦	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا الْكَوَاكِبِ﴾
٢١٨/٤	١١	﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾
٦١/٤	٢٤	﴿وَقَفُّهُمْ بِهِمْ مَسْئُولُونَ﴾
١٤٨/٤	٨٧، ٨٦	﴿أَفَبِكَاءِ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾
٢٣/٤	١٠٣	﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾
٢٥٧/٣	١٠٦، ١٠٤	﴿أَنْ تَبْتَازَ بِهِمْ ۝ قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا﴾
٢٧٤/٤	١٣٨، ١٣٧	﴿وَإِنْ كَرِهْتُمْ عَلَيْهِمْ مُصِيبَاتٍ﴾
٣١٣/١	١٤٤، ١٤٣	﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾
١٢٧/٤، ٣٥٥/١	١٤٧	﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾
٢٤٢/٤	١٥١ - ١٥٤	﴿أَلَا إِنَّمِ مِنْ إِيكِهِمْ لَيَقُولُنَّ ۝ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِيَهُمْ لَكَذِبُونَ ۝ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
٢٩٩/٤	١٦٠، ١٥٩	﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٢٥ / ٣	١٧١ - ١٧٣	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾
٢٩٩ / ٤	١٨٠ - ١٨٢	﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾
سورة ص		
١١٩ / ١	١٧	﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾
٦ / ٢	٢٤	﴿فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، وَخَرَّرَّاكِ مَأْوَىٰ وَأَنَا ابُّ﴾
١٥٧ / ٢	٢٥	﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾
٢٤٣ / ٤ ، ٢٣٨ / ١	٢٧	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾
٢٣٨ / ١	٢٨	﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
٢٢ / ٢	٢٩	﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ﴾
١١٩ / ١	٣٠	﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ ءَوَّابٌ﴾
٢٧٣ / ٣	٣٣	﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾
١١٩ / ١	٤١	﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾
٣١٥ / ٣ ، ٢٤٠ / ٢	٤٤	﴿وَإِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾
١١٩ / ١	٤٥	﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾
٣٥٩ / ٣	٤٧	﴿وَلِيَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ﴾
٣١٤ / ٣	٤٩	﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾
٣١٤ / ٣	٥٠ ، ٤٩	﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾
٣٣٦ / ٢	٥٤	﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ، مِنْ نَفَادٍ﴾
٣١٢ / ٣	٥٧	﴿هَذَا فَلْيُدْفُوهُ خَمِيرًا وَعَسَافٌ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٢٥/٤	٨٦	﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾
سورة الزمر		
٢٦٧/٤	٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾
١٧٠/٢	٣،٤	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾
٣٢٤/١	٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾
٣٢٤/١	٣	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾
٢٤٩/١	٧	﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾
٢٥١/١	٧	﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾
٣١١/٢	٧	﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾
١٢٣/١	٩	﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَنِيتٌ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾
١٣٧/٤	٩	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ﴾
١١٠/١	١٠	﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
٣٩٣/١	١٠	﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَقُولُوا رَبِّكُمْ ﴾
٢٣١/٢	١٠	﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
١٧٠/٢	١٥،١٤	﴿ قُلِ اللَّهُ عَبْدٌ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾
٦/٢، ١٢٢/١	١٧	﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾
٤٩/٢، ١٢٠/١	١٨، ١٧	﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾
٢٧٣/٤	٢٧	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾
٢٧١/٤، ٢٣٩/١	٢٩	﴿ ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا لَرجُلًا فِيهِ شِرْكَاءُ ﴾
١٦٥/٤	٣٠	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾
٦/٣، ٤٥/٢	٣٣	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾
٢٧٩/٤	٣٤	﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٩٦، ٢٩٩ / ١	٣٥	﴿لِيُكْفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾
١٧١ / ١	٣٨	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾
٢٦٧، ٢٦٥ / ٤	٣٨	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾
٢٦٧ / ٤	٣٨	﴿قُلْ أَقْرَبُ بِتَعْمُرِ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾
٥٩ / ٤	٤٢	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾
٢٦٧ / ٤	٤٤، ٤٣	﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾
١٢٢ / ١	٤٦	﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٢٣ / ١	٤٦	﴿أَنْتَ تَخْتَكِبُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾
٢٨ / ١	٤٧	﴿وَبَدَأْتُمْ مَعَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾
٣١١ / ١	٥٣	﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾
٣٦٨، ٣١١، ٢٩٠، ١٢٣ / ١	٥٣	﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾
٥ / ٢، ١٤٧ / ١	٥٤	﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾
٢٧٢ / ٤	٥٩-٥٦	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ﴾
٦٧ / ٣	٦٠	﴿الْبَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾
٢٦٧ / ٤	٦٤ - ٦٦	﴿قُلْ أَغْعِبِ اللَّهُ تَأْمُرُ فِي عَبْدٍ﴾
٣٨٩ / ١	٦٧	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
٢٢٢ / ١	٧١	﴿وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
٢٣٣ / ١	٧١	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾
١٥٥ / ١	٧٣	﴿سَلَّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾
سورة غافر		
٢٢٢ / ١	٦	﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
٥١ / ١	١٢	﴿فَأَلْحِكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٥/٢	١٣	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾
١٢/٢	١٣	﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾
٦٩/٤	١٥	﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾
٣٢٦، ١٤٧/٢	١٩	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾
١٢٣، ١٢٢/١	٣١	﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾
٦٧/٣	٣٥	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾
٢١٨، ٢١٦/٢	٤٤	﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾
٢١٦/٢	٤٥	﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾
١٢٣، ١٢٢/١	٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾
١٣/٢	٥٤، ٥٣	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾
٣٢٥/٣	٦٠	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾
٢٧٦/٣	٧٥	﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾
٦٧/٣	٧٦	﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾
سورة فصلت		
١٨٥/٢	٦	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾
١٨٦/٢	٦	﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾
٢٧٤/٤، ٦٤/١	١٧	﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾
١٤٧/٤	٢٣، ٢٢	﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾
٤٩/٢	٢٦	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ﴾
١٥٥/١	٣٢ - ٣٠	﴿الَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾
١٩٣/١	٣٠	﴿الَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٤/٢	٣٠	﴿إِنَّ الدَّيْرَانَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾
٣٧٤/٣	٣٠	﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾
٢٣٢/٢	٣٥	﴿وَمَا يُلقَنهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾
١٣٠/٤	٣٧	﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾
٨٥/٢	٣٩	﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾
٢٧٤، ٣٢/١	٤٦	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾
٢٣٦/١	٤٦	﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾
٢٥٢/٤	٥٢	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾
١٥٦/٤	٥٣، ٥٢	﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾
٢٥٢، ١٥٦، ٢٤١/٤	٥٣	﴿سُرِّي بِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾
٢٥٢/٤	٥٣	﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
سورة الشورى		
٢٦٧/٤	٩	﴿أَرِ الْتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾
١٥٥/٤	١١	﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾
٢٣٣/٤، ٢١١/٢	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
٣٠٠/٤	١٥	﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾
٢٥٣/٤	٢٤	﴿أَمْ يَقُولُونَ افترى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
٢٥٣/٤	٢٤	﴿يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾
٨٠/٣، ٢٩٩/٢، ٣٩٤/١	٣٠	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ آيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾
٢٣٢/٢	٣٣، ٣٢	﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾
١٧٣، ٢٩/٣	٤٠	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٣٢/٢	٤٣	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ﴾
٣٥٣/٣	٥٠، ٤٩	﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً﴾
١٥٣/٤، ٦٠، ٥٩/١	٥١	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَاحِيًّا أَوْ مِن وَّرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾
٦٨/٤، ٣٧٧/٣	٥٢	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾
٢٨٢/٤	٥٢	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
٣٠٠، ٣٣/١	٥٣، ٥٢	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾
سورة الزخرف		
٢٢/٢	٣	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾
١٤٦/٤	١٢ - ١٠	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾
٢٣٨/٤	١٩	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾
١٧٢/١	٢٠	﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَهُمْ﴾
٢٦٦/٢	٢٠	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَهُمْ﴾
٢٦٧/٤، ١٧٧/١	٢٧، ٢٦	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾
١٣٣/٤	٢٧، ٢٦	﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾
١٥١/٤	٣٢	﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾
١٠٠/٢	٣٥ - ٣٣	﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
٢٢٤/٣	٣٦	﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾
٢٦٥/٤	٤٥	﴿وَسَتَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾
٦/٤	٥٥	﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ أَتَيْنَاهُمْ بِمَنْ مِّنْهُمْ﴾
١١٩/١	٥٩	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾
٢٦/٢	٦٧	﴿الْأَجْلَاءَ يُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٨ / ٤ ، ١٢٢ / ١	٦٨	﴿ يَتَعَبَّدُونَ لِمَا هُمْ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ﴾
١٢٠ / ١	٦٩ ، ٦٨	﴿ يَتَعَبَّدُونَ لِمَا هُمْ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ﴾
٢٥٠ / ١	٧٦	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾
٢٣٨ / ٤	٨٦	﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
٣٨٣ / ١ ، ١٦٥ ، ٩٤ / ١	٨٧	﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾
سورة الدخان		
٢٤٣ / ٤	٣٩ ، ٣٨	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
٣٥٠ / ١	٥٦	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَكَ ﴾
سورة الجاثية		
١٣٤ / ٤	٥	﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾
١٣٤ / ٢	١٤	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا ﴾
٨٦ / ٤ ، ٣٨٩ ، ٢٣٨ / ١	٢١	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾
١١٥ / ١	٢٢	﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
١٢٢ / ٣	٣٢	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾
سورة الأحقاف		
٢٤٣ / ٤	٣ - ١	﴿ حَمَّ ﴿١﴾ نَزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ﴾
١٨٥ / ٢	١٤ ، ١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾
١٣١ / ٣	٢٦	﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ﴾
٥١ / ٢	٣٠	﴿ قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ ﴾
٢٥٠ / ١	٣١	﴿ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ﴾
٢٣٠ / ٢ ، ٢٨٦ / ١	٣٥	﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْرِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٨٤ / ٤ ، ٢٦ / ٢	٣٥	﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ﴾
سورة محمد		
٢٩٨ / ١	٢	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
٢٩٩ / ١	٢	﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾
٣٣٧ / ١	٩	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾
٢٩٨ / ١	١٥	﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾
٦٥ / ١	١٦	﴿مَاذَا قَالَ ءِيقَافُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾
٢٧٥ / ٤ ، ٣٠٠ / ١	١٧	﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾
١٣٩ ، ١٣٧ / ٤	١٩	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
٦ / ٣	٢١	﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾
٢٥٧ / ٤ ، ٢٢٦ / ٣ ، ٢٢٢ / ٢	٢٤	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾
٣٣٧ / ١	٢٦ - ٢٨	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾
٣٣٨ / ١	٣٠ ، ٢٩	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾
١٩٥ / ٣	٣٠	﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾
١٩٥ / ٣	٣٠	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾
٢٧١ / ١	٣٣	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾
٢٣٠ / ٢	٣٣	﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾
سورة الفتح		
٢٩١ / ١	٢ ، ١	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾
٢١٣ / ٣	٤	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٤٨ / ٤	٦	﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾
٧ / ٢	١٠	﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَاقِدَتِ اللَّهِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢١٤ / ٣	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢١٤ / ٣	٢٦	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾
٢٥٥ / ٤	٢٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾
٢٢٨ / ١	٢٩	﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرِزْحٍ أَخْرَجَ سَطَكَهُ ﴾
٢٤٩ ، ٦٢ / ٣	٢٩	﴿ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾
٢٥٥ / ٤	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾
سورة الحجرات		
١١٥ / ٣	١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﴾
٢٧١ / ١	٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾
٣٤١ ، ٣٤٥ / ١	٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْفَاسِقٌ مِنْكُمْ ﴾
١٧٤ / ٢ ، ٣٨٦ ، ٣٤٥ ، ٢٢٣ / ١	٧	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾
٢٢٤ / ١	٨	﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾
٣٨٦ / ١	٨ ، ٧	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾
٢٩٤ ، ١٨٦ / ١	١١	﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
١٥٨ / ٣	١٣	﴿ وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسَكُمْ ﴾
٣١٦ / ٣	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ﴾
١١٢ / ١	١٧	﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ ءَسْلَمُوا ﴾
٦٨ / ٢ ، ٢٦٦ ، ١٨١ / ١	١٧	﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ ﴾
سورة ق		
١٣ ، ٥ / ٢	٨ - ٦	﴿ أَفَأَمَرَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾
١٢ / ٢	٨	﴿ نَجِيرَةً وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾
٧٥ / ٤	١١	﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٤/٣	١٦	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾
٢٣٦/١	٢٧ - ٢٩	﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ﴾
٦/٢	٣١ - ٣٤	﴿وَأَرْلَقْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ وَعَمَرَ بِعِيدٍ﴾
٢٧٣، ٥٨، ٤٥/٤	٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾
١٣/٢	٣٦، ٣٧	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾
١٠٠/٤	٤٤	﴿ذَلِكَ حَسْرَةٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾
١٨/٢، ١٥٨/١	٤٥	﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾
سورة الذاريات		
٢٥٨/١	١٧، ١٨	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ مَا يَهْتَجُونَ﴾
١٢٢/٣	٢٠	﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
١٥٥/٤	٢١	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ﴾
٢٠٦/٤	٤٧	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾
٣٨/٢	٥٠	﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾
١١٥/١	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
٥٠/١	٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
سورة الطور		
٦١/٤	١٤ - ١٦	﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا كُذِّبُونَ﴾
٨٣/٢	٢٥ - ٢٧	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِيْسَاءَ لُونٍ﴾
٢٥٩/٤	٢٨	﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾
٣٩٣/١	٤٧	﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾
١٤٧/٢	٤٨	﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النجم		
١٢٥/٤	٥	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾
١٢٥/٤	٦	﴿ذُومِرَقَ﴾
١٢٥/٤	٧،٦	﴿فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾
١٢٥، ١٢٤/٤	٨ - ٩	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾
١٢٦/٤	٨	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾
٣٦/٤	١٠	﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾
١١١/٣	١٢، ١١	﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتُنَبِّئُهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾
١٢٥، ١٢٤/٤	١٤، ١٣	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾
٢٣١، ١١٠/٣	١٧	﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾
١٦٨/١	١٨، ١٧	﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾
١٢٧/٤	١٨	﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾
٣٠١/١	٣٢	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشَ﴾
١٢٣/٤	٣٧	﴿وَلِبَرَهِيمِ الَّذِي وَفَّىٰ﴾
٣٩/٤، ٣٣٥، ٧٠/٢	٤٢	﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾
سورة القمر		
٣٦/١	٤٧	﴿إِنَّ الْمُبْرَمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾
٧/٣	٥٥، ٥٤	﴿إِنَّ لِلنَّاقِثِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ﴾
سورة الرحمن		
١٦٦/٤، ١٦٥/١	٢٦	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾
١٦٥/٤	٢٧، ٢٦	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَسْفَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾
١٦٦/٤	٢٧	﴿وَيَسْفَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٨٧ / ٢	٤٦	﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٌ﴾
١٧٤ / ٣	٦٠	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾
١٠٦ / ٤	٧٠	﴿فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾
سورة الواقعة		
١٠٥ / ٤	٦١	﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
١٣٦ / ٣	٧٩	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ﴾
٨٣ / ٤	٨٩ ، ٨٨	﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾
سورة الحديد		
١٦١ ، ٣٠ / ٤	٣	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾
٣٣٣ ، ١٤٧ / ٢	٤	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾
٣٣٨ / ١	١٣	﴿أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ﴾
٣٣٨ / ١	١٣	﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾
٣٣٨ / ١	١٤	﴿الَّذِينَ كُنْ مَعَكُمْ﴾
٣٣٨ / ١	١٥ ، ١٤	﴿وَلِكَيْ تَذَكَّرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَضَوْا بِمَا رَزَقْتُمْ﴾
٢٢٠ / ٣ ، ٨٥ / ٢	١٦	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾
١٣٧ / ٤	١٧	﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْسُقُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْعِدٍ﴾
٨٧ ، ١٣٧ / ٤ ، ٩٩ / ٢	٢٠	﴿أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ﴾
٣٢٢ / ٣	٢١	﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾
٨٧ / ٤	٢١	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾
١٠١ / ٢	٢٣	﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾
٢٥٠ / ٤	٢٥	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾
١٤٣ / ٢	٢٧	﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة المجادلة		
٣٣٣ / ٢	٧	﴿ مَا يَكْفُرُونَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾
٧٢ / ٢	١٠	﴿ إِنَّمَا التَّجْوِي مِنْ الشَّيْطَانِ ﴾
٢٦٢ / ٢	٢٢	﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
سورة الحشر		
١٥٦ / ٤	٢	﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾
٢٢٣ / ١	٩	﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾
٢٥ / ٣ ، ١٠٢ / ٢	٩	﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾
١٧٩ / ١	١٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾
٢٠٠ / ١	١٩	﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾
١٤٣ / ٣	١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾
٢٥٣ ، ٢٩٠ ، ١٤٧ ، ٣١ / ٤	٢٢ - ٢٤	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
سورة الممتحنة		
٢٦٧ / ٤ ، ١٧٧ / ١	٤	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾
١٩٢ ، ٩٥ / ٢	٤	﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
٥٧ / ١	٧	﴿ وَاللَّهُ فَذِيرٌ عَزِيزٌ ﴾
١٣٨ / ٤	١٠	﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾
سورة الصف		
٢٥١ / ٣	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾
٣٠٠ ، ٦٣ / ١	٥	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾
٣٣١ / ١	٨	﴿ يُرِيدُونَ لِيطْفئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ تَوَّابٌ ﴾
سورة الجمعة		
٤٥ / ٣	٢	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٤٤ / ٣	١٠	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾
سورة المنافقون		
٢٥٥ / ٤	١	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾
٣٣٥ / ١	٢	﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٣٣٦ / ١	٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾
٣٣٦ / ١	٤	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾
١٤٣ / ٣	٩	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ كُفَرُوا بِكُمْ ﴾
سورة التغابن		
٥٧ / ١	٦	﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَمِيدٌ ﴾
٤٩ / ٢	١٦	﴿ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ﴾
سورة الطلاق		
٥ / ٢	١	﴿ وَيَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾
٢٠٨ / ٢	٢	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾
٢٧٩ ، ٨٢ / ٤ ، ٤٠ / ٢	٣ ، ٢	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾
٢٠٨ ، ١٩٢ ، ٤٠ / ٢ ، ١٣٠ / ١	٣	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾
١٥٣ / ١	٣	﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾
٢٠٨ / ٢	٤	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾
٢٧٩ / ٤ ، ٢٠٨ / ٢	٥	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾
٢٠٦ / ٤	٦	﴿ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾
سورة التحريم		
٣٤٢ / ١	٦	﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾
١٠٥ / ٣	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانُ فَسْخَرُوا وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾
٢٩٦ / ١	٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
١٢٣ / ١	١٢	﴿وَكَاثَ مِنَ الْقَتِينِ﴾
سورة الملك		
١٧٠ / ٢، ١١ / ١	٢	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلُكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
٢٧١ / ٤، ٢٣٣، ٢٢٠ / ١	٨ - ٩	﴿كُلَّمَا أَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾
٢٣٩ / ١	١٠	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
١٣٢ / ٣، ٥٠ / ٢	١٠	﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
١٩٢ / ٢	٢٩	﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾
سورة القلم		
٣٧ / ٣	٤	﴿وَلِإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾
٢٤٢ / ٤	٣٥	﴿أَفَجَعَلْنَا الْمُتَسَلِّمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾
٣٣٨ / ١	٤٣	﴿خَتِيبَةً أُنْصَرُمْ تَرَهَقُمُ ذَلَّةٌ﴾
سورة الحاقة		
١٧٩ / ١	١٨	﴿يَوْمَئِذٍ نَعْرِضُوهٗ لَا تَخَفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾
٢٧٩ / ٤، ٢٧٦ / ٣	٢٤	﴿كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾
٣١٧ / ١	٤٤ - ٤٦	﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾
٢٥٣ / ٤	٤٤ - ٤٧	﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾
١٣ / ٢	٤٨	﴿وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لِلْمُتَّقِينَ﴾
سورة المعارج		
١١٣ / ٣	٢٣	﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾
١١٣ / ٣	٣٤	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
سورة نوح		
١٦٧ / ٤	٢ - ٤	﴿يَعْقُوْبُ إِنِّي لَكَ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾
٢٩٥ / ١	١١، ١٠	﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ مِدْرَارًا﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠٦ / ٣ ، ١٣٤ / ٢	١٣	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾
٥٧ / ٤	١٥	﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾
سورة الجن		
٥١ / ٢	٢٠١	﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾
١٠٩ / ٣ ، ٣٤ / ١	١٠	﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ ﴾
٨٧ / ٣ ، ١٨٥ / ٢	١٧ ، ١٦	﴿ وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾
٢٢٨ / ٤ ، ٢٥٦ / ٣ ، ١١٩ / ١	١٩	﴿ وَأَنَّهُ، لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾
٣٦٩ / ١	٢٣	﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾
سورة المزمل		
١١٦ / ٢ ، ٩٥ / ١	٨	﴿ وَأَذْكُرْ اسمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾
٢١٨ / ٢	٩	﴿ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
سورة المدثر		
١٠٨ / ٢	٤	﴿ وَيُنَادِيكَ فَطْمِرًا ﴾
٩١ / ١	٢٥ ، ٢٤	﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْرُي ﴾
٢٦٢ / ١	٣٧ - ٣٥	﴿ إِنَّمَا لِإِخْدَى الْكَبْرِ ﴾
١٧٥ ، ١٢٠ / ١	٤٧ ، ٤٦	﴿ وَكَانَ كَذِبٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴾
٣٠٠ / ٢	٤٨	﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾
سورة القيامة		
٩٧ / ٢	٢	﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾
٨ / ٣	١٦	﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾
٣٨ / ١	١٧	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ، وَفَرَّهْ أَنَّهُ ﴾
٢٤ / ٣	١٨	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴾
١٠٦ / ٤	٢٣ ، ٢٢	﴿ وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرًا ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٢٣٧، ١١٥ / ١	٣٦	﴿ اٰتٰىحَسْبًا لِّاِنْسٰنٍ اَنْ يُّبْرَكَ سُدًى ﴾
٢٣٧ / ١	٣٨، ٣٧	﴿ اَلرَّيْكَ نُطْفَةٌ مِّنْ مَّيِّ يُمْنٍ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقَةَ ﴾
سورة الإنسان		
٢٥ / ٤، ١١٩ / ١	٦	﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾
٣٢٠، ٢٤٩ / ٣	٩	﴿ اِنَّمَا نَطْعَمُكَ لَوَجْهِ اللّٰهِ لَا تُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾
١٠٦ / ٤، ٣٧٦، ٣٧٥ / ٣	١١	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾
١٠٦ / ٤	٢١	﴿ وَحَلُوا اَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾
٣١١ / ٢	٢٢	﴿ اِنْ هٰذَا كَانَ لِكُرْجِئَةٍ وَّكَانَ سَعِيْكَ مَشْكُورًا ﴾
١٧٧ / ٢	٣٠، ٢٩	﴿ اِنْ هٰذِيْءَ تَذَكُّرَةٌ ﴾
٢١ / ٣	٣٠، ٢٩	﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ اِلٰى رَبِّيْهِ سَبِيْلًا ﴾
٨٤ / ١	٣٠	﴿ وَاَمَّا تَشَاءُ وَاَنْ لَا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ ﴾
٣٥ / ٣	٣١، ٣٠	﴿ وَاَمَّا تَشَاءُ وَاَنْ لَا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ ﴾
سورة المرسلات		
١٩١ / ١	٦، ٥	﴿ فَالْمُفْلِقِيْنَ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا اَوْ نُدْرًا ﴾
سورة النبأ		
٣٠٤ / ١	٢٥، ٢٤	﴿ لَا يَذُقُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾
سورة النازعات		
٢٥٨ / ٤	٣٦	﴿ وَبُرْزَخِ الْجَحِيْمِ لِمَنْ بَرَى ﴾
٨٧ / ٢	٤٠	﴿ وَاَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّيْهِ ﴾
١٨ / ٢، ١٥٨ / ١	٤٥	﴿ اِنَّمَا اَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ حَسْبِهَا ﴾
٨٤ / ٤، ٢١ / ٢	٤٦	﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بُرُوْهَا لَوْ لَبِثُوْا اِلَّا عَشِيَةً اَوْ سَحَابًا ﴾
سورة عبس		
١٣٧ / ٣	١٦ - ١٢	﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِيْ صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة التكوير		
١٢٥/٤	٢٠،١٩	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾
٣٠٩/٢	٢٨	﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾
٢١/٣، ١٧٧/٢	٢٩، ٢٨	﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾
٣٠٩، ١٧٧، ١٧٣/٢	٢٩	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
سورة الانفطار		
٣٩٣/١	١٤، ١٣	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾
سورة المطففين		
٣٨/٤، ١١٢/٢، ١٤٥/١	١٤	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
٩٣، ٣٥/٤، ٣٧٩/٣	١٦، ١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾
٢٧٣، ٤٧/٣	٢٦	﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُنْفَسُونَ﴾
سورة الانشقاق		
٣٧٥/٣	٩ - ٧	﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كُنْبَهُ بِإِيمَانِهِ﴾
٣٧٦/٣	٩	﴿وَنَقَلِبُ إِلَيْكَ أَهْلِي مَسْرُورًا﴾
٣٧٥/٣	١٣ - ١٠	﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كُنْبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾
سورة الطارق		
٣٣٦	١	﴿وَالسَّوَّءِ وَالطَّارِقِ﴾
سورة الأعلى		
١٨/٢	١٠	﴿سَيِّدِكُمْ بِيَدَيْكُمْ﴾
١٠٠/٢	١٧، ١٦	﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
سورة الغاشية		
٣٨/١	٢٦، ٢٥	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفجر		
٤٠، ٣٩ / ١	١٤	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِأَلْمَرْصَادِ﴾
٩٨ / ١	١٥ - ١٦	﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾
١٥٨ / ٣	١٥ - ١٧	﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾
٩١ / ٤	٢١ - ٢٦	﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾
٢٢٤، ٣٥٠ / ٣، ٢٦٠ / ٢	٢٧، ٢٨	﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَبَةً﴾
٣٢٢، ٢٧٢، ٢٥٥، ٢٢٣ / ٣، ٢٥٤ / ٢	٢٧ - ٣٠	﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾
سورة الشمس		
٦٥ / ١	٧ - ٨	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾
١١٠ / ٣	٧ - ١٠	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾
٣٣ / ١	٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾
٣٢٢ / ١	١١	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾
سورة الليل		
٤٠ / ١	١	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾
٤٠ / ١	١٢، ١٣	﴿وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾
٣٢٠، ٢٥٠ / ٣	١٩ - ٢٠	﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ﴾
٣٣٨، ٩٥ / ٣	١٩ - ٢١	﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ﴾
سورة الضحى		
٣١٥ / ٣	٦ - ٨	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾
١٦٥، ١٥٧ / ٣	٨	﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾
٣١٧ / ٢	١١	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الشرح		
١٦٨ / ٣	١	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾
سورة العلق		
٢٢٠ / ٤	٥	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
٣٣٠ / ٣	٧، ٦	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجِلَ﴾
٣٢٦، ١٤٧ / ٢	١٤	﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾
٣٦ / ٢	١٩	﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾
سورة البينة		
٢٤١ / ٤، ١٧٠ / ٢، ١٢٧، ١٣٣ / ١	٥	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
٢٦٣، ٢٦٠ / ٢	٨	﴿خَلْقَيْنَ فِيهَا آدَمَ وَنُوحًا وَابْرَاهِيمَ إِنَّ اللَّهَ لَرَبُّهُمُ الرَّحِيمُ﴾
سورة العاديات		
١٩٨ / ١	٦	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾
سورة التكاثر		
٤١ / ٢	٧، ٦	﴿لَتَرْوِيَ الْجَحِيمَ﴾
سورة العصر		
٢٩ / ١	٣ - ١	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾
سورة الفيل		
٥٧ / ٤	١	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾
سورة الماعون		
٩١ / ٢	٥، ٤	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾
سورة الكافرون		
٢٣٧ / ٤	١	﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكٰفِرُونَ﴾
١٧٧ / ١	٢، ١	﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة النصر		
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾	١	١ / ٦٣، ٨٧
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾	١ - ٣	١ / ١٤٨، ١٨٣، ٤ / ٢٢٣
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٣ / ٢٥١
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	١ / ٤٥
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	١ - ٤	٤ / ٤٨

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- «ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَنَبَاكُوا» ٢٥٤ / ٤ ، ٢٩٤ / ٣
- «ابْنَ آدَمَ، اطْلُبْنِي تَحْدِنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ» ٢٥٢ ، ٩٧ / ٤ ، ٨٢ / ٣
- «ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا» ٣٦٨ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٢٩٠ / ١
- «ابْنَ آدَمَ، مَا أَنْصَفْتَنِي، خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ، وَشُرْكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبُّ إِلَيْكَ بِالنَّعْمِ وَأَنَا عَنْكَ غَنِيٌّ» ٣٤ / ٢
- «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ» ٢٣٩ / ٤
- «أَنَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي يَدِهِ مِرَاةٌ بِيضَاءُ فِيهَا نَكْتَةٌ سَوْدَاءُ» ٢٨١ / ٣
- «أَتَدْرُونَ مَنْ مَيِّتُ الْقَلْبِ» ٧٤
- «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِيدٍ؟! لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغَيْرُ مِنِّي» ٢٦٩ / ٣
- «أَتَقَّ اللَّهُ حَيْثُمَا كُنْتُ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» ٢٧٠ / ١
- «أَتَقَّ اللَّهُ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اغْوَجَجْتَ اغْوَجَجْنَا» ١٣١ / ١
- «أَتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٥ / ٣ ، ١٤٤ / ١
- «أَثْنَانِ فِي أُمَّتِي، هُمَا بِهِمْ كُفْرُ الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ» ٣١٩ / ١
- «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» ٣٠٦ / ١
- «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ» ٣٢٨ / ١
- «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَجُّ مَبْرُورٌ» ٢٥١ / ٣
- «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٢٥١ / ٣
- «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ» ٢٥١ / ٣
- «أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ الْغُرْبَاءُ»... «الْفَرَارُونَ بِدِينِهِمْ يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ» ٢٠ ، ١٣ / ٤
- «أَحْرَضَ عَلِيٌّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعَنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ» ٢٨١ / ٤ ، ٤٨ / ٣

- «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» ١٠٩ / ٣
- «أَخْبِرَانِي مَا يُبْكِيكُمَا؟ فَإِن وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ، وَإِلَّا تَبَاكَيْتُ» ٢٩٣ / ٣
- «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» ٢٥١ / ٣
- «أَخْبِرِي زَيْدًا أَنَّهُ قَدْ أَبْطَلَ جِهَادَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ» ٢٧٤ / ١
- «أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً، وَإِنَّ زَيْدًا لَيَلْعَبُ مَعَ الْعُلَمَانِ» ٢١٤ / ٤
- «أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» ٣٦٩ / ١
- «أَذْرَكَتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَيَّ نَفْسِهِ» ٣٤٥ / ١
- «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ دَعَا جِبْرِيلَ» ٢٥٠ / ٣
- «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ، فَإِنْ رَضِيَ اضْطَفَاهُ» ٢٨٩ / ٢
- «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَصَبَ فِي قَلْبِهِ نَائِحَةً، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا جَعَلَ فِي قَلْبِهِ مِرْمَارًا» ٧٣ / ٢
- «إِذَا أَدْنَى الْمُؤَدَّنُ أَذْبَرَ الشَّيْطَانَ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْدِينَ» ٩٢ / ٢
- «إِذَا أَذْنَبَ نِكْتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سُودَاءٌ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ» ١١٢ / ٢
- «إِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ٣٥٩، ٣٥٤ / ١
- «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» ١٢٩ / ١
- «إِذَا زَنْتَ أُمَّةً أَحَدِكُمْ فَلْيَقِمِ عَلَيْهَا الْحَدَّ وَلَا يَتْرَبْ» ١٨٥ / ١
- «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ» ٤٨ / ٢
- «إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ ثَلَاثًا» ١٤٤ / ٢
- «إِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﷻ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ» ١٣٣ / ٣
- «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدَّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ» ١٥٩ / ٢
- «إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ» ١٣٢ / ٢
- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ» ٣٢٣ / ٣
- «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ خُضْعَانًا» ١٢٠ / ٤

- «إِذَا مَرَزْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا»..... ٦٠/٤
- «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَاحِبًا مُقِيمًا» ٢٧٧/١
- «أَذْهَبَ فُحْدُ أَجْرِكَ مِمَّنْ عَمِلْتَ لَهُ، لَا أَجْرَ لَكَ عِنْدَنَا»..... ١٧١/٢
- «أَذْهَبُوا إِلَيَّ مُحَمَّدٍ، عَبْدِ عَفْرِ اللَّهِ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ! ٢٤٨/٤، ٢٥٦/٣
- «أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَ بِمِ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؟ ٢٨/٣
- «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا»..... ٧/٢
- «أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه فقفا عينه» ٢٩٨/٢
- «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»..... ٧٣/١
- «أَسْأَلُكَ الرَّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ» ٢٥٣/٢
- «أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحْمَتِي، أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي» ١٩٤/١
- «أَسْأَلُكَ مِرَافِقَتِكَ فِي الْجَنَّةِ»..... ٣٦٣/٣، ١٦٠/٢
- «استأجر دليلاً مشركاً على دين قومه»..... ٢١٤/٢
- «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»..... ٣٢٧/٢
- «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»..... ١٦٠/٢
- «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» ٢٢٤/٤
- «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»..... ١٨٥/٢
- «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» ٣٢٤/١
- «أَسَلَمْتَ عَلَيَّ مَا أَسَلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ»..... ٢٧٥/١
- «أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ»..... ٣٨٨/٣
- «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ» ٢٦٥/٤
- «أَصْحَابُ الرَّأْيِ أَعْدَاءُ السُّنَنِ، أَعَيْتُهُمْ أَنْ يَعُوهَا» ٢٢٦/٤
- «اصْطَنَعْتُكَ لَوْحِي وَرِسَالَتِي»..... ١٠٢/٤

- «اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فَتُكْتَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ» ١٢٨ / ٤
- «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» ٤٣ / ٤، ٢٨٧ / ٢
- «اعْمَلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يُنْحِيَهُ عَمَلُهُ» ٢٧٦ / ٤
- «أَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» ١٦٠ / ٢، ٢٥٨ / ١
- «اغْدُوا وَرَوْحُوا وَاذْكُرُوا، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ» ١٤٧ / ٣
- «اِفْتَحَرَ الْمُشْرِكُونَ بِآبَائِهِمْ، فَقَالَ كُلُّ فَرِيقٍ: لَا دِينَ إِلَّا دِينُ آبَائِنَا» ٢٦٠ / ٤
- «أَقْرَبُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَيَّ قَدَرِ اللَّهِ» ٢٧٨ / ٤
- «أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: الْعَزِيزُ فِي يُوسُفَ» ١٩٧ / ٣
- «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَرُهَا» ١٥٤ / ١
- «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ» ١٥٢ / ٣
- «أفضل الدعاء: دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده» ١٥٢ / ٤
- «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٣١١ / ٢
- «اقْبَلِ الْحَقَّ مِمَّنْ قَالَهُ وَإِنْ كَانَ بَغِيضًا، وَرُدِّ الْبَاطِلَ عَلَيَّ مَنْ قَالَهُ وَإِنْ كَانَ حَبِيبًا» ٢٩٩ / ٤
- «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ» ٣٦ / ٢
- «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ٣٣٤، ٣٦ / ٢، ٢٨٨ / ١
- «أَقْرَبُ أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامُ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ» ١٤٧ / ٣
- «أَقِمَّ حَتَّى تَأْتِينَا الصَّدَقَةُ، فَأَمْرٌ لَكَ بِهَا» ٣٠٥ / ٢
- «أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَرْبَابُ الْكَلَامِ» ٢٢٥ / ٤
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ» ٦٣ / ٣
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» ٢٣٧ / ٢
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ» ٦٤ / ٣
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ مُلُوكِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» ١٥ / ٤
- «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِالْكَبَائِرِ؟» ٣٠٦ / ١

- «أَلَا أُتْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ» ١٤٦ / ٣
- «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟... أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةِ الْحَمْسِ» ٣٠٣ / ٤، ٢١١ / ٤
- «أَلَا تَنْطَلِقُونَ حَيْثُ أَنْطَلَقَ النَّاسُ؟» ١٥ / ٤
- «أَلَا مُشَمَّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأَلُ» ١٦٠ / ٢
- «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ!» ٢٢٧ / ٤، ٢٠٨ / ٣
- «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» ٣٠٦ / ١
- «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» ٣٦٩، ٣٢٢ / ٣، ١٤٧ / ٢، ١٢٠ / ١
- «الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي، اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحَبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي» ١٧٢ / ٢
- «الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ: فَيْدُ اللَّهِ: الْعُلْيَا، وَيَدُ الْمُعْطَى: الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ: السُّفْلَى» ٣٥٥ / ٢
- «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُونَ شُعْبَةً -» ٣٢٦ / ٢
- «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِنَّمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» ٣٩ / ٣
- «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِنَّمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ» ٢٢٣، ٣٩ / ٣
- «الْبَيْعَانُ بِالْخَبَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا» ٩ / ٣
- «التَّقْوَى هَاهُنَا» ٨٦ / ٢
- «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ» ٦١ / ٤
- «الْجِهَادُ ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْأَمْرِ» ٢٢٨ / ١
- «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ» ١٥٤ / ٢
- «الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، فَمَنْ لَمْ يَحْمِدِ اللَّهَ لَمْ يَشْكُرْهُ» ٣١٤ / ٢
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ» ٥١ / ١
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ» ٢٢٣ / ١
- «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» ٣٢٦ / ٢
- «الْخُلُقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ» ١٥٥ / ١
- «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» ١٤٦ / ٣

- «الَّذِي تَفُوْتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ» ٣٥٦ / ١
- «الَّذِينَ يَنْقُصُونَ إِذَا زَادَ النَّاسُ» ١٣ / ٤
- «الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبْوَةِ» ٧٢ / ١
- «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَى لَهُ» ٧٣ / ١
- «الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ» ٧٣ / ١
- «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» ٣٠٦ / ١
- «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ» ٢٦٦ / ١
- «الصَّبْرُ وَالسَّمَاخَةُ» ٢٣٨ / ٢
- «الصَّدْقُ طَمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبُ رِيئَةٌ» ٢٢٣ / ٩ / ٣
- «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ: هُوَ الْإِسْلَامُ» ٨٠ / ١
- «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ» ٣٠٢ / ١ / ٤٩٨
- «الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» ٢٣٣ / ٢
- «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا... وَلَكِنْ اللَّهُ يَذْهَبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» ٢٠٣ / ٣
- «الظُّلْمُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ دَوَائِبٍ: دِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا» ٣١٠ / ١ / ٣٠٨
- «الْعَيْنَانِ تَرْزِيَانِ، وَالرَّجْلَانِ تَرْزِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ كَلْمَةُ الْفَرْجِ أَوْ يَكْذِبُهُ» ٣٠٩ / ١
- «الْعُدْرَ بَعْدَ الْعَهْدِ» ٧ / ٢
- «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّقَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ» ٥٤ / ٢
- «الْقَمُّ وَالْفَرْجُ» ٣٩ / ٣
- «الْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ» ٢٨١ / ٢
- «أَلَلَّكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا» ٢٠٠ / ٤
- «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْعَمُوسُ» ٣٠٦ / ١
- «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» ٣٠٦ / ١
- «الْكَبِيرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمُصُ النَّاسِ» ٦٨ / ٣ / ٦٧

- «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» ٣١٨ / ٣
- «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبَّهُ عِنْدَكَ» ٢٥١ / ٣
- «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» ٣١١ / ٢، ٩٧ / ١
- «اللَّهُمَّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ» ٣١١ / ٢
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ٥٨ / ١
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي» ٢٦٦ / ١
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّةً وَجِلَّةً، خَطَاةً وَعَمْدَةً، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، أَوْلَاهُ وَآخِرُهُ» ٢٦٧ / ١
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَالْحَقِيقِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى» ٢٢٤ / ٤
- «اللَّهُمَّ أَلْهَمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي» ٢٢٣، ٦٥ / ١
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ١٨٣ / ١
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْحَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ» ٢٠٧ / ٢
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ» ٢٢٧، ٢٢٤، ١٧٩، ١٥٤ / ١
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَيْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» ١١٢ / ٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّحَّةَ، وَالْعِفَّةَ، وَالْأَمَانَةَ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ، وَالرِّضَا بِالْقَدْرِ» ٢٩٣ / ٢
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ٤٥ / ١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ» ٤٥ / ١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ» ٢٠٢ / ٢، ٥١ / ١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ» ٢١٦ / ٢
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ» ٢٨٠ / ٤، ٢١١، ١٣١ / ٢، ٢٥١ / ١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» ٧٢ / ٢
- «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا؛ وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ١٣١ / ٢
- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ» ٤٤ / ١

- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ» ٥٠ / ٣
- «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْسِنِي» ٢٧٨ / ٢، ٢٥٠ / ٣، ١٤٠ / ٣
- «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ٢٥٤ / ٣
- «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ» ٢٥٤ / ٣
- «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ» ١٦٦ / ٣، ١٩٣ / ٢
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ» ٤٥ / ١
- «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي» ٢٦٥ / ١
- «اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا» ٢١٤ / ٣
- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» ١٨٦ / ١
- «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» ١٨٦ / ١
- «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ تَوْبِي زُورٍ» ١٤٥ / ٢
- «الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّهُ» ١٥٤ / ٤
- «الْمَسَائِلُ كَدُّ يَكْدُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ» ٣٥٤ / ٢
- «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف» ٢٤٨ / ٢
- «المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا يتأفس في عزها» ١٥ / ٤
- «المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق والفاسق ذليل» ٦٢ / ٣
- «أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ٢٤٤ / ٤
- «النَّدَمُ تَوْبَةٌ» ٢٧٧ / ١، ١٩٠ / ١
- «النَّذْرُ حَلْفَةٌ» ٣٤٩ / ١
- «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ» ٣٠٢ / ٢
- «الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ» ٣٤ / ١
- «أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ» ١٧٥ / ١، ١٢١ / ١
- «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» ٢٦٦ / ٤، ٢٣١ / ٤

- «إِنَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ الْغُرْبَاءُ»..... ٢٠ / ٤، ١٣، ٥٩
- «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ»..... ٢٨٧ / ١، ١٢٧ / ٢، ٢٢٣ / ٢، ٢٧٩، ٢٨٧
- «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالرَّضَا مَعَ الْيَقِينِ فَأَفْعَلْ»..... ٢٨١ / ٣
- «إِنَّ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»..... ١٥ / ٤
- «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَادِّ ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاتِهِ»..... ١٠ / ٢
- «إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي لِأَصْحَابِ الْقُرْشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ»..... ١٣ / ٤
- «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيُعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»..... ٢٢٨ / ١
- «إِنَّ الْأَعْمَالَ تَفَاخَرَتْ»..... ٢٥٥ / ١
- «إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»..... ٥٩ / ٤
- «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصْرُ»..... ٢٧٦ / ١
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ»..... ٥٣ / ٢
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا»..... ١٢٨ / ١
- «أَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»..... ١٧٦ / ٣
- «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»..... ٩ / ٣
- «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِغَنِيٍِّّ، وَلَا لِذِي مَرَّةٍ سَوِيٍّ»..... ١٦٥ / ٣
- «إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ»..... ١٩٤ / ١
- «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، هَذَا قَصَاؤُكَ»..... ٩٠ / ٢
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا، أَوْ ثُلُثُهَا، أَوْ رُبُعُهَا»..... ٢٧٠ / ١
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً»..... ٢٧٠ / ١
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ»..... ١٢٨ / ١
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْصَرِفُ مِنَ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا، ثُلُثُهَا، رُبُعُهَا»..... ٢٥٦ / ٣
- «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»..... ٢٥٦ / ٣

- «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ» ٣١٤ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ» ٨٥ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا» ٦٢ / ٣
- «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنَ الْأَفْعَالِ» ٧٤ / ٣
- «إِنَّ اللَّهَ بَعْدَلِهِ وَقِسْطِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْحَ فِي اليَقِينِ وَالرِّضَا» ٢٢٣ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ صَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَىٰ كَنَفَتِي الصِّرَاطِ سُورَانِ» ٦٧ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَسْأَلُهُمْ عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَيَقُولُونَ:» ١٥٩ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِأَخْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا» ١٣٩ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَبْدِي، اسْتَطَعْتُمْكَ فَلَمْ تُطِعْ عَمِي» ٢٠٤ / ٤، ٢٨٨ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» ١١ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» ٣٦٨، ٣١٥ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِذَا جَمَعَ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» ٣١٧ / ١
- «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْحَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ: يَا مُوسَىٰ، أَنْذِرِ الصَّادِقِينَ» ٤٠ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَنَامُ، وَلَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ» ٣٣٣، ٢٩٠ / ٣، ٥١ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» ٣٠ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا حَيْثُ شَاءَ، وَرَدَّهَا حَيْثُ شَاءَ» ٥٩ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّنَا» ٣٠٣ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قَيْلٌ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» ٣٠٣ / ٢، ٢٥١ / ١
- «أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِدَاوُدَ: مَجْدُنِي بِذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي كُنْتَ تَمَجِّدُنِي» ١١٤ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِبُّ الدُّعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ» ٩١ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ» ١٧٢ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِي النَّاسِ الْحَيْرِ» ١٥٥ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مِيَامِنِ الصُّفُوفِ» ١٧٦

- «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ»..... ٣٧ / ٣
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ»..... ١٤ / ٤
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْحَفِيَّ»..... ٣٨٥ / ٣
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُتَمَنَّيَ التَّوَّابَ»..... ٢٧٣ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ»..... ٣٠٦ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْ تَنْتَظِرَ الْفَرْجَ»..... ٣٠٧ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤَخَّذَ بِرُحْصِهِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»..... ٢٥١ / ٣، ١٤٠ / ٢، ٢٥١ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ»..... ٧٢ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا»..... ٣١ / ٢
- «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا»..... ٣١٦ / ١
- «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْعَبْدَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ»..... ٢٦٩ / ٣
- «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْزْ»..... ٢٧٦ / ١
- «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ بِكَدِّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَةٌ»..... ٣٠٣، ٢١٢ / ٢
- «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً»..... ٢١٢ / ٢
- «أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: انسب لنا ربك»..... ٤٨ / ٤
- «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»..... ٤٠ / ٣
- «أَنَّ النَّارَ قَالَتْ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟»..... ٦٣ / ٣
- «إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَرَكَوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»..... ٣٤٣ / ٣
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً»..... ٣٦٤ / ١
- «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ فَخَالِفُوهُمْ»..... ٢٠٩ / ٤
- «إِنَّ أَمْرَاتَهُ حَامِلٌ بِأُنْثَى»..... ٤٢ / ٤
- «إِنَّ أَوْلَ ثَلَاثَةِ تَسَعَرُ بِهِمُ النَّارُ»..... ١٧١ / ٢
- «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»..... ٢٧٧ / ١

- «إِنْ بَعْتَ مِنْ أَحَبِّكَ ثَمْرَةً فَأَصَابَتْهَا جَائِحَةٌ»..... ٢٨ / ٣
- «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» ٣٠٦ / ١
- «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ... أَنْ تَقْتَلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» ٣٠٦ / ١
- «إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا، وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا»..... ٣٠٣ / ١
- «أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانَكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»..... ١٤٦ / ٣
- «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»..... ٢٦٦ / ١
- «إِنْ رَبِّكُمْ حَبِيبِي كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ» ٣٢٩ / ٢
- «أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»..... ٣٠ / ٢
- «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَاقِبَكَ»..... ٢٣٣ / ٢
- «إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»..... ٢٦٥ / ١
- «إِنْ فِيكَ لِحُفَيِّينِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْإِنَاةُ»..... ٥٠ / ٣
- «إِنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ تَامَةً كَانَتْ تَرْغَمَانِ أَنْفَ الشَّيْطَانِ»..... ٢٢٨ / ١
- «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِهِ» ٣٢٦ / ٣
- «إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً، فَمَا حَقِيْقَةُ إِيمَانِكَ؟» ١٩٢ / ١
- «إِنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ»..... ٣٤٥ / ٣، ٢٦٢ / ١
- «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً بِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةٌ» ٦٧ / ١
- «إِنَّ لِلَّهِ صِنَائِنَ مِنْ خَلْقِهِ، يُحِبُّهُمْ فِي عَافِيَةٍ، وَيُمَيِّئُهُمْ فِي عَافِيَةٍ»..... ١٦٩ / ٣
- «إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ» ١٥٩ / ٢
- «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» ١٦١ / ٣
- «إِنَّ لِي مُطْعَمًا يُطْعِمُنِي، وَسَاقِيًا يَسْقِينِي»..... ٣١٣ / ٣
- «إِنَّ مَا تَدْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ - مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ -» ٣١٣ / ١
- «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» ٣٢٦ / ٢

- «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا» ٤٠/٣
- «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ اسْتِطَالَةَ الرَّجُلِ فِي عَرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ» ٣٠٧/١
- «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرًاكُمْ خَيْرًاكُمْ لِنِسَائِهِمْ» ٤٠/٣
- «إِنَّ مِنَ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهَا اللَّهُ» ٤٧/٣
- «إِنَّ مِنْ حَقَائِقِ التَّوْبَةِ طَلَبَ أَعْدَارِ الْخَلِيقَةِ» ٢٠٢/١
- «إِنَّ مِنْ شَرِّطِ الرَّضَا: تَرْكُ الْإِلْحَاحِ فِي الْمَسْأَلَةِ» ٣٠٦/٢
- «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ» ٢٩٣/٢
- «أَنْ مُوسَى قَالَ: يَا رَبِّ أَيْنَ أَجِدُكَ؟ قَالَ: عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي» ٢٠٢/٤
- «أَنْ نَاسًا مِنْ عَرِينَةِ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ» ٢٠٣/١
- «إِنَّ هَاهُنَا عَلِمًا جَمًّا، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً» ٢١٤/٤
- «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، وَلَا تَبْغِضَنَّ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ» ٢٠٨/٣
- «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ» ٢٠٨/٣
- «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ» ٣١/٢
- «أَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ عِزَّتَهُ فِي قَضَائِهِ» ٢١٠/١
- «إِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ فَعَمْرٌ» ٦٦/١
- «أَنْ يَكُونَ لَهُ شَبَعُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» ٣٠٤/٢
- «أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ حَشِيَّةً» ١٤١/٤
- «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ» ١٧١/٢
- «أَنَا أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٢١٤/٤
- «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتِي فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا» ٤٠/٣
- «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ» ٣١١/٣، ٢١٤/٤
- «أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ» ١٢٠/١
- «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ٢٠٢/٤

- «أَنَا لَهَا» ٢٢٨ / ٤
- «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ» ١٨٥ / ٤ ، ٥٣ / ١
- «أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ؟» ٥٩ / ١
- «أَنْتَ مُوسَى نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ» ١٨٨ / ٣
- «انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم» ٣٤١ / ١
- «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» ١٣٠ / ٣
- «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ» ٢٣١ ، ٥٠ / ٤
- «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلْ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أزدَدْتَ بِهِ خَيْرًا» ١٧١ / ٤
- «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي الصَّحْوِ» ١٥٣ / ٤
- «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» ٢٥ / ٣ ، ٢٣٣ / ٤
- «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا لَا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ» ٣٠٩ / ١
- «إنما الأعمال بالنيات» ٣٠١ / ١
- «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» ٢٣٤ / ٢
- «إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، فَمَنْ أَعْطِيَتْهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَيَبَارِكْ لَهُ فِيهِ» ٣٠٣ / ٢
- «إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ» ٤٤ / ٤
- «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ» ١٤٥ / ٣
- «إِنَّمَا نُهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ» ٦٥ / ٢
- «أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ وَرَأَوْا وَجْهَهُ عَيَانًا نَسُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعِيمِ» ١٦٢ / ٢
- «إِنَّهُ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ فَعَمُرْ بِنُ الْحَطَابِ» ٦١ / ١
- «إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ» ٦٩ / ٤
- «إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» ٢١٤ / ٤
- «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ» ٢١ / ٢
- «إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» ٣٨ / ٤

- «إِنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا» ٧٢ / ١
- «إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، إِنْ بَقِيَتْ حَتَّىٰ أَكَلَ هَذِهِ التَّمْرَاتِ» ١٢٨ / ٣
- «إِنَّهَا لَمَشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ» ٤٧ / ٣
- «أَنَّهَا نَعِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ» ٦٢ / ١
- «إِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ» ٣١٨ / ٣
- «إِنِّي أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً» ٧٨ / ٢
- «إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيَنِي» ٣١٣ / ٣
- «إِنِّي بَاعْتُ نَبِيًّا أُمَّيًا، لَيْسَ بِنَفْطٍ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ» ٢١٥ / ٣
- «إِنِّي لَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ، فَاتَّجَوَّزُ فِيهَا، كَرَاهَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمِّهِ» ٢٤٧ / ١
- «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ» ٢٩١ / ١
- «إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً» ٧٨ / ٢، ١٥١ / ١
- «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَطْعَمُ وَأَسْقَىٰ» ٣١٣ / ٣
- «إِنِّي وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ؛ أَخْلَقْتُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ سِوَايَ» ٣٤ / ٢
- «أَهْجُهُمْ، وَرُوحَ الْقُدْسِ مَعَكَ» ٥٨ / ٢
- «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الْجَنَّةِ الْحَمَادُونَ» ٢٨٧ / ٢
- «أَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّبِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّلُنِي إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَرَأِي، أَوْ بِمَا لَا أَعْلَمُ!» ٢٢٦ / ٤
- «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ، أَعْيَبْتَهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا» ٢٢٦ / ٤
- «إِيَّاكُمْ وَالشُّعْخَ، فَإِنَّ الشُّعْخَ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ٢٥ / ٣
- «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ» ٣٠٢، ٢٢٦ / ١
- «آيُونَ، تَائِبُونَ، لِرَبَّنَا حَامِدُونَ» ٢٢٤ / ٤
- «أَيَنْقُصُ الرُّطْبُ إِذَا جَفَّ؟» ٢٨ / ٣
- «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ» ١٤٧ / ٣

حرف الباء

- «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا» ٣٠
- «بَايَعُونِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا» ٣٦٨ / ١
- «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» ١٣ / ٤
- «بُعِثْتُ هَادِيًا وَدَاعِيًا، وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهَدَايَةِ شَيْءٌ» ١٩١ / ١
- «بَلِ اتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ» ١٧ / ٤
- «بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» ٥٠ / ٣
- «بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ» ٢٧٨ / ٤
- «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ؛ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ» ١٦٢ / ٢، ٦٣ / ٤
- «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ» ١١٧ / ٣
- «بَيْنَمَا كَلَبٌ يَطِيفُ بِرُكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ» ٣١٦ / ١

حرف التاء

- «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ» ٢٥٨ / ١
- «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ» ٧٢ / ٤
- «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» ٣٩ / ٣

حرف الثاء

- «ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ» ١٧١ / ٢
- «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» ١٥٠ / ٢، ٣ / ٢، ٢٦١، ٢٥٠ / ٢، ٤٩٢، ٣١٢، ٣١٤
- «ثَلَاثٌ، وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ كُنْتُ لِحَالِفًا عَلَيْهِنَّ» ٣٥٥ / ٢

حرف الحاء

- «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا» ١٧٩ / ١
- «حُبُّكَ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ» ١١٣ / ٤، ٢٤٢ / ٣
- «حَتَّىٰ إِنَّ الدَّوَابَّ لَتَشْكُرُنَّ مِنْ لُحُومِهِمْ» ٣١٢ / ٢
- «حَتَّىٰ تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ» ٣١٣ / ٣

- «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»..... ٢٤٠ / ٤
- «حسبنا الله ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار»..... ١٩٣ / ٢
- «حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ»..... ٧٣ / ٣
- «حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فَهْمِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ»..... ٢٨٨ / ٢
- «حملة العرش أربعة: اثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك»..... ١٠٨ / ٣
- «حَوْلَهَا نُدْنِدُنْ»..... ١٥٩ / ٢، ١٣٣، ٤٨

حرف الخاء

- «خَدَمْتُ النَّبِيَّ عليه السلام عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟»..... ٢٠٣ / ١
- «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»..... ٣٩ / ٣
- «خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكْنَاهُ بِالصَّبْرِ»..... ٢٣٤ / ٢
- «خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ»..... ٢٨٩ / ٢

حرف الدال

- «دَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَكُنْتُ رَأَيْتُ امْرَأَةً فِي الطَّرِيقِ تَأَمَّلْتُ مَحَاسِنَهَا»..... ١٩٨ / ٣
- «دَعُوهُ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»..... ٣٢٦ / ٢
- «دَعُوهُمَا؛ فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ»..... ٥٦ / ٢
- «دَعُوهُ، فَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ»..... ٢٩٥ / ٢، ٢٠٢ / ١

حرف الذال

- «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»..... ٣١٥، ٣١٢ / ٣، ٢٦٠، ٢٤٩، ١٥٠ / ٢
- «ذَلِكَ جَبْرَيْلُ، لَمْ أَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ»..... ١٤٤ / ٤
- «ذَلِكَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نُورُهُ إِذَا تَجَلَّى بِهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ»..... ٤٣ / ٤
- «ذِرْوَةٌ سَنَامِ الْإِيمَانِ: الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ، وَالرِّضَا بِالْقَدْرِ»..... ٢٨٤ / ٢
- «ذكر في صلواته تبراً كان عنده»..... ٢٤٧ / ١
- «ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ»..... ١٨ / ٣

حرف الراء

- «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»..... ٣ / ٣٨٥ ، ٤ / ١٥
- «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»..... ١ / ١٨٧
- «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»..... ٢ / ٢٣٧
- «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»..... ٢ / ١٣٢
- «رَوِّيا المؤمن كلامٌ يكَلِّمُ به الرَّبُّ عبده في المنام»..... ٧٣

حرف الزاي

- «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»..... ٢ / ٥٦

حرف السين

- «سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، أَلَا سَأَلْتَ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ!»..... ٢ / ١٣٢
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»..... ١ / ١٤٨ ، ٤ / ١٨٧ ، ٤ / ٢٢٣
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»..... ١ / ١٨٤ ، ٢ / ٢٢٤
- «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»..... ٢ / ١٨٦
- «سَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ مِنْ فَضْلِهِ»..... ٣ / ٣٢٦
- «سَمِعَ ﷺ الحداء وأذن فيه»..... ٢ / ٥٧
- «سَيِّرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ!»..... ٣ / ١٤٦

حرف الشين

- «شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُونَ - وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ»..... ٤ / ٢٣٩

حرف الضاد

- «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنَّتِي الصِّرَاطِ سُورَانِ»..... ٣ / ٢٩٧

حرف الطاء

- «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ... نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ كَثِيرٍ»..... ٤ / ١٣
- «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قالوا: ومن الغرباء... الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ»..... ٤ / ١٣

حرف الظاء

«ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يوم أحدٍ»..... ٢١٤ / ٢

حرف العين

«عائِدُ الْمَرِيضِ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ»..... ١٦١ / ٢

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ»..... ٢٣٣ / ٢

«عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ»..... ٢٣٩ / ٤

«عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِيهِ»..... ٣٢٨ / ١

«عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ»..... ٢٣٨ / ٤

«عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً»..... ٢٥٨ / ١

«عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»..... ٢٠٨ / ٣

«عودوا بالله من عذاب القبر»..... ١٣٢ / ٢

حرف الضاء

«فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»..... ٧٩ / ٤، ١٢٣، ٩٧ / ٤

«فِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ»..... ١٢٣ / ٤، ٣٠٣ / ٣، ٢٧٦، ٥٠ / ٢

«فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ»..... ٣٩٦ / ٣

«فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، قِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟»..... ١١١ / ٣

«فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ رَجَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»..... ٢٣٩ / ٤

«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»..... ١٤٩ / ١

«فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ؟»..... ١٩٠ / ٤

«فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»..... ٣٥٢، ٣٠١ / ١

«فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ، بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقَالَ: لَا»..... ٢٥٧ / ٤

«فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْ وَجْهِهِ»..... ٣١٨ / ٣، ١٦٢ / ٢

«فَيَقُولُ الْمَلَكُ الَّذِي يَخْلُقُهُ: يَا رَبِّ، ذَكَرَ أُمَّ أُنْتَى؟»..... ٢٤ / ٣

«فِيْمَنْ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ»..... ٨٣ / ٢

حرف القاف

«قَدَرُ مَا يُعَدِّيهِ وَمَا يُعَشِّيهِ»..... ٣٥٤ / ٢

«قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»..... ١١٩ / ١

«قَضَى فِي السَّارِقِ إِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ أَنَّهُ لَا عُزْمَ عَلَيْهِ»..... ٣٤٥ / ١

«قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»..... ١٨٥ / ٢

«قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ»..... ١٦٠ / ٢

«قَوْلِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»..... ١٣٢ / ٢

حرف الكاف

«كَانَ ﷺ إِذَا أَكَلَ لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ»..... ٦٣ / ٣

«كَانَ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرْفَعُ تَوْبَهُ، يَحْلُبُ الشَّاةَ لِأَهْلِهِ»..... ٦٣ / ٣

«كَانَ ﷺ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ»..... ٦٤ / ٣

«كَانَ ﷺ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ»..... ٦٣ / ٣

«كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ»..... ١٨٥ / ٤

«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»..... ١٨٥ / ٤

«كَانَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ إِذَا سَمِعُوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ ﷻ»..... ١١٤ / ٤

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْتَجِرُ بِحَصِيرٍ فِي الْمَسْجِدِ فِي اعْتِكَافِهِ، يَخْلُو بِهِ مَعَ رَبِّهِ ﷻ»..... ٢٤٨ / ١

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَى الصَّبِيَّانِ فَيَسَلُّمُ عَلَيْهِمَا»..... ٦٣ / ٣

«كَانَ خُلِقَ الْقُرْآنُ»..... ٣٧ / ٣

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»..... ٣٨ / ٣

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَأَى بَغِيرَهَا»..... ١٨٧ / ٤

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»..... ٣٢٦ / ٢

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْلِي وَالْبَابُ مَغْلَقٌ»..... ٢٤٧ / ١

- «كان رسول الله ﷺ يعجبه التَّيْمُنُ في تنعله وترجله، وطهوره وشأنه كله» ١٧٦ / ٣
- «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً» ٣١٦ / ١
- «كَانَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْرَانِ» ٧٢ / ٢
- «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ» ٢٥١ / ٣
- «كان يدخر لأهله قوت سنة» ٢١٤ / ٢
- «كان يستعيد كثيراً من عذاب النار، ومن عذاب القبر» ١٣٢ / ٢
- «كَانَ يَغْدُو إِلَى شَوَاهِقِ الْجِبَالِ» ٣٤٥ / ٣
- «كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَلَا أَقْضِيهِ إِلَّا فِي شَعْبَانَ» ٣٦٠ / ١
- «كانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنتلق به حيث شاءت» ٦٣
- «كَذَّبَ أَبُو السَّنَابِلِ» ٣٤٤ / ١
- «كَذَّبَ مَنْ قَالَهَا» ٣٤٤ / ١
- «كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ٣٥٦، ١٢٢ / ١
- «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ» ١٣٠ / ١
- «كُلُّكُمْ يَتَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» ٣٢٣ / ٣
- «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» ١٨ / ٤
- «كُنْ لِي كَمَا أُرِيدُ، أَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدُ» ٢٦٢ / ٤
- «كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ» ٧٩ / ٤

حرف اللام

- «لَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ» ١٩٠ / ١
- «لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» ٢٩٨، ٤٨٠، ٤٨ / ٤، ٤١١، ١٣١ / ٢، ٢٥١ / ١
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ٢٤٦ / ٤
- «لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا» ٢٣٣ / ٢
- «لَا تَحْفَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ» ٢٩ / ٣

- «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ» ١٣٧ / ٣
- «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» ٣١٩ / ١
- «لَا تُرْضِينَ أَحَدًا بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ» ١٢٢ / ٣
- «لَا تَرْعَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ» ٣٢٠ / ١
- «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُرْعَةٌ لَحْمٍ» ٢١١ / ٢
- «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا» ٣٥٤ / ٢
- «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى الْمَسِيحَ بْنِ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ١١٩ / ١
- «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ، فَيَرِحْمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ» ١٨٥ / ١
- «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَجْعَلُ تَوَكُّلَهُ عَجْزًا، وَعَجْزَهُ تَوَكُّلًا» ٢٦٣ / ٤
- «لَا تُلْحِقُوا فِي الْمَسْأَلَةِ؛ فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا» ٣٥٣ / ٢
- «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ٤٠ / ٤
- «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ» ٤٧ / ٣
- «لَا طَلَاقَ فِي إِغْلَاقٍ» ٢١٤ / ١
- «لَا طَلَاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ» ١١٣ / ٤
- «لَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ» ٢٨٠ / ٤
- «لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهَمًّا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ» ١٨٨ / ٣، ٦٢ / ١
- «لَا يَا بَنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُ» ٧٧ / ٢
- «لَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ حَظًّا مِنْ صَلَاتِهِ» ١٧٥ / ٢
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» ٦٧، ٦٢ / ٣
- «لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٣١٥ / ١
- «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي دِيْوَانِ الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ» ٦٣ / ٣
- «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» ١٤٧ / ٣، ٢٥٨ / ١

- «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ٢٤٣ / ٢
- «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» ٣٥٤ / ١
- «لَا يَقْضِ الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ» ١١٢ / ٤
- «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ» ١٤٦ / ٣
- «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ» ١٢١ / ٢
- «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذَلَّ نَفْسَهُ» ٣٩٢ / ٣
- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» ٣٠٠ / ٤
- «لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ٢٧٨ / ٤
- «لَا، وَإِنْ كُنْتَ سَائِلًا لِأَبَدٍ فَسَلِ الصَّالِحِينَ» ٣٠٤ / ٢
- «لَا، وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ» ١٨٥ / ١
- «لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» ١٤ / ٣
- «لَأَنَّ تَخْتَلَفَ فِيَّ الْأَسِنَّةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحَدِّثَ نَفْسِي فِي الصَّلَاةِ بِغَيْرِ مَا أَنَا فِيهِ» ٢١٤ / ٤
- «لَأَنَّ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنَ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ» ٣٠٢ / ٢
- «لَأَنَّ يَغْدُو أَحَدُكُمْ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ» ٣٠٢ / ٢
- «لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» ١٥٥ / ١
- «لِأَنَّهُ مُعَارَضَةٌ مِنْ وَجْهِ، وَاعْتِرَاضٌ مِنْ وَجْهِ» ١٢٣ / ٢
- «لُبِّسَ عَلَيْكَ» ٧٠ / ١
- «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» ٤٢ / ١
- «لَتَكْذِبَنَّ وَلَتَخْرَجَنَّ وَلَتُوذَبَنَّ» ٥٧ / ٣
- «لَقَدْ أَتَى عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا وَإِنِّي لِنَائِلُ الْإِسْلَامِ» ٢١٤ / ٤
- «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس» ١٩١ / ١
- «لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مَرَمَارًا مِنْ مَرَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» ٥٦ / ٢، ٤٩ / ٣
- «لِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ» ٩٣ / ٢

- «لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَإِنْ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوا لَهُ»..... ٣٨٨ / ٣، ٢٦٢ / ١
- «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَالِدِهَا»..... ٢١٧ / ١
- «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَصَلَّ رَاحِلَتَهُ بِأَرْضٍ مَهْلِكَةٍ»..... ٢١١ / ١
- «لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ - حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ - مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ عَلَى رَاحِلَةٍ بِأَرْضٍ فَالَاةٍ»..... ٢١٤ / ١
- «لَمْ أَكُنْ أَمَلًا عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ»..... ٣٢٤ / ٣
- «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ»..... ٧٣ / ١
- «لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَجَلًا دُونَ الْمَوْتِ»..... ١٢١ / ٤
- «لَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ قَطُّ»..... ٦٣ / ٣، ٢٩٩ / ٢
- «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ مَوْضُوعٌ عَلَى الْعَرْشِ»..... ٥٥ / ١
- «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»..... ١١٢ / ١
- «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»..... ١١ / ٢، ١١٢، ١٨٧ / ١
- «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة»..... ٢٧ / ٤
- «لَوْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَبَلَ مِنِّي عَمَلًا وَاحِدًا؛ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ»..... ٢١٢ / ٤
- «لَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلِيهَا إِلَى آخِرِهَا أَوْ تَبَيَّهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ»..... ٧٤ / ٤
- «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم»..... ١١٢ / ١
- «لَوْ أَنْتُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْنَاكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ»..... ١٩٣ / ٢
- «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»..... ٧٨ / ٢
- «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»..... ٨٥ / ٢
- «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ»..... ٦٤ / ٣
- «لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُحِيرَكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»..... ١٣٢ / ٢
- «لَوْ طَهَّرْتَ قَلْبُوبَنَا كَمَا شَبِعْتَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ»..... ١١٦ / ٤
- «لو علمت أنك استمعت لحبرته لك تحبيرًا»..... ٥٦ / ٢
- «لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ»..... ٢٩٥ / ٢، ٢٠٣ / ١

- «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»..... ٢٥٦ / ٣
- «لَوْ لَقَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا أَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»..... ٣١١ / ١
- «لَوْ لَمْ تُذُنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ»..... ١٩٣ / ٤، ٢٦٩ / ٢، ٢٨٩، ٢١٣ / ١
- «لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْمَسْأَلَةِ مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَيَّ أَحَدٌ يَسْأَلُهُ شَيْئًا»..... ٣٥٥ / ٢
- «لَيْتَهُ مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلِدِهِ... إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ قَيْسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ»..... ٢٠ / ٤
- «لَيْسَ الْخَبِيرُ كَالْعَيَّانِ»..... ١٨٢ / ٤
- «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»..... ٤١ / ٣
- «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»..... ٣٢٦ / ٣
- «لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ»..... ٣٥٧ / ١
- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَحَرَّقَ»..... ٢٧٢ / ٣
- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ»..... ٥٦ / ٢
- «لَيْسَ أَحَدُكُمْ رَبُّهُ حَاجَتُهُ، حَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْحَ»..... ٣٢٦ / ٣، ٣٠٧ / ٢
- «ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال»..... ١٣ / ٢
- «لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ»..... ٢٠٨ / ٣
- «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»..... ٥٩ / ٢
- «لِيَنْطَلِقَ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ»..... ١٧٦ / ٤

حرف الميم

- «مَا أَجْلَسَكُمُ؟» قالوا: جلسنا نذكر ما من الله به علينا»..... ٢٨٣ / ٤، ١٤٦ / ٣
- «مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»..... ٢٦٩ / ٣
- «ما أذن الله لشيء كإذنه لصاحب القرآن»..... ٥٦ / ٢
- «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا لَهُ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»..... ٢٣٤، ٣٠٢ / ٢
- «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَقْلٌ مِنْ ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي جِبَالِ الدُّنْيَا»..... ٦١ / ٤
- «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ فِي الْيَمِّ»..... ٩١، ٦١ / ٤، ٣١٧ / ٣

- «مَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ نَهَى عَنْهُ، وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ: لَيْتَهُ أَمَرَ بِهِ» ٢٣٦ / ١
- «مَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ قَطُّ» ٢٠٢ / ١
- «مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: مُؤْمِنُونَ. فَقَالَ: مَا عَلَامَةُ إِيْمَانِكُمْ؟» ٢٨٨ / ٢
- «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ»، ١١٢ / ٣
- «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَكُلُ اللَّحْمَ» ١٨٢ / ١
- «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟!» ١٣٠ / ٣
- «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» ٦٠ / ٤
- «مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى صَادِقًا وَكَاذِبًا» ٧٠ / ١
- «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ آدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» ٢٥٠ / ٣، ١٣٤ / ٣، ٢٦٠، ٣٦ / ٢، ٢٥٨ / ١
- «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ ... هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا» ٣٨٥ / ٣
- «مَا جَاءَ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي» ٥٧ / ٣
- «مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا» ١٧ / ٣
- «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَرِحَ بِشَيْءٍ قَطُّ فَرَحَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ لَمَّا أَنْزَلَتْ» ٢٩١ / ١
- «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» ٥٣ / ٣
- «مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ» ٣٠٨، ١٣٢ / ٢
- «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا، وَلَا دَابَّةً، وَلَا شَيْئًا قَطُّ» ٢٠٢ / ١
- «مَا عَرِضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَمْرَانِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا» ١٤٠ / ٢
- «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ» ٨٥ / ٢
- «مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قَحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ١١٧ / ٣
- «مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَنْ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ» ١١ / ٤
- «مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا حِدَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا» ٣٨٨ / ٣
- «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ إِنَّمَا أَنَا كَرَاحٍ قَالٍ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» ٣١٧ / ٣

- «مَا مَسَسْتُ دِيْبَا جَا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٣٥ / ٣
- «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِيهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنُ صَلْبَهُ» ٢٩ / ٢
- «مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ بِهَا أَحَدٌ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ حَاجَتُهُ» ٣٢٦ / ٣
- «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» ٣٩ / ٣
- «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ» ١٨٥ / ١
- «مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ؟ وَمَاذَا أُرِيدَ بِهَا؟» ٢١٤ / ٤
- «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَى الْمِلَّةِ - حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ» ٥ / ٢
- «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ» ٢٥١ / ٤
- «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا» ٨٥ / ٤
- «مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَالْبَحْرُ يَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ أَنْ يُغْرِقَ ابْنَ آدَمَ» ٤٠٤ / ١
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَقْعُدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعُدَهُ مِنَ النَّارِ» ٢٧٨ / ٤
- «مَا هَذَا؟... مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ هَذَا» ٣٧ / ٣، ٢١ / ٢
- «مَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُفِيَةٌ؟ كُلُّوْا، وَاصْرُبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ» ٧٧ / ١
- «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِرْعَةٌ لَحْمٍ» ٣٠١ / ٢
- «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ وَلَا غَمٍّ وَلَا أَذَى حَتَّى الشُّوْكَةُ يَسَاكُهَا» ٢٩٩ / ١
- «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ وَلَا نَصَبٍ وَلَا حَزَنٍ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَطَايَاهُ» ٧٢ / ٢
- «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ» ٣٠٤، ٢٣٣ / ٢
- «مَا ضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ» ٢٨٣ / ٢
- «مَثَلُ النَّبِيِّ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ وَالنَّبِيِّ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» ١٤٧ / ٣
- «مَثَلُ الَّذِي يُذَكِّرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يُذَكِّرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» ١٤٧ / ٣
- «مِثْلُ الْمَنَافِقِ مِثْلُ الشَّاةِ الْعَاثِرَةِ بَيْنَ غَنَمَيْنِ تَعْبِرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً» ٣٣٤ / ١
- «مِثْلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ» ٤٣ / ٤

- «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُمُ شُحًّا مُطَاعًا»..... ١٦/٤
- «مَنْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ»..... ٣١٩/١
- «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ»..... ٣١٩/١
- «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرَّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ»..... ١٩١/١
- «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا اللَّهُ عِنْدَهُ»..... ٢٨٩/٢
- «مَنْ أَحَدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»..... ٢٢٧/٤
- «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُوَ أَخَذَ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»..... ٢٦٩/١
- «مَنْ اسْتَعْنَىٰ أَعْنَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَكْفَىٰ كَفَاهُ اللَّهُ»..... ٣٥٥/٢
- «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتُهُ»..... ٣٥٤، ٢١٢/٢
- «مَنْ أَطْلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ»..... ١٣/١
- «مَنْ اعْتَدَرَ إِلَى اللَّهِ قَبَلَ اللَّهُ عُذْرَهُ»..... ١٩١/١
- «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ لِغَيْرِ عُذْرٍ لَمْ يَقْضِهِ عَنْهُ صِيَامُ الدَّهْرِ»..... ٢٧٥/٣، ٣٥٦/١
- «مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلَ وَالِدِيهِ»..... ٣٥٧/١
- «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَطَّ عَمَلُهُ»..... ٣٥٦، ٢٧١/١
- «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا»..... ٨٢، ٨٥/٤، ٣٦/٢
- «مَنْ تَكْفَلَّ لِي أَلَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، أَتَكْفَلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»..... ٢١٢/٢
- «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ فِرَاعِهِ مِنْ وَضُوئِهِ»..... ١٤٥/٢
- «مَنْ جَاءَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافٍ وَلَا مَسْأَلَةٍ، فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ»..... ٣٥٦/٢
- «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»..... ١٥٩/٢
- «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»..... ٣٢٧/١
- «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ»..... ١٥٥/١
- «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»..... ٨٢/٤، ١٥١، ١٤٨/٣، ١٢٦/٢
- «مَنْ رَأَاهُ بِدَيْهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ عِشْرَةَ أَحَبَّةٍ»..... ٤٤/٣

- «مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ رَأَهُ غَادِيًا رَائِحًا، لَمْ يَصْعَ لَبِنَةٌ عَلَى لَبِنَةٍ» ١٥٠/٤
- «مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ، رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ» ٢٨٩/٢
- «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْتُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» ٣٠١، ٢١٢/٢
- «مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ كَانَتْ شَيْنًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٣٥٥/٢
- «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ - وَفِي لَفْظٍ: مِنْ جَمْرٍ جَهَنَّمَ -» ٣٥٤/٢
- «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الرَّحَاءِ» ٣٥٧/٢
- «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ - اسْتَحَارَةَ اللَّهُ ﷻ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ» ٢٧٩/٢
- «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ» ٢٨٧/٢
- «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» ٣٢/٢
- «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَجْزِي بِهِ فَلْيُتِنِّ» ٣١٦/٢
- «من عادى لي ولياً» ٢٥٠/٣، ٣٧٦، ٣٦/٢
- «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ طَيْبُ الرِّيحِ، خَفِيفُ الْمَحْمَلِ» ١٣٥/١
- «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ٣٥٦/١
- «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» ١٨٤/١
- «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ١٧١/٢
- «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» ٢٤٩/٢
- «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ» ٣١٥/١
- «مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا» ٢٦٢/٢
- «مَنْ قَالَ - يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ -: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ» ١٩٤/٢
- «من قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» ١٦١/٢
- «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ» ٣٢/٢
- «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ يَتَوَجَّأُ بِهَا خَالِدًا مُحَلَّدًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ٣٦٩/١
- «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٢٣١/٤، ٣٦٨/١

- «مَنْ كَانَ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ»..... ٢٨١ / ١
- «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ»..... ٢٢٥ / ٤
- «مَنْ كَسَا مُسْلِمًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ»..... ١٦١ / ٢
- «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»..... ٣٢٦ / ٣، ٣٠٦، ١٣٤ / ٤
- «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»..... ٣١٦ / ٢
- «مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي - فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَايَ»..... ٢٦٣، ٤٤٨ / ٢، ١٢٧ / ١
- «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»..... ٣٦٨ / ١
- «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»..... ١٥٦ / ١
- «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»..... ٢٦٦ / ٤
- «مَنْ نَامَ عَنِ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»..... ٣٥٧، ٣٥٣ / ١
- «مَنْ نَفَسَ عَنِ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»..... ٥ / ٤
- «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ»..... ٢٣٣ / ٢
- «مَنْ يَتَقَبَّلْ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»..... ٣٠٤ / ٢
- «مَنْ يَسْتَطِيعُ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ؟!»..... ٢٩ / ٣
- «مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ»..... ١٩ / ٤

حرف النون

- «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾»..... ١٨٢ / ٤، ٤١ / ٢
- «نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا»..... ٥٧ / ٢
- «نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها»..... ٢١٤ / ١
- «نَعْمَ الْعَبْدُ صَهِيْبٌ لَوْ لَمْ يَخْفِ اللَّهُ لَمْ يَعِصْهُ»..... ٢٤٢ / ٢
- «نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَأَنَا رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»..... ١١٣ / ٣
- «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ الثَّلَاثَةَ أَنْ يَتَنَاجَى اثْنَانِ مِنْهُمْ دُونَ الثَّلَاثِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْزَنُهُ»..... ٧١ / ٢
- «نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ»..... ٢٣٩ / ٤

١٣٤ / ١ «نَهَى عَنْ طَعَامِ الْمُتَبَارِئِينَ»

١٢٦ / ٤ «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!»

حرف الهاء

٣٧ / ١ «هَذِهِ سُبُلٌ، وَعَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»

٢٣٠ / ٣ «هَكَذَا - ووضِع الإبهام على المَفْصِل الأعلى من الخنصر - فَسَاحَ الْجَبَلُ»

١٥٦ / ١ «هل بقي من برِّ أبويِّ شيءٍ أبرُّهما به بعد مماتهما؟ قال: نعم»

١٧٤ / ٣ «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»

٢٠٨ / ٣ «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»

١٩٣ / ٢ «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»

١٦ / ٤ «هُمُ النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»

٢٧ / ٢ «هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ»

١٧٥ / ٢ «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»

٣٨ / ٤ «هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ يُعْطَى الْقَلْبَ حَتَّى يَصِيرَ كَالرَّانِ عَلَيْهِ»

٥٩ / ٣، ١٧٦ / ٢ «هُوَ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ إِلَّا يُقْبَلَ مِنْهُ»

٢٧ / ٣ «هُوَ الطَّهْوَرُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتُهُ»

٣١ / ٢ «هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»

٣٧٤ / ٣ «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ»

١٥٦ / ١ «هِيَ تَلَمُّسُ الْبَصِيرَةِ لِاسْتِدْرَاكِ الْبُعِيَّةِ»

١٦٨ / ١ «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ»

٢٥٥ / ١ «هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»

٢٧٨ / ٤ «هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»

حرف الواو

٢٣١ / ٢ «وَاعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»

- «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ» ٣٠٠ / ١
- «وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ» ٢١٤ / ٤
- «وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ» ٣٣٤ / ٢
- «وَأَلَّا تَرُدَّ عَلَيَّ عَدُوَّكَ حَقًّا» ٧٣ / ٣
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ» ٢٧٨ / ٢
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ» ٤٥ / ١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَيَّ ظَهْرَهُ» ٣٠٢ / ٢
- «وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ حَالًا، كَمَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ إِجَابَةً» ٧ / ٢
- «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» ٦٠ / ٣
- «وَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ» ٣٠٣ / ١
- «وَاللَّهُ يَا مُعَاذُ إِنِّي لِأُحِبُّكَ؛ فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ» ٢١١ / ٢
- «وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» ٢١٢ / ٢
- «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنِ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» ٣٢٧ / ٣
- «وَأَمْرَأَةٌ فَرَعُونَ حِينَ قَالَتْ: ﴿فَرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكِ لَا نَقْتُلُوهَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾» ١٩٧ / ٣
- «وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ» ٣١٦ / ٣
- «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» ٥٣ / ١
- «وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ! إِنِّي أَجِدُ وَاللَّهِ رِيحَهَا دُونَ أَحَدٍ» ٦٠ / ٤
- «وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ» ٧٨ / ٣
- «وَجَدَّ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ» ٣١٥ / ٣
- «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» ١٠٣ / ٣، ١٨٣ / ٢
- «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا» ٢٦٥ / ١
- «وَرَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» ١٠٣ / ٤
- «وِعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٣٦٩ / ١

- «وَعَزَّيْتِي وَجَلَّالِي، لَا يُجَاوِزُنِي الْيَوْمَ ظَلْمُ ظَالِمٍ ٣٦٩ / ٣
- «وكان رسول الله ﷺ يحبُّ الفأل ويعجبه» ٢٠٣ / ٣
- «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» ١٨٦ / ١، ١١٢، ١١٤، ١١٦ / ٢، ١
- «وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» ٣٠٣ / ٢، ٢١١ / ٢
- «وَلَا يُحْمَلَا عَلَيَّ عَلَّةٌ تُوهِنُ الْإِنْقِيَادَ» ٢٠٨ / ٣
- «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ» ٧٩ / ٤
- «وَلَا أَنْ يَأْخُذَ تَرَابًا فَيَجْعَلُهُ فِي فِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ٣٠٢ / ٢
- «وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُبَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ» ١٥٥ / ٣
- «وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُبَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ» ١٩٥ / ٣
- «وَمَا كَانَ بِالْحَقِّ لَمْ يَخُلْ مِنْ صِحَّةٍ، وَلَمْ تَحِفْ عَلَيْهِ نَقِيصَةٌ، وَلَمْ تَتَعَاوَزْهُ عَلَّةٌ» ١٢٣ / ٤
- «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» ١٣١ / ١
- «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ» ٢٧٧ / ١

حرف الياء

- «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» ١١٠ / ٢
- «يَا آدَمَ، قُمْ فَأَبْعَثْ بَعَثَ النَّارِ» ٣٦٩ / ٣
- «يا أنجشة رويدك بالقوارير» ٥٧ / ٢
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» ٣٣٤ / ٢، ٣٦٦ / ٢
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الرَّأْيَ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصِيبًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ يَرِيهِ» ٢٢٦ / ٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» ١٨٧ / ١
- «يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ» ١٠٣ / ٣، ١٨٣ / ٢
- «يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَطَعْمَتَكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي» ٢٨٨ / ١
- «يَا بَنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي» ١٢٦ / ٢، ٢٩٠ / ١
- «يَا بَنَ آدَمَ، مَا مِنْ يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا يَأْتِيكَ مِنْ عِنْدِي رِزْقٌ جَدِيدٌ» ٣٤ / ٢

- «يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمُهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ» ٧٢/٤
- «يَا حُدَيْفَةُ، نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ؟» ٣٣٩/١
- «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ» ٣٠٢/٢
- «يَا رَبِّ وَحِيدٍ مَرِيضٍ غَرِيبٍ، فَاقْبَلْ لَهُ: يَا مُوسَى» ١٤/٤
- «يَا رَبِّ، هَلَّا سَاوَيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّي أُحِبُّ أَنْ أُشْكَرَ» ٣٣٢/٣
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ. كَمَاكَ بَعْضُ مُنَاشِدَاتِكَ لِرَبِّكَ» ٣٠٧/٢
- «يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ!» ٤٢/٤
- «يَا عَائِشَةُ مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ، فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يَعْجَبُهُمُ اللَّهْوُ» ٥٦/٢
- «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَيَّ نَفْسِي» ٢٩٠، ١١٠/١
- «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْمْ وَأَخْرَكُمْمْ وَإِنْسَكُمْمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ» ٣٣٦/٢
- «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخَطِّطُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْمُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» ٢٩٠/١
- «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا» ١١٠/١
- «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْتُكُمْ!» ٣٢٧/٣
- «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ» ١٣١/٢
- «يَا عُمَرُ، تَرَانِي قَدْ رَضِيتُ وَتَأْتِي؟» ٢٢٧/٤
- «يَا قَيْصَةَ، أقم حتى تأتينا الصدقة» ٣٠٥، ٢١٢/٢
- «يَا لَهُ لَوْ مَاتَ غَرِيبًا... مَا مِنْ غَرِيبٍ يَمُوتُ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، إِلَّا قَيْسَ لَهُ» ٢٠/٤
- «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقَّ لِلَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» ٧٣/٣
- «يَعْزَنُ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ» ٢٨٠/٢
- «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ؛ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِيْنَ» ١٨٣/٣
- «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» ٣٠٧/١
- «يُضْبِحُ عَلَيَّ كُلُّ سَلَامِي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ» ٢٨/٣
- «يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ» ٣٣٠/٢

- «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ»..... ٢/ ١٢١، ١٢٦، ٤/ ٢٠٢
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: الْعِظْمَةُ إِزَارِي، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَائِي»..... ١/ ٥١، ٣/ ٦٣
- «يقول الله: إني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام»..... ٣٢٩
- «يَقُولُ بَنُو إِسْرَائِيلَ: إِنِّي كَرِيمُ الْخُلُقِ عَلَى اللَّهِ، وَهَذَا قَدْ جَاوَزَنِي وَخَلَّفَنِي عُلوًّا»..... ٣/ ١١١
- «يَقُولُ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ؟»..... ٣/ ١٧٤
- «يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ بُطْنَانِ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»..... ١/ ٣٠٨
- «يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟»..... ٣/ ٣٨٢
- «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ»..... ٤/ ١٠٣

